

# الرَّوَضُ الْأَنْفِيُّ

فِي شَرْحِ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّهَيْلِيِّ

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

وَمَعَهُ

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْإِمَامِ ابْنِ هِشَامٍ

الْمُتَوَفَّى ٢١٨ هـ

الْجُزْءُ الثَّانِي

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ وَشَرْحٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلُ

تَوْزِيعُ

بِكُنُوزِ الْعُلَمَاءِ بِمَجْدِهِ

حَى الشَّغَرِ

٦٨٧٧٠١٤ ث

النَّاشِرُ

مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ

الْقَاهِرَةُ ١٠٤٢٤٠٨٦

جامعة الكويت  
ادارة المكتبات - قسم التزويد المظلي  
رقم التسجيل ١٧٢٣٨  
التاريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،  
محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .

« أما بعد » فباسم الله نقدم الجزء الثانى من « الروض الأتف » للسهلى  
والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا  
هذا صالحاً عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

١٩ من رمضان سنة ١٣٨٧

٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٦٧

عبد الرحمن الوكيل

« أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم » :

قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بنُ عبد المطلب رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -  
سيدَ ولد آدم ، محمدَ بنَ عبد الله بن عبد المطلب ، صلواتُ الله وسلامه ورحمته  
وبركاته عليه وعلى آله . وأمه : آمنَةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن  
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُمها : بَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب  
ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُم بَرَّة : أُم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن  
مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُم أم حبيب : بَرَّة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب  
ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشرفُ ولد آدم  
حسبا ، وأفضلهم نسبا من قبل أبيه ، وأمه صلى الله عليه وسلم .

« حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

إشارة إلى ذكر احتقار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال :  
وكان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما حدثنا به زياد بن عبد الله  
البكائي ، عن محمد بن إسحاق الموطي : بينما عبد المطلب بن هاشم نائم في الحجر ،  
إذ أتته ، فأمر بحفر زمزم ، وهي دفن بين صنمى قریش : إساف ونائلة ، عند



مَنَحَر قَرِيش . وكانت جُرْهم دَفَنَتْها حين ظَعَنُوا من مَكَّة ، وهى : بئر إسماعيل  
ابن إبراهيم — عليهما السلام — التى سقاه الله حين ظَمِئُ وهو صغير ، فالتمست له  
أُمُّه ماءً فلم تجده ، فقامت إلى الصَّفا تدعو الله ، وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أنت  
المَرْوَة ففعلت مثل ذلك . وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام ، فهُمَزَ له بِعَقِبِهِ  
فى الأرض ، فظهر الماء ، وسمعت أُمُّه أصواتَ السَّباعِ نفاثتها عليه ، فجاءت  
تشتدَّ نحوه ، فوجدته يَفْحَصُ بيده عن الماء من تحت خَدِّه ويشرب ، فجعلته  
حَسِيًّا [ الحسى : الحفيرة الصغيرة ] .

### أمر جرهم ، ودفن زمزم

قال ابن هشام : وكان من حديث جُرْهم ، ودَفَنَها زمزم ، وخروجها  
من مَكَّة ، وَمَنْ ولى أمرَ مَكَّة بعدها إلى أن حَمَرَ عَبْدُ المطلب زمزم ، ما حدثنا به  
زِيَاد بن عبد الله البسْكَائِي عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبيّ ، قال : لما توفى إسماعيل  
ابن إبراهيم ولى البيت بعده ابْنُهُ نابت بن إسماعيل — ما شاء الله أن يليه — ثم  
ولى البيت بعده : مُضاض بن عمرو الجُرْهمي :

### ( باب مولد النبي صلى الله عليه وسلم )

ذكر نسب أُمِّه آمنَة بنت وَهَب بن عَبْدِ مناف بن زُهْرَة ، وأن زُهْرَة  
هو : ابن كلاب ، وفى المعارف لابن قتيبة : أن زُهْرَة اسم امرأة عُرِفَ بها بنو  
زُهْرَة ، وهذا مُنْكَرٌ غير معروف ، وإنما هو اسمُ جَدِّهم — كما قال ابن إسحاق  
والزُهْرَة فى اللغة : إشراقٌ فى اللون ، أى لونٍ كان من بياضٍ أو غيره ، وزعم  
بعضهم أن الأزهر هو الأبيض خاصّة ، وأن الزهر اسمٌ للأبيض من النّوّار ،

قال ابن هشام : ويقال : مضاض بن عمرو الجرهمي .

قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل ، وبنو نابت مع جدّهم : مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرّهم ، وجرّهم وقطوراء يومئذ أهل مكة ، وهما ابنا عمّ ، وكانا قطعنا من اليمن ، فأقبلا سيّارة ، وعلى جرّهم : مضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء : السّميدع رجُلٌ منهم . وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملكٌ يُقيم أمرهم . فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجرٍ ، فأعجبهما فنزلا به . فنزل مضاض بن عمرو بمنّ معه من جرّهم بأعلى مكة بقُعَيْقِعَان ، فما حاز . ونزل السّميدع بقطوراء ، أسفل مكة بأجباد ، فما حاز . فكان مضاض يعشُر من دخل مكة من أعلاها ، وكان السّميدع يعشُر من دخل مكة من أسفلها ، وكلٌّ في قومه لا يدخل واحدٌ منهما على صاحبه . ثم إن جرّهم وقطوراء بقى بعضهم

وخطأ أبو حنيفة من قال بهذا القول ، وقال : إنما الزُّهرة إشراق في الألوان كلها ، وأنشد في نور الخوذان ، وهو أصفر :

تري زهر الخوذان حَوْلَ رياضه يُضِيءُ كَلَوْنَ الْأَنْحَمِيِّ الْمَوْرِسِ (١)

وفي حديث يوم أحد : نظرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعَيْنَاهُ تَزْهَرَانِ تَحْتَ الْمَغْفَرِ .

(١) الخوذان : نبات عشبي من ذوات الفلقتين . منه أنواع يزرع لزهرها ، وأخرى تنبت بريّة ، ويقال : تحم الثوب : وشاه ، والانحمي والانحمية ، والمُنْتَحِمَة - بضم الميم وسكون التاء وفتح الحاء ، أو بفتح التاء وتضعيف الحاء مع فتح - مؤنث . وورس الثوب : صبغه بالورس ، وهو نبت من الفصيلة البقلية ، وهي شجرة ثمرها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء ، كما يوجد عليه زغب قليل يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لا حتوائه على مادة حمراء .

على بعض ، وتنافسوا الملاك بها ، ومع مُضاض يومئذ : بنو إسماعيل وبنونات ، وإليه ولاية البيت دون السَّمِيدَع . فسار بعضهم إلى بعض ، فخرج مُضاض ابن عمرو من قُعَيْقَعَان في كَتِيبَتِهِ سائِراً إلى السَّمِيدَع ، ومع كَتِيبَتِهِ عُدَّتُهَا من الرِّمَاح والدَّرَق والسُّيُوف والجِجَاعِب ، يُقَعِّعُ بِذَلِكَ معه ، فيقال : ما سَمِيَ قُعَيْقَعَان بقُعَيْقَعَان إلا لذلك . وخرج السَّمِيدَع من أَجْيَاد ، ومعه الخيل والرجال ، فيقال : ما سَمِيَ أَجْيَاد : أَجْيَاداً إلا لخروج الجياد من الخيل مع السَّمِيدَع منه . فَالْتَقَوْا بغاضِح ، واقتتلوا قتلاً شديداً ، فقتل السَّمِيدَع ، وَفُضِحَتْ قُطُوراء . فيقال : ما سَمِيَ فاضِح فاضِحاً إلا لذلك . ثم إن القوم تَدَاعَوْا إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المَطَايِخ : شُعْباً بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض . فلما جُمِعَ إليه أمر مكة ، فصار مُلْكُهَا لَهُ تَحَرَ للناس فأطعمهم ، فأطْبِخَ الناسُ وأَكَلُوا ، فيقال : ما سَمِيَتِ المَطَايِخ : المَطَايِخ إلا لذلك . وبعضُ أهل العلم يزعمُ أنها إنما سَمِيَتِ المَطَايِخ ، لِمَا كَانَ تَبَعُ نَحْرُهَا ، وأطعم ، وكانت منزلته ، فكان الذي كان بين مُضاض والسَّمِيدَع أولَ بَغْيٍ كَانَ بِمَكَّةَ فِيمَا يَزْعُمُونَ .

ثم نشر الله وَلَدَ إسماعيل بمكة ، وأخوالهم من جُرْهُم ولاية البيت والحكام بمكة ، لا يَنَازِعُهُمْ وَلَدُ إسماعيل في ذلك لَخُثُولَتِهِمْ وَقُرَابَتِهِمْ ، وإِعْظَامًا لِلْجُرْمَةِ أن يكون بها بَغْيٌ أَوْ قِتَالٌ . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد ، فلا يَنَافِثُونَ قوماً إلا أَظْهَرَهُمُ اللهُ عَلَيْهِمْ بَدِينَهُمْ فَوَطَّئُوهُم .

زمرزم : وذكر فيه خبر إسماعيل ، وأمه ، وقد تقدم طرف منه . وذكر أن جِبْرِيلَ - عليه السلام - هَمَزَ بَعْقِهِ في موضع زَمَزَم ، فنبع الماء ، وكذلك زَمَزَمَ

## استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم

« بنو بكر يطردون جرهما »

ثم إن جرهما بَغَوْا بِمَكَّةَ ، واستَحَلُّوا خِلَالَ من الحرمة ، فظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهْدَى لها ، فرقَ أمرهم . فلما رأت بنو بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانَةَ ، وَغُبْشَانَ من خَزَاعَةِ ذلك ، أَجْعَمُوا لحربهم وإخراجهم من مكة . فَأَذْنَوْهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وَغُبْشَانَ ، فَنفَوْهم من مكة . وكانت مكة في الجاهلية لَا تُقَرَّ فيها ظُلْمًا وَلَا بَغْيًا ، وَلَا يُبْنَى فيها أحدٌ إِلَّا أخرجته ، فكانت تسمى : النَّاسَةَ ، ولا يريدُها ملك يستحلُّ حُرْمَتَهَا إِلَّا هلك مكانه ، فيقال : إنها ما سَمِيَتْ بِبَكَّةَ إِلَّا أَنها كانت تَبْكُ أعناق الجبابرة إذا أُحْدِثُوا فيها شيئًا .

قال ابن هشام : أخبرني أبو عُبَيْدَةَ : أن بكَّةَ اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يقبأون فيها ، أي : يزدحون ، وأنشدني :

إذا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ أَكَّةٌ فَخَلَّه حَتَّى يَبْكُ بَكَّةً

أي : فدَعَهُ حَتَّى يَبْكُ إِبْلَهُ ، أي يُخَلِّها إلى الماء ، فتزدحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

تسمى : هَمْزَةُ جَبْرِيلَ بِتَقْدِيمِ الميم على الزاي ، ويقال فيها أيضًا : هَزْمَةُ جَبْرِيلَ ، لأنها هَزْمَةٌ (١) في الأرض ، وحكى في اسمها : زُمَازِمٌ وَزَمَزَمَ . حكى ذلك عن الْمُطَرِّزِ ، وتسمى أيضًا : طَعَامُ طُعْمٍ ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ . وقال الجُرِّيُّ : سَمِيَتْ : (١) في النهاية لابن الأثير : الهزمة : النقرة في الصدر ، وفي التفاحة إذا

قال ابن إسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبجحر الركن ، فدفعهما في زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملئها حزنا شديداً ، فقال عمرو ابن الحارث بن مُضاض في ذلك ، وليس بمضاض الأكبر :

وقد شَرِقتْ بالدمع منها المَحَاجِرُ	وقائلة والدمعُ سَكَبُ مُبَادِرُ
أُنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سامِرُ	كأن لم يكن بين الحَجُوجِ إلى الصَّفَا
يُلَجِّجُهُ بين الجناحين طائرُ	فقلتُ لها والقلبُ مني كَأَمَّا
صُرُوفُ اللَّيالي ، والجُدودِ التَّوَاثِرُ	بلى نحن كُنَّا أهلها ، فأزالنا
نطوفُ بِذَلكَ البيتِ ، والخيرُ ظاهرُ	وكُنَّا ولَاةَ البيتِ من بَعْدِ نَابِتِ
بِعِزٍّ ، فَمَا يَحْطِى لِدِينَا المُكَاثِرُ	ونحن وَلِينَا البيتَ من بعد نَابِتِ
فَإِيسَ لَحَى غَيْرَنَا ثُمَّ فَاخِرُ	ملكنا فَعَزَّزْنَا فَأَعْظَمَ بِمَلَكِنَا
فأَبْنَاؤُهُ مِنَّا ، ونحنُ الأَصَاهِرُ	ألم تُنْكَحُوا من خيرِ شَخْصٍ عِلْمَتُهُ
فَإِنَّهَا حَالَا ، وفيها التَّشَاوِرُ	فإن تَنَشَّنَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِجَاهِلَا
كَذَلِكَ - يَا لِنَّاسٍ - تَجْرَى المِتَادِرُ	فأَخْرَجْنَا منها المَلِيكَ بِقُدْرَةِ
: أذَا العَرْشِ : لَا يَبْعَدُ سُهَيْلٌ وَعَامِرُ	أَقُولُ إِذَا نَامَ الخَلْقُ ، ولم أُنَمِ
قِبَائِلُ منها خَيْرٌ وَيَحَابِرُ	وبَدَّلْتُ منها أَوْجَهَا لَا أُحِبُّهَا

زمزم ، بِزَمْزَمَةِ المَاءِ ، وهى صوته ، وقال السعوى : سُمِّيَتْ زمزم ؛ لِأَنَّ الفُرْسَ كانت تحج إليها فى الزمن الأول ، فزَمْزَمَتْ عليها . والزَمْزَمَةُ : صوت يُخْرِجُهُ الفُرسُ من خياشيمها عند شرب الماء . وقد كتب عمر - رضى الله عنه - إلى عماله : أن انهو الفرسَ عن الزَمْزَمَةِ ، وأنشد السعوى :

وصرنا أحاديثا وكُنَّا بغيطةً      بذلك عَصَّتنا السَّنونِ الغواير  
فسحَّتْ دموعُ العينِ تَبْكِي لِبَلَدَةٍ      بها حَرَمٌ أَمْنٌ ، وفيها المشاعر  
وتبكي لبيتٍ ليس يُؤدِّي حامُهُ      يظلّ به أَمْنًا ، وفيه العَاصِر  
وفيه وحوش - لأنرام - أنيسة      إذا خرجتْ منه ، فليست تُعادر  
قال ابن هشام : « فأبناؤهُ منا » ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بَكْرًا وغُبْشَان ،  
وساكني مكة الذين خَلَفُوا فيها بعدهم :

يأيها النَّاسُ سِيرُوا إن قَصَرَ كَم      أن تُصْبِحُوا ذات يومٍ لا تَسِيرُونَا  
حُثُوا المَطْيَى ، وأَرْخُوا من أَرْمَتِهَا      قبل المِات ، وقَصُّوا ما تُقَصُّونَا  
كُنَّا أناسًا كما كنتم ، ففَيَّرْنَا      دهرٌ ، فأنتم كما كُنَّا تَكُونُونَا

قال ابن هشام : هذا ما صحَّ له منها . وحدثني بعضُ أهل العلم بالشعر :  
أن هذه الأبيات أولُ شعر قيل في العرب ، وأنها وُجِدَتْ مكتوبة في حَجَرٍ  
بالبين ، ولم يُسَمَّ لى قائلها .

زَمَزَمَتِ الفُرْسُ عَلَى زَمَزَمَ      وذلك في سالفِها الأَقْدَمِ (١)

( ١ ) الزمزمة أيضاً : تراطن الفرس على أكهم ، وهم صُحُوت لا يستعملون اللسان  
ولا الشفة ، لكنه صوت تديره في خياشيمهم وحلقهم ، فيفهم بعضهم عن بعض .  
والبيت في ص ٢٤٢ ج ١ المسعودي . ونص قول المسعودي : وكانت أسلاف  
الفرس تقصد البيت الحرام ، وتطوف به تعظيماً له ، ولجدها إبراهيم عليه السلام  
وتعكسها ، وحفظاً لأنسابها ، وكان آخر من حج فنيهم : ساسان بن بابك .

وذكر البرقي عن ابن عباس - رضى الله عنه - أنها سميت : زَمْزَمَ لأنها زُمَّتْ بالتراب ؛ لثلاث يأخذ الماء يميناً وشمالاً ، ولو تَرَكْتَ لساحت على الأرض حتى تَمْلَأَ كُلُّ شَيْءٍ . وقال ابن هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع قال الشاعر :

وبأشرتْ مَعْظَنَهَا المَدْهَشَمَا وَيَمَّتْ زَمْزُومَهَا المُزْمَرِمَا (١)

سبب نزول هاجر وإسماعيل مكة : المَدْهَشَم : اللَّيْنُ ، وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليهما من الشام أَنَّ سَارَةَ بنتَ عمِّ إبراهيم - عليه السلام - شجر بينها وبين هاجر أمر ، وساء ما بينهما ، فأمر إبراهيمُ أن يسير بها إلى مكة ، فاحتملها على الْبُرَاقِ (٢) واحتمل معه قِرْبَةً بماءٍ ومِزْوَدَ تمرٍ ، وسار بها

( ١ ) فى الأصل : المدهشم ، وهو خطأ . والمعطن هو اللابل كالوطن للناس ولكنه غلب على مبركها . والزمزم : الجماعة من الإبل عددها مائة . وقد ذكر اللسان عن ابن برى أن زمزم لها اثنا عشر اسماً : زمزم ، مكتومة ، معنولة ، شباعة ، بضم الشين وفتح الباء ، سقياء بضم السين وسكون القاف ، الرِّءَوَاءُ : بفتح الراء والواو ، ركضة جبريل ، هزمة جبريل ، شفاء سقم ، طعام طعام ، خنيرة عبد المطلب . أقول : وذكر لها اسم آخر هو بَرَّةٌ . وفى اللسان أيضاً : الزمزمة بكسر الزاى : الجماعة من الناس ، وفرس يززم فى صوته إذا كان يطرب .

( ٢ ) لم يرد له ذكر فى المرويات الصحيحة ، ولم يرد فى حديث يعتد به أن إبراهيم حل هاجر إلى هنالك ليرضى سارة ، بل الذى ورد أنه حملها بأمر الله ليقضى الله أمره سبحانه . وليس لإبراهيم بالرجل الذى يضع أمر امرأته فوق أمر ربه ، أو يرتكب مثل هذا ترصية لامراته .

حتى أنزلها بمكة في موضع البيت (١)، ثم وليّ راجعاً عودده على بذائه (٢)، وتبته هاجر (٣) وهي تقول : الله أمرك أن تدعى ، وهذا الصبيّ في هذا البلد الموحش ، وليس معنا أنيس ؟ ! فقال : نعم ، فقالت : إذا لا يضيعنا (٤) ، فجعلت تأكل من التمر ، وتشرب من ماء القرية ، حتى نفذ الماء ، وعطش الصبي ، وجعل ينشغ للموت (٥) ، وجعلت هي تسمى من الصفا إلى المروة ، ومن المروة إلى الصفا ؛ ترى أحداً ، حتى سمعت صوتاً عند الصبيّ ، فقالت : قد أسمعت ، إن كان عندك غوث ، ثم جاءت الصبيّ ، فإذا الماء ينبع من تحت خده ، فجعلت تغرف بيديها ، وتجعل في القرية . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لو تركته لكانت عينا ، أو قال : نهراً معيناً ، وكلها الملك ، وهو جبريل - عليه السلام - وأخبرها أنها مقر ابنها وولده إلى يوم القيامة (٦) ، وأنها موضع بيت الله الحرام ، ثم ماتت

( ١ ) في رواية للبخاري : « وضعها عند البيت عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء » .

( ٢ ) كان راجعاً إلى الشام .

( ٣ ) في رواية ابن جريج : « فأدركته بكداء بفتح الكاف ، أو كدى بضم الكاف والقصر » .

( ٤ ) في رواية : أنها نادته ثلاثاً ، وأنه أجابها في الثالثة ، وأنها قالت له : حسبي ، أو : رضيت بالله ،

( ٥ ) يشقى ويعلو صوته وينخفض كالذي ينازع . وفي روايات : وجعلت تنظر إليه يتلو ، أو يستلبط ، أو يتلّظ .

( ٦ ) في رواية للبخاري : « فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هذا بيت الله يبني هذا الغلام ، وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله » .





وأما قَطُورًا ، فهو قَطُور ابن كَرَّ كَر .

وأما السَّمِيدَعُ الذي ذكره ، فهو السَّمِيدَع بن هوثر — بناءً مثلثة — قيدها البكري — بن لاي بن قَطُور ابن كَرَّ كَر بن عِمْلَاق ، ويقال : إن الزَّبَاءَ المملُكَةَ كانت من ذُرِّيَّتِهِ ، وهي بنت عمرو بن أُذَيْنَةَ بن ظَرَب بن حَسَّان ، وبين حسان ، وبين السَّمِيدَع آباء كثيرة ، ولا يصح قول من قال : إن حسان ابنه لصلبه ، لِئَبْغِدَ زمن الزبَاء من السَّمِيدَع ، وقد ذكرنا الاختلاف في اسمها في غير هذا الموضع ، وذكر الحارث بن مُضاضٍ الأكبر بن عمرو بن سعد بن الرَّقِيب بن هَيَّ بن بنت (١) جُرْهُم .

مباد وقبيلهم : فصل : وذكر ولاية جُرْهُم البيت الحرام دون بني إسماعيل إلى أن بغوا في الحرم ، وكان أول بني في الحرم ما ذكره من حرب جُرْهُم لِقَطُورًا .

وأما أجياد فلم يسمَّ بأجياد من أجل جباد الخليل ، كما ذكر لأن جباد الخليل لا يقال فيها : أجياد ، وإنما أجياد : جمع جيد (٢) .

= السلام . قال أبو عبيد : وليس كذلك . قال في العبر : وعلى هذا يكون جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام ، لأن عدنان وقحطان يستدعيان بطون العرب القحطانية والعدنانية ، ص ٣٩٦ ط ١٩٥٩ .

(١) هكذا في الأصل . وفي اللسان عن ابن بري : « ويقال في النسب : عمرو ابن الحارث بن مضاض بن هَيَّ بن كَيَّ » بفتح الهاء والباء وتضعيف الياء في الكلمتين ابن جرهم . وهي بن كَيَّ : كناية عن لا يعرف ، ولا يعرف أبوه ، وقيل : كان من ولد آدم ، ثم انقرض نسله .

وذكر أصحاب الأخبار أن مِضاضاً ضرب في ذلك الموضع أجباد مائة رجلٍ من العالقة ، فسمى الموضع : بأجباد ، وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب ، ومن شَغِبِ أجباد تخرج دابة الأرض التي تُكَلِّمُ الناس قبل يوم القيامة ، كذلك روى عن صالح مولى التَّوْأَمَةِ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاص (١) ، وذكر غيره في أخبار مكة أن قُعَيْقِعَان سُمِيَ بهذا الاسم حين نزل تبع مكة ، ونحر عندها وأطعم ، ووضع سلاحه وأسلحته جنده بهذا المكان ، فسمى : قُعَيْقِعَان بَقَعْقَعَةِ السَّلَاحِ فيه - والله أعلم .

بهرهم تسروا مال الكعبة : فصل : وذكر استحلال جُزْهُمٍ لِحُزْمَةِ الكعبة ، فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ، كان احتقر بئراً قريبة القفر عند باب الكعبة ، كان يُلقَى فيها ما يهدى إليها ، فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرةً بعد مرة ، فيذكر أن رجلاً منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجرٌ من شَفِيرِ البئر فخبسه فيها ، ثم أُرْسِلَتْ على البئر حِيَّةٌ لها رأسٌ كَرَأْسِ الْجَدْيِ ، سوداء اللَّمَنِ ، بيضاء البطن ، فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة ، وقامت في البئر - فيما ذكروا - نحواً من خمسمائة عام ، وسندكر قصة رفعها عند بنيان الكعبة إن شاء الله .

== قال ابن الأثير : وأكثر الناس يقولونه : جباد بكسر الجيم ، وحذف الهمزة . قال : جباد - بكسر الجيم - موضع بأسفل مكة معروف من شعابها . وبهذا يصح قول ابن هشام ، أما فرس جواد ، فجمعه جباد .

( ١ ) لم يرد هذا في حديث صحيح . والحديث الذي في مسلم لا يشير إلى مكان خروج هذه الدابة ، ولا يذكر عنها سوى أنها دابة . والإنسان : دابة . أما ما ورد عنها من صفات أخرى ، فأكثره إسرائيليات ردها وهب بن منبه .

بين مبرهم وخرأمة : فصل : فلما كان من بغي جُرهم ما كان ، وافق تفرق سبأ من أجل سيل العرم ، ونزول حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكة ، وذلك بأمر طريقة الكاهنة ، وهي امرأة عمرو بن مزقياء<sup>(١)</sup> ، وهي من حير ، وبأمر عمرو ابن عامر أخى عمرو ، وكان كاهناً أيضاً ، فنزلها هو وقومه ، فاستأذنوا جُرهما أن يقيموا بها أياماً ، حتى يرسلوا الرثود ، ويرتادوا منزلاً حيث رأوا من البلاد ، فأبت عليهم جُرهم ، وأغضبهم ، حتى أقسم حارثة ألا يبرح مكة إلا عن قتال وغلبة ، فخارتهم جُرهم ، فكانت الذولة لبني حارثة عليهم ، واعتزلت بنو إسماعيل ، فلم تكن مع أحد من الفريقين ، فعند ذلك ملكت خزاعة - وهم بنو حارثة - مكة ، وصارت ولاية البيت لهم ، وكان رئيسهم عمرو بن لحي الذي تقدم ذكره قبل ، فشرّد بقية جُرهم ، فسار فلثمهم في البلاد ، وسلط عليهم الذر والرثاف<sup>(٢)</sup> ، وأهلك بقيتهم السيل ياضم ، حتى كان آخرهم موتاً امرأة ريث تطوف بالبيت بعد خروجهم منها بزمان ، فعجبوا من طولها وعظم خالقها ، حتى قال لها قائل : أجنّية أنت أم إنسية؟! ، فقالت : بل إنسية من جُرهم ، وأنشدت رَجَزاً في معنى حديثهم ، واستكثرت بعيراً من رجلين من جهينة ، فاحتملاها على

(١) في جمهرة ابن حزم : عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء ص ٤٥٣ . وفي الاشتقاق لابن دريد : ولد حارثة عامراً وهو ماء السماء ، وولد عامر عممرا وفتح العين وسكون الميم ، وهو مزقياء ، فعمرو - إذن - هو مزقياء لابن مزقياء ص ٤٣٥ .

(٢) الذر : صغار النمل ، والرثاف : الدم .

البعير إلى أرض خَيْبَر ، فلما أنزلها بالمنزل الذي رَسَمَتْ لها ، سألاها عن الماء ، فأشارت لهما إلى موضع الماء ، فوليا عنها ، وإذا الذرّ قد تعلّق بها ، حتى بلغ خياشيمها وعينيها ، وهي تنادى بالويل والثُبور حتى دخل حلقها ، وسقطت لوجها ، وذهب الجُهَنِيَّانِ إلى الماء ، فاستوطناهُ ، فمن هنالك صار موضع جُهينة بالحجاز وقُرب المدينة ، وإنما هم من قُضاة ، وقُضاة : من ريف العراق .

غربة الحارث بن مضاض : فصل : رجع الحديث . وكان الحارث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الرّقيب بن هيّ بن نبت بن جُرهم الجُرهمي قد نزل بِقَنَوَنًا<sup>(١)</sup> من أرض الحجاز ، فضَلَّتْ له إبلٌ ، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إبله ، فنادى عمرو بن لُحَيّ : من وجد جُرهميًّا ، فلم يقتله ، قطعت يده ، فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إبله تُسحر ، ويُتوزّعُ لِحْمُها ، فأنصرف بانسًا خائفًا ذليلاً ، وأبعد في الأرض ، وهي غُرْبَةُ الحارث بن مضاض التي تضرب بها المثل ، حتى قال الطائي :

غُرْبَةُ تَقْتَدِي بِغُرْبَةِ قَيْسَ بـ      من زُهَيْرٍ والحارث بن مضاض

وحينئذ قال الحارث الشعر الذي رسمه ابن إسحق وهو قوله :

( ١ ) سبق هذا ، وبيان الصواب فيه عن هي في ص ١٥ من هذا الجزء . وقنوني « بوزن فعوه على ، بفتح القاف والنون وسكون الواو ، من أودية السّراة ، تصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن ، من جهة مكة قرب حَلَمَشٍ « بفتح فسكون » وتكتب بإلياء حسب القاعدة ، ولكن تركتها كما هي .

( ٢ ) غربة بفتح الغين : النوى والبعد ، وبضمها : التزوح عن الوطن .

كَانَ لَمْ يَكُن بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّغَا . الشعر ، وفيه :

وَنَبْكَى لَيْتَ لَيْسَ يُؤَذَى حَمَامُهُ تَظْلُ بِه أَمْنَا ، وفيه الْعَصَافِرُ (١)

أراد : العصافير ، وحذف الياء ضرورة ، ورفع العصافير على المعنى ، أى :  
وتأمن فيه العصافير ، وتظل به أَمْنَا ، أى : ذات أَمْن ، ويجوز أن يكون أَمْنَا جمع  
أَمِنَ مثل : ركب جمع : راكب ، وفيه : وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ : السامر : اسمُ  
الجماعة يتحدثون بالليل ، وفي التنزيل : ( سَامِرًا تَهْجُرُونَ ) المؤمنون : ٦٧  
وَالْحَجَّوْنَ (٢) بفتح الحاء على فرسخ وثلاث من مكة ، قال الْحَمِيدِيُّ : كان سُفْيَانُ  
ربما أنشد هذا الشعر ، فزاد فيه بعد قوله : فليست تغادر :

وَلَمْ يَتَرَبَّعْ . واسطًا وجَنُوبَهُ إِلَى السَّرِّ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ حَاضِر  
وَأَبْدَلَنِي رَبِّي بِهَا دَارَ غُرْبَةٍ بِهَا الْجُوعُ بَادٍ ، وَالْعَدُوُّ الْمُحَاصِرُ (٣)

( ١ ) في السيرة : يظل بدلا من : تظل .

( ٢ ) والحجون كما في المراصد : بأعلى مكة عند مقبرة أهلها ، وفي ياقوت  
عن الأصمعي : أنه الجبل المشرف الذي بجذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين .  
(٣) أما واسط : فقليل : لأن للعرب سبعة مواضع ، يقال لكل منها : واسط ، منها :  
واسط نجد في شعر خدّاش بن زهير ، وواسط الحجاز في شعر كثير ، وواسط  
الجزيرة في شعر الأخطل . وواسط النمامة في شعر الأعشى ، وواسط العراق :  
وهناك غير ذلك . وواسط أيضا بمكة . قيل : قرن كان أسفل من جرة العقبة بين  
المأزمين . فحضر حتى ذهب ، وقيل : تلك الناحية بركة السرى إلى العقبة ، وتسمى :  
واسط المقيم . وقيل لأنه الجبل الذي يجلس عنده المساكين إذا ذهبت إلى منى .  
والسر : بطن الوادي . ووادي الأراك : قرب مكة . وفي معجم البلدان ونهاية  
الأرب ١٦ ص ٣٤ وضع هذا بعد البيت : وصرنا أحاديثا ، وروايت هكذا :

واسط وعامر ومبرهم : قال الحميدى : واسط : الجبل الذى يجلس عنده  
المساكين ، إذا ذهب إلى منى . وقوله فيه :  
لا يَبْقَدُ سَهْلٌ وعامر

عامر : جبل من جبال مكة ، يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه : وهل  
يَبْدُونُ لى عامرٌ وطَفِيلٌ<sup>(١)</sup> . على رواية من رواه هكذا ، وجُرْهُمُ هذا هو  
الذى تتحدث بها العرب في أكاذيبها ، وكان من خرافاتها في الجاهلية أن جُرْهُمَا  
ابن لَمَلَكٍ أهبط من السماء لذنوب أصابه ، فغضب عليه من أجله ، كما أهبط  
هاروت وماروت ، ثم أُلقيت فيه الشهوة ، فتزوج امرأة ، فولدت له جُرْهُمَا ،  
قال قائلهم :

لاهم إن جرهما عبادُكَ    الناس طُوفُ ، ومم نِلادُكَ  
[ بهم قديما عَمِرَت بلادُكَ ]<sup>(٢)</sup>

من كتاب الأمثال للأصبهاني :

= وبدلنا كعب بها دار غربة    بها الذئب يعوى ، والعدو المكاثر  
وفي مروج الذهب ج ٢ ص ٥٠ : والمحاصر . وفيه بعد : دوكننا ولالة البيت ،  
هذا البيت :

وكننا لإسماعيل صهرا ووصلة    ولما تدر فيها علينا الدوائر  
( ١ ) طفيل : جبل بمكة .

( ٢ ) ما بين قوسين عن الطبرى ص ٢٨٥ ج ٢ وهذا الرجز ينسب إلى عامر  
ابن الحارث ، والقصيدة منسوبة في الطبرى لعامر بن الحارث بن ماض  
بقول الطبرى : إن الله بعث على جرهم الرعاف والنل ، فأفناهم ، فاجتمعت خراعة =

ملكة وأسماؤها : فصل : وذكر مكة وبكة ، وقد قيل في بكة ما ذكره من أنها تبيك الجبابرة ، أى تكسرهم وتقدعهم ، وقيل : من القباك ، وهو : الازدحام ، ومكة من تمككت العظم ، إذا اجتذبت مافيه من المنخ ، وتمككت الفصيل ما فى ضرع الناقة ، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما فى البلاد من الناس والأقوات التى تأتيتها فى المواسم ، وقيل : لما كانت فى بطن واد ، فهى تمكك الماء من جبالها وأخشابها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول ، وأما قول الراجز الذى أنشده ابن هشام :

إذا الشريب أخذته أكة فخله حتى يبك بكة (١)

فالأكة : الشدة ، وإكالك الدهر : شدائده .

ليجلوا من بقي ، فاقتلوا ، فلما أحس عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالتي الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة ، وهو يقول : ولاهم إن جرهما الخ فلم تقبل - كما فى الطبرى - توبته ، فألقى غزالتي الكعبة . وحجر الركن فى زمزم ، كما جاء فى السيرة . ثم دفنها ، وخرج من بقي من جرهم إلى أرض من أرض جهينة . فجاءهم سيل أتى ، فذهب بهم . ( ١ ) فى اللسان : ملك - وزن رد - الفصيل ما فى ضرع أمه يمكته - وزن يرد - مكثا وامتك - بفتح التاء وتضعيف الكاف - وتمككه ، ومككه : امتص مافيه . وشربه كله . . ومك العظم وامتكه وتمككه ، وتمككه امتص مافيه من المنخ . والرجز المذكور لعامان بن كعب التميمي - كما ذكر ابن هشام ، وفى الروض : الشريت بدلا من الشريب ، وهو خطأ ، وفيه يبك بدلا من تبك . ومعنى الشريب - كما فى اللسان - الذى يسقى إبله مع إبله . يقول : فخله يورد إبله الحوض . فتيك عليه أى : تزدحم ، فيسقى إبله سقية . وللأكة معان أخر . منها : سكون الريح وضيق الحلق وفورة شديدة فى القيظ . انظر اللسان . وتعليق الاستاذ من معاني اللغة فى معجمه .



وذكر أنه كان يقال لها : النَّاسَة ، وهو من نُسِتَ (١) الشيء إذا أذهبت ،  
والرواية في الكتاب بالنون ، وذكر الخطابي [في غريبه] أنه يقال لها : الباسَة أيضا بالباء ،  
وهو من بُسَّت الجبال بُسَاءً أي : فُتَّت و تُرَّت ، كما يُتَرَّى السَّويق ، قال الرازي :

لَا تَخْبِزَا خَبِزاً وَبُسَابَسَا (٢)

يقول : لا تشتغلا بالخبز ، وتُرِّي الدقيق والتقماء (٣) . يقال : إن هذا البيت  
للص أمجله الحرب .

وذكر أبو عبيدة أن الخَبَزَ : شدة السَّوق ، والبَسُ : ألين منه ، وبعده :

(١) النَّسُ — بفتح النون — المضاء في كل شيء ، وخص بعضهم به السرعة  
في الورد ، وهو السوق والجزر الشديد . وفي اللسان : وأنست الدابة : أعطشتها  
والناسَة من أسماء مكة لقلة مائها ، وكأنها تسوق وتدفع من يبغي بها .

(٢) وبعده في اللسان : «ولا تطيلا بمناخ حبسا» . والبس : اتخاذ البسيصة  
وهو أن يلت السويق أو الدقيق أو الألفط المطحون باليمن أو بالزيت ، ثم يؤكل  
ولا يطبخ . وقال يعقوب : هو أشد من اللت بللا . وذكر أبو عبيدة أن  
لصا من غطفان ، أراد أن يخبز غفان أن يجعل عن ذلك ، فأكله عجينا ، ولم يجعل  
أبو عبيدة البس من السوق اللين . وفي تعليق الأستاذ هرون على معجم ابن فارس  
ذكر أن الرجز للهوان العقيلي أحد لصوص العرب . وقد فسر السهلي البيت  
بما فسره به ابن فارس .

(٣) ثرى الدقيق — بفتح الثاء وتضعيف الراء — صب عليه الماء . هذا وقد  
قيل عن بكه إنها اسم البقعة التي فيها الكعبة ، وذهب إليه مالك وابن عباس . وقيل  
اسم لها ولما حول البيت ، ومكة : اسم لما وراء ذلك ، وقيل : إنها المسجد والبيت  
ومكة اسم للحرم كله ص ٦٠١ القرى للجب الطري .

## ما ترك السَّيْرُ لهن نَسًا

ومن أسماء مكة أيضا: الرأسُ، وصَلَاحُ، وأمُّ رُحْم، وكُوْنِي، وأما التي يخرج منها الدجال، فهي : كُوْنِي رَبًّا (١) ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام، وقد تقدم اسمها، وأبوها هو الذي احتفر نهر كُوْنِي، قاله الطبري .

## أُسطورة : فصل : وذكر قول الحارث بن مُضاض :

يأيها الناسُ سَيِّروا إِنْ قَصَرَكُمُ أَنْ تُصْبِحُوا ذات يومٍ لِانسِيرونا (٢)

وذكر ابن هشام أنها وجدت بِحَجَرٍ باليمن، ولا يعرف قائلها، وأُلفتُ في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبراً لهذه الأبيات، وأسندهُ أبو الحرث محمد بن أحمد الجعفي عن عبد الله بن عبد السلام البصري، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سايان التَّمَّار، قال أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال : وجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بئر طَسْمٍ وَجَدِيسٍ في قرية يقال لها : مُعْنِق، بينها وبين الحَجَرِ ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تُبَيْعٌ، فقتلهم، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوباً :

(١) صلاح : كقطاع وقد تصرف . وكُوْنِي تكتب بالياء لا بالالف كما كان في الروض، وفي المراصد عن كُوْنِي : أنها ثلاثة مواضع بسواد العراق بأرض بابل وبمكة . نزل بني عبد الدار خاصة، وكُوْنِي بالعراق في موضعين : كُوْنِي الطريق، وكُوْنِي رَبًّا وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وهما قريتان، وبينهما طول من رماد، يقال : إنها رماد النار التي أوقدها نمرود لإحراقه .

(٢) هي في الطبري ٨ ص ٢٨٥ مع تقديم وتأخير .

بأيها الملك الذى بالملك ساعده زمانه  
 ما أنت أول من علا وعلا شئون الناس شأنه  
 أقصر عليك مراقبا فالدهر مخدول أمانه  
 كم من أشمّ مُعَصَّب بالتاج مرهوب مكانه  
 قد كان ساعده الزمان ، وكان ذا خفص جناه  
 تجرى الجداول حوله للجند مُترعة جفانه  
 قد فاجأته منية لم يُنجه منها اكتفانه  
 وتفرقت أجناده عنه ، وناح به قيانه  
 والدهر من يعلق به يطحنه ، مفترشا جرانه  
 والناس شتى فى الهوى كالرء مختلف بنانه  
 والصدق أفضل شيمه والمرء يقتله لسانه  
 والصمت أسعد للفتى ولقد يُشرّفه بيانه

ووجد فى الحجر الثانى مكتوباً أبيات :

كلُّ عيشٍ فعلة ليس للدهر خلة  
 يومٌ بُؤسى ونفسي واجتماع وقلة  
 حُبنا العيش والتسكا ثرٌ جهلٌ وضلة  
 بينما المرء ناعم فى قصورٍ مظلة  
 فى ظلالٍ ونعمة ساحبا ذيل حلة  
 لا يرى الشمسَ ملفضا رة إذ زل زلة

لم يُقْلِهْهَا، وَبَدَّلَتْ عِزَّةَ الرِّءْذِ ذِلَّةً  
 آفَةُ الْعَيْشِ وَالنِّعَمِ كُرُورُ الْأَهْلِ  
 وَصَلُ يَوْمِ بَدَلَةِ وَاعْتِرَاضُ بَعْدِهِ  
 وَالنَّيَا جَوَائِمُ كَالصُّقُورِ الْمُدِلَّةِ  
 بِالذِّى تَكْرُهُ النَّفْسُ وَسُ عَلَيْهَا مُطْلَقٌ

وفى الحجر الثالث مكتوبا:

يَأْيُهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنْ قَصَرَ كُمْ  
 حُثُوا النَّطِيطَ، وَأَرْخُوا مِنْ أَرْمَتِهَا  
 كُنَّا أَنْاسًا كَمَا كُنْتُمْ فَفَيَّرْنَا دَهْرُهُ فَاَنْتُمْ كَمَا كُنَّا نَكُونُونَ

وذكر أبو الوليد الأزرقى فى كتابه فى فضائل مكة زيادةً فى هذه  
 الأبيات وهى :

قَدْ مَالَ دَهْرُهُ عَلَيْنَا ثُمَّ أَهْلَكَنَا  
 إِنْ التَّفَكَّرَ لَا يُجْدِى بِصَاحِبِهِ  
 قَضَوْا أُمُورَكُمْ بِالْحَزْمِ إِنْ لَهَا  
 وَاسْتَخْبِرُوا فِى صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ  
 كَمَا زَمَانَا مَلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ  
 بِالْبَغْيِ فِينَا وَبَزَّ النَّاسَ نَاشُونَ  
 عِنْدَ الْبَدِيَةِ فِى عِلْمٍ لَهُ دُونَا  
 أُمُورَ رُشْدٍ رَشَدْتُمْ ثُمَّ مَسُونَا  
 كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقٌ عِنْدَهُ الْهُونَا  
 بِمَسْكَنِ فِى حَرَامِ اللَّهِ مَسْكُونَا

ووجد على حائطٍ قصيرٍ بدمشق لبْنى أُمِيَّةٍ مَكْتُوبَا :

يَأْيُهَا الْقَصْرُ الَّذِى كَانَتْ تَحْفُفُ بِهِ الْمَوَاكِبُ

## استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خُزاعة وَلِيَتَ البيتَ دونَ بنى بكر بن عَبد مَنَاءَ ، وكان الذى يليه منهم : عمرو بن الحارث الغُبْشانى ، وقُرَيْش إِذْ ذاك حُلُولٌ وَصِرْمٌ ، وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كِنانة ، فَوَلِيَتَ خزاعة البيتَ يتوارثون ذلك كإبرأ عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيْل بن حَبْشِيَّة بن سُلُول بن كَعْب بن عمرو الخَزَاعِيَّ .

قال ابن هشام : يقال حُبْشِيَّة بن سُلُول .

أين المواقبُ والمضاربُ والنجائبُ والجنائبُ  
أين العساكرُ والدَّسائرُ والكتائبُ والكتائبُ  
ما بالهم لم يدفعوا لما أنت عنك النوائبُ  
ما بال قصرِكِ واهيَا قد عادَ مُنْهَدَّ الجوائبُ

ووجد فى الحائط الآخر من حيطانها جوابها :

يا سائلى عَمَّا مَضَى مِن دَهْرِنَا وَمِنَ العجائبِ  
والقصر إذ أودَى ، فأضحى بعدُ مُنْهَدَّ الجوائبِ  
وعن الجنودِ أولى العقودِ ، وَمَن بهم كُنا نحارب  
وبهم قهرنا عَنوَةً مِّنَ المِشَارِقِ والمغاربِ  
وتقول : لِمَ لَمْ يَدْفَعُوا لِمَا أَنْتَ عَنْكَ النِّوَابِ  
هَمَّاتٍ لَا يُنْجِي مِنَ المَوْتِ الكِتَابُ والمقَابِ

## تزوج قصي بن كلاب حبي بنت حليل

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حُلَيْلِ بن حُبْشِيَّة بنته حُبَيَّ ، فرغب فيه حُلَيْل فزوجَه ، فولدت له عبدَ الدار . وعبد مناف ، وعبد العُزَّى ، وعبدًا . فلما انتشر ولدُ قصي ، وكثُرَ ماله ، وعظم شرفُه ، هلك حُلَيْل .

« قصي يتولى أمر البيت » :

فراى قصي أنه أولى بالسكبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وأن قريشاً قرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده . فكلَّم رجلاً من قُريش ، وبني كِنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة ، فأجابوه . وكان ربيعة ابن حَرَام من عُدْرة بن سعد بن زَيْد قد قدِم مكة بعد ما هلك كِلاب ، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيْل ، وزُهرة يومئذ رجل ، وقصي فُطَيْم ، فاحتملهما إلى بلاده ، فحملت قُصَيًّا معها ، وأقام زُهرة ، فولدت لربيعة رِزَاحًا . فلما باغ قصي ، وصار رجلاً آتى مكة ، فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمِّه ، رِزَاح بن ربيعة ، يدعوه إلى نصرته ، والقيام معه ، فخرج رِزَاحُ بن ربيعة ، ومعه إخوته : حُنَّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجُلْهُمَة بن ربيعة ، وهم لغير أمه فاطمة ، فيمن تبعهم من قُضاعة في حاج العرب ، وهم مجمعون لنُصرة قُصَيَّ . وخزاعة تزعم أن حُلَيْل بن حُبْشِيَّة أوصى بذلك قُصَيًّا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال : أنت أولى

بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكة من خزاعه ، فعند ذلك طلب قصي ما طلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

### ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوثُ بنُ مُرِّ بنِ أَدِّ بنِ طابخة بنِ الياس بنِ مُضَرَ بنِ الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وولده من بعده ، وكان يقال له ولولده : صوفة . وإنما ولي ذلك الغوثُ بنُ مرٍّ ، لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فنذرت لله إن هي ولدت رجلاً : أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ، ويقوم عليها ، فولدت الغوثَ ، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولي الإجازة بالناس من عرفة ، لمكانه الذي كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مُرٌّ بنُ أَدِّ لوفاء نذر أمه :

إني جعلتُ ربّاً من بنيّ ربيطة بمكة العليّة  
فباركن لي بها أليّة واجعله لي من صالح البريّة

وكان الغوث بن مُرٍّ - فيما زعموا - إذا دفع بالناس قال :

لاهمّ إني تابعٌ تباعه إن كان إثمٌ فعلى قضاة

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتبجيز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا الرمي الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون

. . . . .

حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم .  
حتى نرمى معك ، فيقول : لا والله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات  
الذين يحثون التعجل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له :  
ويلك ! قم فارم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس ، قام فرمى ، ورمى  
الناس معه .

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمي الجمار ، وأرادوا التفرد من منى ،  
أخذت صوفة بجاني العقب ، فخبسوا الناس وقالوا : أجزى صوفة ، فلم يجز  
أحد من الناس حتى يمرؤا ، فإذا نفرت صوفة ومضت ، خلى سبيل الناس ،  
فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم  
بالقعد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد فى آل صفوان  
بن الحارث بن شجينة .

قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شجينة عطارد بن عوف بن كعب بن  
سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذى يُعزى للناس بالحج من عرفة ،  
ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام ، كريب بن  
صفوان ، وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى :

لا يبرحُ النَّاسُ ما حَجُّوا مُعَرِّفَهُمْ      حتى يُقَالَ : أَجِيزُ وآلُ صَفْوَانَا

قال ابن هشام : هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مغراء .

. . . . .



## ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

وأما قول ذى الإصبع العدواني، واسمه : حُرثان بن عمرو، وإنما سمي :  
الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها .

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ  
بَعَى بَعْضُهُمْ ظُلْمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضِ  
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفَّاتُ بِالْقَرْضِ  
وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْيِزُ النَّاسَ بِالسُّنَّةِ وَالْقَرْضِ  
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وهذه الأبيات في قصيدة له — فلأن الإضافة من المزدلفة كانت  
في عدوان — فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق —  
يتوارثون ذلك كابراً عن كابر . حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو  
سيارة ، عميلة بن الأعزل ، ففيه يقول شاعر من العرب :

نَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَارَةَ  
حَتَّى أَجَازَ سَالِمًا حِمَارَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهُ  
قَالَ : وَكَانَ أَبُو سَيَّارَةَ يَدْفَعُ بِالنَّاسِ عَلَى أَتَانِهِ لَهُ ؛ فَلِذَلِكَ يَقُولُ :  
سَالِمًا حِمَارَهُ .

• • • • • • • • • •

### قصي وفزاعة وولاية البيت :

فصل : في حديث قصي ذكر فيه أن قريشا قرعة ولد إسماعيل ، هكذا بالقف ، وهي الرواية الصحيحة ، وفي بعض النسخ : قرعة بالقاء ، والقرعة بالقاف هي : نُجْبَةُ الشئ ، وخياره ، وقريع الإبل : فحلها ، وقريع القبيلة : سيدها ، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمي من العرب بالأقرع .

وذكر انتقال ولاية البيت من خزاعة إليه ، ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم ، وذكر غيره أن حنَيْلاً كان يُعطي مفاتيح البيت ابنته حُبًى ، حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصيُّ ربما أخذها في بعض الأحيان ، ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حنَيْل أوصى بولاية البيت إلى قصي ، فأبت خزاعة أن تُتمضي ذلك لقصي ، فعند ذلك هاجت الحربُ بينه وبين خزاعة ، وأرسل إلى رِزاح أخيه يستنجده عليهم .

ويذكر أيضا أن أبا غُبْشَانَ من خزاعة ، واسمه : سليم - وكانت له ولاية الكعبة - باع مفاتيح الكعبة من قصي بِزَقٍّ خمر ، قليل : أخسر من صفقة أبي غُبْشَانَ (١) ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال .

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مُصَرَّ إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار ، وبغت فيه إيلاد أخرجه بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم

---

(١) بضم الذين أو فتحها . وفي القاموس أيضا قعة أبي غبشان ، وفيه يقول :  
ضربت به الأمثال في الحق والندم وخسارة الصفقة ، .

عن مكة ، فَعَمَدُوا فِي اللَّيْلِ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، فَاقْتَلَمُوهُ ، وَاحْتَمَلُوهُ عَلَى بَعِيرٍ فَرَزَحَ الْبَعِيرُ بِهِ ، وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَجَعَلُوهُ عَلَى آخِرِ ، فَرَزَحَ أَيْضًا ، وَعَلَى الثَّالِثِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ دَفَنُوهُ وَذَهَبُوا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَهْلُ مَكَّةَ ، وَلَمْ يَرَوْهُ ، وَقَعَمُوا فِي كَرْبٍ عَظِيمٍ ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خُرَازْمٍ قَدْ بُصِرَتْ بِهِ حِينَ دُفِنَ ، فَأَعْلَمَتْ قَوْمَهَا بِذَلِكَ ، فَحِينَئِذٍ أَخَذَتْ خُرَازْمٌ عَلَى وَلَاةِ الْبَيْتِ أَنْ يَدْخُلُوا لَهُمْ عَنْ وَلَاةِ الْبَيْتِ ، وَيَدُلُّوهُمْ عَلَى الْحَجَرِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَفَنَ هُنَاكَ صَارَتْ وَلَاةِ الْبَيْتِ لَخُرَازْمٍ إِلَى أَنْ صَيَّرَهَا أَبُو عُثْمَانُ إِلَى عَبْدِ مَنَافٍ ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ الزَّبِيرِ .

### نَسَاءُ قَصَى :

فصل : وذكر أن قصيا نشأ في حجر ربيعة بن حَرَامٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ رَجُوعَهُ إِلَى مَكَّةَ ، وَزَادَ فِيهِ فِي شَرْحِ الْخَبَرِ ، فَقَالَ : وَكَانَ قَصَى رَضِيعًا حِينَ احْتَمَلَتْهُ أُمُّهُ مَعَ بَغَايَا رَبِيعَةَ ، فَتَشَأَ وَلَا يَعْلَمُ لِنَفْسِهِ أَبًا إِلَّا رَبِيعَةَ ، وَلَا يَدْعِي إِلَّا لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ غُلَامًا يَفْقَهُ أَوْ حَزَوْرًا<sup>(١)</sup> سَابَهُ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ ، فَعَيَّرَهُ بِالْدَعْوَةِ ، وَقَالَ : لَسْتَ مِنَّا ، وَإِنَّمَا أَنْتَ فِينَا مُلَاصِقٌ ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ ، وَقَدْ وَجَّهَ لَذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ صَدَقَ ، إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ رَهْطُكَ خَيْرٌ مِنْ رَهْطِهِ ، وَأَبَاؤُكَ أَشْرَفُ مِنْ آبَائِهِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ قُرَشِيٌّ ، وَأَخُوكَ وَبَنُو عَمِّكَ بِمَكَّةَ ، وَهُمْ جِيرَانُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، فَدَخَلَ فِي سِيَارَةِ حَتَّى آتَى مَكَّةَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ اسْمَهُ زَيْدٌ ، وَإِنَّمَا

(١) الغلام القوي .

كان قصياً أى بعيداً عن بلده فسمى : قُصِيًّا (١).

### الغوث بن مر وصوفته :

فصل : وذكر قصة الغوث بن مُرَّة ، ودفعه بالناس من عرفة (٢) ، وقال بعضُ أَقَلِّه الأَخْبَار أَنَّ وَلَايَةَ الْغَوْثِ بْنِ مُرَّةَ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ مُلُوكِ كِنْدَةَ (٣).

وقوله : إِنْ كَانَ إِثْمًا فَقَلَى قُضَاعَةً . إِنَّمَا خَصَّ قُضَاعَةَ بِهَذَا ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مُحِلِّينَ يَسْتَحِلُّونَ الْأَشْهَرَ الْحُرْمَ ، كَمَا كَانَتْ خَنَعَمُ وَطَيْئَةُ تَفْعَلُ ، وَكَذَلِكَ كَانَتِ النَّسَاءُ تَقُولُ إِذَا حَرَّمَتْ صَفَرًا أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْأَشْهُرِ بَدَلًا مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ - يَقُولُ قَائِلُهُمْ : قَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الدَّمَاءُ إِلَّا دَمَاءَ الْمُحِلِّينَ .

(١) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : دُ سَمِيَ قُصِيًّا لِأَنَّهُ قُصِيَّ قَوْمِهِ ، أَيْ : تَقْصَاهُمْ بِالشَّامِ ، فَتَقْلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ . وَقَالَ الرَّشَّادِيُّ : دُ ثُمَّ لَمْ يَزِدْ وَأَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِبْعَةِ شَرِّ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَلْحَقُ بِقَوْمِكَ ، وَغَيْرُكَ بِالْغَرْبَةِ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ أَبَا غَيْرِ رِبْعَةٍ ، فَرَجَعَ قُصِيٌّ إِلَى أُمِّهِ ، وَشَكَاهَا مَا قِيلَ لَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بَنِي أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْهُمْ نَفْسًا وَأَبَا ، أَنْتَ ابْنُ كَلَابِ بْنِ مَرَّةَ ، وَقَوْمُكَ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَأَجْعِ قُصِيَّ عَلَى الْخُرُوجِ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : أَقِمْ حَتَّى يَدْخُلَ الشَّهْرُ الْحَرَامَ ، فَتَخْرُجَ فِي حَاجِ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامَ خَرَجَ مَعَ حَاجِ قُضَاعَةٍ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَحُجَّ وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ، ص ٢٠ وَمَا بَعْدَهَا ج ١٦ نَهَايَةِ الْأَرْبِ .

(٢) فِي السَّيْرَةِ : دُ مِنْ بَعْدِ عَرْفَةَ ، وَفِي نَسْخِ أُخْرَى : دُ مِنْ عَرْفَةَ . .

(٣) فِي الْقَامُوسِ : وَكِنْدَةُ - بِالْكَسْرِ - وَيُقَالُ : كِنْدِيٌّ : لِقَبِ تَوْوَرِ بْنِ عَسْفِيرِ أَبِي حَيٍّ مِنَ الْبَيْنِ ، لِأَنَّهُ كَنَدَ أَبَاهُ النِّعْمَةَ ، وَلَحِقَ بِأَخْوَالِهِ ، وَالْكَنْدُ : الْقَطْعُ .

فصل : وأما تسمية العوث وولده صوفة ، فاختلاف في سبب ذلك .  
فذكر أبو عبيد الله الزبير بن أبي بكر القاضي في أنساب قريش له عند ذكر  
صوفة : البيت الواقع في السيرة لأوس بن مفرء السعدي ، وهو :

لَا يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجُّوا مُعَرِّقَهُم

البيت . وبعده :

تَجَدُّ بَنَاهُ لَنَا قَدَمًا أَوَائِلُنَا وَأُورَثُوهُ طِوَالِ الدَّهْرِ أَحْرَانَا (١)

ومفرء : تأنث أمفر ، وهو الأحر ، ومنه قول الأعرابي للنبي - صلى الله  
عليه وسلم : أهو هذا الرجل الأمفر ؟ ثم قال : قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان  
يقال لكل من ولي من البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشيء من خدمة  
البيت ، أو بشيء من أمر المناسك يقال لهم : صرفة وصوفان . قال أبو عبيدة :

(١) أوس بن مفرء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد  
ابن زيد مناة بن تميم . وقيل : أوس بن تميم بن مفرء ، وله ترجمة في الإصابة  
قال : ويكنى أبا المفرء ، وبقي إلى أيام معاوية ، وله شعر في مدح النبي - ص ،  
وبعد البيت الذي في السيرة :

تَرَى نِسَانَنَا إِذَا مَا جَاءَ بِدَاهِمٍ وَبَدُوهُمْ إِنْ أَنَا كَانَتْ ثُلُثِيَانَا

والثني والثثنيان ، وكهدي وإلى : دون السيد ص ١٧٦ الأمالى ج ٢ ط ٢ وفي  
السمط عن أوس ص ٧٩٥ للبكري : وهو القائل في بني صفوان بن شجينة بن  
عطار بن عوف بن كعب الذين كان فيهم الإفاضة من عرفة ، فلم يذكر الحارث  
كما روى ابن إسحاق ، ولا جناب كما روى ابن هشام ، ثم روى البيت كما في السيرة ،  
وفي المزهر ص ٨٧ ج ٢ أن أوساً هذا غلب على نابغة بني جعدة .

لأنه بمنزلة الصوف ، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر ، ليسوا من قبيلة واحدة . وذكر أبو عبد الله أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : إنما سُمي الغوثُ بن مُرٍّ : صُوفه ، لأنه كان لا يعيش لأمه ولد ، فنذرت : لئن عاش لتعلقن برأسه صُوفة ، ولتجعلنه رَبيطاً للكبنة ، ففعلت ، فقيل له : صُوفة ، ولولده من بعده ، وهو : الربيط . وحدث إبراهيم بن المُنذر عن عمر بن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني عِقال بن شَبَّة قال : قالت أم تميم بن مُرٍّ - وولدت نِسوةً - فقالت : لله على . لئن ولدت غلاماً لأعبدنّه للبيت ، فولدت الغوث ، وهو أكبر ولد مُرٍّ ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحرُّ ، فمُرت به - وقد سقط وذوى واسترخى فقالت : ما صار ابني إلا صُوفة ، فسُمي صُوفة (١) .

(١) في القاموس عن صُوفة أيضاً : أو هم قوم من أفناء القبائل تجمعوا ، فتشكروا كنشَبك الصُوفة . هذا وقد رواه الجوهري : آل صوفانا . ويقول القاموس : والصواب . آل صفوانا . وهم قوم من بني سعد بن زيد مناة . قال أبو عبيدة : حتى يجوز القائم بذلك من آل صفوان . وفيه أيضاً وردت الشطرة الأولى : ولا يرمون في التمر يف موقنهم . وما ذكره السهيلي عن سبب تسمية الغوث - - نقلاً عن الكلبي - يوجد في القاموس الذي ذكر للربيط عدة معان ، ثم قال : لقب الغوث ابن مر بن طابخة . ويذكر أن الولد عاش ، فجعلته أمه خادماً للبيت الحرام حتى بلغ ، فنزعته ، فلقب : الربيط . وقد سقط من هذه المادة في القاموس كلمة « أد » من نسب الغوث على حين ذكرها في مادة صوف . وفي القاموس أيضاً : « وكان أحدهم يقوم فيقول : أجزى صُوفة ، فإذا أجازت قال : أجزى خنثف ، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة ، وعرف القوم : وقفوا بعرفة : والبيت الأول في السيرة موجود أيضاً في اللسان بنفس رواية القاموس « ولا يرمون إلخ » وقول أبي عبيدة عن صُوفة موجود في اللسان : وانظر ص ١٨٣ من المحبر .

بنو سعد وزير مناة :

فصل : وذكر وراثه بنى سعد إجازة الحاج بالقعد من بنى الفوث ابن مُرّ ، وذلك أن سعداً هو : ابن زيد مناة بن تميم بن مُرّ ، وكان سعد أقعد بالفوث بن مُرّ من غيره من العرب <sup>(١)</sup> ، وزيد مناة بن تميم يقال فيه : مناة ومناء بالهمز <sup>(٢)</sup> ، وتركه ، ويجوز أن يكون - إذا همز - مفعلة من ناء ينوء ، ويجوز أن يكون : فعالة من المنينة ، وهى : المدبقة ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : [تقول لك أُمّى] : أعطيني نفساً أو نفسين أمعس به مينيئتى ، فإنى أفدة . النفس : قطعة من الدباغ ، والمنينة : الجلد فى الدباغ ، وأفدة : مقاربة لاستتمام ما تريد صلاحه وتماحه من ذلك الدباغ <sup>(٣)</sup> وأشد أبو حنيفة :

(١) القمشد بضم القاف وسكون العين وضم الدال أو فتحها : القريب من الجد الأكبر ، أو أملك القرابة فى النسب ، والقربى . وأقعدهم : أقربهم إلى جده الأكبر . وانظر ص ٢٥٧ من المحبر لابن حبيب ، ص ٤٠ من شرح الخشنى .

(٢) وفى اللسان عن مناة : ومناة : صخرة ، وفى الصحاح : صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة يعبدونها من دون الله من قولك : منوت الشيء - أى : اختبرته ... وعبد مناة بن أد بن طابخة . وزيد مناة بن تميم بن مر يمدو يقصر . قال هو : بر الحارثى

الأهل أقي التميم بن عبد مناة على الشنم فيما بيننا ابن تميم وفيه تخطئة من قال : مناة بالهاء ، وغلطوا الطائى فى قوله : لإحدى بنى بكر ابن عبد مناه .

(٣) فى إصلاح المنطق أن الذى قص هذا هو الاصمعى ، وفيه ، وفى اللسان : أمعس به ، بدلا من : أمعسها ، كما فى الروض . وفسر نفما أو نفسين بقوله : =

إذا أنت باكرت المنيثة باكرت قضيبي أراك بات في المسك منقما

وأنشد يعقوب :

إذا أنت باكرت المنيثة باكرت مدا كاهلها من زعفران وإمدا (١)

استفاده المزلفة :

فصل : وأما قوله : فلأن الإفاضة من المزلفة كانت في عدوان فالزلفة : مُقْتَعلة من الازدلاف ، وهو الاجتماع . وفي التنزيل : (وَأَزَلْنَاهُمْ)

== قدر دبة أو دبغتين ، وفي اللسان : أفد الشيء يأفد أفداً فهو أفدس : دنا وحضر وأسرع ، والأفد : المستعجل ؛ والمنية عند الفارسي : مَفْتَعلة بكسر العين من اللحم النقي ، ومنأ تأتي ذلك ، وهي عند غيره كما ذكر السهيلي . والمنية : الجلد أول ما يدبغ ، ثم هو أفيق ، ثم أديم . وأمس : أدك وأحرك ، وفي اللسان : منأ الجلد بمنؤه منأ : إذا أنقعه في الدباغ ، وهي في اللسان فعيلة ، وفي تهذيب لإصلاح المنطق للتبريزي : هو آفدة أي : سريعة . يقع في بعض النسخ : الآفدة : التي تشتكي فؤادها ، وقيل : السريعة ، وقيل . الممعية . قال أبو العلاء : ينبغي أن يقال : فائدة التي تشتكي فؤادها ، والصواب أن يفسر : آفدة بالسريعة ، انظر اللسان ومعجم ابن فارس وإصلاح المنطق لابن السكيت ، ص ٩٤ وتهذيب للتبريزي ص ١٤٥ .

(١) الشعر لمحمد بن ثور وقيله :

فأقسم لولا أن حُمدت با تنابعت علي ، ولم أبرح بدئين مطردا  
لواحت مكسالا كأن ثيابها تحن غزالا بالخنيلة أغيدا

يخاطب زوجته فيقسم : لولا أن حُمدت ، وهي السنون المجدبة - واحداً : حُمدت - تنابعت عليه ، واستدان وطالبه الغرماء ، وطرده لواحت مكسالا ، وهي المرأة الثقيلة الازداف ، الناعمة الجسم ، أي : تزوجت امرأة أحسن منك ، كأن ثيابها تستر ==



الآخرين) وقيل : بل الازدِلَافُ : هو الاقتراب ، والزُلْفَةُ : القُرْبَةُ ، فسميت مزدلفة ؛ لأن الناس يَزْدَلِفُونَ فيها إلى الحرم ، وفي الخبر : أن آدم عليه السلام لَمَّا هَبَطَ إلى الأرض <sup>(١)</sup> لَمْ يَزَلْ يَزْدَلِفُ إلى حَوَّاءَ ، وَزْدَلِفُ إليه ، حتى تعارفا بِعَرَفَةَ ، واجتمعا بالمَزْدَلِفَةِ فسميت : جمعا ، وسميت : المزدلفة <sup>(٢)</sup> .

### ذو الإصبع وآل ظرب :

وأما ذو الإصْبَعِ <sup>(٣)</sup> الذى ذكره فهو : حُرْثَانُ بن عمرو ، ويقال فيه : حُرْثَانُ ابن الحارث بن مُحَرِّثِ بن ربيعة بن هُبَيْرَةَ بن ثعلبة بن ظَرْبِ ، وَظَرْبٌ هو : والدعاصر بن الظَّرْبِ الذى كَانَ حَاكِمَ العرب ، وذكر ابن إسحاق قصته فى الخُفْنِى ، وفيه يقول الشاعر [المُتَمَلِّسُ] :

== غزالا . والأغيد : المنثى . ثم قال : إذا أنت باكرت دباغ الجلود باكرت هى الطيب والمداك ، وهو الحجر الذى يسحق عليه الطيب . والأثمد : الكحل . أى باكرت هى الطيب والاكتحال . انظر ص ١٤٥ تهذيب لإصلاح المنطق .

(١) رأى الراجح أن جنة آدم كانت فى الأرض .

(٢) لم يرد هذا فى حديث صحيح .

(٣) سبب تسميته فى الاشتقاق ص ٢٦٨ واسمه : حرثان ، ونسبه فى الأغاني : حرثان بن الحارث بن محرت بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار ، وفى الجهرة لابن حزم هو : حرثان بن محرت ، ونسبه فى أمالى المرتضى يختلف أيضا فهو : حرثان بن محرت بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة وقيل : محرت بن حرثان ، وقيل : حرثان بن حويرث ، وقيل : حرثان بن حارثة ابن ظرب لمخ .

لدى الحزم قبل اليوم ما تُقرَعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليعلم<sup>(١)</sup>

وكان قد خَرَفَ ، حتى تَفَلَّتَ ذهنُه ، فكانت العصا تُقرَعُ له إذا تكلم في نادى قومه تنبيها له ؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم . وكذلك كان ذو الإصْبَعِ ، كان حَكَمًا في زمانه ، وعَمَرَ ثلاثمائة سنة ، وسمى ذا الإصْبَعِ ؛ لأن حَيَّةَ نَهَشَتْه في أُصْبُعِهِ .

وَجَدُّهم ظَرْبُ : هو عمرو بن عِيَّاذ بن يَشْكُر بن بكر بن عدوان ، واسم عدوان : تيم ، وأمه : جَدِيلَة بنت أَد بن طابخة ، وكانوا أهل الطائف ، وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زهاء سبعين ألفا ، ثم هلكوا ببني بعضهم على بعض ، وكان تقيف

(١) بيت الشعر ، الذى الحزم الخ ، هو للمتلس ، وكان ابن الظرب قد كبر ، فقال له ابنه الثانى : إنك ربما أخطأت فى الحكم ، فيحمل عنك ، قال : فاجعلوا لى أماره أعرفها ، فإذا زغت ، فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب . فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد ابنه فى البيت ومعه العصا . فإذا زاغ ، أو هفا قرع له الجفنة ، فرجع إلى الصواب . هذا وربيعه تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وفى اللسان : أن هذا الحكم هو عمرو بن حُصمة الدوسى الذى قضى بين العرب ثلاثمائة سنة ، والأصبع : مثلثة الهمة ، ومع كل حركة ثلث الباء ، ففيه تسع لغات ، والعاشر : أصبوع ، وحكام العرب فى الجاهلية هم : أكرم بن صيفى ، وحاجب بن زرارة ، والأفرع بن حابس ، وربيعه بن مخاشن وضمرة بن أبى ضمرة تيم ، وعامر بن الظرب ، وغيلان بن سلبة لقيس ، وعبد المطلب وأبو طالب والعاصى بن وائل والعلاء بن حارثة لقريش . وربيعه ابن حذار لأسد ، ويعمر بن الشداخ وصفوان بن أمية ، وسلي بن نوفل لكنانة وحكميات العرب : صحر بن لحيان وهند بنت الحسن ، وجمعة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب ، وانظر ص ١٨١ من المحبر .

وهو قَيْسُ بْنُ مُنَبِّهٍ صَهْرًا لِعَامِرِ بْنِ الظَّرْبِ ، كانت تحتها زينب بنت عامر ،  
وهي أم أ كثر ثقيف ، وقيل : هي أخت عامر ، وأختها ليلى بنت الظرب هي :  
أم دَوْسِ بْنِ عَدْنَانَ ، وسيأتي طرف من خبره فيما بعد - إن شاء الله - فلما هلك  
عَدْنَوَانُ ، وَأُخْرِجَتْ بَقِيَّتُهُمْ ثَقِيفٌ مِنَ الطَّائِفِ ، صارت الطائف بأسرها لثقيف  
إلى اليوم .

وقوله : حَيَّةُ الْأَرْضِ : يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادي إذا كان مَهْمِيًا  
يُذْعَرُ مِنْهُ ، كما قال حسان :

يَا مُحْكَمَ بْنَ طُفَيْلٍ قَدْ أُتِيحَ لَكُمْ اللَّهُ دَرُُّ أَبِيكُمْ حِيَةَ الْوَادِي

يعنى بحية الوادي : خالد بن الوليد رضى الله عنه .

فصل : وقوله : عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدْنَوَانٍ <sup>(١)</sup> . نصب عذيرا على الفعل المتروك  
إظهاره ، كأنه يقول : هاتوا عذيرَه ، أى : مَنْ يَعْذُرُه ، فيكون العذيرُ بمعنى :  
العاذر ، ويكون أيضا بمعنى : العُذْرُ مصدرا كالحديث ونحوه .

أبوسبارة :

وذكر أبا سَيَّارَةَ ، وهو عُمَيْلَةُ بْنُ الْأَعْزَلِ فِي قول ابن إسحاق ، وقال غيره :  
اسمه : العاصي . قاله الخطابي . واسم الأعزل : خالد ، ذكره الأصبهاني ، وكانت

(١) عدة القصيدة التي في السيرة هي في الأغاني : اثنا عشر بيتا في ترجمة ذي  
الإصبع . والقصيدة عن تفرق عدوان وتشتتهم في البلاد مع كثرتهم . وفي اللسان  
عن حية الوادي : إذا كان شديد الشكيمة حاميا لحوزته ، وقال عن بيت ذي  
الإصبع الأول : د أراد أنهم كانوا ذوي إرب وشدة لا يضيعون ثأرا ، .

له أتان عَوْرَاهُ، خِطَامُهَا أَيْفٌ، يقال : إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة، وإياها  
يعنى الراجز في قوله : حتى يُجَيِّزَ سالما حماره .

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لَاهُمْ مَالِي فِي الْحِمَارِ الْأَسْوَدِ    أَصْبَحْتُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ أَحْسَدُ  
فَقِيَ أَبَا سَيَّارَةَ الْمُحَسَّدِ    مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذْ يُحَسَّدُ

وأبو سَيَّارَةَ هذا هو الذي يقول : أَشْرِقَ ثَبِيرٌ كَيْمَا نُغَيِّرُ، وهو الذي يقول :

لَاهُمْ إِنِّي تَابِعٌ تَبَاعَهُ (١)

(١) إن العرب لما سمعوا اللهم جرت في كلام الخلق توهموا أنه إذا ألغيت  
الآلف واللام من الله كان الباقي : لاه ، فقالوا : لاهم ، ويقولون : لاه أبوك .  
يريدون : لله أبوك ، وقالوا : لهنك أصلها : لله إنك ، فحذف الآلف واللام ، فقال :  
لاه إنك ، ثم ترك همزة إنك ، فقال : لهنك ، وقالوا : لهننا . أصلها : لاه إنا  
فحذف مدة لاه ، وترك همزة نا . ويرى القراء أن لهنك أصلها : لانك ، فأبدل  
الهمزة هاء مثل : هراق الماء ، وأراق ، وأدخل اللام في إن لليمين . ويقول ابن  
جنى في الخصائص عن اللام في قولهم : إن زيدا لقائم : إن موضعها أول الجملة  
وصدرها ، لا آخرها وعجزها : ثم قال : ويدل على أن موضع اللام في خبر إن أول الجملة  
قبل إن : أن العرب لما جفا عليها اجتماع هذين الحرفين قلبوا الهمزة هاء لينزول  
لفظ إن ، فنزول أيضا ما كان مستكرها من ذلك فقالوا : لاهمستك قائم بفتح فكسر  
فتضعيف ، أي : لئنك قائم . ثم استشهد ببعض أبيات على هذا . . ورأيه في هذا  
رأى سيئويه في الكتاب ، وضعف رأى من قالوا : إن أصلها : لله إنك  
الخصائص . ص ٢١٤ ج ١ ط ١٩٥٢ وقد تقدم في الجزء الأول ذكر هذا .

وثبِير : جبال بظاهر مكة ، والآثيرة أربعة : ثبِير غَيْثِي ، وثبِير الاعرج ،  
وهما : حراء وثبِير . وثبِير الآثيرة ، وثبِير منى ، وهما بديار مزينة . ومعنى المثل : =

وكان يقول في دعائه : اللهم بَعْضُ بَيْنِ رِيعَانَا ، وَحَبِّ بَيْنِ نِسَانَا ،  
واجعل المَالَ فِي سُبْحَانَا : وهو أول من جعل الدِّيَّةَ مائةً من الإِبِلِ ، فيما ذكر  
أبو اليقظَان ، حكاه عنه حَمَزَةُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَصْبَهَانِي .

وقوله : وعن مواليه بنِي فَزَارَةَ . يعنى بمواليه : بنى عمه ، لأنه من عَدَوَانِ  
وعَدَوَانُ وفَزَارَةُ : من قَيْسِ عَيْلَانَ ، وقوله : مُسْتَقْبِلُ الْقَبْلَةِ يدعُو جَارَهُ . أى :  
يدعُو الله عز وجل ، يقول : اللهم كن لنا جَارًا مِمَّا نَخَافُهُ ، أى : مَجِيرًا .

= ادخل يائير في الشروق ، كي نسرع إلى النحر . قال عمر : إن المشركين كانوا  
يقولون : أشرق ثبير كيما نغير ، وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، الإفاضة  
هنا من المزدلفة إلى منى ، والمثل يضرب في الإسراع والعجلة ، وفي شرح الكافية  
ج ٢ ص ٣٣٢ : واعلم أن من العرب من يقول : لَسَهْنُكَ ، بفتح اللام وكسر  
الهاء وتضعيف النون مع فتح ، لَسَرَجُلٌ صدق . قال : لَسَهْنًا لِمُسْتَقْبِلِ عَيْنِنَا التَّاجِرِ .  
وقال : لَهْنِي لِأَشْقَى النَّاسِ إِنْ كُنْتُ غَارِمًا . وقد يحذف اللام ، وهو قليل ، قال :  
أَلَا يَا سَنَا بَرَقَ عَلَى قُلْسَلِ الْحَيِّ لَسَهْنُكَ مِنْ بَرَقِ عَلِيٍّ كَرِيمِ

وفيه ثلاثة مذاهب . أحدها لسيوييه : وهو أن الهاء بدل من همزة إن  
كإيّاك وهياك ، فلما غيرت صورة إن بقلب همزتها هاء ، جاز بجامعة اللام لإيّاها  
بعد الامتناع ، والثاني : قول الفراء ، وهو أن أصله : والله إنك ، كما روى عن أبي  
أدهم الكلّاني : والله ربي لا أقول ذلك ، بقصر اللام ، ثم حذف حرف الجر ، كما  
يقال : الله لأفعلن ، وحذفت لام التعريف أيضا ، كما يقال : لاه أبوك . أى :  
الله أبوك ، ثم حذفت ألف فعال ، كما يحذف من الممدود إذا قصر . كما يقال :  
الحصاد والحصد قال :

أَلَا لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي سُهَيْبِلَ إِذْ مَا اللَّهُ بَارِكٌ فِي الرِّجَالِ  
وحذف مد لام الله . ووقف عليها بالسكون وحذف ألف إذا ، ثم حذفت همزة إنك =

## أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قال ابن إسحاق : وقوله : حكم يقضى يعنى : عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدوانى . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ، ولا عضلة فى قضاء إلا أستندوا ذلك إليه ، ثم رضوا بما قضى فيه ، فاختصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه ، فى رجل خنثى ، له ما للرجل ، وله ما للمرأة ، فقالوا : أنجعل رجلا أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه . فقال : حتى أنظر فى أمركم ، فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يامعشر العرب ! فاستأخروا عنه . فبات ليلته ساهراً يُقلب أمره ، وينظر فى شأنه ، لا يتوجه له منه وجه ، وكانت له جارية يقال لها : سُخَيْلَة ترعى عليه غنمه ، وكان يُعاتبها إذا سرحت فيقول : صَبَحَ وَاللَّهِ يَسُخَّيْل ! وإذا أراحت عليه ، قال : مَسَيْتَ وَاللَّهِ يَسُخَّيْل ! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس ، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس . فلما رأت سهره وقلقه ، وقلقه قراره على فراشه قالت : مالك لأبألك ! ما عراك فى ليلتك هذه ؟ قال : وَيْلَكَ ! دَعَيْنى ، أمرأيس من شأنك ، ثم عادت له بمثل قولها ، فقال فى نفسه : عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرَج ، فقال : ويحك ! اختصم إلى فى ميراث خنثى ، أأجعله رجلا أو امرأة ؟

. . . . .

== وفيما قال تسكلفات كثيرة . والثالث : ما حكى المفضل بن سلمة عن بعضهم أن أصله : لله إناك . واللام للقسم ، فعمل به ما عمل فى ذهب الفراء ، وقول الفراء أقرب من هذا ، لأن ، يقال : لهنك لقائم بلا تعجب . .

فوالله ما أدري ما أصنع ، وما يتوجّه لى فيه وجه ؟ : قال : فقالت سُبْحان الله ! لا أَبالك ! أتبيح القضاء المَبال ، أقعِده ، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل ، وإن بال من حيث تبول المرأة ، فهي امرأة . قال : مَسى سُخَيْلٌ بعدها ، أو صَبَّحى ، فرَجَّبتها والله ! . ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذى أشارت عليه به .

## غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش

ومعونة قضاة له

قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام ، فعلت صوفة كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دين في أنفسهم في عهد جُرهم وخزاعة وولايته . فأتاهم قُصَيُّ بن كلاب بن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاة عند العقبة ، فقال : لَنَحْنُ أُولَى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قُصَيٌّ على ما كان بأيديهم من ذلك .

وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قُصَيٍّ ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سَيَحُولُ بينهم وبين السكبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، وإلى أن يُحكّموا بينهم رجلاً من العرب ، فحكّموا يَمْعَر بن عَوْف بن كعب بن عامر بن

. . . . .

لَيْثُ بْنُ بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ بِأَنْ قُصِيَ أُولَى بِالْكَعْبَةِ ، وَأَمْرٌ  
مَكَّةَ مِنْ خُرَاعَةَ ، وَأَنْ كُلَّ دَمٍ أَصَابَهُ قُصِيَ مِنْ خُرَاعَةَ وَبَنَى بَكْرٍ : مَوْضِعُ  
يَشْدَخُهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَأَنْ مَا أَصَابَتْ خُرَاعَةُ وَبَنَى بَكْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ  
وَقُضَاعَةَ ، فَفِيهِ الدِّيَّةُ مُؤَدَّاةٌ ، وَأَنْ يُخْلَى بَيْنَ قُصَى وَبَيْنَ الْكَعْبَةِ وَمَكَّةَ .

فَسَمَّى يَعْمَرُ بْنُ عَوْفٍ يَوْمَئِذٍ : الشَّدَاخَ ، لِمَا شَدَخَ مِنَ الدَّمَاءِ  
وَوَضَعَ مِنْهَا .

قال ابن هشام : ويقال : الشَّدَاخُ .

قال ابن إسحاق : فَوَلَّى قُصَى الْبَيْتَ وَأَمْرَ مَكَّةَ ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ  
إِلَى مَكَّةَ ، وَتَمَلَّكَ عَلَى قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَكَّةَ فَلَسَكُوهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَقْرَأَ لِلْعَرَبِ  
مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ دِينًا فِي نَفْسِهِ لَا يَنْبَغِي تَغْيِيرُهُ ، فَأَقْرَأَ آلَ  
صَفْوَانَ وَعَدَوَانَ وَالنَّسَاءَ وَمُرَّةَ بْنَ عَوْفٍ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى جَاءَ  
الْإِسْلَامَ ، فَهَدَمَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ كُلَّهُ . فَكَانَ قُصَى أَوْلَى بَنَى كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ أَصَابَ  
مُلُكًا أَطَاعَ لَهُ بِهِ قَوْمُهُ ، فَكَانَتْ إِلَيْهِ الْحِجَابَةُ ، وَالسَّمَايَةُ ، وَالرَّفَادَةُ ،  
وَالنَّدَوَةُ ، وَاللَّوَاءُ ، فَحَازَ شَرَفَ مَكَّةَ كُلَّهُ . وَتَقَطَّعَ مَكَّةَ رِبَاعًا بَيْنَ قَوْمِهِ ، فَأَنْزَلَ  
كُلَّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنَازِلَهُمْ مِنْ مَكَّةَ الَّتِي أَصْبَحُوا عَلَيْهَا ، وَيزعمُ النَّاسُ أَنَّ  
قُرَيْشًا هَابُوا قَطَعَ شَجَرَ الْحَرَمِ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَقَطَعَهَا قُصَى بِيَدِهِ وَأَعْوَانُهُ ، فَسَمَّيْتُهُ  
قُرَيْشًا : مُجْمَعًا لِمَا جَمَعَ مِنْ أَمْرِهَا ، وَنِيَمَتَ بِأَمْرِهَا ، فَمَا تُنْكَحُ امْرَأَةٌ ،  
وَلَا يَتَزَوَّجُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِ نَزَلِ بِهِمْ ، وَلَا يَعْقِدُونَ لَوَاءً  
لِحَرْبٍ قَوْمٍ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلَّا فِي دَارِهِ ، يَعْقِدُهُ لَهُمْ بَعْضُ وَلَدِهِ ، وَمَا تَدْرِعُ جَارِيَةٌ

• • • • •



إذا بلغت أن تدَّرع من قریش إلا فی داره ، یُشَقُّ علیها فیها درعها ثم تدَّرع ،  
ثم ینطلق بها إلى أهلها . فکان أمره فی قومه من قریش فی حیاته ، ومن بعد  
موته ، کالدِّین المُتَّبِع لا یُعْمَل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها  
إلى مسجد الکعبة ، ففیها کانت قریش تقضى أمورَها : قال ابن هشام :  
وقال الشاعر :

قُصِيَّ لَعَمْرِي كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا      به یَجْمَعُ الله القبائلَ من فِهرِ

قال ابن إسحاق : حدثنی عبدالمک بن راشد عن أبيه ، قال : سمعت السائب  
ابن خباب صاحب القصورة یحدث ، أنه سمع رجلاً یحدث عمر بن الخطاب ،  
وهو خليفة ، حدیث قُصِيَّ بن کلاب ، وما یجمع من أمر قومه ، وإخراجه خزاعة  
وبنی بکر من مکة ، وولایته البیت وأمر مکة ، فلم یرد ذلك علیه ولم ینکره .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ قُصِيٌّ من حربِه ، انصرف أخوه رِزَاحُ بن ذریعة  
إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رِزَاحُ فی إجابته قُصِيًّا :

لَمَّا أَتَى مِنْ قُصَيٍّ رَسُولُ	فقال الرسولُ : أجبوا الخلیلا
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودَ الْجِيَادِ	ونطرح عنا المملول الثقیلا
نَسِيرُهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ	ونكفي النهار ؛ لئلا نزولا
فَهْنٌ سِرَاعٌ كَوَرْدِ الْقَطَا	يُجِبْنَ بِنَا مِنْ قُصَيٍّ رَسُولَا
جَمَعْنَا مِنَ السَّرِّ مَنْ أَشْمَذِينَ	ومن كلِّ حىٍّ جمعنا قبیلا
فِيَالِكَ حَلْبَةٍ مَا لَيْلَةٌ	تزيد على الألف سنبًا رسیلا

فَلَمَّا مَرَّزْتَ عَلَى عَسَجَرٍ وَأَسْهَلَنْ مِنْ مُسْتَفَاحِ سَبِيلَا  
وَجَاوَزْنَ بِالرَّكْنِ مِنْ وَرَقَانِ وَجَاوَزْنَ بِالْقَرْجِ حَيَا حُلُولَا  
مَرَرْنَ عَلَى الْخَيْلِ مَا دَفَقَهُ وَعَالَجْنَ مِنْ مَرٍّ لَيْلًا طَوِيلَا  
نَدَنِي مِنَ الْعُودِ أَفْلَاهَا لِإِرَادَةِ أَنْ يَسْتَرْقِنَ الصَّهِيلَا  
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مَكَّةَ أَبْحَنَا الرِّجَالَ قَبِيلًا فَبَيْلَا  
نُعَاوِرُهُمْ ثُمَّ حَدَّ السِّیُوفِ وَفِي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْمَقُولَا  
نُخَبِّرُهُمْ بِصِلَابِ النَّسْرِ رِخْبَزِ الْقَوَى الْعَزِيزِ الدَّلِيلَا  
قَتَلْنَا خُرَاعَةً فِي دَارِهَا وَبَكَرَأَ قَتَلْنَا وَجِيلًا فَبَيْلَا  
نَفِينَاهُمْ مِنْ بِلَادِ الْمَلِكِ كَمَا لَا يَحِلُّونَ أَرْضَا سُهُولَا  
فَأَصْبَحَ سَبِيحُهُمْ فِي الْحَدِيدِ وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَقِينَا الْغَالِيلَا

وَقَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُذَيْمٍ الْقُضَاعِيُّ  
فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ قِصَى حِينَ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مُضْمَرَةً تَغَالَى مِنْ الْأَعْرَافِ أَعْرَافِ الْجُنَابِ  
إِلَى غَوْرَى تِهَامَةٍ ، فَالْتَقَيْنَا مِنْ الْفَيْفَاءِ فِي قَاعِ يَبَابِ  
فَأَمَّا صُوفَةُ الْخُنْفَى ، فَخَاوَا مِنْزِلَهُمْ مُحَاذِرَةَ الضَّرَابِ  
وَقَامَ بَنُو عَلَى إِذْ رَأَوْنَا إِلَى الْأَسْيَافِ كَالْإِبِلِ الطَّرَابِ

وَقَالَ قُصَيٌّ بْنُ كِلَابٍ :

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ بِمَكَّةَ مَنَزِلِي ، وَبِهَا رَيْتُ

إِلَى الْبَطْحَاءِ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدَتَهُ وَمَرْوُئَهَا رَضِيَتْ بِهَا رَضِيَتْ  
فَلَسْتُ لَغَالِبِ إِنْ لَمْ تَأْتَلْ بِهَا أَوْلَادَ قَيْدَرٍ ، وَالنَّيْبُتُ  
رِزَاحُ نَاصِرِي ، وَبِهِ أَسَامِي فَلَسْتُ أَخَافُ ضَيْمًا مَا حَيَّيْتُ

فلما استقر رِزَاحُ بن ربيعة في بلاده ، نَشَرَهُ اللهُ وَنَشَرَحُنَّا ، فهِمَا قَبِيلَا  
عُدْرَةَ الْيَوْمِ . وَقَدْ كَانَ بَيْنَ رِزَاحِ بن ربيعة ، حِينَ قَدِمَ بِلَادَهُ ، وَبَيْنَ نَهْدِ بن  
زَيْدٍ وَحَوْتِ كَعْبَةَ بنِ أَسْلَمَ ، وَهِيَ بَطْنَانِ مِنْ قُضَاعَةَ شَيْءٍ ، فَأَخَافَهُمْ حَتَّى لَحِقُوا  
بِالْمِينِ ، وَأَجْلَوْا مِنْ بِلَادِ قُضَاعَةَ ، فَهَمَّ الْيَوْمَ بِالْمِينِ ، فَقَالَ قُصَيُّ بنِ كِلَابٍ ، وَكَانَ  
يُحِبُّ قُضَاعَةَ وَنَمَاءَهَا وَاجْتِمَاعَهَا بِبِلَادِهَا ، لَمَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِزَاحِ مِنَ الرَّجْمِ ، وَلِبَلَاءِهِمْ  
عِنْدَهُ إِذْ أَجَابُوهُ إِذْ دَعَاهُمْ إِلَى نُصْرَتِهِ ، وَكَرِهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ رِزَاحُ :

أَلَا مَنْ مُبْلَغَ عَنِّي رِزَاحًا فَإِنِّي قَدْ لَحَيْتُكَ فِي اثْنَتَيْنِ  
لَحَيْتُكَ فِي بَنِي نَهْدِ بنِ زَيْدٍ كَمَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي  
وَحَوْتِ كَعْبَةَ بنِ أَسْلَمَ إِنْ قَوْمًا عَتَوْهُمْ بِالْمَسَاءَةِ قَدْ عَتَوْنِي

قال ابن هشام : وَتَرَوْنِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لَزُهَيْرِ بنِ جَنَابِ السَّكَلَبِيِّ .

قال ابن إسحاق : فلما كبر قُصَيُّ ورقَّ عظمه ، وكان عبد الدار بِكَرِهٍ ،  
وكان عبدُ منافٍ قد شَرُفَ في زمانِ أبيه ، وذهب كلُّ مذهبٍ ، وعبدُ العزى  
وعَبْدُ . قال قُصَيُّ لعبد الدار : أَمَا وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لِأَلْحَقَنَّكَ بِالْقَوْمِ ، وَإِنْ  
كَانُوا قَدْ شَرُّوا عَلَيَّكَ : لَا يَدْخُلُ رَجُلٌ مِنْهُمْ السَّكْبَةَ ، حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ تَفْتَحُهَا  
لَهُ ، وَلَا يَعْقِدُ أَقْرِشَ لَوَاءٍ لِحَرْبِهَا إِلَّا أَنْتَ بِيَدِكَ ، وَلَا يَشْرَبُ أَحَدٌ بِمَسْكَةٍ إِلَّا مِنْ  
سِقَاتِيكَ ، وَلَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَوْسَمِ طَعَامًا إِلَّا مِنْ طَعَامِكَ ، وَلَا تَقْطَعُ قَرِيشَ

أمرأ من أمورها إلا في دارك، فأعطاه داره دار الندوة، التي لانتقى قريش أمرأ من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة .

من فرض الرفادة :

وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش في كل مؤسم من أموالها إلى قصي ابن كلاب، فيصنع به طعاما للحاج، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد، وذلك أن قصيأ فرأه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به : يامعشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج، حتى يصندروا عنكم، ففعلوا، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجأ، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاما للناس أيام منى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينتقى الحج .

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا من أمر قصي بن كلاب، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبي إسحاق بن يسار، عن الحسن بن محمد ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم، قال :

سمعتة يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار، يقال له : نبيأ بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي .

قال الحسن : فجعل إليه قصي كل ما كان بيده من أمر قومه، وكان قصي لا يخالف، ولا يرد عليه شيء صنعه .

. . . . .

## الحكم بالأمارات :

**فصل :** وذكر عامر بن الظرب وحُكمه في الخُثنى ، وما أفتته به جاريته سُخَيْلَة ، وهو حكم معمول به في الشرع ، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل في الشريعة ، قال الله سبحانه : ( وجاءوا على قيصه بدمٍ كذبٍ ) وجه الدلالة على الكذب في الدم أن القميص المدمى لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب ، وكذلك قوله : ( إن كان قيصه قد من قبلٍ [فصدقت] ، وهو من الكاذبين [ . يوسف : ٢٦ ] الآية . وقول النبي صلى الله عليه وسلم في المولود : « إن جاءت به أرزق جعداً أجماً ليا فهو للذي رُميت به »<sup>(١)</sup> فلا استدلال بالأمارات أصلٌ يَتَّبَعُ عليه كثيرٌ من الأحكام في الحدود والميراث ، وغير ذلك . والخُثْمُ في الخُثْنَى أن يُعْتَبَر المَبَالُ ، ويُعْتَبَر بالحليض ، فإن أشكل من كلِّ وجهٍ ، حُكِمَ بأن يكون له في الميراث سَهْمُ امرأةٍ ونصف ، وفي الدِّية كذلك ، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد .

(١) هذا جزء من حديث — رواه أبو داود مطولاً ، وفي إسناده عباد بن منصور ، وقد تكلم فيه غير واحد ، وهو في قذف هلال بن أمية أحد الثلاثة الذين خلفوا امرأته بشريك بن سحاء ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه الرسول دس ، البينة ، وإلا أقام عليه الحد ، فنزلت آيات اللعان من سورة النور ، وقد روى قصة هلال الجماعة وأحمد ، والجمع : القصير الشعر ، والأورق : الأسمر مع بياض . والجمل : العظيم الخلق كأنه الجمل ، وقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم أن تترك المرأة حتى تلد ، لجمام بالولد في صفات الرجل الذي رُميت به ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » .

### الشرائح :

فصل : وذكر يَعْمَرُ الشَّدَاخُ بن عوف حين حَكَمُوهُ ، وأنه سمي بالشَّدَاخ لما شَدَخَ من دِمَاءِ خُرَاعَةٍ<sup>(١)</sup> وَيَعْمَرُ الشَّدَاخُ هو جَدُّ بنِي دَأْبِ الذين أخذ عنهم كثيرٌ من علم الأخبارِ والأنسابِ وهم : عيسى بن يزيد بن [بَكْر] ابن دَأْبِ ، وأبوه : يزيدٌ ، وحَدِيفَةُ بن دَأْبِ ، ودَأْبُ هو : ابن كُرْز بن أنحر من بني يَعْمَر بن عَوْفٍ الذي شَدَخَ دِمَاءَ خُرَاعَةٍ ، أى : أبطلها ، وأصل الشَّدَخ : الكسر والْفَضْخُ ، ومنه الْفَرَّةُ الشاذخة ، شُبِّهَتْ بالضَّرْبَةِ الواسعة . والشَّدَاخ بفتح الشين كما قال ابن هشام ، والشَّدَاخُ بضمها إنما هو جَمْعٌ ، وجائز أن يُسَمَّى هو وبنوه : الشَّدَاخُ ، كما يقال : الْمَنَازِرَةُ فِي الْمُنْذِرِ وبنيه ، والأشْعَرُونَ في بنى الأشْعَر من سبأ<sup>(٢)</sup> وهو بابٌ يكثرُ ويطول . وأمُّ يَعْمَرُ الشَّدَاخُ اسمُها : السُّوْمُ بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم ، وسيأتي ذكر جِرَّة بالكسر<sup>(٣)</sup> ذكره ابن ماكولا . ومن بنى الشَّدَاخ : بَلْعَاء بن قَيْس بن عبد الله بن يَعْمَر

(١) في الاشتقاق : « إنما سمي الشداخ لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي كانت بينهم ، فقال : شَدَخْتُ الدماء تحت قدمي ، والشَّدَخ : وطؤك الشيء حتى تفضضه ، والفرس الشادخ : الذي انتشرت غرته في وجهه ، ولم تبلغ العينين ، والجمع : شوادخ ، والفضض : الكسر ، وبذكر السهلي عيسى بن يزيد بن دَأْب ، وهو في الاشتقاق : عيسى بن يزيد بن بكر بن دَأْب .

(٢) الأشعر هو : نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ .

(٣) في القاموس : السوم بفتح السين وواو ساكنة بنت جرة بكسر الجيم : أعرابية ، وفيه : يزيد بن الأخنس بن جرة بضم الجيم : صحابي .

الشَّدَاخ الشاعر المذكور في شعر الحماسة ، اسمه : حَمِيصَةُ ، وَلَقَّبَ :  
بلهاء (١) لقوله :

أَنَا ابْنُ قَيْسٍ سَبْعًا وَابْنُ سَبْعٍ أَبَارَ مِنْ قَيْسٍ قَبِيلًا فَالْتَمَعَ  
كَأَمَّا كَانُوا طَعَامًا فَابْتُلِعَ

( ولاية قصي البيت )

ذكر فيه أمرُ قُصَيٍّ وما جمع من أهل مكة ، وأنشد :  
قُصَيٌّ لَعَمْرِي كَانَ يُدْعَى مُجَمَّعًا (٢) . البيت وبعده :  
هُمُومًا مَلَأُوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وَسُودُودًا وَهُمْ طَرَدُوا عَنَاغُوءَ بَنِي بَكْرٍ  
ويذكر أن هذا الشعر لحذافة بن جَمَح .

وذكر أن قُصَيًّا قَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا (٣) ، وأن أهلها هابوا قَطَعَ شجر  
الحرم للبنيان . وقال الواقدي : الْأَصَحُّ فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ أَرَادُوا  
الْبَنِيَانَ قَالُوا لِقُصَيٍّ : كَيْفَ نَصْنَعُ فِي شَجَرِ الْحَرَمِ ، فَحَذَرَهُمْ قَطْعَهَا وَخَوْفَهُمْ

(١) في الاشتقاق : بلعاء من قولهم : بثر بلعاء : واسعة ، ورجل بلع إذا  
كان نهمًا ، وقد أخرج له أبو تمام في ديوان الحماسة ثلاثة أبيات ، أولها :  
وفارس في غمار الموت منغمس إذا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهَةٍ صَدَقَا  
غمار الموت : شدائده ، تَأَلَّى : حلف ، وفي اللسان : حَمِيصَةُ اسم حي بلعاء  
وقد كان بلعاء رئيسًا في الجاهلية ، وشهد حرب الفجار الثاني ، ومات في تلك الأيام  
(٢) في الطبري ٢٥٦ ج ٢ ، أبوكم قصي كان يدعى مجعًا .  
(٣) دورا .

العقوبة في ذلك ، فكان أحدهم يخوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون في منزله . قال : فأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله ابن الزبير حين ابتنى دوراً بقميعة ، لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة ، وكذلك يروى عن عمر - رضي الله - أنه قطع دوحه كانت في دار أسد بن عبد العزى ، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالسكبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فطسها عمر - رضي الله عنه - وودأها بقرة ، ومذهب مالك - رحمه الله - في ذلك : ألا دية في شجر الحرم . قال : ولم يبلغني في ذلك شيء . وقد أساء من فعل ذلك ، وأما الشافعي - رحمه الله - فجعل في الدوحة بقرة ، وفيما دونها شاة . وقال أبو حنيفة - رحمه الله - إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يفرسها الناس ، ويستذيقونها ، فلا فدية على من قطع شيئاً منها ، وإن كان من غيرها ، ففيه القيمة بالعاما بلغت .

وذكر أبو عبيد : أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أفتى فيها بعقوبة (١) رقبة .

( ١ ) وفي الشقيرى للجب الطبرى : « عن عطاء أنه كان يقول في الحرم : إذا قطع شجرة عظيمة من شجر الحرم فعليه بدنة ، وفي الدوحة : بقرة . وعنه أنه سئل عمن قطع من شجر الحرم ، فقال : يستغفر الله عز وجل ولا يعود ، وعنه أنه كان يرخص في القصب والشوك والسني : نوع من النبات . وعنه لا بأس أن يبنى السكامة من الحرم ولا بأس بالشعشع ( نبات يتفرش على وجه الأرض عريض الورق وليس له شوك ) والسكامة جمع مفردة : كم ، والسكمة : نبات ينفض الأرض ، فيخرج كما يخرج الفطر ، يأكله الناس والحيوان ، على أنه ورد في حديث أخرجه البخاري ومسلم أن الحرم لا يعصد شوكه ، أي : لا يقطع .



### دار الندوة :

وذكر أن قُصِيًّا اتخذ دار الندوة ، وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ النَّدَى والنادى والمنتدى ، وهو مجلس القوم الذي يندون حوله ، أى : يذهبون قريباً منه ، ثم يرجعون إليه ، والندوة في الخليل . أن تُصرف عن اورد إلى المرعى قريباً ، ثم تعاد إلى الشرب ، وهو المندى<sup>(١)</sup> ، وهذه الدارُ أصبحت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام ابن خويلد بن أسد بن عبد المزى بن قصى ، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم ، وذلك في زمن معاوية ، فلامه معاوية في ذلك ، وقال : أبت مكرمة آبائك وشرقهم ، فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى . والله : لقد اشتريتها في الجاهلية بريق خمر ، وقد بعثها بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله ، فأثنا المغبون ؟ ! ذكر خبر حكيم هذا الدار قطنى في أسماء رجال الموطأ له .

### من تفسير شعر رزاح :

فصل : وذكر شعر رزاح ، وفيه : ونكمتى النهار أى : نكمتى ونستتر ، والكمى من الفرسان ، الذى تكمتى بالحديد . وقيل : الذى يكمتى شجاعته ، أى : يسترها ، حتى يظهرها عند الوغى . وفيه : مررنا بمسجر ، وهو : اسم موضع ، وكذلك : ورقان اسم جبل ، ووقع في نسخة سفيان : ورقان بفتح الراء ، وقيده أبو عبيد البكرى : ورقان بكسر الراء ، وأنشد للأخوص :

(١) والمنتدى أيضاً من أسماء النادى الذى هو يجتمع مجلس القوم ومتحدثهم والندى : مكان ورد الإبل .

وكيف تُرَجَّى الوصلَ منها وأصبحت ذُرَى وَرْقَانٍ<sup>(١)</sup> ذُرَاهَا وَحَفِير

ويخفف ، فيقال : وَرْقَان . قال جميل :

يَا خَلِيلَ إِنَّ بَثْنَةَ بَأْتَتْ يَوْمَ وَرْقَانَ بِالْفَوَادِ سَبِيًّا

وذكر أنه من أعظم الجبال ، وذكر أن فيه أَوْشَالَاً<sup>(٢)</sup> وَعُيُونًا عِذَابًا ،  
وَسُكَّانَهُ : بنو أَوْس بن مُزَيْنَةَ .

وذكر أيضا الحديث ، وهو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ضُرْتُ  
السَّكَافِرَ فِي النَّارِ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرْقَانٍ »<sup>(٣)</sup> . وفي حديث آخر أنه  
عليه السلام ذكر آخر من يموت من هذه الأمة ، فقال : رجلان من مُزَيْنَةَ يَنْزِلَانِ  
جِبَلًا مِنْ جِبَالِ الْعَرَبِ ، يُقَالُ لَهُ : وَرْقَانُ<sup>(٤)</sup> كُلُّ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْبُكْرِيِّ فِي كِتَابِ  
مُعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ .

فصل : وذكر أشمذين بكسر الهمزة ، وفي حاشية كتاب سفيان بن العاص :  
الْأَشْمَذَانِ : جبالان [ بين المدينة وخيبر ] ، ويقال : اسم قبيلتين ، ثم قال في

(١) ورقان — بالفتح ثم الكسر — ويروى بسكون الراء : جبل أسود بين  
العُرج والروثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ، وهو من جبال تهامة .

(٢) مياه تسيل من أعراض الجبال ، فتجتمع ثم تساق إلى المزارع .

(٣) رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة .

(٤) الذي في الحاكم : آخر من حشر : راعيان من مزينة يريدان المدينة  
ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشا ، حتى إذا بلغا ثَمَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَا عَلَى  
وُجُوهِهِمَا ، ومثل هذه الإحاديث لا يعتد بها .

الحاشية : فعلى هذا تكون الرواية بفتح الدال وكسر النون من أشمذين - قال المؤلف رحمه الله - فإن صح أنهما اسم قبيلتين ، فلا يبعد أن تكون الرواية كما في الأصل : أشمذين<sup>(١)</sup> بكسر الدال ، لأنه يجمع في المعنى . واشتقاق الأشمذ من شَمَذَتِ الناقة بذنبها أى : رفعت ، ويقال للنخل : شَمَذ ، لأنها ترفع أعجازها .

وفيه : مَرَرْنَ على الحِجْلِ<sup>(٢)</sup> وفسره الشيخ في حاشية الكتاب ، فقال : هو الماء المستنقع في بطن واد ، ووجدت في غير أصل الشيخ روايتين ، إحداهما : مَرَرْنَ على الحِلِّ والأخرى : مَرَرْنَ على الحِلِّي ، فأما الحِلُّ : فجمع حِلَّة ، وهى بَقْلَةٌ شَاكَّةٌ<sup>(٣)</sup> . ذكره ابن دُرَيْدٍ في الجُمُهرَةِ . وأما الحِلِّي ، فيقال : إنه ثمر القُمَّلَانِ<sup>(٤)</sup> وهو نَبْتُ .

(١) في المراحىد : أشمذين - بفتح أوله والميم والذال مفتوحتان ، والياء ساكنة والنون مكسورة بلفظ الثنية : جبلان بين المدينة وخيبر تنزلهما جهينة وأشجع .

(٢) الحيل في اللسان كما ذكر الشيخ ، وأيضاً : القطيع من الغنم ، وحجارة تحدر من جوانب الجبل إلى أسفله وفي الأصل : الجبل ، وهو خطأ .

(٣) وفي اللسان والقاموس : شجرة شاكَّة .

(٤) عرق هذا الشجر المغاث ، وقد خطأ أبوذر في شرحه للسيرة هذا الرأى لأن اسم النبات : الحلى بتشديد الياء وكسر اللام . وذكر أنه اسم موضع .

ورزاح بن ربيعة بكسر الواو ، وغيره بالكسر وبالفتح . ومن معاني مفردات قصيدة رزاح : الورد : الواردة . الحلبة : جماعة الحيل . السيب : المشى السريع في رفق كالسياب الحية . الرسيل : المشى الذى فيه تمهل . وعسجر : موضع قرب مكة . أسهل : حل الموضع السهل ، العرج : واد ، نواحي الطائف . العوذ : جمع عائد : الناقة أو الفرس التى لهما أولاد . والأفلاء : جمع فلو ، المهر العظيم . نعاور :

وقوله فيها : نَخْبِزُهُمْ . أي : نسوقهم سوقاً شديداً ، وقد تقدم قول  
الراجز . لا تَخْبِزِ اخْبِزاً وَبَساً بَساً .

وذكر شعر رِزَّاح الآخر ، وفيه : من الأعراف أعراف الجناب . بكسر  
الجيم ، وهو موضعٌ من بلاد قُضَاعَةَ .

وفيه : وقام بنو عليٍّ ، وهم بنو كِنانة ، وإنما سماوا بني عليٍّ ؛ لأنَّ عبدَ مناة  
ابن كِنانة كان ربيباً لعليٍّ بن مسعود بن مازن من الأزد جدَّ سَطِيح  
الكاهن ، فقبل لبني كِنانة : بنو عليٍّ ، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بكرِ  
ابن عبد مناة ؛ لأنهم قاموا مع خُرَاعَةَ .

#### شعر قصي والعزترانة :

وذكر شعر قُصَيٍّ : أنا ابن العاصمين بنى لؤيٍّ . الأبيات . وليس  
فيها ما يشكل .

== نداول مرة بعد أخرى . الأوب : الرجوع . وصلاب النسر : النسر : جمع  
نسر ، وهو اللحم اليابس الذي في باطن الحافر . وصلاب النسر كناية عن الخيل  
القوية ، ومن مفردات قصيدة ثعلبة : التغالى من المغالاة ، وهي ارتفاع الدابة في  
سيرها ومجاورتها حسن السير . والغور : أصله ما تدخل من الأرض ، وانهبط ،  
ومنه : غور تهامة ، وكل ما وُصف به تهامة ، فهو من صفة الغور ؛ لأنهما اسمان لمسمي  
واحد . والفيفاء : الصحراء . القاع : أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال  
والآكام ، تنصب إليها الأمطار ، فتمسكها ، ثم تبت العشب ، الضراب : يقال :  
ضرب الفحل ضراباً : أتى الناقة . والطراب : الإبل التي اشتاقت إلى موطنها .

وذكر أن رزاحا حين استقر في بلاده نشر الله ولده وولدحن ،  
ابن ربيعة ، فهما حيا عذرة .

قال المؤلف : في قضاة عذرتان : عذرة بن ربيعة ، وهم من بني كلب  
ابن وبرة . وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، وأسلم هذا  
هو بضم اللام من ولدحن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبد الله  
ابن معمر صاحب بئنة ، ومعمر هو ابن ولد الحارث بن خير بن ظبيان ،  
وهو الضبيس بن حن . وبئنة أيضا من ولد حن ، وهى بنت حبان بن  
ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن حن [ وفى قضاة أيضا عذرة بن  
عدى ، وفى الأزد : عذرة بن عداد ] .

### موتكة وأسلم :

وذكر موتكة بن أسلم وبنى نهد بن زيد وإجلال رزاح لهم (١)

(١) نسب جميل فى جهرة الساب العرب : جميل بن عبد الله بن معمر  
ابن الحارث بن الحبير [ فى الروض ابن خير فى ] ابن طبيان ، وهو خبيس بن  
جر بن ربيعة ، ويتفق الأغاني مع الجهرة حتى الحارث ، وبعدها يقول الأغاني  
« ابن طبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كثير ، بن  
عذرة بن سعد — وهو هذيم ، سمي بذلك لإضافة لاسمه إلى عبد لاييه ، يقال له :  
هذيم ، وكان يحضنه ، فغلب عليه ، وفى الاشتقاق كذلك عن سعد وهذيم — بن زيد بن  
سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . ونسب بئنة فى الجهرة : بئنة بنت حبان  
ابن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن جريو بن ربيعة . لايها صحبة  
ص ٢٠ جهرة . وفى الأغاني : بنت حبان بن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن =

وَحَوْتَسْكُهُ هُوَ : عَمُّ نَهْدٍ بن زَيْدٍ بن أَسْلَمَ ، وليس في العربِ أَسْلَمُ بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها في قُضَاعِهِ ، وهما : أَسْلَمُ بن الحافِ هذا ، وأَسْلَمُ بن تَدُولِ ابن تَيْمِ اللَّاتِ (١) بن رُفَيْدَةَ بن ثَوْرٍ بن كَلْبٍ ، والثالث في عَكَّ أَسْلَمُ بن الْقِيَّانَةِ بن غَابِنِ (٢) بن الشاهد بن عَكَّ ، وما عدا هؤلاء فأسلم بفتح اللام . ذكره ابن حبيب في المؤلف والمختلف .

== الاحب بن حن بن ربيعة . وفي الاشتقاق عن عذرة بن ربيعة ، وكذلك في جهمرة ابن حزم : أنه عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة . وفي كتاب متفق القبائل لابن حبيب ، وفي قضاة : عذرة بن سعد ، وفي كلب : عذرة ابن زيد اللات ، وعذرة بن عدى ، وفي الأزد : عذرة بن عداد ، وفي الجهمرة لابن حزم ضبط أسلم بفتح اللام مرة ، وبضمها في مكان آخر ، وفيها ما يأتي : ولد أسلم بن الحافى : سود بن أسلم . فولد سود بن أسلم ليث وحوتسكة بفتح الحاء وإسكان الواو . بطن بمصر مع بنى خميس بن جبهنة ، وإياس بن سود ، وهم في بنى لوى بن عذرة . وفي أمالي ابن الشجرى عن الحاف أنه لما حذفت العرب بابه اجتزأ بالكسر مثل : العاص في اسم العاص بن أمية ، والعاص بن وائل السهمى . ومثل اليان في أب حذيفة اليان ، ومثل الداع في قوله سبحانه : وأجيب دعوة الداع إذا دعان ، انظر الاشتقاق في قبائل قضاة ، وص ١٥٥ جهمرة . ونقل ما ذكرت عن ابن الشجرى من تعليق الأستاذ هرون في الاشتقاق . وفي الاشتقاق عن هوذى أنه هوذة .

(١) في الجهمرة والاشتقاق وغيرهما : زيد اللات . ولكن ورد في الجهمرة ص ٤٢٩ وهو يتحدث عن بنى كلب بن وبرة : وبنو أسلم بضم اللام بن تدول بن تيم اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة .

(٢) في الجهمرة : أسلم بن القيانة بن غافق ، ومنهم كان أمير الأندلس . وفي اللسان عن أسلم بضم اللام نقل عن كراع أنه جمع : سلم ، وذكر أنه لم يفسر أى : سلم — بفتح فسكون — يعنى ، ثم نقل أنه قد يكون جمع سلم — بفتح فسكون — وهى الدلو العظيمة .

## ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصي

وحلف للطيبين

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب هلك ، فأقام أمرة في قومه ، وفي غيرهم بنوه من بعده ، فاختلفوا مكة رباعاً — بعد الذي كان قطع لقومه بها — فكانوا يقطعونها في قومهم ، وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قصي عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار ، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرَوْن أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار . يرَوْن أن لا يُنزع منهم ما كان قصي جعل إليهم .

فكان صاحب أمر بني عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسنَّ بني عبد مناف ، وكان صاحب أمر بني عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زهرة ابن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بني عبد مناف .

• • • • •

وكان بنو غزوم بن بَقْظَة بن مُرَّة ، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ، وبنو جَحْجَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لُؤَيٍّ ومحارب بن قَهْرٍ ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فعمد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسلم بعضهم بعضاً ما بَلَ بَحْرُ صَوْفَة .

فأخرج بنو عبد مناف جَفْنَة مملوءة طيباً ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عَبد مناف ، أخرجتها لهم ، فوضعوها لأخلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غَمَس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا وحلفوا ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم ، فسموا المطَّيِّبين .

وتعاقد بنو عبد الدار ، وتعاهدوا وحلفوا عند الكعبة حلفاً مؤكداً ، على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسلم بعضهم بعضاً ، فسموا الأَحْلَاف .

ثم سُوِّدَ بين القبائل ، وُلِّزَ بعضها ببعض ، فَعَبَّيَّت بنو عبد مناف لبنى سَهْمٍ ، وَعَبَّيَّت بنو أسد لبنى عبد الدار وَعَبَّيَّت زُهْرَة لبني جَحْجَح ، وَعَبَّيَّت بنو تيم لبنى تَخْزُوم ، وَعَبَّيَّت بنو الحارث بن قَهْرٍ لبنى عدى بن كعب . ثم قالوا : لِنُتَقِنَ كل قبيلة من أسند إليها .

فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح ، على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى

. . . . .



عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، ونحاجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالقوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما كان مِن حَافٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَرِدْهُ إِلَّا شِدَّةٌ » .

### حلف الفضول

قال ابن هشام : وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، لشرفه وسنّه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد المطلب ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يحدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلّمته ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ، ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أذعى به في الإسلام لأجبت » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه : أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي

• • • • •

طالب رضى الله عنهما ، وبين الوليد بن عُثْبَةَ بن أبى سُفْيَان . والوليد يومئذ أمير على المدينة ، أمره عليها عمه مُعَاوِيَةُ بن أبى سُفْيَان - منازعة في مال كان بينهما بذي المَرْوَةِ ، فكان الوليد تحامل على الحسين - في حقه لسايطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنى من حقى ، أو لآخذنَّ سيفى ، ثم لأقومنَّ فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم لأدْعُونَّ بحلف الفضول قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضى الله عنه - ما قال : وأنا أحلف بالله كَلْبُ دعا به لآخذنَّ سيفى ، ثم لأقومنَّ معه ، حتى يُنصف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المِسْوَر بن تَحْرَمَةَ بن نوفل الزهرى ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التميمى ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عُتْبَةَ أنصف الحسين من حقه حتى رضى . قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال : قدم محمد بن جُبَيْر بن مُطْعَم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف - وكان محمد ابن جُبَيْر أعلم قريش - فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال : صدقت .

قال ابن إسحاق : فولى الرَّفَادَةَ والسَّيَّابَةَ هاشمُ بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سَفَّارًا قلماً يقيم بمكة ، وكان مُقْبِلًا ذَا وَلَدٍ ، وكان هاشم

. . . . .

مُوسِرًا فُكَّان - فَمَا يَزْعُمُونَ - إِذَا حَضَرَ الْحُجُّ ، قَامَ فِي قَرِيْشٍ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ قَرِيْشٍ ، إِنْ سَكَمَ جَبْرَانُ اللَّهِ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَإِنَّهُ يَأْتِيَكُمْ فِي هَذَا الْمَوْسَمِ زُورًا لِلَّهِ وَحُجَّاجٌ بَيْتِهِ ، وَهُمْ ضَيْفُ اللَّهِ ، وَأَحَقُّ الضَّيْفِ بِالْكَرَامَةِ : ضَيْفُهُ ، فَاجْتَمِعُوا لَهُمْ مَا تَصْنَعُونَ لَهُمْ بِهِ طَعَامًا أَيَّامَهُمْ هَذِهِ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْإِقَامَةِ بِهَا ؛ فَإِنَّهُ - وَاللَّهِ - لَوْ كَانَ مَالِي يَسَعُ لَذَلِكَ مَا كَلَّفْتُكُمْوهُ » . فَيَخْرُجُونَ لِذَلِكَ خَزَجًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، كُلِّ امْرَأَةٍ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ ، فَيُصْنَعُ بِهِ لِلْحُجَّاجِ طَعَامٌ ، حَتَّى يَصْدُرُوا مِنْهَا .

وَكَانَ هَاشِمٌ - فَمَا يَزْعُمُونَ - أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرِّحْلَتَيْنِ لِقَرِيْشٍ : رِحْلَتِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، وَأَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الثَّرِيدَ لِلْحُجَّاجِ بِمَكَّةَ ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْمُهُ : عَمْرًا ، فَاسْمَتِي هَاشِمًا إِلَّا بِهَشْمِهِ الْخَبِزَ بِمَكَّةَ لِقَوْمِهِ ، فَقَالَ شَاعِرٌ مِنْ قَرِيْشٍ أَوْ مِنْ بَعْضِ الْعَرَبِ :  
عَمَرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمَ بِمَكَّةَ مُسْنَتَيْنِ عِجَافٍ  
سُنَّتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا سَفَرُ الشِّتَاءِ ، وَرِحْلَةُ الْإِيْلَافِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ

قَوْمَ بِمَكَّةَ مُسْنَتَيْنِ عِجَافٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ هَلَكَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بَغْزَةً مِنْ أَرْضِ الشَّامِ تَاجِرًا ، فَوَلَّى السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ مِنْ بَعْدِهِ الْمُطَّلَبُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَكَانَ أَصْفَرَ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ ، وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ وَفَضْلٍ ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ إِتْمَا تَسْمِيَّتِهِ : الْفَيْضَ لِسِمَاحَتِهِ وَفَضْلِهِ .

وَكَانَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ قَدِيمَ الْمَدِينَةِ ، فَتَزَوَّجَ سَكْمَى بِنْتَ عَمْرٍو أَحَدِ بَنِي عَدَى بْنِ النَّجَّارِ ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أُحَيَّةَ بْنِ الْجَلَّاحِ بْنِ الْحَرِيشِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : الْحَرِيشُ بْنُ جَحْجَجٍ بْنِ كُثْلَفَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَمْرٍو

ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ، فولدت له عمرو بن أُحَيَّة ، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلاً فارقتة .

فولدت لهاشم عبد المطلب ، فسَمَّته : شَيْبَةً ، فتركه هاشم عندها حتى كان وَصِيْفًا ، أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ لِيَقْبِضَهُ ، فِيلْحَقَهُ ببلده وقومه فقالت له سلمى : لستُ بِمُرْسَلَةٍ مَعَكَ ، فقال لها المطلب : إني غيرُ منصرف حتى أخرجَ به معي ، إن ابن أخى قد بلغ ، وهو غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ، نلّي كثيرًا من أمرهم ، وقومُه وبلده وعشيرته خيرٌ له من الإقامة في غيرهم ، أو كما قال . وقال شَيْبَةُ لعمه المطلب - فيما يزعمون - لستُ بمفارقها إلا أن تأذن لي ، فأذِنَتْ له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مُرْدِفَهُ معه على بعيره ، فقالت قُرَيْش : عبدُ المطلب ابتاعه ، فبها سمى : شَيْبَةُ عبدُ المَطَّلَب . فقال المَطَّلَب : وَيَحْكُم ! إنما هو ابن أخى هاشم ، قدمتُ به من المدينة .

ثم هلك المَطَّلَب بِرَدْمَان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يَبْنِكِيه :  
قد ظمئ الحَجِيمُجُ بعد المَطَّلَبُ      بعد الجفان والشراب المُنْمَغِبُ  
ليت قريشا بعده على نَصَبِ

وقال مطرود بن كَعْب الخُزَاعِي ، يَبْكِي المَطَّلَبَ وبنى عبد مناف جميعا حين أتاه نَعْيُ نَوْفَل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هُلُوكًا :

يا لَيْلَةَ هَيَّجَتْ لَيْلَاتِي      إِحْدَى لَيْلَى الْقَسِيَّاتِ

. . . . .

وَمَا أَقَامِي مِنْ هُمُومٍ ، وَمَا عَاجَتُ مِنْ رُزْءِ الْمُنْيَاتِ  
 إِذَا تَذَكَّرْتُ أَخِي نَوْفَلًا ذَكَرَنِي بِالْأَوَّلِيَّاتِ  
 ذَكَرَنِي بِالْأَزْرِ الْحَرِّ وَالْأَزْدِيَّةِ الصُّفْرِ الْقَشِيَّاتِ  
 أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ سَيِّدُ أَبْنَاءِ سَادَاتِ لِسَادَاتِ  
 مَيِّتٍ بَرْدَمَانٍ وَمَيِّتٍ بَسْلَمَانَ وَمَيِّتٍ بَيْنَ غَزَاتِ  
 وَمَيِّتٍ أَسْكَنْ لَمَدًا لَدَى الْمَخْجُوبِ شَرْقَى الْبَنِيَّاتِ  
 أَخْلَصَهُمْ : عَبْدُ مَنَافٍ فَهُمْ مِنْ لَوْمٍ مَنْ لَامَ بِمَنْجَاةِ  
 إِنَّ الْمَغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءِ وَأَمْوَاتِ

### عن ملف الطيبين :

فصل : وذكر تنازعَ بنى عبد مناف ، وبنى عبد الدار فيما كان قُصِيَّ جَعَلَ  
 إليهم ، وذكر في ذلك حلفَ المطيّبين ، وسامهم ، وذكر أن امرأة من نساء  
 عبد مناف هي التي أخرجت لهم جَفَنَهُ مِنْ طَيْبٍ ، فَعَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِيهَا ،  
 ولم يُسَمِّ المرأةَ ، وقد سماها الزبيرُ في موضعين من كتابه ، فقال : هي أُمُّ حَكِيمِ  
 الْبَيْضَاءِ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَوَأَمَةُ أَبِيهِ .  
 قال : وكانَ الْمَطْيِيُّونَ يُسَمُّونَ : الدَّاقَةَ جَمْعَ دَائِفٍ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ  
 دَافُوا الطَّيِّبَ (١) .

(١) ذكر اسم أم حكيم أيضاً أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى  
 في كتابه نسب قريش ص ٣٨٣ ، وذكر أنها قالت بعد وضعها الجنة في الحجر :  
 « من كان منا فليدخل يده في هذا الطيب » ، ويذكر أن بنى سهم بن عمرو نَحَرَتْ جُزُورًا ،  
 وقالوا : « من كان منا فليدخل يده في هذه الجزور » ، فأدخل من أدخل فسميت =

### السناد والرفقاء :

وذكر أن القبائل سُوند بعضها إلى بعض ، لتكفي كل قبيلة ما سُوند إليها ، فسُوند من السناد ، وهى مقابلة فى الحرب بين كل فريق ، وما يليه من عدوّه ، ومنه أخذ سناد الشعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حرفِ الروىِّ حرفُ مدّولين ، ويكون فى آخر البيت الثانى قبل حرفِ الروىِّ حرفُ لين ، وهى ياء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم .

أَلَا هُبِّ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا

ثم قابله فى بيت آخر بقوله : - تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا (١) - فكان الياء المفتوح ما قبلها قد سُوندت بها إلى الياء المكسور ما قبلها ، فتقابلتا ، وهما غير متفتحتين فى المد ، كما يتقابل القَبِيلَتان ، وهما مختلفتان متعاديتان ، وأما الإقواء

==الاحلاف ، وذكر أن الأسود بن حارثة أدخل يده فى الدم ، ثم لعقها ، فلعلقت بنوعدى كلها بأيديها ، فسموا : لعة الدم ، وانظر أيضا ص ٦٦ المحبر لابن حبيب . وص ٥٤ شرح السيرة للبخشي . وداف الشيء دوا ، وأدافه : خلطه وأكثر ذلك فى الدواء والطيب . وداف يديف : لغة فيه . ويجيئه بالواو أكثر ، ومسك مدوف ومدووف ، وداف الطيب وغيره فى الماء يدوفه فهو دائف .

(١) أول البيت : « كَأَنَّ غَضُونَهُنَّ مَتُونُ غَدَرٍ » وفى رواية : متونن بدلا من غضون ، ويروى : إذا عرينا بدلا من جرينا ، والغدر : جمع غدير . تصفقا الرياح : تضربها . يشبه غضون الدرع بمتون الغدران إذا ضربتها الرياح فى جريها ، والطرائق التى ترى فى الدروع بالنى تراها فى الماء إذا ضربته الريح « عن الزوزنى » فى شرح المعلمات .

فهو أن يَنْقُصَ قُوَّةً من المِصْرَاعِ الأول ، كما تَنْقُصُ قُوَّةً من قُوَى الحَبْلِ (١) ،  
وذلك أن يَنْقُصَ من آخر المِصْرَاعِ الأول حرفاً من الوَتْدِ كقوله :

أَقْبَعَدَ مَقْتِلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ  
وكقول الآخر :

لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَى مَشْرُوبًا وَالْقَرْثَ يُقْصَرُ فِي الْإِنَاءِ أُرْتُتَ (٢)

(١) في الأصل : الجبل ، والتصويب من اللسان . والقوة : الخصلة الواحدة من قُوَى الحبل . وحبل مقوى : هو أن تزخى قوة ، وتغير قوة ، فلا يلبث الحبل أن ينقطع .

وقد عرف أبو عمر بن العلاء الإقواء بأنه اختلاف حركات الروى ، فبعضه مرفوع ، وبعضه منصوب أو مجرور . أما ما قاله السهيلي ، فهو قول أبي عبيدة . واستشهد بقول الربيع بن زياد : « أقبعد مقتل مالك الخ » . وعرفه أبو عمرو الشيباني بأنه اختلاف إعراب القوافي ، وابن سيدة : المخالفة بين القوافي . والاختفش : رفع بيت وجر آخر . قال : وقد سمعت هذا من العرب كثيراً ، لأحصى ، وقللت قصيدة ينشدونها إلا وفيها إقواء ، ثم لا يستنكرونه ، لأنه لا يكسر الشعر . وفي اللسان أمثلة كثيرة في مادة قوا ، ثم ذكر ابن جني أن الإقواء وإن كان عيباً لاختلاف الصوت به فإنه قد كثر .

(٢) البيت للحجل بن نضلة . وهو في اللسان .

ولما رأت ماء السلى مشروباً

والسلى : الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه ، وقيل : هو في الماشية : السلى ، وفي الناس : المشيمة . وفي المثل : وقع القوم في سلى جمل . أي في أمر لا يخرج منه ؛ لأن الجمل لا سلى له . وإنما يكون للناقة .

وكان الأَصْمَعِيُّ يُسَمِّي هذا الإقواء : الْمُقْعَدَ ، ذكره عنه أبو عبيد ، وقال  
عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ [العاملي] في السَّنَاد :  
وقصيدة قد رُبَّتْ أَجْمَعُ بَيْتَهَا      حتى أَتَقَفَّ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا (١)

### حلف الفضول

وذكر ابن هشام الحلف الذي عقدته قريشُ بينها على نُصْرَةِ كُلِّ مَظْلُومٍ بِمَكَّةَ  
قال : وَيُسَمَّى حِلْفُ الْفُضُولِ ، ولم يذكر سببَ هذه التسمية ، وذكرها ابنُ  
قُتَيْبَةَ ، فقال : كان قد سبق قُريشاً إلى مثل هذا الحلف جُرْهُمُ في الزمن الأول ،  
فتحالف منهم ثلاثة هُمُ ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضلُ بنُ فِصَالَةَ ، والثاني :  
الفضلُ بنُ وَدَاعَةَ ، والثالث : فَضَيْلُ بنِ الْحَرْثِ . هذا قول التَّمَبِّي . وقال الزبير :  
الْفُضَيْلُ بنُ شُرَاعَةَ ، والفضلُ بنُ وَدَاعَةَ ، وَالْفَضْلُ بنُ قُضَاعَةَ ، فلما أشبه حلفُ

(١) وكذلك ساء الخليل . ونقل عنه أيضاً : [إذا كان بيت من الشعر فيه  
زحاف قيل له : مقعد ، بضم الميم وسكون القاف وفتح العين ، .

روى ابن جني في الخصائص تحت باب : « هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة  
ما جاز للعرب أولاً ؟ » ، وأنه سأل أبا علي عن هذا ، فقال : كما جاز لنا أن نقيس  
منثورنا على منشورهم ، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم ، ثم ذكر  
أن جميع الشعر القديم لم يكن مرتجلاً ، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه  
والملاطفة فيه والتلوم على رياضته ، وإحكام صنعه نحو ما يعرض لكثير من  
المولدين . . ثم روى شواهد له على هذا . وفيها هذا البيت . وفي الخصائص :  
أقوم بدلا من أتقف ، وبعده :

نظر المُشَقِّف في كموب قناته      حتى يقيم ثقافه منادها

انظر ص ٣٢٣ وما بعدها . الخصائص ط ، ٢ زدت العاملي من الخصائص .



قريش الآخر فعل هؤلاء الجزهيميين سُمي : حلف الفضول ، والفضول : جمع فاضل ، وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن<sup>(١)</sup> ، ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الحميدي عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيتُ به في الإسلام لأجبت . تحالفوا أن تُردَّ الفضول<sup>(٢)</sup> على أهلها ، وألا يُعزَّ ظالمٌ مظلوماً . ورواه في مُسنَدِ الحرث بن عبد الله بن أبي أسامة التميمي ، قد بين هذا الحديث : لم سُمي حلف الفضول ، وكان حلف الفضول بعد الفجار ، وذلك أن حرب الفجار<sup>(٣)</sup> كانت في شعبان ، وكان حلف الفضول

(١) أخذ بهذا الرأي ابن الأثير في النهاية ، لكنه ذكر هو وابن كثير في البداية : الفضل بن الحارث لافضل ، والفضل بن شراعة لافضل .  
(٢) أي تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلاً يظلمه أحد إلا أخذوه له منه . وفي حديث رواه مسلم وأحمد : لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية ، فإنه لا يزيد الإسلام إلا شدة ، والمعنى — كما قال ابن كثير — أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه .

(٣) أيام الفجار كانت بين قيس وقريش وقيل : أيام الفجار : أيام وقائع كانت بين العرب تفاجروا فيها بعكاظ ، فاستحلوا الحرمات . وقيل : الفجار يوم من أيام العرب ، وهي أربعة أجرة كانت بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان في الجاهلية ، وكانت الدبرة على قيس ، وإنما سميت قريش هذه الحرب فجاراً ؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد لجرنا ، فصبيت لجاراً .

في ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به ، وأشرفه في العرب ، وكان أول مَنْ تسكلم به ودعا إليه : الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زُبَيْد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصي بن وائل ، وكان ذا قَدَرٍ بمكة وشرفٍ ، فحبس عنه حقّه ، فاستعدى عليه الزُبَيْدِيُّ الأَحلاف : عبد الدار ومَخْرُومًا وَجَحَّ وسَهْمًا وَعَدِيَّ بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل ، وزَبْرُوهُ ، أُمَي : انهروه ، فلما رأى الزُبَيْدِيُّ الشر ، أوفى على أبي قُبَيْس (١) عند طلوع الشمس ، وقُرِيش في أُنْدِيَتِهِمْ حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آلَ فِهْرِ المَظْلُومِ بضاعته      يبطن مَكَّةَ نائِي الدار والنَّفَرِ  
ومُحَرِّمِ أَشْعَثِ لم يَقْضِ عُمَرَتَهُ (٢)      يَا لِلرَّجَالِ وَبَيْنَ الحِجْرِ والحِجَرِ (٣)  
إن الحرامَ لمن تَمَّتْ كرامَتُهُ      ولا حَرَامَ لثوبِ الفاجرِ العُدَرِ (٤)

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مَتَرَك ، فاجتمعت هاشمٌ وزُهْرَةُ وَتَيْمٌ بن مرة في دار ابن جُدعان ، فصنع لهم طَعَامًا ، وتحالفوا في ذى القعدة في شهرٍ حرامٍ قِيَامًا ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله : لِيَكُونَنَّ يدا واحدة

(١) جبل بمكة سمي برجلا من مذحج .

(٢) في تَجْرِيدِ الأَغَانِي : « حرمة » .

(٣) في التَجْرِيدِ : « بين الركن والحجر » .

(٤) في التَجْرِيدِ بعد البيت السابق ورد هذا البيت :

أَقَامَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِدَمَتِهِمْ      أَمْ ذَاهَبَ فِي ضَلَالٍ مَالٍ مَعْتَمِرٍ

مع المظلوم على الظالم ، حتى يُؤدَّى إليه حقُّه ما بَلَ بَحْرٌ صُوفَةٌ ، ومارسا حِراه  
وَتَبِيرٌ مَكَانَهُمَا ، وعلى التَّائِسَى في العاش ، فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الحَلْفَ : حَلْفَ  
الْفُضُول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فَضْلٍ من الأُمَر ، ثم مَشَوْا إلى العاصي  
ابن وائل ، فانتزعوا منه سِلْعَةَ الزُّبَيْدِي ، فدفعوها إليه ، وقال الزبير  
رضي الله عنه :

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنَّ حِلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارٍ  
نُسَمِّيهِ : الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعْزُبُهُ الْغَرِيبُ لَدَى الْجَوَارِ  
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالَى الْبَيْتِ أَنَا أُبَاهُ الضَّيْمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارٍ

وقال الزبير بن عبد المطلب :

إِنَّ الْفُضُولَ تَحَاقَفُوا ، وَتَعَاقَدُوا أَلَّا يَقِيمَ بَيْطُنَ مَكَّةَ ظَالِمٌ  
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاهَدُوا ، وَتَوَاقَفُوا فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرِفُهُمْ سَالِمٌ

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلا من خَتَمِ قَدِيمِ مَكَّةَ  
مُعْتَمِرًا ، أو حَاجًّا ، ومعه بنتٌ له يقال لها : الْقَتُول من أَوْضَاءِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ،  
فَاغْتَصَبَهَا مِنْهُ نُبَيْهَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ (١) وَغَيَّبَهَا عَنْهُ ، فَقَالَ الْخُثَمِيُّ : مَنْ يُعْدِنِي عَلَى

(١) هو نُبَيْهَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ عَامِرِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو  
ابْنِ هَاشِمٍ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ . كَانَ هُوَ وَأَخُوهُ مِنْهُ مِنْ وَجْهِ قُرَيْشٍ  
وَذَوِي النَّبَاهَةِ فِيهِمْ ، وَكَانَا مِنْ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، الْعِدَاةُ ، وَقَتْلًا مَعَ يَوْمِ  
بَدْرٍ مُشْرِكِينَ . انظر التجرید ص ١٨١٠ ولسب قريش ص ٤٠٤ . وقصته مع  
القتول في الأغانی .

هذا الرجل ، فقيل له : عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ، ونادى :  
يا لحلف الفضول ، فإذا هم يُعِنُّون إليهِ من كل جانب ، وقد انتصوا أسياقهم  
يقولون : جاءك الفوث ، فمالك ؟ فقال : إن نُبِّهًا ظلمني في ابنتي ، وانتزعها  
مِنِّي قَـسَراً ، فساروا معه ، حتى وقفوا على باب الدار ، فخرج إليهم ، فقالوا له :  
أخرج الجارية وَنَحْكَ ، فقد علمت مَنْ نحن ، وما تعاقدنا عليه !! فقال : أفعل ،  
ولكن مَتَّعُونِي بِهَا اللَّيْلَةَ ، فقالوا له : لا : والله ، ولا شُخْبَ لِقَحَّةٍ (١) ،  
فأخرجها إليهم ، وهو يقول :

راح صَحْبِي ولم أَحَيِّ الْقَتُولَا لم أودَّعُهُمْ ودَاعَا جَمِيلَا  
إِذْ أَجَدَّ الْفُضُولُ أَن يَمْتَعُوها قد أَرَانِي ، ولا أَخَافُ الْفُضُولَا  
لا تَخَالِي أَنِّي عَشِيَّةَ رَاحِ الزَّكْبُ هُنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا أَقُولَا

في أبياتٍ غير هذه ذكرها الزبير ، وذكر من قوله فيها أيضا :

حَلَّتْ تِهَامَةً حِلَّةً مِنْ بَنِيهَا وَوِطَائِهَا  
وَلَهَا بِمَكَّةَ مَنْزِلٌ مِنْ سَهْلِهَا وَحَرَائِهَا  
أَخَذَتْ بِشَاشَةِ قَلْبِهِ وَنَأَتْ فَكَيْفَ بَنَائِهَا (٢)

(١) في الأصل : ولا شجت . وهو خطأ ، وأصل الشخب : ما خرج من  
الضرع من اللبن ويضم وبالفتح : الدم . واللحقة بكسر اللام وفتحها : الناقة القريبة  
العهد بالنتاج ، أو الغزيرة اللبن .

(٢) من القصيدة في التجريد ص ١٨١٠ .

حي الدويرة إذ نأت منسا على عهد وائها

### الحلف وابن جردعاه :

فصل : و ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جردعان حلفاً ما أحبُّ أن لي به حُمْرَ النَّعَمِ ، ولو دُعيت إليه في الإسلام لأجبتُ »<sup>(١)</sup> وعبدُ الله بن جردعان هذا تيمىُّ هو : ابن جردعان ابن عمر بن كعب بن سعد بن تميم ، يكنى : أبا زهير ابن عم عائشة - رضی الله عنها - ولذلك قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن ابن جردعان كان يُطعمُ الطعامَ ، وَيَقْرِي الضيفَ ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل

= لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائنا ومنها :

أخذت حشاشة قلبه ونأت فكيف بناتها  
لولا الفضول وأنه لا أمن من عدواتها  
لدنوت من أياتها ولطفت حول خبائها  
ولجئتها أمشى بلا هاد إلى ظلماتها  
فشربت فضلة ريقها ولبت في أحشائها

وفي نسب قريش : روعاتها بدلا من : عدواتها ، ولبتت في البيت الأخير بدلا من : بت ، وفي الروض : بشاشة ، وهنا حشاشة . وفيه : ونأت وكيف بناتها ، وهنا : فكيف بناتها . وقد تكرر في الروض جذعان بالذال بدلا من الدال . ونسبه كما في كتاب نسب قريش . وتيم هو ابن مرة . انظر نسب قريش ص ٢٩١ .

(١) حديث حضور النبي مع عمومته حرب الفجار ، وأنه رمى فيه حديث يروى في كتب السير والطبقات ، كطبقات ابن سعد وهو فيها في ج ١ ص ١٢٨ ، وشهوده حلف الفضول أيضا من هذا النوع ، وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٩٢ ، ولا يعتمد بمثل هذه الروايات التي ليست من الصحيح ، لإقامة حكم ديني عليها .

يوماً : ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم . ومن غريب الحديث لابن قتيبة أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كنتُ أُسْتَظِلُّ بِظِلِّ جَفَنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَى ، يعني : في الهاجرة ، وتُسمّى الهاجرة : صَكَّةَ عُمَى لخبر ذكره أبو حنيفة في الأنواء : أن عُمَيًّا رجلاً من عدوان ، وقيل : من إباد ، وكان فقيہ العرب في الجاهلية ، فقدم في قومٍ مُعْتَمِرًا أو حاجًّا : فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه ، وهم في نحر الظهيرة : من أتى مكة غداً في مثل هذا الوقت ، كان له أجرُ عُمَرَيْنِ ، فصكّوا الإبلَ صَكَّةً شديدةً حتى أتوا مكة من الغد في مثل ذلك الوقت ، وأنشد :

وَصَكَ بِهَا نَحْرَ الظَّهِيرَةِ صَكَّةَ عُمَى وَمَا يَبْغِينَ إِلَّا ظِلَالَهَا (١)

في أبياتٍ ، وعُمَى : تصغيرُ أعمى على الترخيم ، فَسُمِّيَتِ الظَّهِيرَةُ صَكَّةَ عُمَى به . وقال البكري في شرح الأمثال : عُمَى : رجل من العالقي أوقع بالعدو في مثل ذلك الوقت ، فسمى ذلك الوقت : صَكَّةَ عُمَى ، والذي قاله أبو حنيفة

(١) كل ما ذكره السهيلي هو في اللسان : والبيت فيه هكذا .

وصك بها عين الظهيرة غائراً عُمَى ولم ينعلن إلا ظلالها

وقد ضبطت ياء ينعلن بالفتح في مادة صك ، وبالضم في مادة عُمَى ، وعُمَى يقال بضم العين وإسكان الميم وتخفيف الياء في الشعر ، والجفنة : القصعة ، في اللسان أن الظبي إذا اشتد عليه الحر طلب الكناس ، وقد برقت عينه من بياض الشمس ولمعانها ، فيسدر بصره ، حتى يصك بنفسه الكناس لا يبصره ، ويقال : صكة أعمى أيضاً . ولقيته صكة عُمَى ، أو أعمى ، أى في أشد الهاجرة حراً . وابن منظور ينقل عن السهيلي كثيراً في اللسان .

أولى ، وقائله أعلى . وقال يعقوب : عَمِيَ الظبي : يتحيرُ بصره في الظهيرة من شدة الحر . قال ابن قُتَيْبَةَ : وكانت جَفَنَتَهُ يأكل منها الراكبُ على البعير ، وسقط فيها صبي ، ففرق أي : مات . وكان أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ قبل أن يمدحه قد أتى بني الديَّان من بني الحرث بن كعب ، فرأى طَعَامَ بني عبد المَدَّانِ منهم لُبَّابَ الْبَرِّ والشَّهْدَ والسَّمْنَ ، وكان ابنُ جُدْعَانَ يُطْعِمُ التَّمَرَ والسَّوْبِقَ وَيَسْقِي اللَّبَنَ ، فقال أُمِيَّة :

ولقد رأيتُ الفاعِلينَ وفعلَهُمُ      فرأيتُ أكرمهم بني الديَّانِ  
الْبُرُّ يُبَلِّبُكَ بالشَّهَادِ طَعَامُهُمُ      لا ما يُعَلِّلُنَا بُنُو جُدْعَانَ (١)

(١) السويق : طعام يتخذ من مدقوق البر والشعير سمي بهذا لانسياقه في الحلق ولباب البر : الخالص من الدقيق ، ومعنى يلبك : يخلط ، والشهاد جمع شهد ، وهو العسل ، وطعام الفرس هو : الفالوذج . وهو كما عرف في اللسان : لباب القمح بلعاب النحل . يعني : أنه مصنوع من الدقيق الخالص وعسل النحل ، وفي ذيل الأماي للقالى ، ورد بعد البيت الأول قوله :

ورأيت من عبد المدان خلأثقا      فضل الانام بين عبد مدان  
وكذلك في سمط اللالى للبكرى ، وشطرة البيت الأول في ذيل الأماي :  
« ولقد رأيت القائلين وفعلهم ، وفي السمط : « الباذلين » . ويقص أمية أنه دخل على عبد المدان بن الديان في نجران فأثنى بالفالوذج ، ثم يقول : فأكلت طعاما عجيبا ، ثم انصرفت ، وأنا أقول ، وذكر الآيات « انظر ص ٣٦٢ سمط اللالى للبكرى و ص ٣٨ من الأماي والنوادر لآني على القالى . وأمие ابن أبي الصلت اسمه : عبد الله بن أبي ربيعة ، ويكنى : أبا عثمان ، وهو شاعر جاهلي أدرك الإسلام ومات كافرا . هذا ويذكر أبو الفرج في مشير الغرام ، أن ابن جُدْعَانَ وفد على كسرى ، فأكل عنده الفالوذج ، فسأل عنه ، فقالوا : لباب البر مع العسل ، فقال : =

فبلغ شِعْرُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُدْعَانَ ، فَأَرْسَلَ أَلْفَنَى بِعِيرٍ إِلَى الشَّامِ ، تَحْمِلُ إِلَيْهِ  
الْبُرَّ وَالشَّهْدَ وَالسَّمْنَ ، وَجَعَلَ مُنَادِيًا يُنَادِي عَلَى الْكَعْبَةِ : أَلَا هَلْ بُثُوا إِلَى جَفْنَةِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ ، فَقَالَ أُمِيَّةٌ عِنْدَ ذَلِكَ :

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَلٌ وَآخَرُ فَوْقَ كَعْبَتِهَا يُنَادِي  
إِلَى رُدْحٍ مِنَ الشَّيْزَى عَلَيْهَا لُبَابُ الْبُرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ (١)

وَكَانَ ابْنُ جُدْعَانَ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ صُغُلُوكًا تَرَبَّ يَدَيْهِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ  
شَرِيرًا فَاتَسَكَا ، لَا يَزَالُ يَتَجَنَّى الْجَنَائِيَّاتِ ، فَيَعْقِلُ عَنْهُ أَبُوهُ وَقَوْمُهُ ، حَتَّى أَبْغَضَتْهُ  
عَشِيرَتُهُ ، وَنَفَاهُ أَبُوهُ وَحَلَفَ : أَلَا يُؤْوِيهِ أَبَدًا لِمَا أَتَقَلَّهَ بِهِ مِنَ الْغُرْمِ ، وَحَمَلَهُ مِنْ

== ابْنُ عَرَبٍ فِي غَلَامَا يَصْنَعُهُ ، فَأَتَوْهُ بِغَلَامٍ فَابْتَاغَهُ ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ ، وَأَمْرُهُ فَصْنَعُهُ لِلْحِجَااجِ  
وَوَضَعَ الْمَوَائِدَ مِنَ الْأَبْطَحِ إِلَى الْمَسْجِدِ ص ٥٠ ، الْقُرَى لِلْحَبِّ الطَّبْرِى . وَفِي ذَيْلِ  
الْأَمَالِي الْقَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى الْيَمَنِ مِنْ جَاهِهِ بَيْنَ يَعْمَلُ الْفَالُودِجِ ص ٣٨ .

(١) اشْمَلُ الْقَوْمِ فِي الْطَلْبِ : بَادَرُوا فِيهِ ، وَتَفَرَّقُوا ، وَالْمُشْمَلُ : النَّاقَةُ  
الْفَشِيطَةُ ، وَالرَّجُلُ الْخَفِيفُ الطَّرِيفُ ، أَوْ الطَّوِيلُ . وَالْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ فِي دِيْوَانِهِ  
ص ١٩ وَقَبْلَهُ :

وَأَبْيَضَ مِنْ بَنَى تَيْمَ بْنَ كَعْبٍ وَهُمْ كَالْمُشْرِفِيَّاتِ الْفَرَادِ  
وَمِنْهَا جِزْءٌ فِي نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ٢٩٢ ، وَفِي ص ١٤٢ مِنَ الْإِشْتِقَاقِ لِابْنِ دُرَيْدٍ :  
وَكَانَ ابْنُ جُدْعَانَ يَشْرِبُ الْخَمْرَ وَيَقُولُ :

شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى قَالَ قَوْمِي أَلَسْتُ عَنْ السَّقَاةِ بِمُسْتَفِيقٍ  
وَحَتَّى مَا أَوْسَدَ فِي كَمْبَيْتٍ أَبَيْتَ بِهِ سَوَى التَّرْبِ السَّحِيقِ

ثُمَّ حَرَمَهَا عَلَى نَفْسِهِ . وَالرَّدْحُ : جَمْعُ رَدَاحٍ بِفَتْحٍ : الْجَفْنَةُ الْعَظِيمَةُ : وَالشَّيْزَى  
أَوْ الشَّيْزُ : خَشَبٌ أَسْوَدُ تَصْنَعُ مِنْهُ الْجَفَنَانِ ، أَوْ هُوَ الْأَبْنُوسُ ، أَوْ خَشَبُ الْجُوزِ .



الدِّيَّات ، فخرج في شِعَابِ مَكَّةَ حَاتِرًا بَاثِرًا ، يَتَمَنَّى الْمَوْتَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، فَرَأَى شَقْمًا  
 فِي جَبَلٍ ، فَظَنَّ فِيهِ حَيَّةً ، فَتَعَرَّضَ لِلشَّقِّ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَا يَقْتُلُهُ فَيَسْتَرْجِحُ ،  
 فَلَمْ يَرَ شَيْئًا ، فَدَخَلَ فِيهِ ، فَإِذَا فِيهِ مُعْبَانٌ عَظِيمٌ لَهُ عَيْنَانِ تَقْدَانِ كَالسَّرَاجِينِ ،  
 خَمَلَ عَلَيْهِ الثَّعْبَانُ ، فَأَفْرَجَ لَهُ ، فَانْسَابَ عَنْهُ مُسْتَدِيرًا بِدَارَةٍ عِنْدَهَا بَيْتٌ ، نَفِطًا  
 خُطْوَةً أُخْرَى ، فَصَفَّرَ بِهِ الثَّعْبَانُ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ كَالسَّهْمِ ، فَأَفْرَجَ عَنْهُ ، فَانْسَابَ  
 عَنْهُ قُدْمًا لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مَصْنُوعٌ ، فَأَمْسَكَ بِيَدِهِ ، فَإِذَا هُوَ  
 مَصْنُوعٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعَيْنَاهُ يَاقُوتَتَانِ ، فَكَسَرَهُ ، وَأَخَذَ عَيْنَيْهِ ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ ،  
 فَإِذَا جُثَّتْ عَلَى سُرُرٍ طَوَالٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهُمْ طُولًا وَعَظْمًا ، وَعِنْدَ رِءُوسِهِمْ لَوْحٌ مِنْ  
 فِضَّةٍ فِيهِ تَارِيخُهُمْ ، وَإِذَا هُمْ رِجَالٌ مِنْ مُلُوكِ جُرُومٍ ، وَآخِرُهُمْ مَوْتًا : الْحَرِثُ بْنُ  
 مُضَاضٍ صَاحِبُ الْعَرَبَةِ الطَّوِيلَةِ ، وَإِذَا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ لَا يُمَسُّ مِنْهَا شَيْءٌ ،  
 إِلَّا انْتَثَرُ كَالْهَبَاءِ مِنْ طَوْلِ الزَّمَنِ ، وَشِعْرٌ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ فِيهِ عِظَاتٌ ، آخِرُ  
 بَيْتٍ مِنْهُ :

صَاحَ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَّاجَ رَدٍّ فِي الضَّرْعِ مَاقَرَى فِي الْجِلَابِ

وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَانَ اللَّوْحُ مِنْ رُخَامٍ ، وَكَانَ فِيهِ : أَنَا نُفَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ  
 ابْنِ خَشْرَمَ بْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ جُرُومِ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ هُودِ نَبِيِّ اللَّهِ ، عَشْتُ خَمْسِمِائَةَ  
 عَامٍ ، وَقَطَعْتُ غَوْرَ الْأَرْضِ بَاطِنُهَا وَظَاهِرُهَا فِي طَلَبِ الثَّرْوَةِ وَالْجَدِّ وَالْمَلِكِ ،  
 فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يَنْجِيْنِي مِنَ الْمَوْتِ ، وَتَحْتَهُ مَكْتُوبٌ :

قَدْ قَطَعْتُ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ الثَّرْوَةِ وَالْجَدِّ قَالَصُ الْأَنْوَابِ  
 وَسَرَيْتُ الْبِلَادَ قَفْرًا لِقَفْرِ بَقْنَاتِي وَقُوَّتِي وَاكْنَسَابِي

فأصاب الرّدى بنات فؤادى      بسهام من المنيا صياب  
فانقضت شرّتى ، وأقصر جهلى      واستراحت عواذلى من عتابى  
ودفعت السفاه بالحلم لما      نزل الشيب فى محلّ الشباب  
صاح هل ريت أو سمعت براع      ردّ فى الضرع ماقرى فى الحلاب<sup>(١)</sup>

وإذا فى وسط البيت كرمٌ عظيمٌ من الياقوتِ واللؤلؤ والذهب والفضة  
والزبرجدِ ، فأخذ منه مأخذ ، ثم علّم على الشقّ بعلامةٍ ، وأغلق بابَه بالحجارة  
وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ، ووصل عشيرته  
كلّهم ، فسأدهم وجعل يُنفق من ذلك الكنز ويُطعم الناسَ ، ويقفل المعروف .  
ذكر حديث كنز ابن جُدعان موصولاً بحديث الحرث بن مُضاض : ابنُ هشام  
فى غير هذا الكتاب ، ووقع أيضاً فى كتاب رِئى العاطش ، وأنس الواحش  
لأحمد بن عمار<sup>(٢)</sup> .

وابن جُدعان ممن حرّم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مُغرّى بها ، وذلك

- (١) القائل من الشياب : المشعر القصير . وبنات الفؤاد : طوائفه ، وهى  
فى الأصل : نبات ، والمنيا : جمع منية : الموت . وصياب : جمع صائب ، كصاحب  
وصحاب . شرّة الشباب : حرصه ونشاطه . والسفاه بفتح السين : خفة الحلم  
ونقيضه ، أو الجهل ، وبكسر السين : جمع سفيه ، والحلاب : الإماء يحلب فيه .  
وقرا : جمع ، وفى اللسان : ويروى العلاب مكان الحلاب . وریت : يعنى : رأيت ،  
وهى فى الروض : رأيت ، والتصويب من اللسان ، ثم لأنها تحل بنظام الوزن .  
(٢) لا ريب فى أنها أسطورة لا يحنو عليها قلب ولا عقل . يجوز أن يقال  
لأنه عثر على كنز دفين . ولكن فى غير ما صورت الأسطورة .

أنه سكر ، فتناول القمر ليأخذه ، فأخبر بذلك حين صحا ، فحلف : لا يشر بها أبدا ، ولما كبر وهزم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبديد ماله ، ولاموه في العطاء ، فكان يدعو الرجل ، فإذا دنا منه ، لطمه لطمَةً خفيفة ، ثم يقول له : قم فانشُد لطمتك ، واطلب ديتها ، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جُدعان حتى يرضى ، وهو جدُّ عُبَيْدِ اللَّهِ بن أَبِي مُلَيْكَةَ الفقيه . والذي وقع في هذا الحديث من ذكر نُفَيْلَةَ ، أحسبه : نفيلة بالنون والفاء ، لأن بنى نُفَيْلَةَ كانوا ملوك الحيرة ، وهم من غَسَّان ، لا من جُرْهُم ، والله أعلم .

### موقف الإسلام من الحلف :

فصل : وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة ، وقوله : لأخذن سيفي ، ثم لأدعون بحلف الفضول إلى آخر القصة ، وفيه من الفقه : تخصيص أهل هذا الحلف بالدعوة وإظهار التعصب ، إذا خافوا ضيما ، وإن كان الإسلام قد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم : يا فلان عند التحزب والتعصب ، وقد سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم المُرَيْسِيع (١) رجلا يقول : يا لئسها جرين ! وقال آخر : يا للأنصار ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ وقال - صلى الله عليه وسلم - من ادَّعى بدَّعوى الجاهلية ، فأعضوه بهن أبيه ولا تَكْنُوا (٢) ، ونادى رجل بالبصرة : يا عامر ! فجاءه النابغة الجعدي بمصبة له ،

(١) مصغر مرسوع : بئر وماء لحزاعة من ناحية قديد إلى الساحل ، وإليه تضاف غزوة بني المصطلق ، وتزوى بالغين ، وقد وقعت سنة ست من الهجرة .

(٢) أى قولوا له : اعضض . . . أليك ، ولا تكنوا عنه بالهسن ، وقد وضعت نقطة بعد اعضض ، وسيلح القارئ الاسم المقصود . والحديث : رواه أحمد والنسائي =

( ٦ م - الروض الأثف ج ٢ )

فضر به أبو موسى الأشعري — رضى الله عنه — خمسين جلدَةً ، وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوةً ، ولا يُقال إلا كما قال عمر رضى الله عنه : يا لله يا للمسلمين ؛ لأنهم كلهم حزبٌ واحد ، وإخوة في الدين إلا ما خصَّ الشرعُ به أهلَ حِلْفِ الْفُضُولِ ، والأصلُ في تخصيصه قوله — صلى الله عليه وسلم — ولودُعيت به اليوم لأُجبتُ<sup>(١)</sup> يريد : لو قال قاتل من المظلومين : يا حِلْفِ الْفُضُولِ لأُجبتُ ، وذلك أن الإسلام إنما جاء بإقامة الحقِّ ونُصرةِ المظلومين ، فلم يزدْ به هذا الحلفُ إلَّا قوَّةً ، وقوله عليه السلام : « وما كان من حِلْفٍ في الجاهليَّةِ ، فلن يزيده الإسلامُ إلَّا شِدَّةً » ليس معناه : أن يقول الحليف : يا فلانٍ لحلفائِهِ ، فيجيبوه ، بل الشِدَّةُ التي عنى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إنما هي راجعةٌ إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف ، وأما دَعْوَى الجاهلية ، فقد رفعها الإسلامُ إلَّا ما كان من حلفِ الْفُضُولِ كما قدمنا ، فحُكْمُهُ باقٍ ، والدعوةُ به جائزةٌ ، وقد ذهبت طائفةٌ من الفقهاء إلى أن الحليفَ يَعْقِلُ مع العاقلة إذا وَجِبَتْ

== وابن حبان عن أبي بن كعب . ورغم هذا أوفى أنه لا يجوز أن ينسب إلى أدب الرسول ذى الخلق العظيم مثل هذا الكلام الذى فيه نتن الأوشاب .

(١) سبق الرأى فى هذا الحديث ، وهو أوهم من بيت العنكبوت ، فكيف يقيم السهيلي على مثله حكماً دينياً يستهدف تقويم استغاثة شركية ، وحمة جاهلية ؟ وإن افترضنا أنه حديث صحيح ، فإننا نستطيع أن نفهم فيه معنى آخر يستقيم وهدى القرآن ، وهو أنه . لو دعى إلى تنفيذ ما دعا إليه من نصرة المظلوم لأجاب ، ولكن لا باسم حلف ، وإنما باسم الله ، لأن هذا من دينه ، والمسلمون أمة واحدة ، وحزب واحد هو : حزب الله المفلح الغالب .

الدِّيةُ لقوله - صلى الله عليه وسلم - وما كان من حِلْفٍ في الجاهلية ، فلم يَرِدْهُ الإسلام إلا شِدَّةً ، ولقوله أيضاً للذي حَبَسَهُ في المسجد : إنما حبستك بِمَجْرِيَةِ حُلْفَاكَ .

### عن أوْرود عبد مناف :

فصل : وذكر بنى عبد مناف الأربعة ، وقد كان له ولدٌ خامسٌ ، وهو أبو عمرو ، واسمه : عُبَيْدٌ ، دَرَجٌ (١) ، ولا عَقِبَ له ، ذكره البرقي والزبير ، وكذلك ذكر البرقي أن قُصَيًّا كان مَتَّى ابنه عبد قُصَيٍّ ، وقال : سميتُه بنفسى وسميت الآخرَ بدارِ الكعبة ، يعنى : عبد الدار ، ثم إن الناسَ حَوَّلُوا اسمَ عبدِ قُصَيٍّ ، فقالوا : عبد بن قُصَيٍّ ، وقال الزبير أيضا : كان اسمُ عبدِ الدار عبدَ الرحمن (٢) .

(١) مضى ولم يخلف نسلا . وفي طبقات ابن سعد : أن أولاد عبد مناف كانوا ستة نفر وست لسوة . وفي نسب قريش ص ١٥ . يقول عن أبي عمرو إنه انقرض إلا من بنت يقال لهما : تماضر ، ولدت لأبي همهمة بن عبد العزى . (٢) في القرآن الكريم قوله سبحانه : « وإذا قيل لهم : اسجدوا للرحمن . قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ، وزادهم نفورا ، الفرقان : ٦٠ ، وفي كتاب الصلح في غزوة الحديبية دعا - صلى الله عليه وسلم - بالسكائب ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : وما الرحمن ، فوالله ما أدرى ما هي ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، وهذا جزء من حديث رواه البخارى وأبو داود عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، وهذا كله يوحى بأن اسم الرحمن كان غير معروف عندهم .

وذكر هاشما وما صنع في أمر الرِّفَادَةِ (١) وإطعام الحَجِيجِ، وأنه سُمِّيَ هَاشِمًا لِهَشْمِهِ الثَّرِيدَ لقومه، والمعروفُ في اللغة أن يقال: ثَرَدْتُ الخبزَ، فهو ثَرِيدٌ وَثَرُودٌ، فلم يُسَمَّ: ثَارِدًا، وسمى هَاشِمًا، وكان القياسُ — كما لا يُسمَّى الثَرِيدُ هَاشِمًا، بل يقالُ فيه: — ثَرِيدٌ وَثَرُودٌ — أن يقال في اسمِ الفاعل أيضًا كذلك، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان. ذكر أصحاب الأخبار أن هاشما كان يستعين على إطعام الحاجِّ قُرَيْشٍ، فَيَرْدُونَهُ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيُعِينُونَهُ، ثم جاءت أزمَةٌ شديدةٌ فكَرِهَ أن يُكَلِّفَ قُرَيْشًا أَمْرَ الرِّفَادَةِ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمعَ كَعْكًا ودقيقًا، ثم أتى الموسمَ فَهَشَّمَ ذلك الكَعْكَ كُلَّهُ هَشْمًا، ودَقَّقَهُ دَقًّا، ثم صنع للحجاج طعامًا شبه الثريدَ، فبذلك سُمِّيَ هَاشِمًا، لأن الكَعْكَ اليابس لا يُثَرَّدُ، وإنما يُهَشَّمُ هَشْمًا، فبذلك مُدِحٌ، حتى قال شاعرُهُمْ فيه، وهو عبد الله بن الزُّبَيْرِ:

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَقَقَّتْ	فَامُحٌ خَالِصُهُ اِعْيَدَ مَنَافٍ
الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بَغْفِيَهُمْ	وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْأَضْيَافِ
وَالرَّائِثِينَ وَابْنَ يَوْجَدُ رَائِشٍ	وَالْقَائِلِينَ: هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
عَمَرُوا الْعُلَا هَشَّمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ	قَوْمٌ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عَجَافٍ (٢)

(١) الرِّفَادَةُ: شيءٌ كانت تترافد به قريش في الجاهلية، تخرج فيما بينها مالا تشتري به للحجاج طعاما وزيبيا.

(٢) نسبها اللسان والمرتضى في أماليه ١٧٨/٤ لمطروود بن كعب الخزاعي في رثاء عبد المطلب، ونسبها العيني ١٤٠/٤، وابن أبي الحديد ٥٣/٣ كما نسبها السهيلي إلى عبد الله بن الزُبَيْرِ، ولها في أمالي القلي قصة تزعم أن رسول الله هو =

. . . . .  
 . . . . .

==وأبا بكر كانا عند بنى شيبة، فرهبما رجل، وهو يقول :  
 يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحْمَلُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ  
 هَبْلَتْنِكَ أَمَكَ لَوْ نَزَلْتَ بِرَحْلِهِمْ مَنَعُوكَ مِنْ عَدْنٍ وَمِنْ إِقْتَارِ  
 وَتَزَعَمُ الْقِصَّةُ أَنَّ الرَّسُولَ دَخَلَ، نَظَرَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ : أَهَكَذَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
 قَالَ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَكِنَّهُ قَالَ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحْمَلُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ مَنَافٍ  
 وَهِيَ قِصَّةٌ مَصْنُوعَةٌ. وَالْأَيَّاتُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى بَعْدَ الْبَيْتِ السَّابِقِ :  
 هَبْلَتْنِكَ أُمُّكَ لَوْ نَزَلْتَ عَلَيْهِمْ ضَمْنُوكَ مِنْ جُجُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ  
 الْآخِذُونَ الْعَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا وَالرَّاحِلُونَ لِرَحْلَةِ الْإِيْلَافِ  
 وَالْمَطْعَمُونَ إِذَا الرِّيَّاحُ تَنَاحَتْ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ  
 وَفِي هَذَا الْبَيْتِ إِقْرَافٌ ، لِأَنَّ الْقَافِيَةَ مَكْسُورَةٌ ، وَلَكِنَّهَا فِيهِ مَرْفُوعَةٌ . وَقَدْ  
 وَرَدَتْ لَهُ رَوَايَةٌ أُخْرَى كَمَا فِي الرَّوْضِ ، وَبَعْدَ هَذَا فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى :

وَالْمُفَضِّلُونَ إِذَا الْمُحْمَلُ تَرَادَفَتْ وَالْقَائِلُونَ : هَلُمَّ لِلْأَصْيَافِ  
 وَالْخَالِطُونَ غَنِيهِمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي  
 وَفِي أَمَالِي الْقَالِي : مَنَعُوكَ مِنْ عَدْنٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ ، وَهُوَ فِي اللِّسَانِ كَمَا فِي  
 أَمَالِي الْمُرْتَضَى . وَفِي اللِّسَانِ أَيْضًا :

وَالْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْإِيْلَافِ  
 وَالْمَطْعَمُونَ إِذَا الرِّيَّاحُ تَنَاحَتْ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ  
 وَفِي الصَّحَاحِ رَوَيْتُ الشُّطْرَةَ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْبَيْتِ : «الْمَطْعَمُونَ اللَّحْمَ كُلَّ عَشِيَةٍ»  
 وَفِي غَيْرِهِ : « وَيَكْلَلُونَ جَفَانَهُمْ بِسَدِّ يَفْهَمُ » . ثُمَّ نَسَبَ الْمُرْتَضَى إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِيِّ :  
 عَمَرُوا الْعِلَافَ هَشْمَ الثَّرِيدِ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ  
 وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرِّحِيلَ لِقَوْمِهِ رَحَلَ الشِّتَاءِ وَرَحْلَةُ الْأَصْيَافِ  
 وَفِي الرَّوْضِ : « فَاخْصَهُ ، بِالْخَاءِ ، وَالرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ «فَاخْصَهُ» بِالْخَاءِ أَمَا »

وكان سبب مدح ابن الزبير هذه الأبيات ، وهو سمي<sup>(١)</sup> البني  
عبد مناف - فيما ذكره ابن إسحق في رواية يونس - أنه كان قد هجأ قصيا  
بشعر كتبه في أستار الكعبة ، أوله :

== خالصة فرويت : خالصة ، وخالصة بالتاء . والمع أو المحة : صفرة البيض . وقال  
ابن سيدة : إنما يريدون فص البيضة . وقال ابن بري : من قال : خالصة بالتاء ،  
فهو في الأصل مصدر كالعافية . ومسنون : أصابتهم سنة مجدبة . وفي سبط  
الآل للبكري : «والعرب تقول هو بيضة البلد» يمدحونه بذلك ، وتقول للآخر :  
هو بيضة البلد يذمونه به ، فالممدوح يراد به : البيضة التي تحتضنها الظلم ، وذكر النعام ،  
ويصونها ويوقها ؛ لأن فيها فرخه . والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء ، المذرة  
التي لاحاط لها ، ولا يدرى لها أب ، وهي تربة الظلم . قال الرماني : إذا كانت  
النسبة إلى مثل المدينة والبصرة ، فبيضة البلد مدح ، وإن نسبت إلى البلاد التي  
أهلها أهل ضعة فيبيضة البلد ذم ، ص ٥٤٩ ، والرجاف : البحر ، أو يوم القيامة ،  
وفي أمالي القالي زيادة :

منهم على والنبي محمد القائلان : هلم للاضياف

وأعتقد أنها زيادة شيعية . وقد قال البكري : «وهذا بيت محدث ذكر أبو نصر  
أن جده صالحاً أباً غالباً لحقه به» وأبو نصر هو : هارون بن موسى بن صالح تليد  
القالي ، وأحد الذين استملوا النوادر عليه ، وستأتي القصيدة في السيرة .

انظر مادة رجف في اللسان ، وص ٥٤١ ج ١ وما بعدها سبط الآل للبكري ،  
بتعليق المحقق الميمنى ، و ص ٢٤١ ج ١ الأمالي للقالي ، والتنبيه للبكري ، ص ١٧٨  
ج ٤ أمالي المرتضى . وفي الروض : لرحلة الأضياف ، ولعلمها الأضياف . وفيه  
أيضا : عمرو الغلاء ، بالغين ، وهو خطأ صوابه : الملاص ٧٥ ، وهناك رواية :  
«عمرو الندى ، كما في الطبرى .

(١) لأنه ابن الزبير بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم .



ألهى قصيًّا عن الحدِّ الأساطيرُ ومِثيَّةٌ مثل ما تَمْشِي الشَّقَارِيرُ<sup>(١)</sup>

فاستعدوا عليه بنى سهم ، فأسلموه إليهم ، فضربوه وحلقوا شعره ،  
وربطوه إلى صخرة بالحجون<sup>(٢)</sup> ، فاستغاث قومه فلم يُغيثوه ، فجعل يمدح قصيًّا  
ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد منافٍ منهم ، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر ،  
وبأشعارٍ كثيرةٍ ، ذكرها ابن إسحق في رواية يونس .

عبد المطلب وابن زى يزى :

فصل : وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له  
عبد المطلب بن هاشم ، ومن أجل هذه الولادة قال سيف بن ذى يزن

(١) وجدت في اللسان : ه شقر بضم الشىء وفتحها ، مع فتح القاف : الديك  
ويقال : إن الناس أصبحوا يوما بمكة ، وعلى باب الندوة مكتوب :

ألهى قصيا عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير  
وأكلها اللحم بحثا لا خليط له وقولها : رحلت عير ، أنت عير

فأنكر الناس ذلك . وقالوا : ما قالها إلا ابن الزبعرى ، وأجمع على ذلك  
رأيهم ، فمشوا إلى بنى سهم - وكان مما تنكر قريش وتعايب عليه أن يهجو .  
بعضها بعضا - فقالوا لبنى سهم . . ثم تمضى القصة كما رواها السهيلي ، إلى قوله :  
فربطوه إلى صخرة بالحجون . النظر ص ١٧٩ وما بعدها ج ؛ أمالى المرتضى  
تعليق الشنقيطى ط ١٣٢٥ هـ . وللسفاسير معان عدة فهي : جمع سفسير بكسر السين  
الاولى والآخرة وسكون الفاء . وهو التابع أو الذى يقوم على الناقة ، أو الإبل  
ليصلح من شأنها ، والمبقرى والحاذق بصناعته والقهرمان ، والسمسار ، وهذه هي  
المقصودة هنا .

(٢) في الاصل : الحجون وهو خطأ .

أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن<sup>(١)</sup> لعبد المطلب حين وفد عليه ركب من قريش : مَرَحَبًا بابن أَخْتِنَا ، لَأَن سَلَمَى مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ سِبَا ، وَسَيْفٌ مِنْ جُمَيْرِ بْنِ سِبَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَرَحَبًا وَأَهْلًا ، وَنَاقَةً وَرَحْلًا ، وَمَلِكًا سَبَحْلًا ، يُعْطَى عَطَاءً جَزَلًا<sup>(٢)</sup> . ثُمَّ بَشَّرَهُ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ<sup>(٣)</sup> ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : مِثْلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ سِرٌّ وَبَرٌّ ، ثُمَّ أَجْزَلَ الْمَلِكُ حَبَاءَهُ ، وَقَضَّاهُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَانْصَرَفَ مَغْبُوطًا عَلَى مَا أَعْطَاهُ الْمَلِكُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّمَا بَشَّرَنِي بِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ مَا أَعْطَانِي . فِي خَبَرٍ فِيهِ طَوْل .

نسب أُمَيْمَج :

وذكر نسب أُحَيْحَةَ بْنِ الْجُلَاحِ بْنِ الْحَرِيشِ بْنِ جَعَجَجِي<sup>(٤)</sup> ،

(١) فِي الطَّبْرِيِّ عَنْ سَيْفَانَ بْنِ مَعْدٍ يَكْرُبُ : مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ سَيْفُ بَنِ ذِي يَزَنَ . ص ١٥٣ ج ٢ .

(٢) نَسَبُ الْقَالِي فِي أُمَالِيهِ هَذَا إِلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ خَطَاُ صَوْبِهِ الْبَكْرِيُّ فِي التَّنْبِيهِ ص ١١٤ . فَهُوَ - كَمَا ذَكَرَ السَّهِيلُ - قَوْلُ سَيْفٍ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ وَسَبَحْلُ : بِكَسْرِ فَتْحٍ فَسَكُونٌ ، أَوْ سَبَحْلٌ مِثْلُ : سَفَرِجَلٍ ، وَسَبَحْلٌ بِفَتْحِ السَّيْنِ وَإِسْكَانِ الْحَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى الْبَاءِ : الضَّخْمُ . وَرَوَى مَلِكًا رَجَحْلًا - بِكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْبَاءِ وَسَكُونِ الْحَاءِ ، وَهِيَ مِثْلُ : سَبَحْلٍ فِي الْمَعْنَى . وَالرَّجَحْلَةُ : الْعَظِيمَةُ الْجَيِّدَةُ الْخَلْقُ - بِفَتْحِ الْحَاءِ - فِي طَوْلٍ . وَيُرِيدُ هُنَا : مَلِكًا عَظِيمًا . وَبَعْدَ « جَزَلًا » قَوْلُ سَيْفٍ : « قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَاتَكُمْ ، وَعَرَفْنَا قُرَابَتَكُمْ ، فَلَكُمْ الْكِرَامَةَ مَا أَقْتَمَ ، وَالْحَبَاءَ إِذَا رَجَعْتُمْ » ، انْظُرْ ج ٢ ص ٢١٨ الْأَمَالِي ط ٢ وَالتَّنْبِيهِ الْبَكْرِيُّ ص ١١٤ .

(٣) هَذَا مِنَ الْغُلُوِّ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَقَامُ النَّبِيِّ ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ هُوَ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الْمُبَشَّرُ بِهِ فِي كِتَابِ أَهْلِ الْكِتَابِ .

(٤) فِي الرُّوَضِ : جَعَجَجٌ ، وَالتَّصَوُّبُ مِنْ كِتَابِ النَّسَبِ .

وقال ابن هشام : هو الحَرِيسُ يعنى . بالسِّين المُمَهَّلَة - وقال الدَّارِ قُطَيْبُ عن الزبير بن أبى بكر : أن كلَّ ما فى الأنصارِ فهو : حَرِيسٌ بالسِّين غير مُعْجَمَة إلا هذا ، ووجدت فى حاشية كتاب أبى بحر - رحمه الله - صوابَ هذا الاسم يعنى فى نسب أُحِيحَة بن الجُلاح - بن الحَرِيش بالشِّين المعجمة على لفظ الحَرِيش ابن كَعْب البَطْنِ الذى فى عامر بن صَمْعَمَة (١)

فصل : وأنشد لطرود بن كعب :

يَا لَيْلَةً هَيَّجَتْ لَيْلَاتِي إِحْدَى لَيْلَى الْقَسِيَّاتِ

أى : أنت إحدى ليلَى الْقَسِيَّاتِ . فَعِمِلَات من الْقَسْوَة ، أى : لالِينَ عندهن ، ولأرأفة فيهن ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم الْقَسِيُّ ، وهو الزائف ، وقد قيل فى الدرهم الْقَسِيُّ : إنه أعجميٌّ مُعَرَّبٌ ، وقيل : هو من الْقَسَاوَة لأنَّ الدرهم الطَّيِّبَ أَلْيَنُ من الزائفِ (٢) ، والزائفُ أَضْلَبُ منه . ونصب ليلةً على التمييز كذلك ، قال سِبْيَوْنِيَّة فى قول الصَّلَتَانِ (٣) الْعَبْدَى .

(١) فى الاشتقاق : الحَرِيش بالشِّين بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَمْعَمَة .  
(٢) فى اللسان : عام قسٍ - بفتح فكسر مع تضعيف الياء - شديد ذو قحط لا مطر فيه ، وعشية قسية : باردة . والقسية : الشديدة ، ويوم قسٍ مثقال شقٍ : شديد من حرب أو شر . ودرهم قسٍ : جمع قسيان مثل صبي : وقيل درهم قسٍ : ضرب من الزيف ، أى فضة صلبة رديئة ليست بليثة ، وكل هذا يؤكد أنه استعمال عربى .

(٣) الصلتان : لقب ، وأصل الصلتان : النشيط الحديد الفؤاد من الخيل ، أو الخفاء فى الأمور ، وهو : قثم بن خيثمة - كما نقل ابن قتيبة - أو خيبة ، وقال الأمدى عن أبى =

## أيا شاعرا لا شاعرا اليوم مثله

==عبدة : قُمْ بِنُخْشَيْمَ ، وهو أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْزِ  
ابن أَفْصَى بن عبد القيس . والبيت من قصيدة أوردها المبرد في كتابه الاعتنان ،  
والقال في أماليه ، وابن قتيبة في كتاب الشعراء ، وتتمه البيت :

جرير ، ولكن في كليب تواضع

وقد نظم الصلتان هذه القصيدة - وعدتها ثلاثة وعشرون - حينما جعلوا إليه  
الحكم بين الفرزدق وجرير ، أيهما أشعر ، وأولها :

أنا الصَّلْتَانِ الَّذِي قَدْ عَلِمْتَ مَتَى مَا يَحْكُمُ فَهُوَ بِالْحَقِّ صَادِعٌ  
وفي الأمالي : وفيها شاعرا لا شاعرا اليوم مثله ، ص ١٤٢ ج ٢ الأمالي  
ومن القصيدة :

أرى الخنطفتي بذ الفرزدق شعره ولكن خيرا من كليب مجاشع  
فيا شاعرا لا شاعرا اليوم مثله جرير . ولكن في كليب تواضع  
فرضى الفرزدق حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة ،  
من لامروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير ، ففضب من المنزلة التي  
أنزله إياها فهجاه . والبيت المذكور في اللسان ص ٢٠٨ ج ٢ ، وانظر ص ٢٩ ج ٢  
خزانة الأدب ط دار العصور ، وإليك بعض ما قيل فيه : قال الأعلام الشاهد فيه  
على مذهب الخليل وسيبويه : نصب شاعرا بإضمار فعل على معنى الاختصاص  
والتعجب ، والمنادى محذوف ، والمعنى : يا هؤلاء أو يا قوم ، عليكم شاعرا ، أو  
حسبكم به شاعرا ، وقال النحاس : كأنه قال : يا قائل الشعر عليك شاعرا ، وإنما  
امتنع عنده أن يكون منادى ، لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعر بالحضرة ، وهو  
إنما قصد شاعرا بعينه ، وهو جرير ، وكان ينبغي أن يبينه على الضم على ما يجرى  
عليه الخصوص بالنداء . أما أحمد بن يحيى ، فذكر أن شاعرا منصوب بالنداء  
وفيه معنى التعجب ، وقال : إن العرب تنادى بالمدح والذم ، وتنصب بالنداء ،  
فيقولون : يا فلان مثله ، وكذلك يا طيبتك من لياقة ، وكذلك شاعرا ، وفي

وذلك أن في الكلام معنى التعجب .

وقوله : وَمَيِّتَ بَغَزَاتٍ . هي : غَزَّةٌ ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل رَبَضٍ <sup>(١)</sup> من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غَزَاتٌ في غَزَّةٍ ، ويقولون في بغداد : بَغَادِينَ ، كما قال بعضُ المُحَدِّثِينَ :

شَرِبْنَا فِي بَغَادِينَ عَلَى تِلْكَ التَّمْيَادِينَ

ولهذا نظائر ستمر في الكتاب - إن شاء الله - ومن هذا الباب :  
حكمهم للبعضِ بِحُكْمِ الْكُلِّ ، كما سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ ، نحو قولهم : شَرِقتُ صَدْرُ

= الخزانة أيضا : أن المنادى محذوف ، وأن شاعرا ليس بمنادى ، لأنه مقصود إلى واحد بعينه ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : يا هذا حسبك به شاعرا على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ، ويشبه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيدا ، ويجوز أن يكون حسبك به على شريطة التفسير ، وبه في موضع اسم مرفوع لا بد منه ، ويجوز أن يكون الهاء للشاعر الذي جرى ذكره ، ثم وكده بقوله : جرير ، أي : هو جرير . وتقدير الخليل ويولس : يا قائل الشعر ، على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال : يا شعراء عليكم شاعرا لا شاعر اليوم مثله ، أي حسبكم به شاعرا ، فهذا ظاهر كلام سيديويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر المذكور ، وينتصب شاعرا على الحال ، ولا شاعر اليوم في موضع النعت ، واحتاج إلى إظهار قائل الشعر ونحوه ، حتى يكون المنادى معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر في حال ما هو شاعر لا شاعر مثله .

(١) ربض المدينة : ماحولها . وفي الروض دميث بغزات ، ولكن في السيرة دميث بين غزات ، .

القناة من الدَّم ، وذهبت بعض أصابعه (١) ، وتواضعت سورُ المدينة . وقد تركبت على هذا الأصلِ مسألةٌ من الفقه : قال الفقهاء ، أو أكثرهم : مَنْ حلف ألا يأكلَ هذا الرغيف ، فأكلَ بعضه ، فقد حنثَ ، فحكوا للبعضِ بحكم الكل ، وأطلقوا عليه اسمه . وفيه :

إن المُغِيرَاتِ وأبناءها مِنْ خيرِ أحياءِ وأمواتِ (٢)  
فالمُغِيرَاتُ : بنو المغيرة ، وهو عبد مناف ، كما قالوا : المناذرة في بنى المُنْذِرِ ، والأشعرُونَ في بنى أشعر بن أدد ، كما قال عليُّ بن عبد الله بن عباس في ابن الزبير :  
أثرَ على الحميدَاتِ والثَّوْبَاتِ والأسمَاتِ ، يعني : بنى حميد ، وبنى ثوبت ، وبنى أسامة ، وهم من بنى أسد بن عبد العزى (٣) .

### (١) يقول الأعشى :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم  
وأصل الصدر مذكر ، وأنث هنا ، إما لأنه أراد القناة ، أو لأن صدر القناة قناة ، أو لأن صدر القناة منها كقولهم : ذهبت بعض أصابعه ، لأنهم يوثنون الاسم المضاف إلى المؤنث ، واللسان ، ونص تعبير سيبويه في الكتاب : « وربما قالوا في بعض الكلام : ذهبت بعض أصابعه ، وإنما أنث البعض ، لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يوثنه : لأنه لو قال : ذهبت عبد أمك لم يحسن ، ثم استشهد بببيت الأعشى ، ثم قال : « لأن صدر القناة من مؤنث ، ومثله قول جرير : « في ص ٢٥ ج ١ من كتاب سيبويه ،

إذا بعض السنين تعرقنا كفى الإيتام فقد أبى اليتيم  
(٢) في الروض : « وأبناؤها ، والصواب ما أثبتته من السيرة .

(٣) حميد بن أسامة بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي  
وثوبت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأسامة بن زهير بن الحارث =

وكان اسمُ عبد مناف : المَغِيرَة ، وكان أوَّلَ بني عبد مناف هُلكاً :  
هاشمٌ ، بِغَزَّةَ من أرض الشام ، ثم عبدُ شمس بمكة ، ثم المطلب برَدْمان من  
أرض اليمن ، ثم نَوْفلاً بِسَلْمان من ناحية العراق .

فقيل لمطروود - فيما يزعمون - : لقد قلتَ فأحسنْتَ ، ولو كان أغفل مما  
قلتَ كان أحسن ، فقال : أنظِرني ليالي ، فكثَّ أياما ، ثم قال :

يا عين جُودِي ، وأذري الدمع وانهمري	وابكي على السرِّ من كعبِ المَغِيراتِ
يا عين ، واسحِظِّي الدمع واحتفلي	وابكي خبيثةَ نفسى فى المَلِماتِ
وابكى على كلِّ فَيَاضٍ أخى ثِقَةٍ	ضَخَمَ الدَّاسِيَةَ وهَابِ الجَزِيلاتِ
نَحَضَ الصَّرِيبةَ ، على الهَمِّ ، مُخْتَلَقِ	جَلَدِ النَّحِيْزَةِ ، ناءٍ بالعظِماتِ
صَغَبَ البديهة لا نِكْسَ ولا وَكَلَّ	ماضى العزِمةَ ، متلافِ الكَرِيماتِ
صَقَرٍ توسَّطَ من كَعْبٍ إذا نُسِبوا	بُجْبُوْحَةَ المَجْدِ والشَّمِّ الرَفِيعاتِ
ثم اندبى الفيضَ والفياضَ مُطَلِّبا	واستخرطى بعدَ فَيَضاتٍ بِجَمَّاتِ

وفيه « شرقى البَنِيَّاتِ » يعنى : البَنِيَّةُ ، وهى : الكعبة ، وهو نحو مما  
تقدم فى غَزَّاتِ .

== بن أسد بن عبد العزى بن قصى . والاشعرون فى اللسان : نسبة إلى أشعر بن  
يشجب بن يعرب بن قحطان ، وتقول العرب : جاء بك الاشعرون بحذف  
ياء النسب .

أَمْسَى بَرْدُمانَ عَنَّا اليَوْمَ مُفْتَرِبا  
 وابكى- لك الويلُ- إِمَّا كُنْتَ باكية  
 وهاشم في ضَرْيحٍ وَسَطَ بَلَقَعَةٍ  
 ونوفل كان دون القوم خالِصَتِي  
 لم أَلِقْ مِثْلَهُمْ عُجْما ولا عَرَبًا  
 أَمْسَتْ ديارُهُمْ مِنْهُمْ مُعْطَلَةٌ  
 أَفْنَاهُمْ الدَّهْرُ ، أَمْ كَلَّتْ سِيوفُهُمْ  
 أَصْبَحَتْ أَرْضِي مِنَ الْأَقْوامِ بَعْدَهُمْ  
 يا عَيْنُ فابْكِ أبا الشُّعْثِ الشَّجِيَّاتِ  
 يَبْكِينَ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ  
 يَبْكِينَ شَخْصًا طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ  
 يَبْكِينَ عَمْرَ وَالْعَلا إِذْ حَانَ مَضْرَعُهُ  
 يَبْكِينَهُ مُسْتَكِينَاتٍ عَلَى حَزَنِ  
 يَبْكِينَ لَمَّا جَلاهُنَّ الزَّمانُ لَهُ  
 مُحْتَزِمَاتٍ عَلَى أَوْسَاطِهِنَّ لِـ  
 أَيْتُ لَيْلَى أُرَاعِي النَّجْمَ مِنَ الْمِ  
 مَا فِي الْقُرومِ لَهْمٌ عِدَلٌ وَلَا خَطَرَ  
 أَبْنَاؤُهُمْ خَيْرُ أَبْناءِ ، وَأَنْفُسُهُمْ  
 كَمْ وَهَبُوا مِنْ طَيْرٍ سَابِحٍ أَرِنِ  
 يا هَلْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْواتِ  
 لِعَبْدِ شَمْسٍ بِشَرْقِ الْبَنِيَّاتِ  
 تَسْفِي الرِّياحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَّاتِ  
 أَمْسَى بَسَلْمانَ فِي رَمْسٍ بِمَوْماءِ  
 إِذا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ أَذْمُ الْمَطِيَّاتِ  
 وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْنًا فِي السَّرِيَّاتِ  
 أَمْ كُلُّ مَنْ عَاشَ أَزْوادُ الْأَمْنِيَّاتِ  
 بَسَطَ الْوَجْوهَ وَالْقَاءَ التَّحِيَّاتِ  
 يَبْكِينَهُ حُسْرًا مِثْلَ الْبَلِيَّاتِ  
 يُعَوِّلُهُ بِدُمُوعٍ بَعْدَ عِبْرَاتِ  
 أَبِي الْهَضِيمَةِ ، فَرَّاجِ الْجَلِيلَاتِ  
 سَمَحَ السَّحِيحَةِ ، بِسَامِ الْعَشِيَّاتِ  
 يا طَوْلَ ذَلِكَ مِنْ حَزْنٍ وَعَوَّلَاتِ  
 حُضِرَ الْخُدُودَ كَأَمْثالِ الْحَمِيَّاتِ  
 جَرَّ الزَّمانَ مِنْ أَحْداثِ الْمُصِيبَاتِ  
 أَبْكَى ، وَتَبَكَى مَعِيَ شَجْوَى بُنْيَاتِي  
 وَلَا لِمَنْ تَرَكَوا شَرَّوِي بَقِيَّاتِ  
 خَيْرُ النُّفُوسِ لَدَى جَهْدِ الْأَلْيَاتِ  
 وَمَنْ طَيْرَةٌ نَهَبَ فِي طَيْرَاتِ



ومن سُيوف من الهندي مَخْلَصَةٍ      ومن رِمَاح كَأَشْطَانِ الرَّكِيَّاتِ  
ومن تَوَابِع مِمَّا يُفْضِلُونَ بِهَا      عِنْدَ الْمَسَائِلِ مِنْ بَذْلِ الْعَطِيَّاتِ  
فَلَوْ حَسَبْتُ وَأَخْصَيْتُ الْحَاسِبُونَ مَعِيَ      لَمْ أَقْضِ أَعْمَالَهُمْ تِلْكَ الْمَهْنِيَّاتِ  
هُمْ الْمُدِلُّونَ إِمَّا مَعَشَرَ فَخَرُوا      عِنْدَ الْفَخَّارِ بِأَنْسَابِ نَفِيَّاتِ  
زَيْنُ الْبُيُوتِ الَّتِي خَلَوْا مَسَاكِنَهَا      فَأَصْبَحَتْ مِنْهُمْ وَخْشًا خَلِيَّاتِ  
أَقُولُ وَالْعَيْنُ لَا تَرَقَا مَدَامُهَا      لَا يُبْعَدُ اللَّهُ أَصْحَابَ الرَّزِيَّاتِ

قال ابن هشام : الفَجَر : العطاء . قال أبو خراش الهذلي :

عَجَفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مُعْمَرٍ      بَذَى فَجَرَ تَأْوَى إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ

قال ابن إسحاق : أبو الشعث الشَّجِيَّاتِ : هاشم بن عبد مناف .

قال : ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السَّقَايَةَ والرَّقَادَةَ بعد عمِّه المطلب ،  
فَأَقَامَهَا لِلنَّاسِ ، وَأَقَامَ لِقَوْمِهِ مَا كَانَ آبَاؤُهُ يُقِيمُونَ قَبْلَهُ لِقَوْمِهِمْ مِنْ أَسْرِهِمْ ،  
وَشَرُفَ فِي قَوْمِهِ شَرَفًا لَمْ يُبْلَغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِهِ ، وَأَحْبَبَهُ قَوْمُهُ وَعَظَمَ  
خَطَرَهُ فِيهِمْ .

## ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر إذ أتى ، فأمر بحفر زمزم .

قال ابن إسحاق : وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها ،  
كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله اليزني عن

• • • • •

عبد الله بن زُرَيْرٍ الغافقي : أنه سَمِعَ عَلَى بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ  
يُحَدِّثُ حَدِيثَ زَمْزَمَ حِينَ أَمَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بِحَفْرِهَا ، قَالَ :

قَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : إِنِّي لَنَأْمُ فِي الْحَجَرِ إِذَا تَأَنَّى آتٍ فَقَالَ : احْفَرِ طِيبَةَ .  
قَالَ : قُلْتَ : وَمَا طِيبِيَّةٌ ؟ قَالَ : ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى  
مَضْجَعِي فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ : احْفَرِ بَرَّةَ . قَالَ : قُلْتَ : وَمَا بَرَّةٌ ؟ قَالَ :  
ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ :  
احْفَرِ الْمَضْنُونَةَ قَالَ : قُلْتَ : وَمَا الْمَضْنُونَةُ ؟ قَالَ : ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي . فَلَمَّا كَانَ  
الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ : احْفَرِ زَمْزَمَ . قَالَ :  
قُلْتَ : وَمَا زَمْزَمٌ ؟ قَالَ لَا تَنْزِفُ أَبَدًا وَلَا تُدَمِّمِ ، تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ ،  
وَهِيَ بَيْنَ الْفَرَثِ وَالْدَمِ ، عِنْدَ نُقْرَةِ الْغُرَابِ الْأَعْظَمِ ، عِنْدَ قَرْيَةِ النَّمْلِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ شَأْنُهَا ، وَدُلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا ، وَعَرَفَ أَنَّهُ  
قَدْ صُدِّقَ ، غَدَاً بِمَعْوَلِهِ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، لَيْسَ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَلَدٌ  
غَيْرُهُ فَحَفَرَ فِيهَا . فَلَمَّا بَدَأَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ الطَّيُّ ، كَبَّرَ ، فَعَرَفَتْ قَرِيشٌ أَنَّهُ قَدْ  
أَدْرَكَ حَاجَتَهُ ، فَقَامُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ، إِنَّمَا بَرُّ أَيْنَا إِسْمَاعِيلَ ، وَإِنْ  
لَنَا فِيهَا حَقٌّ فَأَشْرِكْنَا مَعَكَ فِيهَا . قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، إِنْ هَذَا الْأَمْرُ قَدْ خُصِّصْتُ  
بِهِ دُونَكُمْ ، وَأُعْطِيْتَهُ مِنْ بَيْنَكُمْ ، فَقَالُوا لَهُ : فَأَنْصِفْنَا ، فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى  
نُخَاصِمَكَ فِيهَا ، قَالَ : فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَن شِئْتُمْ أَحَاكِمَكُمْ إِلَيْهِ ، قَالُوا :  
كَاهِنَةُ بَنِي سَعْدٍ هَذَيْنِ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَكَانَتْ بِأَشْرَافِ الشَّامِ ، فَرَكِبَ  
عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ بَنِي أَبِيهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَرَكِبَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ

. . . . .

قريش نفر . قال : والأرضُ إذْ ذاك مَفَاوِز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المَفَاوِز بين الحجاز والشام ، فَنِي ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالهدسكة ، فاستسقوا مَنْ معهم من قبائل قُريش ، فأبوا عليهم ، وقالوا : إنا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم ، وما يتخوَّف على نفسه وأصحابه ، قال : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : مارأينا إلا نَمِيعَ رَأْيِكَ ، فمرنا بما شئت ، قال : فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة . فكلَّامات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه . حتى يكون آخركم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا ، قالوا : نَعَمْ ما أمرت به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانضرب في الأرض ، ولا نبتغي لأنفسنا ، لَعَجْز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ازتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا قرَّعوا ، ومن معهم من قبائل قُريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدَّم عبد المطلب إلى راحلته فركبها . فلما انبعثت به ، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب ، وكبَّر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ، واستسقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قُريش ، فقال : هلم إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا ، فجاؤا ، فشربوا واستسقوا . ثم قالوا : قد - والله - قُضِيَ لك علينا يا عبد المطلب ، والله لانخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الثلاثة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع

ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى السكاهنة وخابوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذي بلغني من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم ، وقد سمعتُ من يُحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادعُ بالماء الرّويّ غير السّكدر يسقي حجيج الله في كل مَبرّ  
ليس يُخاف منه شيء ما عمّر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قریش فقال : تعلّموا أني قد أمرت أن أحفر لكم زمزم ، فقالوا : فهل بُيّن لك أين هي ؟ قال : لا . قالوا فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه مارأيت ، فإن يك حقاً من الله يُبيّن لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مضجعه ، فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهي تراث من أبيك الأعظم ، لا تُنزِفُ أبداً ولا تُدَمِّم ، تسقي الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسَم ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهي بين القرث والدم .

قال ابن هشام : هذا الكلام ، والكلام الذي قبله ، من حديث عليّ في حفر زمزم من قوله : « لا تُنزِفُ أبداً ولا تُدَمِّم » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً .

قال ابن إسحاق : فرعموا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هي ؟ قيل له

. . . . .

عند قرية النمل ، حيث ينقر الغراب غدا . والله أعلم أى ذلك كان .

فعدا عبد المطلب ومعه ابنة الحارث ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنيين : إساف ونائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهما . فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جدّه ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وتّنيننا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : دُدْ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غير نازع خلّوا بينه وبين الحفر ، وكفّوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيرا ، حتى بدا له الطّي ، فكبرّ وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جُرُمُهما فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا فقلت له قريش يا عبد المطلب ، لانا معك في هذا شرك وحق ، قال : لا ، ولكن هلّم إلى أمر نصف بيني وبينكم ، نضرب عليها بالقِداح ، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدحين ، ولى قِدحين ، ولكم قِدحين ، فمن خرج له قِدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قِدحاه فلا شيء له قالوا : أنصفت ، فجعل قِدحين أصفرين للكعبة ، وقِدحين أسودين لعبد المطلب ، وقِدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحب القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل — وهُبَل : صنم في جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يمتنى أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال : أغلِ هُبَل أى : أظهر دينك — وقام عبد المطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، فضرب صاحب القِداح ، فخرج الأصفران على الغزالين

. . . . .

للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف ، والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف  
قِدْحاً قُرَيْش . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب  
الفرالين من ذهب ، فكان أول ذهب حُلِيَّتُهُ الكعبة — فيما يزعمون —  
ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

### ذكر بئر قبائل قريش بمكة

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بِئِراً بمكة ،  
فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق ، قال :

حفرَ عبدُ شمس بن عبد مناف الطَّوِيَّ ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند  
البيضاء ، دار محمد بن يوسف .

وحفرَ هاشم بن عبد مناف بَدْرَ ، وهي البئر التي عند المُسْتَنْدَرِ ، خَطَمُ  
الْخَنْدَمَةِ على قم شِغْبِ أَبِي طَالِب ، وزعموا أنه قال حين حفرَها : لأجعلَنَّها  
بلاغاً للناس .

قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سقى الله أمواها عرفتُ مكانها جُراباً ومَلَكُوماً وبَدْرَ والفمرا

قال ابن إسحاق : وحفر سَجَلَةَ ، وهي بئر المُطْعِمِ بن عَدِيَّ بن نَوْفَلِ بن  
عَبْدِ مَنْفِ التي يَسْقُونَ عليها اليوم . ويزعمُ بنو نوفل أنَّ المُطْعِمِ ابتاعها من  
أسد بن هاشم ، ويزعمُ بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستغفَنُوا  
بها عن تلك الآبار .

• • • • •

وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه، وحفرت بنو أسد بن عبد العزى :  
سقيّة ، وهى بئر بنى أسد . وحفرت بنو عبد الدار : أمّ أحرّاد . وحفرت بنو  
جُمح : السنبلة ، وهى بئر خلف بن وهب . وحفرت بنو سَهْم : الفمّر ، وهى  
بئر بنى سَهْم ، وكانت آبار حفاثر خارجا من مكة قديمة من عهد مُرّة بن كعب ،  
وكلاب بن مُرّة ، وكُبراء قريش الأوائل منها يَشربون ، وهى رُمّ ، ورُمّ :  
بئر مُرّة بن كعب بن لؤى . وخُمّ ، وخُمّ . بئر بنى كلاب بن مُرّة ، والحفّر .  
قال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى :

قال ابن هشام : وهو أبو أبى جهنم بن حذيفة :

وقد ما غنيّا قبل ذلك حِقْبَةً ولا نَسْتَقى إلّا بَحْمً أو الحَفِرِ

قال ابن هشام : وهذا البيتُ فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله

فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فعفّت زمزم على البئر التى كانت قبلها يَسْتَقى عليها الحاج  
وانصرف الناسُ إليها لمساكنها من المسجد الحرام ؛ ولفضلها على ماسواها من  
المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وافتخرت بها بنو  
عبد مناف على قريش كلّها ، وعلى سائر العرب ، فقال مُسافر بن أبى عمرو  
ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو يَفْخَرُ على قريش بما وُلوا عليهم  
من السّقاية والرّفاة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبِزَمَزَم حين ظهّرت لهم ،  
وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد ، شرفُ بعضهم لبعض شرفٌ ،  
وفَضْلُ بعضهم لبعض فَضْلٌ .

• • • • •

وَرَيْنَا الْجَدَّ مِنْ آبَا نَتْنَا فَنَمَى بِنَا صُعْدَا  
أَلَمْ نَسْقِ الْحَجِيجَ وَنَسْجِرُ الدَّلَافَةَ الرُّفْدَا  
وَمُنَلَى عِنْدَ تَقْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّدَا رُفْدَا  
فَإِنْ نَهَلْكَ ، فَلَمْ تُنَمَلْكَ وَمَنْ ذَا خَالِدٍ أَبَدَا  
وَزَمَزَمَ فِي أَرْوَمَتِنَا وَنَقَأَ عَيْنَ مَنْ جَسَدَا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدى بن كعب  
ابن لؤى .

وساقى الحَجِيجَ ، ثم للخبز هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهرى  
طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت سقايته فخرأ على كل ذى فخر

قال ابن هشام : يعنى عَبْدَ الْمُطَّلَبِ بن هاشم . وهذان البيتان في قصيدة  
لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

وأنشد له في القصيدة التاوية : محض الضريبة ، على الهم مُخْتَلَق : أى  
عظيم الخلق : جَلَدَ النَّحِيْزَةَ نَاءً بِالْعَظِيَّاتِ . ليس قوله : ناء من النأى ، فتكون  
الهمزة فيه عين الفعل ، وإنما هو من ناء يَنْوُءُ إِذَا نَهَضَ (١) فالهمزة فيه لام  
الفعل ، كما هو في جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فاعل ، والياء التى  
بعد الهمزة هى : عين الفعل فى جاء يحى .

(١) ناء بالحل نهض به مثقلا ، وناء به الحل إذا أنقله .



وفيه الشُّعَثُ الشَّجِيَّاتُ . فشدد ياء الشَّجِيَّ ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا :  
 ياء الشَّجِيَّ مخففة ، وياه الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبي تمام الطائي  
 في قوله :

أياويح الشَّجِيَّ من الخَلْيِ وَوَبَّحِ الدَّمْع من إحدى بَيَاتِ

واحتج بقول يعقوب في ذلك ، فقال له الطائي : ومن أفصح عندك :  
 ابن الجُرْمَانِيَّة يعقوب ، أم أبو الأسود الدُّوَلِيَّ حيث يقول !؟ :

وَيْلُ الشَّجِيَّ من الخَلْيِ فَإِنَّهُ وَصَبُ الْفَوَادِ بِشَجْوِهِ مَفْعُومٌ

قال المؤلف : وبيت مطرود أقوى في الحجة من بيت أبي الأسود الدُّوَلِيَّ ،  
 لأنه جاهلي مُحَكَّكٌ ، وأبو الأسود : أول من صنع النحو ، فشعره قريب من  
 التوليد ، ولا يمتنع في القياس أيضاً أن يقال : شَجِيٌّ وشَجٍ ، لأنه في معنى : حَزَنٌ  
 وحزين ، وقد قيل : من شَدَّدَ الياء ، فهو فَعِيلٌ بمعنى مفعول (١) .

(١) رجل شَجِى أى : حزين وامرأة شَجِيَّة — بكسر الجيم وفتح الياء من دون  
 تضعيف — وفي مثل العرب : وَيْلُ الشَّجِيَّ من الخَلْيِ ، دون تشديد ياء إحداهما ،  
 وقد تشدد ياء الشَّجِيَّ ، والاول أعرف . وحكى الجوهري عن المبرد أنه شدد  
 ياء الخلى وخفف ياء الشجى . قال : وقد شدد في الشعر :

نَامَ الْخَلْيِيُّونَ عَنْ لَيْلِ الشَّجِيَّةِ

فإن جعلنا الشَّجِيَّ فَعِيلًا من شجَاه الحزن ، فهو : مشجُوٌّ وشَجِيٌّ بالتشديد  
 لا غير ، وحكى ابن بري أن الصواب هو التشديد في ياء الشجى ، وأما الشجى  
 بـاء مخففة فهو الذي أصابه الشَّجْسُ ، وهو التخصُّص ، وأما الحزين فهو الشَّجِيَّ =

وفيه بعد قوله : أبا الشعث الشجيات . يبيّنه حُسرًا مثل البليات .  
البليّة : الناقة التي كانت تُنَعَّل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت

== بتشديد الياء . قال : ولو كان المثل : ويل الشجى بتخفيف الياء ، لكان ينبغي أن  
يقال : ويل الشجى من المسخ ، لأن الإساغة ضد الشجا ، كما أن الفرح ضد الحزن  
ثم قال ابن برى : فلماذا ننظر إلى توجيهه من ناحية القياس — وقد ثبت من جهة  
السمع تشديد الياء — ثم قال : ووجهه أن يكون الشجى من شجوته أشجوه ،  
فهو : مشجوشجى ، مثل : مجروح وجريح . وأما شج بالتخفيف فهو اسم الفاعل  
من شجى يشجى - بكسر الجيم في الماضي وفتحها في المضارع - فهو شج . وقال  
أبو زيد : الشجى : المشغول ، والخلّى : الفارغ ، وقال ابن السكيت : الشجى مقصور  
والخلّى ممدود ، وفي الهذيب عن الشجى : أنه الذى شجى بمظم غصّ به حلقة ،  
يقال : شجى يشجى شجى ، فهو شج ، وكذلك الذى شجى بالهم فلم يجد مخرجاً منه .  
قال الأزهري : وهذا هو الكلام الفصيح . . ثم قال : فإن تجامل إنسان ، ومد الشجى  
فه مغارج من جهة العربية تسوخ له مذهبه ، وهو أن تجعل الشجى بمعنى المشجوّ .  
فصيلاً من شجاء يشجوه ، والوجه الثانى : أن العرب تمد فعلاً بياء . فنقول : فلان قن  
لكذا وقين ، وسميغ وسميغ ، وفلان كر للنائم وكرى . وقيل : إن مذهب  
العرب توازن اللفظ كما وازنت الغدايا بالعشايا . وجمع الغداة غدوات . ومثل  
ماساه وناءه . والاصل أناء . وكذلك وازنوا : الشجى بتشديد الياء بالخلّى .  
ومعناه : ويل للهموم من الفارغ ، وعن ثعلب في الفصيح : ويل للشجى من الخلّى  
بتشديد الياءين . وأنشد البيت الذى فى الروض . والشرطة الثانية من البيت ويل  
الشجى ، وردت مرة فى اللسان : نصب الفؤاد لشجوه مغموم ، وأخرى : وبحزنه  
مغموم ، وانظر ص ٢٧٢ أدب الكاتب وقول السهلى : وبيت مطرود أقوى ،  
يعنى البيت الذى يشرحه : ويا عين قابكى أبا الشعث الشجيات ، والجرمقانى — بضم  
الجيم وسكون الراء وضم الميم وفتح القاف وتضعيف الياء — واحد الجرامقة ، وهم  
أنباط الشام ، أو هم قوم بالموصل أصلهم من العمم د عن اللسان .

. . . . .

جوعاً وعطشاً، ويقولون : إنه يُحسّر راكباً عليها ، ومن لم يفعل معه هذا  
حُسِرَ راجلاً ، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ،  
ومنهم زُهَيْرٌ ، فإنه قال :

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ    لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُجَلَّ قَيْنَقَمٌ  
وقال الشاعر في البليّة :

والبَلَايا رُءُوسُهَا فِي الْوَلَايَا    مَا نَحَاتِ السَّمُومُ حُرّاً أَلْدُودُ (١)  
والولاياء هي البراذع ، وكانوا يَنْقُبُونَ الْبِرْدَعةَ ، فيجعلونها في عُنُقِ الْبَلِيّةِ ،  
وهي مَمْنُولةٌ ، حتى تموت ، وأوصى رجلُ ابْنَه عند الموت بهذا :

لَا تَتْرُكَنَّ أَبَاكَ يُحْسَرُ مَرَّةً    عَدُوا يَخْرُؤُ عَلَى الْيَدَيْنِ ، وَيَنْكَبُ  
في أبيات ذكرها الخطابي .

وقوله : قِيَامَا كَالْحَيَاتِ . أى : مُحْتَرِقَاتِ الْأَكْبَادِ كَالْبَقَرِ أَوْ الظِّبَاءِ الَّتِي  
حَمِيتِ الْمَاءَ وَهِيَ عَاطِشَةٌ ، فَحَمِيَّةٌ بِمَعْنَى : تَحْمِيَّةٌ ، لَكِنِهَا جَاءَتْ بِالتَّاءِ ، لِأَنَّهَا أُجْرِيَتْ

(١) البيت في اللسان وأوله : كَالْبَلَايَا ، وَقَدْ لَسَبَهُ اللِّسَانُ إِلَى أَبِي زَبِيدٍ ، وَهُوَ  
حَرْمَلَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ الطَّاقِ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ إِسْلَامِيٌّ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا  
وَزَعَمَ الطَّبْرِيُّ أَنَّهُ مَاتَ مُسْلِمًا ، وَفِي اسْمِهِ خِلَافٌ ، وَمِنْ قَوْلِهِ :

مُعَلَّلُ الْمَرءِ بِالرَّجَاءِ وَيَضْحَى    غَرَضًا لِلْمَنُونِ نَصَبُ الْعُودِ  
وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَنْصُبُ عُودًا تَجْعَلُهُ غَرَضًا ، فَيَصِيهِ بِعَضِ السَّهَامِ ، أَوْ يَقَعُ قَرِيبًا  
مِنْهُ ، أَوْ تَشْعَبُ مِنْهُ شَيْئًا . فَضَرْبُ ذَلِكَ مِثْلًا .



الميم ، وإذا جعلت الميم الأولى في مَرْمَرٍ أصليّة ، كان (١) من باب ماضوعفت فيه الفاء والعين ، وهذا معنى قول سيبويه في المَرْمَر : مر ، وهو القياس المُسْتَدَبُّ ، والطَّرِيقُ المُتَّبَعُ دون ما ضوعفت فيه الفاء وحدها ، فتأمله (٢) .

### (١) في الأصل وكان .

(٢) يقول المازني في كتابه التصريف : « وأما الميم إذا كانت أولاً فهي زائدة بمنزلة الهمزة والياء ؛ لأن الميم أولاً نظيرة الهمزة ، وشرحه ابن جني بقوله : « لا فصل بين الميم والهمزة إذا وقعتا أولاً ، فتي وجب في الهمزة أن تكون زائدة ووقعت الميم موقعها ، فاقض بزيادتها ، ص ١٢٩ المنصف لابن جني . والمومة بفتح وسكون : المفاضة الواسعة للمساء ، وهي جماع أسماء الفلوات . وقال المبرد : يقال لها : البوابة أيضا ، وليس للكلمة اشتقاق . ويقول ابن جني في الخصائص : « اعلم أنه متى اجتمع معك في الأسماء والأفعال حرف أصل ، ومعه حرفان مثلاً لا غير ، فهما أصلان ، متصلين كانا أو منفصلين . فالتصلان نحو : الحقف والصدد . وقلق وسلس ، وكذلك إن كان هناك زائد ، فالحال واحدة نحو حمام ويسالس . وكذلك كوكب ودودح ، ثم يقول : « فأما إذا كان معك أصلان ومعهما حرفان مثلاً ، فعلى أضرب منها : أن يكون هناك تكرير على تساوي حال الحرفين ، فإذا كانا كذلك كانت الكلمة كلها أصولاً نحو : قلقل وقرقر . فالكلمة إذاً لذلك رباعية . وكذلك إن اتفق الأول والثالث ، واختلف الثاني والرابع . فالمثلان أيضاً : أصلان ، وذلك نحو : فرجح وقرقل ونبات الرجلة ، وقيص للنساء ، وكذلك إن اتفق الثاني والرابع ، واختلف الأول والثالث نحو : قسطاس وشلع والطويل ، فالمثلان أيضاً أصلان . وكل ذلك أصل رباعي ، وكذلك إن اتفق الأول والرابع واختلف الثاني والثالث ، فالمثلان أصلان ، والكلمة أيضاً من بنات الأربعة مثل : فريق و دكان البقال ، وبلد وراء طرسوس ، وكذلك إن اتفق الأول والثاني ، واختلف الثالث والرابع ، فالمثلان أصلان ، والكلمة رباعية نحو : زيرفون . ومثاله ، فيعلول . وكذلك أيضاً إن حصل معك ثلاثة أحرف أصول ، ومعهما =

وقوله : طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ. الْفَجَرُ : الجودُ ، شُبَّهَ بِانْفِجَارِ الْمَاءِ . وَيُرْوَى  
ذَا فَتَعٍ ، وَ الْفَتَعُ : كَثْرَةُ الْمَالِ ، وَقَدْ قَالَ أَبُو نَجِيحٍ النَّقِيُّ :  
وَقَدْ أَجُودُ وَمَا لِي بِذِي فَتَعٍ وَأَكْتُمُ السَّرِّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ (١)  
وقوله : بَسَامَ الْعَشِيَّاتِ : يَعْنِي : أَنَّهُ يَضْحَكُ لِلْأَضْيَافِ ، وَيَبْسِمُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ  
كَمَا قَالَ الْآخَرُ ، وَهُوَ حَاتِمُ الطَّائِي :

== مثلاً غير ملتقيين ، فهما أيضاً أصلاً . نحو : شَفْشَلِيْقُ الْعَجُوزِ الْمُسْتَرْخِيَةِ ،  
ص ٥٦ وما بعدها ، الْخَصَائِصُ ط ٢ ج ٢ ، وَانْظُرْ شَرْحَ الشَّافِيَةِ ج ١ ص ٥٩ ، وَمَا بَعْدَهَا  
وَيَقُولُ ابْنُ جَنِّي فِي الْخَصَائِصِ أَيْضاً وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْأَصْلِينَ الثَّلَاثِي وَالرَّابِعِي  
الْمُتَدَاخِلِينَ ، كَقَوْلِهِمْ سَلْسُ وَسَلْسُلُ ، وَقَلَقُ وَقَلْقَلُ : وَذَهَبَ أَبُو إِسْحَاقَ فِي نَحْوِ قَلْقَلُ  
وَصَلَصَلُ وَجَرَجَرُ وَقَرَقَرُ إِلَى أَنَّهُ فَعْلٌ ، وَأَنَّ السَّكْمَةَ لِذَلِكَ ثَلَاثِيَّةٌ ، حَتَّى كَانَ أَبُو إِسْحَاقَ  
لَمْ يَسْمَعْ فِي هَذِهِ اللَّغَةِ الْفَاشِيَةَ الْمُنْتَشِرَةَ : بَزْغَدُ وَزَغْدُبُ وَسَبْطُ وَسَبْطَرُ ، ثُمَّ يَقُولُ :  
« إِن تَكَرَّرَ الْفَاءُ لَمْ يَأْتِ بِهِ ثَبَتٌ إِلَّا فِي مَرْمَرِيْسَ . وَحَكَى غَيْرُ صَاحِبِ الْكِتَابِ :  
مَرْمَرِيْتِ ، وَلَيْسَ بِالْبَعِيدِ أَنْ تَكُونَ التَّاءُ بَدَلًا مِنَ السَّيْنِ ، كَمَا أَبْدَلْتَ مِنْهَا فِي سِتْ ،  
ص ٥٢ ، ٥٣ ج ٢ ، الْخَصَائِصُ وَيَقُولُ فِي ص ١٢ مِنَ الْمُنْصَفِ أَيْضاً : « الْفَاءُ لَمْ تَتَكَرَّرْ  
فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ : مَرْمَرِيْسَ ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ وَالشَّدَّةُ ،  
فَتَكَرَّرَتْ الْفَاءُ وَالْعَيْنُ ، وَلَا نَظِيرَ لِهَذِهِ السَّكْمَةِ . »

(١) وَالْفَتَعُ أَيْضاً : الْكَرَمُ وَالْجُودُ وَالْفَضْلُ الْكَثِيرُ ، وَنَشَرَ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ  
وَنَفَحَ الْمُسْكَ . . وَقَدْ رَوَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — قَالَ لِابْنِ أَبِي عَجْجَنٍ  
الْتَقِي : أَبُوكَ الَّذِي يَقُولُ :

إِذَا مِتْ فَادْفِنِي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ تَرَوِي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عِرْوَقَهَا  
وَلَا تَدْفِنَنِي فِي الْفَلَاةِ ، فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَامَتْ أَلَا أَذْوَقَهَا

فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَجْجَنٍ : أَبِي الَّذِي يَقُولُ : وَذَكَرَ الْبَيْتَ . وَقَدْ رَوَى عَجْزُهُ  
هَكَذَا : وَقَدْ أَكْرَمَ وَدَّاهَ الْمَجْمُورَ الْفَرَقَ .

أُضاحك ضَيْفَى قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيَخْصِبُ (١) عِنْدِي، وَالْمَحَلَّ جَدِيبٌ  
وَمَا الْخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْفِرَى وَلَكِنَّا وَجْهَ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ

### حديث زمزم

وكانت زمزم - كما تقدم - سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ ، عليه السلام ، فَجَرَّهَا لَهُ رُوحُ  
الْقُدُسِ بَعْقِيهِ ، وَفِي تَفْجِيرِهِ إِيَّاهَا بِالْقَبِ دُونَ أَنْ يُفَجِّرَهَا بِالْيَدِ أَوْ غَيْرِهِ : إِمَارَةٌ  
إِلَى أَنَّهَا لِعَقْبِهِ وَرِاثَةٌ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأُمُّهُ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ( وَجَعَلَهَا  
كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ) الزخرف : ٤٣ . أَيْ : فِي أُمِّهِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢) - ثُمَّ  
إِنْ زَمَزَمَ لَمَّا أُخْدِتْ جُرُومُ فِي الْحَرَمِ ، وَاسْتَخَفُّوا بِالْمَنَاسِكِ وَالْحَرَمِ ، وَبَغَى بَعْضُهُمْ  
عَلَى بَعْضٍ وَاجْتَرَمَ ، تَفَوَّرَ مَاءُ زَمَزَمَ وَاكْتَتَمَ ، فَلَمَّا أَخْرَجَ اللَّهُ جُرُومَ مِنْ مَكَّةَ  
بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرُهَا عِنْدَ الْحَرْثِ بْنِ مَضَاضٍ الْأَصْفَرِ إِلَى مَا كَانَ عِنْدَهُ  
مِنْ مَالِ السَّكْبَةِ ، وَفِيهِ غَزَالَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَأَسْيَافٍ قَلْعِيَّةٍ (٣) كَانَ سَاسَانُ مَلِكُ  
الْفُرْسِ قَدْ أَهْدَاهَا إِلَى السَّكْبَةِ ، وَقِيلَ : سَابُورُ ، وَقَدْ قَدِمْنَا أَنْ الْاَوَائِلَ مِنْ مُلُوكِ

(١) من باب علم وضرب .

(٢) قال ابن كثير في تفسيرها : هذه الكلمة - وهي عبادة الله وحده  
لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي : لا إله إلا الله ، أى جعلها دائمة  
في ذريته ، يقتدى به فيها من هداية الله تعالى من ذرية إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -  
وقال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم : يعنى : لا إله إلا الله  
لا يزال في ذريته من يقولها ، وروى نحوه عن ابن عباس ، على أن هناك رواية :  
أو قال بجناحه .

(٣) لسبة إلى قلعة بفتح فسكون بلد بالهند .

الْفُرْسِ كَانَتْ تَحْجُجُهَا إِلَى عَهْدِ سَاسَانَ ، أَوْ سَابُورَ ، فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ مِضَاضٍ أَنَّهُ مُخْرَجٌ مِنْهَا ، جَاءَ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ حَتَّى دَفَنَ ذَلِكَ فِي زَمْرَمَ ، وَعَقَّى عَلَيْهَا ، وَلَمْ تَزَلْ دَارِسَةً عَافِيَا أَثْرَهَا ، حَتَّى أَنَّ مَوْلِدَ الْمُبَارِكِ الَّذِي كَانَ يُسْتَسْقَى بِوَجْهِهِ غَيْثُ السَّمَاءِ وَتَفَجَّرَ مِنْ بَنَانِهِ بِنَابِيعُ الْمَاءِ ، صَاحِبِ الْكَوْثَرِ وَالْخَوْضِ الرَّوَّاءِ ، فَلَمَّا أَنَّ ظَهْرَهُ أَذِنَ لِلَّهِ تَعَالَى لِسُقْيَا أَبِيهِ أَنْ تَظْهَرَ ، وَلَمَّا انْدَفَنَ مِنْ مَائِهَا أَنْ تُجْتَهَرَ (٢) ، فَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ سَقَتِ النَّاسَ بَرَكَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّدَ وَسُقُوا بِدَعْوَتِهِ ، وَهُوَ طِفْلٌ حِينَ أُجْدَبَتِ الْبِلَدُ ، وَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ بِهِ جَدُّهُ مُسْتَسْقِيًا لِقُرَيْشٍ (٣) ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ - فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَسُقِيَتِ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا غُيُوثَ السَّمَاءِ فِي حَيَاتِهِ الْفَيِّنَةِ بَعْدَ الْفَيِّنَةِ ، وَالْمَرْءُ بَعْدَ الْمَرْءِ ، وَتَارَةً بِدَعَائِهِ ، وَتَارَةً مِنْ بَنَانِهِ ، وَتَارَةً بِإِلْقَاءِ سَهْمِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اسْتَشْفَعَ عُمَرُ بَعْمَهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَامَ الرَّمَادَةِ (٤) ،

(١) وَلَكِنْ هَذَا الْاِسْتِسْقَاءُ لَيْسَ مِنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ .

(٢) اجْتَهَرَ الْبُئْرُ : نَقَاهَا . أَوْ نَزَحَهَا أَوْ بَلَغَ الْمَاءُ .

(٣) قِصَّةُ مَوْضُوعَةٍ وَلَيْسَ الْاِسْتِسْقَاءُ الدِّينِيُّ الْحَقُّ مِنْ هَذَا الزَّعْمِ .

(٤) لَيْسَ مِنْ حُبِّ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ نَكْذِبَ لَهُ ، أَوْ نَكْذِبَ

عَلَيْهِ ، وَعَظَمَةُ الرَّسُولِ الْعَظِيمِ لَيْسَتْ فِي حَاجَةٍ إِلَى كَذِبٍ يَسَانِدُهَا ، لِأَنَّهَا قَامَتْ عَلَى الصِّدْقِ الْجَلِيلِ الْجَلِيلِ . وَصُورَةُ الْاِسْتِسْقَاءِ النَّبَوِيِّ نَهَتْهُ لَهَا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ :

«جَاءَ أَعْرَابِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . هَلَكْتَ الْمَاشِيَةُ ، وَهَلَكْتَ الْعِيَالُ ،

وَهَلَكَ النَّاسُ ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدَيْهِ يَدْعُو ، وَرَفَعَ النَّاسُ

أَيْدِيَهُمْ مَعَهُ يَدْعُونَ ، قَالَ : فَمَا خَرَجْنَا مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى مَطَرْنَا » مَخْتَصَرٌ مِنَ الْبُخَارِيِّ ،

وَحَدِيثُ اسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ : « عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ

كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ =



وأقسم عليه به وبنبيه<sup>(١)</sup>، فلم يبرح، حتى قاصوا المازرَ، واعتلقوا الحذاء،

==إليك بنينا، فتسقيننا، ولما نتوسل إليك بعم نبيك. فاسقنا، فيسقون) البخاري  
ويقال: إنه كان في عام الرمادة العام الثامن عشر، ويقول العلامة السلفي السهسواني  
الهندي تعليقا على هذا في كتابه: صيانة الإنسان عن وسوسة ابن دحلان: والمراد  
بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس رضي الله عنه: هو  
الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معبودة في الشرع، وهي أن يخرج من  
يستسقى به إلى المصلى، فيستسقى، ويستقبل القبلة داعيا، ويحول رداءه، ويصلي  
ركعتين، أو نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح، والدليل عليه قول  
عمر رضي الله عنه اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا صلى الله عليه وسلم، فتسقيننا،  
ولما نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا، ففي هذا القول دلالة واضحة على أن  
التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، والتوسل بالنبي لم يكن  
إلا بأن يخرج صلى الله عليه وسلم، ويستقبل القبلة ويحول رداءه، ويصلي ركعتين  
أو نحوه من الهيئات الثابتة للاستسقاء، ولم يرد في حديث ضعيف فضلا عن الحسن  
والصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به صلى الله عليه وسلم  
من غير أن يفعل ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقيا، والدعاء والصلاة  
وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة، وأقول: لو كان التوسل بذات الحي  
أو الميت جائزا — لا بدعائه — لتوسل عمر بذات محمد — وهو ميت —  
بدلا من توسله بالعباس. ولم يرد في حديث ما أن أحدا توسل بذات محمد في  
استسقاء أو غيره، لأن ذات محمد موصى، ليست من كسب أحد.

(١) لم يرد شيء مما قال في حديث صحيح. وقد وردت أحاديث الاستسقاء  
في البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرها،  
وكلاهما تجمع على أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يدعو، وليس في شيء منها ما ذكره  
السهيلي، وقد وردت صيغة الدعاء في حديث رواه أبو داود وأبو عوانة وابن  
حبان والحاكم وصححه ابن السكن، وقال أبو داود: هذا حديث غريب لإسناده  
جيد وهذه هي: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ==

وخاصوا الغُدرَان ، وَسمَّعتُ الرَّفَاقُ المَقْبَلَةُ إلى المدينة في ذلك اليوم صائحا بصيح في السَّحاب : أَتَاكَ الغوثُ أَبَا حَفْص ، أَتَاكَ الغوثُ أَبَا حَفْص (١) ، كل هذا بركة المُبْتَعَث بالرحمتين ، والداعى إلى الحياتين الموعود بهما على يديه في الدارين - صلى الله عليه وسلم - صلاة تصعد ولا تنفد ، وتتصل ولا تنفصل ، وتُنقِم ، ولا تَرِيْم ، إنه مُنْعِمٌ كريم .

### أَسْمَاءُ زَمْزَم :

فصل : فَأَرَى عَبْدُ المطلب في منامه : أن اخفِرَ طَيْبَةً ، فَسُمِّيَتْ طَيْبَةً ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وقيل له : احْتَقِرْ بَرَّةً ، وهو اسم صادق عليها أيضا ، لأنها قاضت الأبرار ، وغاضت عن الفجار ، وقيل له : اخفِرُ المَضْنُونَةَ . قال وهب بن مُنَبِّه : سُمِّيَتْ زَمْزَم : المَضْنُونَةُ لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين ، فَلَا يَتَضَلَّعُ منها منافق ، وروى الدَّارِقُطْنِي ما بقوى ذلك مُسْنَدًا عن النبي - صلى الله عليه وسلم : مَنْ شَرِبَ من زَمْزَم فَلَيْتَضَلَّعَ ، فإنه فَرَّقُ ما بيننا وبين المنافقين ، لا يستطيعون أن يَتَضَلَّعُوا (٢) منها ،

== الله ما يريد ، اللهم أنت الله ، لا إله إلا أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين ،

(١) أساطير مرددة لا تعرفها السيرة العطرة للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه عمر رضى الله عنه .

(٢) تضلَّع : امتلا شبعاً ورياً ، والتضلَّع أيضاً : الامتلاء حتى تمتد أضلاعه على أن مثل هذه الأحاديث لم يروها أصحاب الصحيح . وقد روى هذا الحديث : الدارقطني وابن ماجه .

أو كما قال . وفي تسميتها بالمُضْنُونَة رواية أخرى ، رواها الزبيرُ : أن عبدَ المطلب قيل له : اخفِرِ الْمُضْنُونَة ضُنَنْتَ بها على الناس إلا عليك ، أو كما قال .

**العلامات التي رآها عبد المطلب وتأويلها :**

وذلك عليها بعلاماتٍ ثلاثٍ : بُنْقَرَةُ الْغَرَابِ الْأَعْصَمِ ، وأنها بين الْفَرْثِ وَالدَّمِ ، وعند قرية النَّمَلِ ، ويروى أنه لما قام لِيَحْفَرَهَا رأى مارِئِمَ مِنْ قرية النَّمَلِ وَنُقْرَةَ الْغَرَابِ ، وَلَمْ يَرَ الْفَرْثَ وَالدَّمِ ، فبينما هو كذلك نَدَّتْ بَقْرَةٌ بِجَارِهَا ، فلم يُذَرِكْهَا ، حتى دخلت المسجد الحرام ، فنَحَرَهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي رُسِمَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فسال هناك الْفَرْثُ وَالدَّمُ ، فحَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حَيْثُ رُسِمَ لَهُ .

ولم تَخْصُ هذه العلامات الثلاث (١) بأن تكون دليلاً عليها إِلَّا الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ ، وفائدةُ مُشَاكِلةٍ فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ ، وَالتَّوَشُّمِ الصَّادِقِ لِمَعْنَى زَمْزَمَ وَمَائِمَا . أما الْفَرْثُ وَالدَّمُ ، فَإِنَّ مَاءَ هَاطِعَامَ مُطْعَمٌ ، وَشِفَاءٌ سَقَمٌ (٢) ، وَهِيَ لِمَاشِرٍ بِهِ (٣) ، وَقَدْ تَقَوَّتْ (٤)

(١) كل هذا من رواية محمد بن إسحاق لحسب .

(٢) يقول ابن الأثير في النهاية : «أى يشبع الإنسان إذا شرب ماءها ، كما يشبع من الطعام» ، وقد ورد في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذر أن رسول الله قال في زمزم : «لأنها طعام طعم وشفاء سقم» ، ونسب هذا في بعض الأحاديث إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار .

(٣) روى الإمام أحمد : «ماء زمزم لما شرب منه» ، ورواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن المؤمل ، وقد تسكلموا فيه . ولفظه : «ماء زمزم لما شرب له» ، ورواه سويد بن سعيد ولكن سويدا ضعيف . ورواه الحاكم مرفوعاً عن ابن عباس ، وفيه نظر . هذا وقد وردت تسمية زمزم ببرة . والمضنونة في حديث عن كعب الأحبار ، وحسبك به !!

(٤) حديث تَقَوَّتْ أَبِي ذَرٍّ بِمَاءِ زَمْزَمٍ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمَ .

(م ٨ — الروض الأنف ج ٢)

من مائها أبو ذر - رضى الله عنه - ثلاثين بين يوم وليلة ، فسمِنَ حتى تكسَّرت عُكُنُّهُ ، [ وما وجد على كبده سَخْفَةً <sup>(١)</sup> جوع ] فهي إذا كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في اللبن : إذا شرب أحدكم اللبن ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يسدُّ مسدَّ الطعام والشراب إلا اللبن ، وقد قال الله تعالى في اللبن : ( مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ) النحل : ٦٦ . فظهرت هذه الشقيا المباركة بين القَرْنِ والدَّم ، وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها .

وأما قوله : الغُرَابُ الأعْصَمُ ، قال القُتَيْبِيُّ : الأعْصَمُ من الغِرْبَانِ الذى فى جناحيه بَيَاضٌ ، وسَمَلٌ على أبى عبيد لقوله فى شرح الحديث : الأعْصَمُ الذى فى يديه بياض ، وقال : كيف يكون للغراب يَدَانِ ؟ . وإنما أراد أبو عبيد أن هذا الوصف لذوات الأَرْبَعِ ؛ ولذلك قال : إن هذا الوصف فى الغِرْبَانِ عزيزٌ ، وكأنه ذهب إلى الذى أراد ابنُ قُتَيْبَةَ من بياض الجناحين ، ولولا ذلك لقال : إنه فى الغِرْبَانِ مُحَالٌ لا يتصور . وفى مُسْنَدِ ابنِ أبى شَيْبَةَ من طريق أبى أُمَامَةَ عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ما يُغْنَى عن قوليهما ، وفيه الشفاء : أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : المرأة الصالِحَةُ فى النساءِ كالغُرَابِ الأعْصَمِ قيل : يا رسول الله ، وما الغُرَابُ الأعْصَمُ ؟ قال : الذى إحدى رجليه بَيَضَاءُ <sup>(٢)</sup> .

(١) جمع عكنة : الطى الذى فى البطن من السن ، ويجمع على أعكان أيضا والسخفة : الهزال .

(٢) وعن الأزهري فى اللسان : أنه الأحمر الرجلين لقلته فى الغِرْبَانِ ، لأن أكثر الغِرْبَانِ : السود البقع . هذا والعرب تجعل البياض حمرة ، فيقال للمرأة البيضاء : الحمراء .

فالغراب في التأويل : فاسق ، وهو أسود ، فَذَلَّتْ نُقْرَتُهُ عند الكعبة على نُقْرَةِ  
الْأَسْوَدِ الْحَبَشِيِّ بِمَقُولِهِ في أساس الكعبة يَهْدِمُهَا في آخر الزمان ، فكان  
نُقْرُ الغراب في ذلك المكان يُؤْذَنُ بما يفعله الفاسقُ الأسودُ في آخر الزمانِ  
بِقِبْلَةِ الرَّحْنِ ، وَسُقْيَا أهل الإيمان ، وذلك عندما يُرْفَعُ القرآنُ ، وتُجْمَعُ عبادةُ  
الأوثان ، وفي الصحيح عن رسول - صلى الله عليه وسلم - : «لَيُخَرَّبَنَّ الكعبةُ  
ذو السَّوَيْتَيْنِ مِنَ الحبشة» (١) وفي الصحيح أيضا من صفته : أنه [أسود] أَفْحَجٌ ،  
[يقلمها حجرا حجراً] وهذا أيضا ينظر إلى كون الغراب أعْمَمٌ ؛ إِذِ الْفَحَجُ : تَبَاعُدٌ  
في الرِّجْلَيْنِ ، كما أن الْعَمَمَ اختلافٌ فيهما ، والاختلافُ : تَبَاعُدٌ وقد عُرِفَ بذى  
السَّوَيْتَيْنِ ، كما نُتِمَ الغرابُ بصفةٍ في ساقيه ، فتَأَمَّلْهُ ، وهذا من خَفِيِّ علم التأويل ،  
لأنها كانت رُؤْيَا ، وإن شِئْتَ : كان من باب الزَّجْرِ والتَّوْشِمِ الصَّادِقِ (٢)  
والاعتبار والتفكير في معالم حكمة - الله تعالى - فهذا سعيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ ،  
وهو مَنْ هُوَ عَلِمَا وَوَرَعَا حين حَدَّثَ بِحديث البئر في البستان ، وأن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم - قعد على قُمْحٍ (٣) ، وَدَلَّى رجله فيها ، ثم جاء أبو بكر  
رضي الله عنه - ففعل مثل ذلك ، ثم جاء عمرُ - رضي الله عنه - ففعل مثل

(١) الحديث متفق عليه ، وفي أنى داود بسند ضعيف : «اتركوا الحبشة  
ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويعتين من الحبشة» ، والسويعتان  
مثنى سويقة : تصغير لساق ، وهى مؤنثة . وقد صغر الساق ، لأن الغالب على سوق  
الحبشة الدقة والخروشة ، وقد أبعد السبيل وأغرب في تأويلاته .

(٢) الزجر : أصله هو التيمن والتشؤم بالطير ، والتفؤل بطيرانها كالسائح  
والبارح ، وهو نوع من السكاهنة والعيافة . والتوشم . أو الزكانة : الاعتبار  
(٣) قف البئر : هو الدكة التى تجعل حولها .

ذلك ، ثم جاء عثمان ، فانتبذَ منهم ناحية ؛ وَقَعَدَ حَجْرَةً (١) . قال سعيد بن المسيَّب : فَأَوَّلْتُ ذلك قبورَهم ، اجتمعت قبورُ الثلاثة ، وانفرد قبرُ عثمان - رضى الله عنه - . والله سبحانه يقول : ( إن في ذلك لآياتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ) الحجر : ٧٥ . فهذا من التَّوَسُّمِ وَالْفِرَاسَةِ الصادقة ، وإعمالِ الفكرِ في دلائلِ الحكمة ، واستنباطِ الفوائدِ اللطيفة من إشاراتِ الشريعة . وأمَّا قريةُ النمل ، ففيها من المُشَاكَلَةِ أيضا ، والمناسبة : أن زَمَزَمَ هى عينُ مَكَّةَ التى يَرِدُهَا الحَجِيجُ والعُمَارُ من كل جانب ، فيحملون إليها الثَبَرَ والشَّعِيرَ ، وغير ذلك وهى لا تحرث ولا تزرع ، كما قال سبحانه خبرا عن إبراهيم عليه السلام : ( رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ) . إلى قوله : ( وَارزُقْنَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ [لعلهم يشكرون] إبراهيم : ٣٧ ) وقرية النمل لا تحرث ولا تَبْدُر ، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مَكَّةَ قال الله سبحانه : ( وَصَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ) النحل : ١١٢ . مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماءَ فى الخَوْصِ : إذا جمَعْتُهُ ، والرُّؤْيَا تُعَبِّرُ عَلَى اللفظ تارة ، وعلى المعنى أخرى ، فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التأويل - والله أعلم .

مع صفات زمزم :

وقد قيل لعبد المطلب فى صفة زَمَزَمَ : لَا تَنْزِفُ أَبَدًا ، وَلَا تُدْخِمُ (٢) ،

(١) قعد حجرة : أى ناحية .

(٢) نزفت - بفتح النون والزاي - ماء البئر نفا : إذا نوحته كله ، ونزفت هى =

وهذا بُرْهَانٌ عَظِيمٌ ، لِأَنَّهُ لَمْ تَنْزِفْ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْنَ إِلَى الْيَوْمِ قَطُّ ، وَقَدْ وَقَعَ فِيهَا حَبَشِيٌّ فَتَزَحَّتْ مِنْ أَجْلِهِ ، فَوَجَدُوا مَاءَهَا يَتَوَرَّمُ ثَلَاثَةَ أَعْيُنٍ ، أَقْوَاهَا وَأَكْثَرُهَا مَاءً : مِنْ نَاحِيَةِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ الدَّارَقُطْنِيُّ .

وقوله : وَلَا تَنْدُمُ ، فِيهِ نَظَرٌ ، وَابِسٌ هُوَ عَلَى مَا يَبْدُو مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ مِنْ أَنَّهَا لَا يَذُمُّهَا أَحَدٌ ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الذَّمِّ لَكَانَ مَاؤُهَا أَعَذَبَ الْمِيَاءِ ، وَلَتَضَلَّعَ مِنْهُ كُلُّ مَنْ يَشْرِبُهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَتَضَلَّعُ مِنْهَا مَنَافِقٌ ، فَمَاؤُهَا إِذَا مَذْمُومٌ عِنْدَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَمِيرُ الْعِرَاقِ يَذُمُّهَا ، وَيُسَمِّيهَا : أُمَّ جِمْلَانَ <sup>(١)</sup> ، وَاحْتَفَرُ بُرّاً خَارِجَ مَكَّةَ بِاسْمِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَجَمَلَ يُفَضِّلُهَا عَلَى زَمْزَمَ ، وَيَحْمِلُ النَّاسُ عَلَى التَّبَرُّكِ بِهَا دُونَ زَمْزَمَ جُرْأَةً مِنْهُ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَقَوْلُهُ حَيَاءٌ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْلَنُ وَيَفْصَحُ بِلَعْنِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا ، أَنَّهَا قَدْ ذُمَّتْ ، فَقَوْلُهُ إِذَا : لَا تَنْدُمُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : بَرَّ ذِمَّةَ أَيْ : قَلِيلَةَ الْمَاءِ ، فَهُوَ مَنْ أَذْنَمَتِ الْبُيُوتُ إِذَا وَجَدَتْهَا ذِمَّةً : كَمَا تَقُولُ : أَجَبَنْتُ الرَّجُلَ : إِذَا وَجَدْتَهُ جَبَانًا ، وَأَكْذَبْتُهُ إِذَا

== يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى ، وَنَزَفَتْ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ ، وَعَنْ ابْنِ سَيِّدَةَ : نَزَفَ الْبُيُوتُ يَنْزِفُهَا وَأَنْزَفَهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، كَلَامُهُمَا نَزَحَ : وَأَنْزَفَتْ هِيَ نَزَحَتْ ، وَذَهَبَ مَاؤُهَا .

(١) جَمَلَ الْمَاءِ بِفَتْحٍ فَكَسَرَ جَمَلًا ، أَيْ : كَثُرَ فِيهِ الْجَمَلَانُ : جَمَعَ جَمَلَ وَهُوَ دَابَّةٌ سُودَاءُ مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ قِيلَ : هُوَ أَبُو جَعْرَانَ . وَلَعَلَّهَا فَرِيَّةٌ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوَاقِفِ ، الَّذِي يَرْغَبُهُمْ عَلَى الرِّضَا بِهَذَا الَّذِي نَسَبَ إِلَى خَالِدٍ .

وجدته كاذباً<sup>(١)</sup>، وفي التنزيل: «فإيهام لا يكذبونك»<sup>(٢)</sup> [ولكن الظالمين  
بآيات الله ينجحون] الأنعام . ٣٣ وقد فسر أبو عبيد في غريب الحديث قوله  
حتى مررنا ببرذمة : وأنشد .

نَحْيَسَةُ خُزْرًا كَانَ عِيُونَهَا ذِمَامُ الرَّكَايَا أَنْكَرَتِهَا الْمَوَاتِحُ<sup>(٣)</sup>

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله . ولا تُدَمِّمَ ؛ لأنه نفي مطلق ، وخبر صادق

(١) يقول ابن جرير الطبري : «أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب  
وكذبتة — بتضعيف الذال — إذا أخبرت أنه كاذب .»

(٢) الذى فى المصحف هو ما أثبتناه ، ولكن السهيل يعنى القراءة الثانية ، وهى  
مشهورة أيضاً ، وهى : «لا يكذبونك» بضم الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال ، وهى  
قراءة نافع والكسائى من : أكذب ، أما قراءة المصحف : فن كذبه بتضعيف الذال .

(٣) البيت لذى الرثمة — بضم الراء أو كسرهما وتشديد الميم المفتوحة —  
يصف إبلا غارت عيونها من السكال . وروايته فى اللسان : «على حميريات ،  
بدلاً من «نَحْيَسَةُ خُزْرًا» ، والإبل النحيسة هى التى لم تسرح ، ولكنها حبست للنحر  
أو القسم ، والخزر : هو كسر العين بصرها خلقة أو ضيقها وصفرها . أو النظر  
كأنه فى أحد الشقين ، أو أن يفتح عينيه ويغمضهما ، وحول فى إحدى العينين . وركايا  
جمع ركية — بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء المفتوحة — البر — كما  
فى القاموس ، ومواتح : المنح — بفتح الميم وسكون التاء — جذبك رشاء  
«حبل ، الدلو تمد بيد ، وتأخذ بيد على رأس البر . ومواتح : جمع ماتح وهو  
المستقى . والماتح الذى يملأ الدلو من أسفل البر . أنكرتها : أقلت ماءها ، والذمة :  
البر قليلة الماء . يقول عن الإبل . إن أعينها غارت من التعب ، فكانها آبار  
قليلة الماء . وفى الروض : أنكرتها ، فرواها اللسان فى مادة ذمم «أنكرتها ،  
وفسرها بما نقلته عنه ، ولكنه فى مادة فتح ذكرها : أنكرتها .»



والله أعلم - وحديث البئر الذمّة التي ذكرها أبو عبيد ، حدثنا به أبو بكر بن العربي الحافظ ، قال : أخبرنا القاضي أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبي الرجاء قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد قال : حدثنا الخوث بن أبي أسامة . قال : حدثنا أبو النصر ، قال : حدثنا سليمان عن محمد بن يونس عن البراء قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مسير قاتينا على ركيّ ذمّة (١) . يعني : قليلة الماء قال : فنزل فيها ستة - أو سادسهم مائة (٢) ، فأدريت إلينا دلو ، قال : ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الركيّ . فحملنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثها . فرفعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فحنت بإنائي . هل أجد شيئاً أجعله في حاتي ، فما وجدت ، فرفعت الدلو إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فغمس يده فيها ، فقال ما شاء الله أن يقول - قال : فأعيت إلينا الدلو بما فيها ، قال : فلقد رأيت أحداً أخرج بثوب خشية الفرق . قال : ثم ساحت ، يعني : جرت نهر (٣) .

(١) ركيّ - بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء - جنس للركية وهي البئر .

(٢) المبح - بفتح الميم وسكون الياء - أن تدخل البئر فتملأ الدلو ، وذلك إذا قل ماؤها ، ودجل عاج ، وقوم مائة بفتح الحاء .

(٣) أصل الحديث في الصحيح باختصار كثير في إحدى الغزوات . وهذا الذي في الروض رواه أحمد والطبراني . ويقول الحافظ في الفتح : قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه ، من أمر عنه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي . قلت : أخذ كلام عياض أو تصرف فيه . قال : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبيتنا ، وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين =

### اشتقاق مفازة :

وذكر حديث عبد المطلب في مسيره مع قرش إلى الكاهنة ، وذكر  
المفاز التي عطشوا فيها . المفوز : جمع مفازة ، وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال . روى  
عن الأصمعي أنها سُميت مفازة على جهة التغاؤل لراكبها بالفوز والنجاة ،  
ويذكر عن ابن الأعرابي أنه قال : سألت أبا للكاسم : لم سميت القفلة مفازة ؟  
فقال : لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز . وقال بعضهم : معناها : مهلكة  
لأنه يقال : فاز الرجل ، وفوز وفاد وقطس : إذا هلك . وذكر في غير رواية  
على ابن أبي طالب - رضوان الله عليه - ثم ادع بالماء الروي غير الكدر  
يقال : ماء روي بالكسر والقصر ، ورواء بالفتح وللد<sup>(١)</sup> وفيه :

= واحد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق . وعن  
ابن سعد عند البخاري والترمذي ، وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من  
طريقين .. . وأما تكثير الماء بأن يلمه بيده ، أو يتغل فيه ، أو يأمر بوضع  
شيء فيه كسهم من كفافته . فجاء في حديث عمران بن حصين في الصحيحين ،  
وعن البراء بن عازب عند البخاري وأحمد من طريقين ، وعن أبي قتادة عند  
مسلم ، وعن أنس عند البيهقي في الدلائل .. . وأما من رواها من أهل القرن الثاني  
فهم أكثر عدداً ، وإن كان شطر طرقه لإفراد ، انتهى ما في الفتح ص ٤٥٦ ج ٦  
وانظر بجمع الزوائد للهيتي . وأقول : كل ما يحدث هو بأمر الله سبحانه ، ولا  
يستطيع مسلم أن ينكر أن الله سبحانه فجر الماء لموسى من الحجر ، وقال لعيسى  
عن المائدة : « إني منزلها عليكم » والله الذي من بذلك قادر على أن ينزل هذا .  
وموقفنا الإذعان ، والإيمان بأنه من قدرة الله وإذنه ، لا من قدرة نبي أو ولي ،  
ولا بإذنه ولا بأمره .

(١) روي كفتي ، وروي مثل : إلى ، ورواه مثل سماء : كثير مرو .

## الجمع واسم الجمع :

يستقى حَجِيجُ اللَّهِ في كل مَبْرَءٍ الحَجِيجُ: جمع حاج . وفي المجموع على وزن فَعِيل كثير كالتَّعِيد والتَّعِير والتَّعِيز والأَبِيل !! وأحسبه اسما للجمع ؛ لأنه لو كان جماعه واحد من لفظه، لجرى على قياس واحد كسائر المجموع، وهذا يختلف واحدُه فحَجِيج واحدُه: حاج، وعبيد واحدُه: عُبدٌ، وبقير<sup>(١)</sup> واحدُه: بقرة [ومَعِير: واحدُه: مَاعِر] إلى غير ذلك، فغائز أن يقال: إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة ؛ ولذلك لا يُصَغَّر على لفظه، كما تصغر أسماء المجموع ، فلا يقال في العبيد: عُبيد ، ولا في النخيل:

(١) في اللسان : البقير اسم للجمع ، أما الأَبِيل بفتح الهمزة وكسر الباء — فالخزمة من الحشيش والخطب ، والإبيل بكسر الهمزة وتضعيف الباء مع كسرهما: القطعة من الطير والخيل . وقيل هي مفرد أبابيل ، وربما كانت لبلا ، وهي تقع على الجمع، وليست بجمع والاسم جمع ، قاموس ، ويقول الجوهري إن أسماء المجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين ، فالتأنيث لازم لها، فإذا صغرتها دخلتها التاء ، فنقلت عن لبيل : أبيلة ، وعن غنم : غنيمة ، وقد فرق شارح السكاكية لابن الحاجب بين الجمع واسم الجمع بفروق تملخص في ثلاثة أوجه ، الأول: أن الجمع على صيغة خاصة من صيغ معدودة معروفة ، وهذه الصيغة تغاير صيغة المفرد ، إما ظاهرا ، وإما تقديرا . فالمغايرة الظاهرة إما بالحركات كأسد ، وأسد ونمر ونمر ، وإما بالحروف كرجال : جمع رجل وكتب جمع كتاب ، والمغايرة المقدرة كهجان وفلك ، ومن المغايرة الظاهرة : الجمع السالم مذكرا أو مؤنثا .

والثاني : أن للجمع واحدا من لفظه ، وليس لاسم الجمع واحد من لفظه ، بل له واحد من معناه ، فواحد الإبل : بعير أو ناقة ، وواحد الغنم : شاة . والثالث : أن الجمع يرد إلى واحد في النسب مطلقا ، وفي التصغير إن كان جمع كثرة . وأما اسم الجمع ، فلا يرد ، لأنه إما ألا يكون له واحد حتى يرد إليه ، وإما أن يكون له واحد ، لكن لا يصح الرد إليه لأن اسم الجمع لم يكن على صيغة من صيغ الجمع فهو كالمفرد في اللفظ . انظر ص ١٩٣ ج ٢ شرح الشافعية للرضي والتلخيص المذكور للأستاذة المحققة للشافعية .

نُخِيلٌ، بل يرد إلى واحد، كما ترد الجموع في التصغير، فيقال: نُخَيْلَاتٌ وَعُبَيْدُونَ، وإذا قلت: نخيل أو عبید، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس، قال الله سبحانه: (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) وقال: (وَمَارُبُّكَ بِظِلَامٍ لِّلْعَبِيدِ) فصلت: ٤٦، وحين ذكر الحاطبين منهم قال: العباد، وكذلك قال حين ذكر الثمر من النخيل: (وَالنَّخْلُ بِاسْقَاتٍ) ق: ١٠ وقال: (أَفْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) القمر: ٢٠ فأمل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام، وأما في مذهب أهل اللغة، فلم يفرقوا هذا التفريق، ولا نهوا على هذا الغرض الدقيق.

### شروح:

وقوله: في كل مَبَرٍّ: هو مَقْعَلٌ مِنَ الْمَبَرِّ، يريد: في مناسك الحج ومواقع الطاعة  
وقوله: مثل نمام جافل لم يقسم. الجافل: من جَفَلَتِ الغنم: إذا انقلعت  
بجملتها، ولم يُقَسَّمْ أى: لم يُتَوَزَّعْ، ولم يتفرق.

وقوله: ليس يخاف منه شيء ما عَمَرَ. أى: ما عمر هذا الماء، فإنه لا يؤذى،  
ولا يخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط في شربها، بل هو بركة على كل  
حال، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله: لَا تَنْزِفُ، وَلَا تُذَمِّعَ عَاقِبَةَ شَرْبِهَا، وهذا  
تأويلٌ سائغٌ أيضا إلى ما قدمناه من التأويل، وكلاهما صحيح في صحتها.

وقوله: وضرب [في الباب] الفزالين<sup>(١)</sup> حلية الكعبة، وهو أول ذهب حليت  
به الكعبة، وقد قدمنا ذكر الفزالين، ومن أهدأها إلى الكعبة، ومن دفنها من  
جُرُهم، وتقدم أن أول من كسا الكعبة: نُبَيْعٌ، وأنه أول من اتخذها غَلَقًا إلى أن

(١) ما بين قوسين زيادة من السيرة.

ضرب لها عبدُ المطلب بابَ حديد من تلك الأسلَاف ، واتخذ عبدُ المطلب حوضاً لزمر يسقى منه ، فكان يُحَرَّبُ له بالليل حَسَدًا له ، فلما غَمَّ ذلك قيل له في النوم : قل : لا أحلها لمغسل ، وهى لشارب حلٍّ وبلٍّ<sup>(١)</sup> وقد كَفَيْتَهُمْ ، فلما أصبح قال ذلك ، فكان بعدُ من أرادها بمسكروه رُمِيَ بداء في جسده ، حتى انهموا عنه . ذكره الزهرى في سيره .

### بئر قريش بمكة :

وقوله : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئرا بمكة . ذكروا أن قصيا كان يسقى الحَجِيجَ في حياضٍ من أَدَمَ ، وكان يُقَلُّ الماء إليها من آبارٍ خارجةٍ من مكة منها : بئرُ مَيْمُونِ الحَضْرَمِيِّ ، وكان يَنْبِذُ لهم الزبيب ، ثم احتفر قُصْيُ العَجُولَ في دار أم هانئ بنت أبي طالب ، وهى أول سقاية

(١) بل : شفاء ، وقيل : بل : مباح بلغة حمير ، وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق شعرا قاله عبد المطلب حينئذ وهو :

اللهم أنت الملك المحمود ربى أنت المبدى المعيد  
ومسك الراسية الجلود من عندك الطارف والتلبد  
إن شئت ألهمت كما تريد لموضع الحلية والحديد  
فبين اليوم لما تريد إني نذرت العاهد المعهود  
اجعله رب لى فلا أعود

انظر ص ٢٤٦ ج ٢ البداية . هذا وفى السيرة عند قوله : « ثم أعطوا صاحب القداح ، زدت كلمة «القداح» بعد جملة «أعطوا» من البداية ص ٢٤٦ ج ٢ ، وقد جعل عبد المطلب لزمر حوضين . أحدهما : للشرب ، والآخر : للوضوء ، وقال : لا أحلها لمغسل ؛ لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه ج ٢ ص ٢٤٧ بداية .

اُحْتَفِرَتْ (١) بِمَكَّةَ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا اسْتَقَمُوا مِنْهَا ارْتَجَزُوا ، فَقَالُوا :  
تُرَوَّى عَلَى الْعَجُولِ ، ثُمَّ نَنْطَلِقُ إِنْ قُصِيًّا قَدْ وَفَى وَقَدْ صَدَقَ  
[بِشَبَعِ الْحَجِجِ وَرَى مُغْتَبِقَ] (٢)

فَلَمْ تَزَلِ الْعَجُولُ قَائِمَةً حَيَاةَ قُصَيٍّ ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ ، حَتَّى كَبِرَ عَبْدُ مَنْفٍ  
ابْنُ قُصَيٍّ ، فَسَقَطَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُعَيْلٍ ، فَمَطَّلُوا الْعَجُولُ ، وَانْدَفَنَتْ ،  
وَاحْتَفَرَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بَثْرًا ، وَاحْتَفَرُ قُصَيٌّ سَجَلَةً ، وَقَالَ حِينَ حَفَرَهَا :  
أَنَا قُصَيٌّ ، وَحَفَرْتُ سَجَلَةً تُرَوَّى الْحَجِجِجَ زُغْلَةً فَزُغْلَةً (٣)  
وَقِيلَ : بَلْ حَفَرَهَا هَاشِمٌ ، وَوَهَبَهَا أَسَدُ بْنُ هَاشِمٍ لَعْدِيَّ بْنِ نُوْفَلٍ ،  
وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ خَالِدَةُ بِنْتُ هَاشِمٍ :

نَحْنُ وَهَبْنَا لَعْدِيٍّ سَجَلَةً تُرَوَّى الْحَجِجِجَ زُغْلَةً فَزُغْلَةً  
وَأَمَّا أُمُّ أَحْرَادٍ الَّتِي ذَكَرَهَا ، فَأَحْرَادٌ : جَمْعٌ : حِرْدٌ ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ السَّنَامِ ،  
فَكَأَنَّهَا سُمِّيَتْ بِهَذَا ، لِأَنَّهَا تُنْبِتُ الشَّحْمَ ، أَوْ تُسَمِّنُ الْإِبِلَ ، أَوْ نَحْوَ هَذَا  
وَالْحِرْدُ : الْقَطَا (٤) الْوَارِدَةُ لِلْمَاءِ ، فَكَأَنَّهَا تَرْدُهَا الْقَطَا وَالطَّيْرُ ، فَيَكُونُ

(١) وَفِي الْمَرَادِدِ : أَنَّ الْعَجُولَ أَوَّلُ بَثْرٍ حَفَرَتْ بِمَكَّةَ ، وَقِيلَ : حَفَرَهَا عَبْدُ شَمْسٍ قَبْلَ  
خَمٍ ، وَقِيلَ إِنْ أَصْلُهَا كَانَتْ رَكِيَّةً فِي دَارِ أُمِّ هَانِئٍ ، ثُمَّ وَسَعَهَا قُصَيٌّ ، أَوْ سَمَّاها كَذَلِكَ  
(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ مَعْجَمِ الْبَكْرِيِّ . وَمُغْتَبِقٌ : أَصْلُ الْغُبُوقِ — كَصُبُورٍ —  
مَا يَشْرَبُ بِالْعَشِيِّ . وَغَبَقَهُ : سَقَاهُ ذَلِكَ ، فَاغْتَبَقَ هُوَ ، وَالْمُغْتَبِقُ — بِضَمِّ الْمِيمِ وَكَسْرِ  
الْبَاءِ — مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ

(٣) الزُّغْلَةُ : الْجُرْعَةُ .

(٤) قَطَا حَرْدٌ : سَرَاعٌ . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ عَنْ هَذَا : إِنَّهُ خَطَأٌ . وَذَكَرَ أَنَّ الْقَطَا

أحرّاد جمع : حرّود بالضم على هذا . وقالت أمّية بنت عُمَيْلَةَ بن السَّبَّاق بن عبد الدار امرأة القوّام بن خُوَيْلِد حين حفرت بنو عبد الدار أمّ أحرّاد : نحن حَفَرْنَا البَحْرَ أمّ أحرّادِ ليست كَبْدَرُ البرور<sup>(١)</sup> الجُمَادِ

فأجابتها ضَرَّتُهَا : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه :

نحن حَفَرْنَا بَدْرَ<sup>(٢)</sup> نسقى الحَجِيجَ الأكبر

من مُقْبِلٍ ومُذِيرٍ وأم أحرّادَ شَرَّ<sup>(٣)</sup>

وأما جُرَاب ، فيحتمل أن يكون بمعنى : جَرِيب<sup>(٤)</sup> نحو : كبار وكبير ،

الحردى القصار الأرجل ، وهى موصوفة بذلك . وفى المراسد عن أم أحراد أنها جمع حريد ، وهو المنفرد عن حلة القوم .

(١) هكذا ، وهى غير مناسبة للمعنى ، فلعلها : البثور بضم الباء والثاء : جمع بثر بفتح الباء وسكون الثاء ، وفى اللسان : أنها الكرار — بكسر الكاف — جمع كر المواضع الذى يجمع فيه الماء الآجن ، ليصفو ، ويقال للبخیل : جراد كقطام ذماله .

(٢) فى غير الروض : بثر بفتح فسكون ، والبثر أرض حجارتها كحجارة الحرة إلا أنها بيض ، والماء البثر فى الغدير إذا ذهب ، وبقي على وجه الأرض منه شيء قليل

(٣) البيت : «سقى الله أمواها» لكثير عزة كما فى اللسان ، وكلها آبار بمكة ، وقال ابن برى : هذه كلها أسماء مياه ؛ بدليل إبدالها من قوله أمواها ، ودعا بالسقيا للأمواه ، وهو يريد أهلها النازلين بها .

(٤) الجريب من الطعام والأرض : مقدار معلوم ، والجريب : مكيال قدر أربعة أقفرة ، والجريب : قدر ما يزرع فيه من الأرض ، قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا ، والجمع : أجربة وجربان . وقيل : الجريب المزرعة ، والجريبة : الوادى وجمعه أجربة . ولم أجد فى اللسان جرابا لجريب . ولا فى القاموس .

والجريب : الوادى ، والجريبُ أيضاً : مِكْيَالٌ كبير ، والجريبُ أيضاً : المزرعة .  
وأما مَلَكُوم فهو عندى مقلوب ، والأصل : نَمَكُول من : مَكَلْتُ  
البئر : إذا استخرجت ماءها ، والمُكَلَّة : ماء (١) الرِّكِيَّة ، وقد قالوا : بئر  
عَمِيقَة ، ومَعِيقَة ، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه :  
نَمَكُول ومَلَكُوم ، والمَلَكُومُ فى اللغة : المظلوم إذا لم يكن مقلوباً (٢) .

وأما بَذَر فمن التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا  
من غير مكان واحد ، وهذا البناء فى الأسماء قليل ، نحو : شَلَمٌ وخَضَمٌ وبَذَرٌ ،  
وهى أسماء أعلام ، وشَلَمٌ : اسم بيت المقدس ، وأما فى غير الأعلام ، فلا يعرف  
إلا البَقَم ، ولعل (٣) أصله أن يكون أعجميا ، فعرب .

(١) وضع اللسان ملكوم فى مادة لكم ، وفى المراسد : أنها اسم  
المفعول من لكمة ، وفيه أن المسكلة بضم الميم وفتحها وسكون الكاف : جمعة  
البئر . الجملة المكان الذى يجتمع فيه ماء البئر . أو أول ما يستقى منها ، وفى اللسان :  
المسكلة بضم الميم الشئ القليل من الماء يبقى فى البئر أو الإناء ، فهو من الاضداد  
وبئر بمكولة : نزح ماؤها .

(٢) لم أجد للملكوم هذا المعنى لافى القاموس ، ولا فى اللسان ، ولها معنى الدفع  
والضرب باليد مجوعة .

(٣) خضَم : اسم عنبر بن تميم ، وقال اللسان عن شلم : إنها عبرانية ، وزاد  
من الأعلام : عثر بفتح العين ، وتضعيف الثاء مع فتح - اسم بالين ، أو واد من  
أودية العقيق ، أو مأسدة . وفى المراسد أن أهل اليمن ينطقون عثر بتخفيف الثاء  
«باسكانها» انظر المراسد ، ومعجم ما استعجم وياقوت . وفى اللسان أيضا : كَثَمَ  
بوزن عثر : اسم موضع . أما بقم فاسم شجر عظام أو خشبة . وبضم الميم مثل =



وأما خُمّ وهى بئر مرة ، فهى من خَمَّتْ البيتَ إذا كنستهُ ، ويقال : فلان نَحْمُومُ القلبِ أى : نَقِيهِ ، فكأنها سُمِّيتَ بذلك لنقاها .

وأما غَدِيرُ خَمٍّ الذى عند الجُحْفَةِ ، فَسُمِّيتَ بَغِيضَةٍ<sup>(١)</sup> عنده ، يقال لها : خُمّ فيما ذكروا . وأما رُمّ بئر بى كلاب بن مُرّة ، فمن رَمَتُ الشىءَ إذا جَمَعْتَهُ وأَصْلَحْتَهُ ، ومنه الحديث : كنا أهل ثُمّةٍ ورُمّةٍ<sup>(٢)</sup> ، ومنه : الرُّمَّانُ فى قول سيبويه ، لأنه عنده فُغْلَانٌ ، وأما الأَخْفَشُ فيقول فيه : فُغْلٌ ، فيجعل فيه الثُّونَ أَصْلِيَّةً ، ويقول : إن سَمِّيتَ به رجلا صرّفته . ومن قول عبدِ شمس بن قُصَيٍّ :

==سكر شجر جوز ، وزاد ابن مالك ، شمر ، اسم فرس ، فصارت ستة أسماء ، وقد نظم ابن مالك أكثرها فيما يأتى :

وبئر وبقم وشمر وخضم وعثر لفعل

ص ٦٣ ج ٢ المزهري للسيوطي .

(١) الأجمة ، وهى مغيض ماء يجتمع ، فنبت فيه الشجر .

(٢) هو فى حديث أم عبد المطلب حين أخذه عمه منها : كنا ذوى ثمة ورمة . يقال ، ماله ثم ولارم . فالتم : قاش البيت : والرم : مرمة البيت أى : متاعه كأنها أرادت : كنا القائمين بأمره منذ ولد إلى أن شب وقوى . وقيل : هو من قول أخوال أحيحة بن الجلاح . قال أبو عبيد : المحدثون يروونه بالضم ، والوجه عندى الفتح ، وهو لإصلاح الشىء وإحكامه ، وهو - أى الثم والرم - بمعنى الإصلاح . وقيل : هما بالضم مصدران . والمعنى على قول أبي عبيدة : كنا أهل تربيته والمتولين لإصلاح شأنه ، وقد رواه الهروى فى حرف الراء من قول أم عبد المطلب ، ورواه فى حرف التاء من قول أخوال أحيحة ، ورواه مالك فى الموطأ عن أحيحة .

حَفَرْتُ رُمًا ، وَحَفَرْتُ حُمًا حَتَّى تَرَى الْجَدَّ بِهَا قَد تَمَّ  
وَأَمَّا سُقْيَةُ بَثْرُ بَنِي أَسَدٍ ، فَقَالَ فِيهَا الْخَوِيزِثُ بْنُ أَسَدٍ :  
مَاءُ سُقْيَةٍ كَمَا الْمُزْنِ وَلَيْسَ مَائُهَا بِطَرَقٍ أَجْنٍ (٢)  
وَأَمَّا سُنْبُلَةٌ : بَثْرُ بَنِي جُحَجٍ ، وَهِيَ بَثْرُ بَنِي خَلْفِ بْنِ وَهْبٍ - فَقَالَ فِيهَا  
شَاعِرُهُمْ :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سُنْبُلَةً صَوَّبَ سَحَابٍ ذَوِ الْجَلَالِ أَنْزَلَهُ  
ثُمَّ تَرَكْنَاهَا بِرَأْسِ الْقُنْبُلَةِ نَصَبُ مَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَعْبَلَةِ  
نَحْنُ سَقَيْنَا النَّاسَ قَبْلَ الْمَسْئَلَةِ

من شرح شعر مسافر :

وَأَمَّا الْقَمَرُ : بَثْرُ بَنِي سَهْمٍ ، فَقَالَ فِيهَا بَعْضُهُمْ :  
نَحْنُ حَفَرْنَا الْقَمَرَ لِلْحَجِيجِ تَشْجُ مَاءٍ أَيَّمَا مُجِيجِ  
ذَكَرَ أَكْثَرُهُ أَبُو عُبَيْدِ الْبَكْرِى ، وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَرْجَازِ أَوْ أَكْثَرُهُ  
فِي كِتَابِ الزُّبَيْرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .  
فَصَل : وَذَكَرَ شَعْرَ مُسَافِرٍ بَنِ أَبِي عَمْرٍو بَنِ أُمَيَّةَ . وَاسْمُ أَبِي عَمْرٍو :  
ذَكْوَانٌ ، وَهُوَ الَّذِى يَقُولُ فِيهِ أَبُو سَفْيَانَ :

(١) هِيَ سَقِيَّةٌ أَوْ شَفِيَّةٌ ، وَفِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ سَنَةِ ١٣٢٢ عَلَى هَامِشِ  
الرُّوضِ : سَقِيَّةٌ .  
(٢) الطَّرَقُ : الْمَاءُ الَّذِى خَوْضَتُهُ الْإِبِلُ ، وَبُولَتْ فِيهِ ، وَالْأَجْنُ : الْمَاءُ  
الْمُتَغَيِّرُ الطَّعْمَ وَاللَّوْنَ .

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بْنَ أَبِي عَمَّةٍ رَوِ ، وَلَيْتَ يَقُولُهَا الْمَحْزُونُ  
بُورِكَ أَلْمَيْتُ الْغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ نَضَحُ الرُّمَّانَ وَالزَّيْتُونَ (١)

في شعر يرثيه به ، وكان مات من حُبِّ صَعْبَةِ بِنْتِ الْخَضِرِيِّ .

وفي الشعر : وَنَحْنُ الدَّلَاقَةُ الرُّفْدَا (٢)

الرُّفْدُ : جمع رَفُودٍ من الرَّفْدِ ، وهي التي تملأ إناءين عند الحلب .  
وقوله :

وَنُلْقَى عِنْدَ تَصْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّادَ رُفْدَا

هو جمع رَفُودٍ أيضاً من الرَّفْدِ وهو : العون ؛ والأول من الرَّفْدِ بفتح الراء  
[وبكسرهما] وهو إناء كبير قال الشاعر :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَغْشَرٍ أَقْتَالَ (٣)

(١) ينسب هذا في اللسان إلى أبي طالب بن عبدالمطلب في مادة نضح. والنضح  
تفطر الشجر بالورق .

(٢) فسر الخشني في شرحه للسيرة الدلاقة بقوله : بالإبل التي تمشي متمهلة  
لكثرة سمنها . وفي اللسان ، المذلاقة بدلا من : الدلاقة . وفسر المذلاقة بأنها الناقة  
السريعة . أما الدلاقة ففي اللسان ، الدلوق والدلقاء : التي تنكسر أسنانها من  
الكبر فتسحق الماء والرفود من الإبل التي تملأ الرغد — بكسر الراء وفتحها — القدح  
الضخم في حلبة واحدة ، أو هي الدائمة على حلبها ، أو التي تتابع الحلب .

(٣) جمع قتل بكسر القاف ، وهو العدو أو الصديق والنظير وابن العم  
والشجاع والقرن . والرغد بفتح الراء وكسرهما والمرغد — بكسر الميم وفتح =  
(٩ م — الروض الأنف ج ٢)

وذكر أم عبد الله بن عبد المطلب ، وهى : فاطمة بنت عمرو بن عائذ  
ابن عمران<sup>(١)</sup> هكذا قال ابن هشام . وقال ابن إسحاق : عائذ بن عبد بن  
عمران بن مخزوم ، والصحيح ما قاله ابن هشام ؛ لأن الزبيريين ذكروا أن عبداً  
هو أخو عائذ بن عمران ، وأن بنت عبد هى : صخره امرأة عمرو بن عائذ  
على قول ابن إسحاق ؛ لأنها كانت له عمّة ، لابنت عمّ ، فتأمله ؛ فقد تكرّر  
هذا النسب فى السيرة مراراً ، وفى كل ذلك يقول ابن إسحاق : عائذ بن عبد  
ابن عمران ، ويخالفه ابن هشام . وصخره بنت عبد أم فاطمة ، أمها :  
تخمر بنت عبد بن قصي ، وأم تخمر : سلمى بنت عميرة<sup>(٢)</sup> بن ودبة  
ابن الحارث بن فهر . قاله الزبير :

== الفاء ، أو بفتح الميم وكسر الفاء — القذح العظيم ، وفى اللسان : هراقت السماء ماءها  
تهريق ، والماء مهراق . الهاء فى ذلك كله متحركة ، لأنها ليست أصلية ، إنما هى بدل  
من همزة : أراق ، وهرفت مثل أرفت . وقد نسب إلى الأزهرى ، ونسب إليه  
أيضاً أنه قال : ومن قال : أهرقت فهو خطأ فى القياس . ومثل هرفت والاصل أرفت  
قولهم هرفت الدابة وأرحتها ، وهزت النار وأنرتها . وقال أبو زيد : الهاء منها  
زائدة ، كما قالوا : أنهأت اللحم والاصل أنأته . وقال بعض النحويين إنما هو هراق  
يهرق ؛ لأن الأصل من أراق يريق يؤريق لأن أفعل يفعل كان فى الأصل يؤفعل .  
والجوهرى يقول : هراق الماء يهر يقه بفتح الهاء هراقة — بكسر الهاء — صبه  
(١) هى كذلك فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٣ ونسب قريش

ص ١٧ وفى حذف نسب قريش للسدوسى ص ٥ .

(٢) فى نسب قريش : سلمى بنت عامرة بن عميرة الخ ص ١٧ .

## ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبدُ المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين أتى من قريش مالتى عند حفر زمزم : لئن وادله عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمهم ، ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم اثنوني ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ، وكان هبل على بر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة .

وكان عند هبل قداح سبعة ، كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه العقل ، إذا اختلفوا في العقل من تحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله . وقدح فيه : نعم . للأمر إذا أرادوه يضرب ، به في القداح ، فإن خرج قدح نعم ، عملوا به . وقدح فيه : لا ، إذا أرادوا أمرا ضربوا به في القداح ، فإن خرج ذلك القداح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه : منكم ، وقدح فيه ملصق : وقدح فيه : من غيركم : وقدح فيه : المياه ، إذا أرادوا أن يتحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو ينكحوا منكحا ، أو يذفنوا

. . . . .

مَيْتًا ، أَوْ شَكُوا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ ، ذَهَبُوا بِهِ إِلَى هُبَلٍ وَبِمِثْلَةِ دَرَاهِمٍ وَجَزَرٍ ، فَأَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يَرِيدُونَ بِهِ مَا يَرِيدُونَ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا إِلَهَنَا هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ قَدْ أَرَدْنَا بِهِ كِذَابًا وَكِذًا ، فَأَخْرَجَ الْحَقُّ فِيهِ . ثُمَّ يَقُولُونَ لَصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ : فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مِنْكُمْ ، كَانَ مِنْهُمْ وَسِيطًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مِنْ غَيْرِكُمْ ، كَانَ حَلِيفًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مُلْصَقٌ ، كَانَ عَلَى مَنَزَلَتِهِ فِيهِمْ ، لَانْسَبَ لَهُ ، وَلَا حِلْفَ ، وَإِنْ خَرَجَ فِيهِ شَيْءٌ ، مِمَّا سِوَى هَذَا مِمَّا يَعْمَلُونَ بِهِ : نَعَمْ عَمَلُوا بِهِ ، وَإِنْ خَرَجَ : لَا ، آخَرُوهُ عَامَهُ ذَلِكَ ، خَتَى يَأْتُوهُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، يَنْتَهُونَ فِي أُمُورِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِمَّا خَرَجَتْ بِهِ الْقِدَاحُ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لَصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ عَلَى بَنِي هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هَذِهِ ، وَأَخْبِرْهُ بِنَذْرِهِ الَّذِي نَذَرُ ، فَأَعْطَاهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قِدْحَهُ الَّذِي فِيهِ اسْمُهُ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَصْفَرَ بَنِي أَبِيهِ ، كَانَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ وَأَبُو طَالِبٍ لِقَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَائِذُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ — فِيمَا يَزْعُمُونَ — أَحَبَّ وَلَدَيْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَيْهِ ، فَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَرَى أَنَّ السَّهْمَ إِذَا أَخْطَأَ فَقَدْ أَشْوَى . وَهُوَ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَلَمَّا أَخَذَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ الْقِدَاحَ لِيَضْرِبَ بِهَا ، قَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ عِنْدَ هُبَلٍ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ ضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ ، فَخَرَجَ الْقِدْحُ

• • • • •

على عبد الله ، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشَّعْرة ، ثم أقبل به إلى إساف وناثلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أُنْدَيْتِها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قُرَيْشُ وبنوه : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعْذِرَ فيه . لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحه ، فابقاء الناس على هذا ؟ ! وقال له الْمُغِيرَةُ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يَقْظَةَ - وكان عبد الله ابن أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعْذِرَ فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فَدَيْنَاهُ . وقالت له قريش وبنوه . لا نفعل ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإنَّ به عَرَافَةٌ لها تابع ، فسَلَّها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمرك وله فيه فَرَجٌ قَبِيلَتِهِ .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها - فيما يزعمون - بحَيْرٍ . فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبدُ المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونَذَرَهُ فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عني اليوم حتى يأتيَنِي تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم غَدَا عليها ، فقالت لهم : قد جاءني الخبرُ ، كم الدِّية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرَّبوا صاحبكم ، وقرَّبوا عشرًا من الإبل ، ثم اضربوا عليها ، وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم ، فزِيدُوا من الإبل حتى يَرْضَى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه ، فقَدَرَضِي ربُّكم ، ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قَدِمُوا مَكَّةَ ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام

• • • • •

عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم قرَّبوا عبدَ الله وعشرًا من الإبل ، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هَبَل يدعو الله عزَّ وجلَّ !! ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزَّ وجلَّ ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثلاثين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ أربعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ خمسين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ستين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ سبعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثمانين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ تسعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ مئة ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رِضا ربِّكَ يا عبدَ المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أُضربَ عليها ثلاثَ مرات ، فضربوا على عبد الله ، وعلى الإبل ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، نِجْرَج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبدُ المطلب قائمٌ يدعو الله ، فضربوا ، نِجْرَج القِدْح على

• • • • •



الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج  
القِدْح على الإبل : فُنَحِرَتْ : ثم تُرِكَت لا يُصَدَّ عنها إنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سُبُع .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصحَّ عندنا عن أحد  
من أهل العلم بالشعر .

### ذكر المرأة المتعرضه لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فرَّ به  
- فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب  
ابن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : وهى أخت وَرَقَة بن نوفل  
ابن أسد بن عبد العزى : وهى عند الكعبة : فقالت له حين نظرت إلى وجهه :  
أبني تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مثلُ الإبل التى نَحِرْتُ  
عنك : وَقَعَ عَلَى الْآن . قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خِلافَه . ولا فراقه .

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهرَة  
ابن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر - وهو يومئذ سيّد  
بني زُهرَة نسبا وشرفاً - فزوَّجه ابنته آمنَة بنتَ وهب ، وهى يومئذ أفضلُ  
امرأة فى قُرَيْش نسبا وموضعا .

وهى لبَّرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب  
ابن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وبَرة : لأم حبيب بنت

• • • • •

أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم حبيب : ابنة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

فزعوا أنه دخل عليها حين أمليها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليوم ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس [لى] بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصّر واتبع الكتب : أنه كائن في هذه الأمة نبي .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار : أنه حدث ، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عامداً إلى آمنة ، فمرّ بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ثم مرّ بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بى وبين عينيّك غرة بيضاء ، فدعوتك فأبيت علىّ ، ودخلت على آمنة فذهبت بها .

قال ابن إسحاق : فزعوا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مرّ بها وبين عينيّه غرة مثل غرة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك

. . . . .

بني ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه - صلى الله عليه وسلم .

## ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله

### صلى الله عليه وسلم

ويرضعون - فيما يتحدث الناس والله أعلم - أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تحدث :

أنها أتيت ، حين حملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل لها : إنك قد حملت بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض ، فقولى : أعيذه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ، ثم سمّيه : محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأت به قصور بصرى ، من أرض الشام .

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن هلك ، وأم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حامل به .

### نذر عبد المطلب :

فصل : وذكر نذر عبد المطلب أن ينحدر ابنه إلى آخر الحديث . وفيه أن عبد الله ، يعنى : والد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أصغر بني أبيه ، وهذا غير معروف ، ولعلّ الرواية : أصغر بني أمّه ، وإلا فخمزة كان أصغر من عبد الله ، والعباس : أصغر من خمزة ، وروى عن العباس - رضى الله عنه - أنه قال : أذكر مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا

ابن ثلاثة أعوامٍ أو نحوها ، فجئى بى حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقنن  
لى : قَبِّلْ أَخاك ، قَبِّلْ أَخاك ، فقبلته ، فكيف يصح أن يكونَ عبدُ الله هو  
الأصغر مع هذا ؟ ! ولكن رواه البَكاؤى كما تقدم ، ولروايته وجه ، وهو  
أن يكونَ أصغرَ ولد أبيه حين أراد نحْرَه ، ثم وُلد له بعد ذلك حَزْرَةُ  
والعباسُ .

وسائرُ حديث عبد المطلب ليس فيه ما يُشكِل . وفيه أن الدِّيَّة كانت

(١) أولاد عبد المطلب هم — كافى نسب قریش : عبد الله ، وأبو طالب  
— واسمه : عبد مناف — والزيبر ، وأم حكيم البيضاء الملقبة بالحصان — بفتح  
الحاء — توأمة عبد الله والد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعاتكة ، ومرة ،  
وأميمة ، وأروى أمهم : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحزرة ،  
والمقوم ، وحجل أو جحل — واسمه : المغيرة — وصفية وأمهم : هالة بنت  
أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والعباس وضرار ، وأمهما نائلة بنت جناب  
ابن كليب ، والحارث وهو أكبر ولده ، وبه كان يكنى — وقثم هلك صغيرا وأمهما :  
صفية بنت جندب بن حجير بن رثاب ، وأبو لهب — واسمه عبد العزى — وأمه :  
لبنى بنت هاجر بن عبد مناف . والغيداق — واسمه : مصعب ، وأمه خزاعية  
وفى جهرة أنساب العرب : عبد الله ، وأبو طالب ، وأبو لهب ، ويسكنى أبا عتبة  
والزيبر والمقوم والحارث وحزرة والعباس ، وأربع بنات . فعبد الله ، وأبو طالب  
والزيبر وأم حكيم ، وعاتكة ، ومرة ، وأميمة ، وأروى . أشقاء من  
أم واحدة .

وحزرة والمقوم وحجل وصفية أشقاء من أم واحدة .

والعباس وضرار شقيقان ، والحارث ، وقثم شقيقان ، وأبو لهب من أم ،  
والغيداق من أم .

بِعُشْرِ مِنَ الْإِبِلِ قَبْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ : وَأَوَّلُ مَنْ وُدِيَ بِالمائة إِذَا : عَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا ذَكَرَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانِ أَنَّ أَبَا سَيَّارَةَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ الدِّيَّةَ مائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ وُدِيَ بِالْإِبِلِ مِنَ الْعَرَبِ : فَزَيْدُ ابْنِ بَكْرٍ بَنِ هَوَازِنَ قَتَلَهُ أَخُوهُ مُعَاوِيَةُ جَدُّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَمْعَةَ (١) .

وَأَمَّا السَّكَاهَةُ الَّتِي تَحَاكُمُوا إِلَيْهَا بِالمَدِينَةِ فَاسْمُهَا : قُطْبَةُ . ذَكَرَهَا عَبْدُ الْغَنِيِّ فِي كِتَابِ الْغَوَامِضِ وَالْمُبَهَّمَاتِ ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ أَنَّ اسْمَهَا : سَجَّاحٌ .

### تَرْوِيجَ عَبْدِ اللَّهِ :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ تَرْوِيجَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ أَمَنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ ، وَذَكَرَ الْبَرْقِيُّ فِي سَبَبِ تَرْوِيجِ عَبْدِ اللَّهِ أَمَنَةَ : أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلِبِ كَانَ يَأْتِي الْيَمِينَ ، وَكَانَ يَنْزِلُ فِيهَا عَلَى عَظِيمٍ مِنْ عِظَائِهِمْ ، فَيَنْزِلُ عِنْدَهُ مَرَّةً ، فَإِذَا عِنْدَهُ رَجُلٌ يَمْنَنُ قَرَأَ الْكِتَابَ ، فَقَالَ لَهُ : ائْذَنْ لِي أَقْسُ مِنْخِرَكَ (٢) ، فَقَالَ : دُونَكَ فَانْظُرْ ، فَقَالَ : أَرَى نُبُوَّةً وَمُلْكًا ، وَأَرَاهَا فِي الْمَنَافِقِينَ : عَبْدُ مَنَافٍ بْنُ قُصَيٍّ ، وَعَبْدُ مَنَافٍ بْنُ زَهْرَةَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الْمَطْلِبِ انْطَلَقَ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ،

(١) اسم زيد في جمهرة أنساب العرب : يزيد . وفيه أيضا أن يزيد هو الذي قتل معاوية ، لجعل فيه عامر بن الطربالمة وافي مائة من الإبل ، وهي أول دية قضى فيها بذلك ، وتقول العرب إن لقمان كان جعلها قبل ذلك مائة جدي .  
ص ٢٥٢ جمهرة ابن حزم .

(٢) في القاموس — بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما ، وكمجلس وملبول .  
« بضم الميمين » : الأنف .

فتزوج عبدُ الْمُطَلِّبِ هَالَةَ بِنْتَ وَهَيْبٍ (١) ، وهى أم حمزة - رضى الله - عنه ، وزوج ابنته عبد الله آمنَةَ بنت وَهَبٍ ، فولدت له رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

### مول أمهات النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر أمها وأم أمها ، والثالثة وهى : بَرَّةُ بنت عَوْفٍ (٢) ، وقد قدمنا فى أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة (٣) ونسبهن ، فليُنظَر هـنالك . وأما أم هالة فهى : الْعَبْلَةُ بنت المطلب ، وأمها : خديجة بنت سَعِيد بن سَهْم (٤) ، وقد أشكل على بعض الناس فى هذا الخبر أن عبد المطلب نذر

(١) فى نسب قريش : أهيب ص ١٧ ، وفى جهرة ابن حزم ص ١٣ : وهيب .  
(٢) فى السيرة : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج . وفى كتاب حذف نسب قريش للسدوسى ص ٦ : ضبطت عَويج بفتح العين . وكسر الواو . وأكثر المراجع ذكرته بضم العين وفتح الواو .

(٣) فى نسب قريش عن أم برة : وأمها أميمة بنت مالك بن غنم بن حنشل ابن عادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ، وأمها : قلابة بنت الحارث - وهو أبو قلابة الشاعر ، وهو أقدم من قال الشعر فى هذيل . واسم أبى قلابة : الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل . وأمها : دَبَّةُ بنت الحارث بن تميم وأمها : لبنى بنت الحارث بن النشم بن جرمة بن أسيد بن عمرو بن تميم بن مُرَّ بن أد بن طابخة بن الياس ص ٢١ وأم حبيب بنت أسد المذكورة فى السيرة سماها السدوسى : حبيبة ص ٦ .

(٤) فى نسب قريش ص ٩٢ ذكر أن أمها هى خديجة بنت سعيد بن بحر بن سهم بن عمرو بن هصيص ولكنه ذكر فى ص ١٧ أن أمها هى خديجة بنت سَعِيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص : وليس لسهم بن عمرو ولد اسمه =

تَحْرُ أَحَدِ بَنِيهِ إِذَا بَلَغُوا عَشْرَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ تَزْوِيجَهُ هَالَةً أُمَّ ابْنِهِ حَمْزَةَ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ بَنْدَرِهِ ، حَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِنَّمَا وُلِدَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بَنْدَرِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ جَمِيعُ أَوْلَادِهِ عَشْرَةَ . وَلَا إِشْكَالَ فِي هَذَا ، فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا : كَانَ أَعْمَامُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اثْنَتَيْ عَشَرَ ، وَقَالَ أَبُو عُمَرَ ، فَإِنَّ صَحَّ هَذَا فَلَا إِشْكَالَ فِي الْخَبَرِ ، وَإِنْ صَحَّ قَوْلُ مَنْ قَالَ : كَانُوا عَشْرَةً بَلَا مَزِيدٍ ، فَالْوَلَدُ يَقَعُ عَلَى الْبَنِينَ وَبَنِيهِمْ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا ، فَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ عَشْرَةُ رِجَالٍ حِينَ وَفَى بَنْدَرِهِ .

المرأة التي دعت عبد الله :

وَيُرَوَّى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ حِينَ دَعَتْهُ الْمَرْأَةُ الْأَسَدِيَّةَ إِلَى نَفْسِهَا لِمَا رَأَتْ فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ النَّبُوَّةِ ، وَرَجَتْ أَنْ تَحْمَلَ بِهَذَا النَّبِيِّ ، فَتَكُونَ أُمَّهُ دُونَ غَيْرِهَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ حِينَئِذٍ فِيمَا ذَكَرُوا :

أَمَا الْحَرَامُ فَالْحَامُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَةُ  
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِيهِ يَحْيَى الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ !  
وَأَسْمَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ : رَقِيَّةُ <sup>(١)</sup> بِنْتُ نَوْفَلِ أَخْتِ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ؛ تُكْنَى : أُمُّ

==بحر . وإنما كل ولده سعد وسعيد وراثاب. ومن ولد سعد : سَعِيدٌ الذي أعقب أولادا منهم : خديجة هذه التي يذكر أنها أم عبله . انظر ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ نسب قريش ، ولم يذكر من أولاد سعيد بن سهم من اسمها خديجة ، وإنما قال : إن أمها بنت سعيد بن سهم ص ٤٠٨ وانظر ص ١٥٤ وما بعدها جمهرة النسب .

(١) في البداية ج ٢ ص ٢٦٢ أن اسمها رُقَيْسَةُ . وقد روى ذلك البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق وانظر ص ٥٣ من شرح السيرة للخشنی .

وقال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر  
البرقي عن هشام بن الكلبي ، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة (١)  
بنت مُرٍّ ، كانت من أجل النساء وأعفن (٢) ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت  
نور النبوة في وجهه ، فدعته إلى نكاحها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

إني رأيتُ مُحْيِلَةً نَشَأَتْ فَتَلَلَاتِ بِحَنَاتِمِ الْقَطْرِ (٣)  
فَلَمَّا تَهَا نُورًا يُضِيءُ بِهِ مَا حَوْلَهُ كإضاءةِ الْفَجْرِ (٤)  
وَرَأَيْتُ سُقْيَاهَا حَيًّا بَلَدٍ وَقَعَتْ بِهِ وَعِمَارَةُ الْفَقْرِ (٥)

(١) كانت - كما روى الخرائطي - كاهنة من أهل قبالة متهودة خثعمية ، وأنها  
عرضت عليه مائة من الإبل ليقع عليها في لحظتها ، فأبى . وأقول : لم ترد مسألة  
النور هذه في صحاح الأحاديث ، ولا يرفع من قيمة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن نردد  
هذا . وقراءة بني زهرة بن كلاب من رسول الله «ص» من وجهين . أحدهما :  
أنهم أقارب أمه ، والثاني : لإخوة قصي بن كلاب بن مرة ، وهو جد والد جد النبي .  
والمشهور أن زهرة اسم الرجل - وهو المغيرة - أما ابن قتيبة ، فيقول : إنه اسم  
امراته ص ٤١٧ ج ١١ فتح الباري .

(٢) في الأصل وأعفه .

(٣) الشعر ينسب أيضا إلى الخثعمية الكاهنة التي عرضت نفسها على عبد الله  
والخيلة : السحابة التي تخالها ماطرة وهي بضم الميم وفتحها . وحناتم : جمع  
حنتمة : السحابة السوداء لا متلاتها من الماء ، وفي الطبري : لمعت بدلا من : نشأت .  
(٤) لماتها : أبصرتها .

وفي الطبري : له ، والبدر بدلا من به ، والفجر ، والبيت في اللسان .

(٥) لا يوجد هذا البيت في الطبري .



## ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : وُلِدَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل .  
قال ابن إسحاق : وحدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قيس بن مخزومة . قال :

ولدتُ أنا ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ .  
قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارَةَ الأنصاري . قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت ، قال : والله إني لفلان يَفْعَةُ ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعْقِلُ كلَّ ما سمعت ، إذ سمعتُ يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمَةٍ بِبَيْتِ رَبِّ : يا معشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : وياك مالك ؟ قال : طَلَعَ الليلةَ نجمُ أحمد الذي وُلِدَ به .

---

ورأيتُه شَرَفًا أبوء به (١) ما كُلُّ قَادِحٍ زَنَدَه يُورِي  
لِلَّهِ ما زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ منك الذي اسْتَعْلَبَتْ وما تَدْرِي (٢)  
وفي غريب ابن قتيبة : أن التي عرضت نفسها عليه هي : ليلي الْعَدَوِيَّة .

---

(١) في الطبري : فرجوتها فخرا أبوء به .  
(٢) في الطبري : ثوبيك ما استلبت وما تدرى . هذا وقد ذكر الطبري لها قصيدة أخرى عدتها ست أبيات وجاء في آخرها .  
ولما حوت منه أمانة ما حوت خوت منه فخرا ما لذلك ثان

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ،  
فقلت . ابنُ كَـمْ كان حسان بن ثابت مَـقْدَمَ رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وقَدِمَها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
وهو ابن ثلاث وخمسين سنَّةً ، فسمع حسانُ ما سَمِعَ ، وهو ابن  
سبع سنين .

قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمُّه - صلى الله عليه وسلم - أرسلت إلى  
جدِّه عبدِ المطلب : أنه قد وُلِدَ لك غلام ، فأَنَّهُ فانظر إليه ، فأناه فنظر إليه ،  
وحدَّثته بما رأت حين حَمَلَتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمِرَتْ به أن تُسمِّيَه .  
فیزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ،  
ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمِّه فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله -  
صلى الله عليه وسلم - الرضعا .

قال ابن هشام : المراضع . وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى  
عليه السلام : « وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ » .

قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بنى سَعْدِ بن بكر ، يقال لها :  
حليمة ابنةُ أبي ذؤيب .

وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنَةَ بن جابر بن رِزَامِ بن  
ناصر بن فُضَيَّة بن نَصْر بن سَعْدِ بن بكر بن هوازن بن مَنْصُور بن عِكْرَمَةَ  
ابن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَمِيلَانَ [ بن مضر ] .

• • • • •

واسم أبيه الذي أرضعه - صلى الله عليه وسلم - الحارث بن عبد العزى  
ابن رفاعة ابن ملان بن ناصرة بن فضة بن نصر بن سعد بن بكر  
ابن هوازن .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة  
بنت الحارث ، وخدامة بنت الحارث ، وهى الشيماء ، غلب ذلك على اسمها  
فلا تُعرف فى قومها إلا به . وهم حليلة بنت أبى ذؤيب ، عبد الله بن الحارث ،  
أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب  
البحري : عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أو عن حدثه عنه قال :

كانت حليلة بنت أبى ذؤيب السعدية ، أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
التي أرضعته ، تحدث : أنها خرجت من بلدّها مع زوجها ، وابن لها صغير  
ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، تلمس الرضعاء ، قالت : وذلك  
فى سنة شهباء ، لم تبق لنا شيطا . قالت : فخرجت على أتان لى قمراء ، معنا  
شارف لنا ، والله ما تبصّ بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ،  
من بكائه من الجوع ، ما فى يديّ ما يُغنيه ، وما فى شارفنا ما يُغديه - قال ابن  
هشام : ويقال : يُغديه - ولكنّا كنّا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى

تلك ، فلقد أدمنتُ بالرَّكْب ، حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً ، حتى قَدِمْنَا مكة نلتمس الرضعاء ، فما مِنَّا امرأةٌ إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فتأباه ، إذا قيل لها إنه يَتِيم ، وذلك : أنا إنما كُنَّا نَرُجو المعروفَ من أبي الصبيِّ ، فكُنَّا نقول : يَتِيم ! وما عسى أن تصنع أمُّه وجَدُّه ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأةٌ قدمتْ معي إلا أخذتُ رضيعاً غيري ، فلما أجمعنا الانطلاقَ قلتُ لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجعَ من بين صَوَاحبي ولم أأخذُ رضيعاً ، والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم ، فلا أخذه ، قال : لا عليك أن تفعلِ ، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً . قالت : فذهبتُ إليه فأخذه ، وما تخَلَّني على أخذه إلا أني لم أجدَ غيره . قالت : فلما أخذه ، رجعتُ به إلى رَحْلي فلما وضعته في حِجْري أقبلَ عليه نَدَيَايَ بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِيَ ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيَ ، ثم ناما ، وما كُنَّا ننام معه قبلَ ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافِلٌ ، فحلبَ منها ما شَرِب ، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيّاً وشَبَعاً ، فبقنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي حين أضحنا . نَعْلَمِي والله يا حَكِيمَة ، لقد أخذتِ نَسمةَ مباركة ، قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبتِ أتانِي ، وحملتْ عليها معي ، فوالله لقطعتُ بالرَّكْب ما يقدر عليها شيءٌ من خُرْهم ، حتى إنَّ صَوَاحبي ليقان لي : يا بنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربعي علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لمن : بلى والله ، إنها لهي هي ، فيقتلن : والله إن لها لساناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سَعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجَدَبَ منها . فكانت غنمي تروح على حين قَدِمْنَا به معنا شِباعاً لُبُناً . فنحلبُ ونشرب .

وما يُحِبُّ إنسان قَطْرَةَ لبن ، ولا يجدها في ضَرْع . حتى كان الحاضرون من قَوْمنا يقولون لرُغَيَّانهم : ويلكم امْرَحُوا حيث يَمْرَح راعى بنت أبى ذؤَيْب فتروح أغنامهم جِيعاً ما تَبِضُّ بقطرة لبن ، وتروح غنمى شِباعاً لُبناً ، فلم نزل نتعرَّف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلتُهُ ؛ وكان يَسِبُّ شِباعاً لا يَشِبُّ العِلَّمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفُراً . قالت : فَقَدِمْنَا به على أُمِّه ونحن أحرصُ شَيْء على مُكْنَتِه فِينا ؛ لما كُنَّا نرى من بَرَكَته . فَكَلَّمْنَا أُمَّه ، وقالت لها : لو تركتِ بُنَى عِنْدِي حتى يَفْأُظَّ ، فَإِنى أَخشى عليه وَبَأْ مَكَّة ، قالت : فلم نزل بها حتى رَدَّته معنا

قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مَقْدَمنا بأشهر مع أخيه لَمَّى يَهْمُ لَنَا خلف بيوتنا ، إِذْ أَنَا أَنَا أَخُوهُ يَشْتَد ، فقال لى ولأبيه : ذاك أَخى القُرْشَى قد أَخَذَهُ رجُلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعا ، فشَقَّا بطنه ، فهما يَسُوطانه قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائماً مُنْتَقِعاً وَجْههُ . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بُنَى ، قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشَقَّا بطنى ، فالتمسا شيئاً لا أَدرى ما هو . قالت : فرجعنا إلى خِباءنا .

قالت : وقال لى أبوه : يا حَكِيمَة ، لقد خَشِيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أَصِيب ، فَأَلْحَقِيه بأَهْلِهِ قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فَقَدِمْنَا به على أُمِّه ، فقالت : ما أَقْدَمَكَ به يا ظَنُرُّ ، وقد كنتِ حَرِصَةً عليه ، وعلى مُكْنَتِه عندك ؟ قالت : فقلت : قد بلغ الله بابنى وقضيتُ الذى على ، وتخوفت

الأحداث عليه ، فأدبته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقيني خبرك . قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبني لشأنا ، أفلا أخبرك خبره . قالت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج مني نور أضاء لي قصوراً بصرى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حبل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته ، وإنه لو اضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلقى راشدة .

قال ابن إسحاق : وحدثني ثور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي : أن نفرأ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا له : يارسول الله . أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر . فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا . إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطئت من ذهب مملوءة ثلجا . ثم أخذاني فشقاً بطني ، واستخرجا قلبي ، فشقاه . فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها . ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بمشرة من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمئة من أمته . فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمة لوزنها .

## فصل في المولد

في تفسير بقي بن مخلد أن إبليس - لعنه الله - رَنَّ أَرْبَعَ رَنَاتٍ : رَنَةً حين لُيِّنَ ، وَرَنَةً حين أُهَيِّطَ ، وَرَنَةً حين وُلِدَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وَرَنَةً حين أنزلت فاتحة الكتاب . قال : والرَّانُ والنَّخَارُ <sup>(١)</sup> من عمل الشيطان . قال : ويكره أن يقال : أمُّ الكتاب ، ولكن : فاتحة الكتاب . وروى عن عثمان بن أبي العاص عن أمه أمِّ عثمان <sup>(٢)</sup> التَّقِيَّةُ ، واسمها : فاطمة بنت عبد الله ، قالت : « حضرت ولادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرأيت البيت حين وُضِعَ قد امتلأ نوراً ، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع على » . ذكره أبو عمر في كتاب النساء . وذكره

(١) الرنة : الصيحة الشديدة ، والصوت الحزين عند الغناء أو البكاء . والنخار صوت يخرج من الحياشيم .

(٢) في الأصل : « أبي العاص أمه عن أم عثمان ، والتصويب من كتب السنة وقد أسلم عثمان هذا في وفد ثقيف ، واستعمله النبي على الطائف ، وأقره أبو بكر ، ثم عمر . وهو الذي منع ثقيفا عن الردة إذ خطبهم ، فقال : كنتم آخر الناس لإسلاماً ، فلا تكونوا أولهم ارتداداً ، وجاء عنه أنه شهد آمنه لما ولدت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قصة أخرجها البيهقي في الدلائل والطبراني من طريق محمد بن أبي سويد للثقي عنه ، قال : حدثني أمي : فعلى هذا يكون عاش نحواً من ١٢٠ سنة . والإصابة رقم ٥٤٣٣ ، وحديثها لم يروه سوى البيهقي والطبري وابن عبد البر . ويقول الزركشي : إن ولادة النبي « ص » كانت نهراً ، ونقل تضعيف ابن دحية لرواية تدل النجوم ليلة مولده .

الطَّبْرِيُّ أَيْضاً فِي التَّارِيخِ (١) . وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعْدُوراً مَسْرُوراً ، أَيْ : مَخْتُوناً مَقْطُوعَ الشَّرَةِ (٢) . يُقَالُ : عُذِرَ الصَّيِّئُ وَأُعْذِرَ . إِذَا خُتِنَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْدُثُ أَنَّهُمَا لَمْ تَجِدْ حِينَ تَحَلَّتْ بِهِ مَا تَجِدُهُ الْخَوَامِلُ مِنْ ثَقَلٍ وَلَا وَحَمٍ ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَمَّا وَضَعَتْهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ مَقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدَيْهِ ، مُشِيرًا بِالسَّبَابَةِ كَالْمُسَبِّحِهَا ، وَذَكَرَ ابْنُ دُرَيْدٍ أَنَّهُ أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ جَفَنَةً لثَلَايِرَاهُ أَحَدٌ قَبْلَ جَدِّهِ ، لَجَاءَ جَدُّهُ ، وَالْجَفَنَةُ قَدْ انْفَلَقَتْ عَنْهُ (٣) ، وَلَمَّا قِيلَ لَهُ : مَا سَمَّيْتَ ابْنَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدًا ، فَقِيلَ لَهُ :

(١) ص ١٥٦ ج ٢ الطبري .

(٢) ضعف ابن كثير كل الأحاديث التي رويت عن هذا ثم قال : « وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضهم أنه متواتر ، وفي هذا كله نظر ، وقال عن الحديث الذي زعم فيه الراوي أن جبريل ختن النبي : « وهذا غريب جدا » . ثم قال : « وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه ، وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها ، ص ٢٦٥ ج ٢ البداية . وقال ابن القيم في زاد المعاد : « إنه روى في كونه ولد مخنوناً مسروراً حديث لا يصح ، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، ثم قال : « وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ، فإن كثيراً من الناس يولد مخنوناً ، ويقول ابن العديم : « إنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب .

(٣) الذي ذكره ابن دريد : « وكانت سنهم في المولود إذا ولد في استقبال الليل كَفَسْتُوا عَلَيْهِ قَدْرًا حَتَّى يَصْبَحَ ، ففعلوا ذلك بالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَصْبَحُوا ، وَقَدْ انشَقَّتْ عَنْهُ الْقَدَرُ ، ص ٨ الاشتقاق ط ١ السنة المحمدية ، ولم يستدعها إلى أحد . وأقول : كل ما سبق ذكره لم يرد في حديث يعتد به . وليس الرسول عليه الصلاة والسلام في حاجة إلى أن نكذب له ، وليس من الصلاة عليه أن نكذب عليه !!



كيف سَمَّيْتَ باسمٍ ليس لأحدٍ من آبائك وقومك؟ ! فقال : إني لأرجو أن يَحْمَدَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ <sup>(١)</sup> ، وذلك لرؤيا كان رآها عبدُ المطلب ، وقد ذكر حديثها عليُّ القَيَرَوَانِيُّ العائِرُ في كتابِ البُستان . قال : كان عبدُ المطلب قد رأى في منامه كأنَّ سِلْسِلَةً من فِضَّةٍ خرجت من ظَهْرِهِ لها طَرَفٌ في السماء وطَرَفٌ في الأرض ، وطرف في المشرق ، وطَرَفٌ في المغرب ، ثم عادت كأنها شَجَرَةٌ ، على كُلِّ ورقةٍ منها نورٌ ، وإذا أَهْلُ المشرق والمغرب كأنهم يَتَعَلَّقُونَ بها ، فقصَّها ، فَعُبِّرَتْ له بمولودٍ يكون من صُلْبِهِ يَتَّبِعُهُ أَهْلُ المشرق والمغرب ، ويَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّماء والأرض <sup>(٢)</sup> ، فلذلك سَمَّاه : محمداً مع ما حَدَّثْتَهُ به أُمُّه حين قيل لها : إنك تَحْمَلِينَ بسيدِ هذه الأُمَّة ، فإذا وَضَعْتَهُ فسمِّيه محمداً . الحديث .

### اسم محمد وأحمد :

قال المؤلف : لا يُعْرَفُ في العربِ من تَسَمَّى بهذا الاسم قبله - صلى الله عليه وسلم - إلا ثلاثة طمع آباؤهم - حين سمعوا بذكر محمد - صلى الله عليه وسلم - وبقرب زمانه ، وأنه يُبعثُ في الحجاز - أن يكون ولدا لهم . ذكرهم ابنُ فُوزَّكَ في كتابِ الفصول ، وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع ، جدُّ جدِّ القَرَزْدَقِيِّ الشاعر ، والآخر : مُحَمَّدُ بنُ أَحْيَحَةَ بنِ الجُلَّاحِ بنِ الحَرِيشِ بنِ جُمَحَى <sup>(٣)</sup> بن كُلفَةَ

(١) في الاشتقاق : أردت أن يُحمد في السموات والأرض .

(٢) سيأتي الكلام عن هذا كله والروايات وإميتها .

(٣) هو جَحْجَجَبَى - بفتح الجيم الأولى والأخرى . وبسكون الحاء وفتح الهاء . فقد ورد هكذا في نسب قريش ، وفي اللسان ، وفي الاشتقاق لابن دريد =

ابن عَوْف بن عَمْرُو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْس ، والآخر : محمد بن حُحْران بن رَبِيعَة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفَدُوا على بعض الملوك ، وكان عنده عِلْمٌ من الكتابِ الأوَّلِ ، فأخبرهم بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وباسمه ، وكان كلُّ واحدٍ منهم قد خَلَفَ امرأته حاملاً ، فنَذَرَ كلُّ واحدٍ منهم : إن وُلِدَ له ذَكَرٌ أن يُسَمِّيَهُ محمداً ، ففعلوا ذلك .

قال المؤلف : وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالْمُحَمَّدُ في اللغة هو الذي يُحَمَّدُ محمداً بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّلٌ مثل : مُضَرَّبٌ ومُدَّحٌ إلا لمن تكرر فيه الفعلُ مرة بعد مرة .

وأما أحمد فهو اسمُهُ - صلى الله عليه وسلم - الذي سُمِّيَ به على لسان عيسى وموسى - عليهما السلام - ، فإنه منقول أيضاً من الصِّفَةِ التي معناها

== وفي القاموس ، وفي جهرة أنساب العرب . وفي الاشتقاق لابن دريد عن محمد بن أحبيحة أنه محمد بن بلال بن أحبيحة ، وفي جهرة أنساب العرب : محمد بن عقبة بن أحبيحة . وفي اللسان عن ابن بري أن من سمي في الجاهلية بمحمد سبعاً ، وقد عُدَّهم وذكر منهم الثلاثة الذين ذكَّروا السبيل . وانظر ص ١٦ نسب قريش ، ص ٩ الاشتقاق ، ص ٣١٥ جهرة ابن حزم ، ومادة حمد في اللسان ومادة جحب في القاموس . وفي الخزائن للبغدادى ورد أن الذين سموا باسم محمد في الجاهلية يبلغون عشرين أو خمسة عشر ، وذكر مغطاي أن عددهم خمسة عشر رجلاً . انظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق بتعليقات الأستاذ عبد السلام هارون ، هذا ويذكر ابن دريد أن العرب سمت في الجاهلية : أحمد ، وذكر منهم أربعة ص ٩ وما بعدها .

التفضيلُ، فعنى أحمد : أى أحمَدُ الحامدين لربه ، وكذلك هو المعنى ؛ لأنه تُنتَجح عليه فى المقام المحمود محامد لم تُنتَجح على أحد قبله ، فيحمد ربه بها ؛ ولذلك يُفقد له لواء الحمد .

وأما محمد فنقول من صفة أيضاً ، وهو فى معنى : محمود . ولكن فيه معنى للمبالغة والتكرار ، فالحمدُ هو الذى حُمد مرة بعد مرة ، كما أن المُكرَّم مَنْ أُكْرِم مرة بعد مرة ، وكذلك : المُمدَّح ، ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ، والله - سبحانه - وتعالى سماه به قبل أن يُسمّى به نفسه، فهذا علم من أعلام نبوته؛ إذ كان اسمه صادقا عليه ، فهو محمود - عليه السلام - فى الدنيا بما هدَى إليه ، ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة ، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ، ثم إنه لم يكن محمداً ، حتى كان أحمداً حمد ربه فنبأه وشرّفه ؛ فلذلك تقدم اسمُ أحمدَ على الاسم الذى هو مُحَمَّدٌ ، فذكره عيسى - صلى الله عليه وسلم - فقال : اسمه أحمدٌ ، وذكره موسى - صلى الله عليه وسلم - حين قال (١) له ربه : تلك أمة أحمد ، فقال : اللهم اجعلنى من أمة أحمد ، فبأحمد ذكر قبل أن يُذكر بحمد ؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له ، فلما وُجد وبُعث ، كان محمداً بالفعل .

وكذلك فى الشفاعة يَحْمَدُ ربه بالحامد التى يفتحها عليه ، فيكون أحمد الحامدين لربه ، ثم يُشَفَّعُ فيُحَمَّد على شفاعته . فانظر : كيف ترتب هذا

(١) قبل هذا ورد كما ذكر ابن القيم : « موسى قال لربه : يا رب لى أجد أمة من شأنها كذا وكذا ، فاجعلهم أمتى ؟ » ص ١٢٦ جلاء الأفهام وهو حديث ساقط

الاسم قبل الاسم الآخر<sup>(١)</sup> في الذكر والوجود ، وفي الدنيا والآخرة تُلخ

(١) أطال ابن القيم في إبداع في شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفترق بين محمد وأحمد من وجهين. فقال : وأحدهما محمد إن : هو المحمود حدا بعد حد ، فهو دال على كثرة حد الحامدين له ، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه ، وأحد : أفعال تفضيل من الحمد يدل على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره ، فمحمد : زيادة حمد في السمية ، وأحد : زيادة في الكيفية. فيحمد أكثر حمد ، وأفضل حمد حده البشر. والوجه الثاني : أن محمدا هو المحمود حدا متكررا كما تقدم ، وأحد هو الذي حمده لربه أفضل من حد الحامدين غيره ، فدل أحد الاسمين وهو : محمد على كونه محمدا ، ودل الاسم الثاني ، وهو أحمد على كونه أحد الحامدين لربه ، ثم رد ابن القيم على السهيلي فقال : د وقد ظن طائفة منهم : أبو القاسم السهيلي وغيره أن تسميته — صلى الله عليه وسلم — بأحمد كانت قبل تسميته بمحمد ، ثم ذكر ابن القيم ما استدلل به السهيلي ، ثم قال : د وبنا على ذلك أن اسم أحمد تفضيل من فعل الفاعل ، أى : أحد الحامدين لربه ، ومحمد هو المحمود الذي تحمده الخلائق ، وإنما يترتب هذا الاسم بعد وجوده وظهوره ، فإنه حينئذ حمده أهل السماء والأرض ، ويوم القيامة يحمده أهل الموقف ، فلما ظهر إلى الوجود وترتب على ظهوره من الخيرات ما ترتب ، فحمده حينئذ الخلائق حدا مكررا ، فتأخرت تسميته بمحمد ، وهذا يقربه كل عالم من مؤمنى أهل الكتاب ، ومضى ابن القيم يناقش رأى السهيلي هذا ، فقال ردا عليه : إن محمدا — صلى الله عليه وسلم — سمي باسم محمد في التوراة ، وهى قبل الإنجيل ، ثم استشهد ابن القيم على رأيه هذا بآيات ذكر أنها من التوراة ، ومضى يثبت بتفسيرها أنها تؤيد ما ذهب إليه ، وقد أطال في هذا ، ثم قال : د والمقصود أن اسم النبي في التوراة محمد د ص ، كما هو في القرآن محمد ، وأما المسيح ، فإنما سماه : أحمد ... فإذا تسميته بأحمد وقعت متأخرة عن تسميته بمحمدا في التوراة ، ومتقدمة على تسميته بمحمدا في القرآن ، ف وقعت بين التسميتين محفوفة بهما وقد تقدم أن هذين الاسمين صفتان في الحقيقة . والوصفية فيها لاتنافى العلمانية ، وأن معناهما مقصود ، فعرف عند كل أمة بأعرف الوصفين عندها ، فمحمد =

لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين ، وانظر : كيف أنزلت عليه

== مفْعَل من الحمد ، وهو الكثير الخصال التي يحمد عليها حمدا متكررا حمدا بعد حمد . وهذا إنما يعرف بعد العلم بخصال الخير ، وأنواع العلوم والمعارف والأخلاق والأوصاف والأفعال التي يستحق تكرار الحمد عليها ، ولا ريب أن بنى إسرائيل هم أولو العلم الأول . . . فعرف النبي ( ص ) عند هذه الأمة باسم محمد الذي قد جمع خصال الخير التي يستحق أن يحمد عليها حمدا بعد حمد ، وعرف عند أمة المسيح بأحمد الذي يستحق أن يحمد أفضل مما يحمد غيره ، والذي حمده أفضل من حمد غيره ، فإن أمة المسيح أمة لهم من الرياضات والأخلاق والعبادات ما ليس لأمة موسى ، ولهذا كان غالب كتابهم مواعظ وأخلاقا وحضا على الإحسان . . . فجاء اسمه عندهذه الأمة بأفضل التفضيل الدال على الفضل والسكال ، كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة ، وجاء في الكتاب الجامع لمحاسن الكتب قبله — يعني القرآن — بالاسمين معا ، فتدبر هذا الفصل . . . وقال : إن الشرائع ثلاثه : شريعة عدل ، وهي : شريعة التوراة فيها الحكم والقصاص ، وشريعة فضل وهي : شريعة الإنجيل مشتملة على العفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان ، وشريعة جمعت هذا وهذا ، وهي : شريعة القرآن ، فإنه يذكر العدل ويوجبه ، والفضل ويندب إليه . وقول أبي القاسم — يعني السبيلي — إن اسم محمد — صلى الله عليه وسلم — إنما ترتب بعد ظهوره في الوجود ؛ لأنه حينئذ حمدا مكررا ، فكذلك يقال في اسمه أحمد أيضا ، سواء . وقوله في اسمه أحمد : إنه تقدم لكونه أحد الحامدين لربه ، وهذا يقدم على حمد الخلاق له فبناء منه على أنه — أى : أحد — تفضيل من فعل الفاعل ، وأمّا على القول الآخر الصحيح — يعني التفضيل من فعل المفعول — فلا يجيء هذا ، وقد ذهب ابن القيم إلى أن الاسمين محمدا وأحمد إنما يقعان على المنعول ، لأنه يحمد أكثر مما يحمد غيره وذلك أبلغ في مدحه وأتم معنى ، لأنه لو أريد به معنى الفاعل لسمى الحماد ، وهو كثير الحمد ، كما سمي : محمدا ، وهو المحمود كثيرا ؛ فإنه كان أكثر الخلق حمدا لربه ، فلو كان اسمه باعتبار الفاعل — يعني أنه فاعل الحمد — لكان الأول أن يسمى ==

سورة الحمد وخصَّ بها دون سائر الأنبياء ، وخص بلواء الحمد ، وخص بالمقام المحمود ، وانظر : كيف شرع لنا سُنَّة وقرآنا أن نقول عند اختتام الأفعال ، وانقضاء الأمور : الحمد لله رب العالمين . قال الله سبحانه وتعالى : « وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الزمر : ٧٥ . وقال أيضا : « وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ : أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » يونس : ١٠ . تنبيهنا لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور . وسَنَّ - صلى الله عليه وسلم - الحمد بعد الأكل والشرب ، وقال عند انقضاء السفر : آيِبُونَ تَائِبُونَ عَائِدُونَ لِرَبِّنَا حامدُونَ (١) .

ثم انظر لكونه - عليه السلام - خاتم الأنبياء ، ومؤذنا بانقضاء الرسالة ، وارتفاع الوحي ، ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الأمور ، مشروع عنده - تجدد معاني أسمائه جميعا ، وما خص به من الحمد والحمد مُشاكلا لمعناه ، مطابقا لصفته ، وفي ذلك بُرْهانٌ عظيمٌ ، وعَلَمٌ واضحٌ على نُبُوته ، وتخصيصُ الله له بكرامته ، وأنه

= حمادا ، كما أن اسم أمته : الحمادون . وأيضا فإن الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائله المحمودة التي لاجلها استحق أن يسمى : محمدا ، وأحمد ، فهو الذي يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوت عد العادين سمى باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيل والزيادة في القدر والصفة . ص ١٢٥ جلاء الأفهام للإمام ابن القيم .

(١) رواه مسلم .

قَدَّمَ لَهُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ قَبْلَ وَجُودِهِ تَكْرِيمًا لَهُ ، وَتَصَدِيقًا لِأَمْرِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَشَرَفَ وَكَرَّمَ .

تَعْوِيزُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ :

وَذِكْرُ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ دَخَلَ بِهِ السَّكْبَةَ وَعَوَّذَهُ ، وَدَعَا لَهُ . وَفِي غَيْرِ رَوَايَةٍ ابْنِ هِشَامٍ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَالَ وَهُوَ يَمُودُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي      هَذَا الْغَلَامَ الطَّيِّبَ الْأُرْدَانِيَّ  
قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغُلَامَانِ      أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ  
حَتَّى يَكُونَ بُلْفَةً الْفَتَيَانِ      حَتَّى أَرَاهُ بِالْعِزِّ الْبُنْيَانِ  
أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَتَانٍ      مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ  
ذِي هِمَّةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ      حَتَّى أَرَاهُ رَافِعَ السَّانِ (١)  
أَنْتَ الَّذِي سُمِّيتَ فِي الْقُرْآنِ      فِي كُتُبٍ ثَابِتَةٍ الثَّانِي  
أُحَمَّدُ مُكْتُوبٌ عَلَى الْبَيَانِ (٢)

(١) كَذَا ١١ وَلَعَلَّهَا الشَّاقُ وَفِي رَوَايَةٍ : اللَّسَانُ .

(٢) فِي الْبَدَايَةِ : اللَّسَانُ ، وَلَيْسَ لِهَذَا سَنَدٌ صَحِيحٌ . وَفِي كَلِمَاتِهِ دَلِيلٌ أَنَّهُ كَذِبٌ مَفْتَرٍ . وَكَذَلِكَ مَا رَوَى ابْنُ هِشَامٍ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . دُ أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ ، فَقَدْ قَالَ الْعِرَاقِيُّ : لَا أَصْلَ لَهَا . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَقَالَ عَنْهُ الشَّامِيُّ : وَسَنَدُهُ وَاهٍ حَدَا .

## تاريخ مولده :

فصل : وذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول ، وهو المعروف (١)

(١) روى مسلم في صحيحه أن أعرابيا سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن صيام يوم الاثنين فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل علي فيه » انفرد بإخراجه مسلم ، وروى أحد في حديث تفرد به أنه ولد يوم الاثنين واستنبيء يوم الاثنين . ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين .

والجمهور على أنه كان في ربيع الأول ، لكن متى ؟ ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب والواقدي أنه كان لليلتين خلتا منه .

ومن قالوا بأنه كان لثمان خلون منه : ابن حزم ، وقد روى هذا مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم ، وذكر ابن عبد البر أن أصحاب التواريخ صححوا هذا . وقطع به محمد بن موسى الخوارزمي الحافظ الكبير ، ورجحه أبو الخطاب بن دحية ، وقيل : كان لعشر خلون منه . وقيل لثنتي عشرة خلوت منه ، وقيل : لسبعة عشر ، وقيل : لثمان بقين منه .

وقيل : إنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار مستندا إلى أنه — صلى الله عليه وسلم — أوحى إليه في رمضان على رأس أربعين سنة من عمره ، فيكون مولده في رمضان ، وكان مولده لثنتي عشرة ليلة خلوت منه ، وكان مولده عام الفيل على قول الجمهور . قيل : كان بعده بشهر ، أو بأربعين يوما . أو بخمسين وقيل : إن عام الفيل كان قبله بعشر سنين . وقيل : بل بثلاث وعشرين سنين . وقيل : بل بثلاثين ، وقيل : بل بأربعين وقال ابن خياط : المجمع عليه أنه ولد عام الفيل ، ويقول النووي : ونقل إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري وخليفة ابن خياط وآخرون الإجماع عليه — أي : على أنه ولد عام الفيل — واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر .



وقال الزبير : كان مولده في رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به في أيام التشريق ، والله أعلم .

وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم ، وأنه - صلى الله عليه وسلم - ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغفر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبديين الزنابا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب زناباها ، ولا ضرر في الزنابا إنما تضر العقرب بذنباها ، ويليه من الأسد أليته ، وهو السماك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخالبه (١) ونابه .

وولد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت بعد محمد بن يوسف أخى الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجّت (٢) .

(١) خرافة ربط مولد الإنسان وحظوظ عيشه ، وأقدار حياته بالنجوم ومنازلها سخف عقلي ، وعوار في الدين . ولا أدري كيف يردد السبيلي مثل هذا الخرف . وغيره يزعم أن مولده ص ، كان والطالع لعشرين درجة من الجدى ، وكان المشتري وزحل في ثلاث درج من العقرب ، وهي درجة وسط السماء وكان موافقا من البروج الحمل عند طلوع القمر أول الليل ص ٢٦١ ج ٢ البداية والعقرب : برج في السماء ويؤنث ، وزنا بالعقرب أو زبانياها : قرناها . وكوكبان نيران في قرني العقرب . والسماك الأعزل والرامي نجان نيران ، أوهما رجلا الأسد ، والغفر : منزلة للقمر : ثلاثة أنجم صفار وهي من الميزان .

(٢) كانت بزقاق المدك . وكانت من قبل بيد عقيل بن أبي طالب . ويقول ابن الأثير : إن المصطفى وهبها له ، فلما توفي باعها ولده ، وهذا الزقاق كان في شعب =

### تحقيق وفاة أبيه :

وذكر أنه مات أبوه ، وهو حَمَلٌ<sup>(١)</sup> ، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد . ذكره الدَّوْلَابِيُّ وغيره ، قيل : ابن شهرين ، ذكره [أحمد] ابن أبي خَيْثَمَةَ ، [زهير بن حرب] وقيل : أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب لِيَمْتَكِرَ لأهله تمرًا ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين شهرًا ، وأنشدوا رَجَزًا لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب :

أوصيك يا عبدَ مَنْأَفٍ بِعَدِي بِمَوْتِمْ بَعْدَ أَبِيهِ قَرْدٍ  
فارقهُ وَهُوَ ضَجِيعُ المَهِدِ

وكان بينه وبين أبيه - عليه السلام - في السن ثمانية عشرَ عاما .

### أبوه من الرضاعة :

وذكر الحارث بن عبد المَظْزَى أبا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة ، ولم يذكر له إسلاما ، ولا ذكره كثير من ألف في الصحابة ،

== مشهور بشعب بنى هاشم من الطرف الشرقى لمكة . ويقال بالردم أو بعسفان ، ولما بيع الموضع لمحمد بن يوسف أدخله في داره التي يقال لها : البيضاء ، ولم يزل ذلك البيت كذلك حتى حجت الخيزران جارية المهدي فجعلته مسجدا يصلى فيه وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له : زقاق المولد . ص ٦١٤ القرى للمحب الطبري (١) توفي عن خمس وعشرين ، قال الواقدي : وهو الأثبت أو عن ثلاثين ، قاله الحاكم أو عن ثمان وعشرين ، أو عن ثمان عشرة سنة ، وصححه الحافظ العلائي وابن حجر واختاره السيوطي .

وقد ذكره يونس بن بكير في روايته ، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثني  
والدى إسحاق بن يسار ، عن رجالٍ من بنى سعد بن بكر ، قال : قدم الحارث  
ابن عبد العزى ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة على رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة حين أنزل عليه القرآن ، فقالت له قريش :  
ألا تسمع يا حارث<sup>(١)</sup> ما يقول أبوك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله  
يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من  
أطاعه ، فقد شئت أمرنا ، وفرق جماعتنا . فأناه ، فقال : أيُّ بُنَى مَالِكٍ  
ولقورك يشكونك ، ويزعمون أنك تقول : إن الناس يُبعثون بعد الموت ،  
ثم يصيرون إلى جنةٍ ونارٍ ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعم أنا  
أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت ، لقد أخذت بيدك ، حتى  
أعرفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارثُ بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان  
يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابني يدي ، فعرفني ما قال ، لم يرسلني إن شاء  
الله حتى يدخلني الجنة<sup>(٢)</sup> .

### (١) ترخيم الحارث

(٢) لم يروه أحد غيره . وخاتمته مجرد تمن فقط ، وإلا فالرسول صلى الله  
عليه وسلم قال لا عز أهل : العباس وصفية وفاطمة أن يعملوا ، لأنه لا يغنى عنهم  
عن الله شيئا . هذا ، وفي أخذ عبد المطلب للرسول ص ، وهو طفل ، ودخوله  
الكعبة : قد ورد في أصل الرواية عن ابن إسحاق أنه أدخله على هبل في جوف  
الكعبة .

ملحوظة : حديث ابن مخزومة أنه هو ورسول الله لدان . رواه البيهقي وأحمد

( م - ١١ انروض الألف ج ٢ )

تحقيق اسم ناصرة بن قصية :

وذكرنا صرّة بن قُصَيَّةَ في نسب حليلة . وهو عندهم : قُصَيَّةُ بالفاء تصغير : فَصَاة ، وهي النَّوَاة . ووقع في الأصل في جميع النسخ : قُصَيَّةُ بالقاف (١) . وقال أبو حنيفة أيضا : الْفَصَا : حَبُّ الزَّيْبِ ، وهو من هذا المعنى .

الشيء :

وذكر الشيئاء أخت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاة ، وقال .

== وروى قبات بن أشيم أنه حين ولد رسول الله رأى - أى قبات - خرق الفيل أخضر محيلا . وقد ورد هذا في حديث رواه الترمذى والحاكم عن ابن إسحاق .

وحديث اليهودى الذى خرج . رواه البيهقى وأبو نعيم . ونخرج على رأى سلفى جليل فنجده يقول : لا خلاف أنه ولد - صلى الله عليه وسلم - بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل : مقدمة قدمها الله لنبيه وبنته ، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك ؛ لأنهم كانوا عباد أوثان ، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لاصنع للبشر فيه إرماسا . وتقدمة للنبي - صلى الله عليه وسلم - الذى خرج من مكة وتعظيما للبيت الحرام ، ص ٣٢ ح ١ زاد المعاد لابن القيم . وذكر رأيين في وفاة أبيه أصحابها : أنه مات وهو حمل ، والآخر : أنه توفي بعد ولادته بسبعة أشهر .

هذا : ونيسان هو الشهر السابع من شهور السنة السريانية والعبرية ، ويقابل إبريل . وفي حديث حسان بن ثابت : سعد بن زرارة . صوابه : أسعد . ويفعة : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض ص ٤٥ الخشنى : (١) فى النسخة المطبوعة على هامش الروض : قصية بالفاء ، ويقول الخشنى ص ٤٥ أنه هو الصواب .

في اسمها : خِدَامَة بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حُدَاقَة بالخاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمر في كتاب النساء (١) .

## ( شرح ما في حديث الرضاع )

### الرضعاء والمرضع :

قال ابن إسحاق : فالتمس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضعاء . قال ابن هشام : إنما هو المرأضع . قال : وفي كتاب الله سبحانه : ( وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ [ مِنْ قَبْلُ ] ) القصص : ١٢ والذي قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المرأضع جمع : مُرْضِع ، والرضعاء : جمعُ رَضِيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق تَخَرَّجَ من وجهين ، أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذَوَات الرضعاء ، والثاني : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرْضِعَةً تُرْضِعُهُ ، فقد وجدوا له رضيعا ، يَرْضَعُ معه ، فلا يبعد أن يقال : التَّمَسُّوا لَهُ رَضِيعًا ، عِلْمًا بِأَنَّ الرَضِيعَ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ مُرْضِعٍ .

### مرضعته عليه السلام :

وأرضعته - عليه السلام - — ثُوَيْبَةَ (٢) قَبْلَ حَلِيمَةَ . أرضعته

(١) في رواية : جدامة بضم الجيم أو جدامة وانظر ص ٥٤ . الحشني .  
(٢) توفيت سنة سبع . قال ابن منده : اختلف في إسلامها ، وقال أبو نعيم : لا أعلم أحدا ذكره ، ص ١٣٧ ج ١ المواهب ، وحديث حليلة بهذا السند رواه الحاكم وابن حبان وابن راهويه وأبو ليلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم . وفي شرح =

وعمه حمزة وعبد الله بن جحش ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرف ذلك لثوبية ، ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروق ، فأخبر أنهما ماتا ، وسأل عن قرابتهما ، فلم يجد أحدا منهما حيا . وثوبية كانت جارية لأبي لهب ، وسنذكر بقية حديثها - إن شاء الله - عند وفاة أبي لهب .

يغذيه أو يغذيه :

وذكر قول حليمة : وليس في شاربنا ما يغذيه . وقال ابن هشام : ما يغذيه بالذال المنقوطة ، وهو أتم في المعنى من الاختصار على ذكر الفداء دون العشاء (١) ، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة ، وعند بعض الناس رواية

المواهب أن النسوة اللاتي خرجت معهن حليمة كن عشرة . والسنة الشبهاء : ذات القحط والجذب ، والأرض الشبهاء : البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر . والأتان : الأثني من الخمر ، ولا يقال أتانة ، والقمر : التي في لونها بياض ، والصبي الذي كان مع حليمة هو : عبد الله بن الحارث . والشارف : الناقة المسنة ، ويقال للذكر والأثني . وما تبض بقطرة معناها : لا تشرح ولا تسيل ، ومن رواها بالصاد فعناها : ما يبرق عليها أثر لبن ، من البصيص ، وهو البريق واللمعان . ص ٥٥ الخشني

(١) يقول أبو ذر الخشني : « ومن رواه ما يغذيه فعناه : ما يمنع ولا يمنع من البكاء . يقال : أغذيت الرجل عن الشيء : إذا منعه منه . وقال ابن هشام : يغذيه . هذا من لفظ الغذاء ، ومن رواه : يغذيه بالعين المهملة فعناه : ما يشبعه بعض الشبع مأخوذ من النبات العذى ، وهو الذي يشرب في الصيف والشتاء بغرفة من الأرض دون أن يسقى ، أو الذي لا يسقيه إلا المطر . وتكون هذه هي الرواية الرابعة للكلمة

غير هاتين وهى يُعَذِّبُهُ بعينٍ مُهَمَّلَةٍ وذال منقوطة وباء مُعْجَمَةٌ بواحدة ، ومعناها عندهم : ما يُقْنَعُهُ حتى يرفع رأسه ، وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عَذَبَتْهُ وَأَعَذَبَتْهُ : إذا قطعتهُ عن الشرب ونحوه ، وَالْعَذُوبُ : الرافِعُ رأسه عن الماء ، وجمعه : عُدُوبٌ بالضم ، ولا يُعرف فَعُولٌ جُمِعَ على فَعُولٍ غيرُهُ : قاله أبو عُبَيْدٍ (١) والذي فى الأصل أَصَحُّ فى المعنى والنقل .

### من شرح حديث الرضاعة :

وذكر قولها: حتى أَذْمَتْ بالركب . تريد : أَنهَا حَبَسَتْهُمْ ، وكأنه من الماء الدائم ، وهو الواقف ، ويروى: حتى أَذْمَتْ . أى : أَذْمَتِ الأتانُ ، أى : جاءت بما تُذَمُّ عليه ، أو يكون من قولهم : بُرِّ ذَمَّةٌ ، أى : قليلة الماء ، وليست هذه عند أبى الوايد ، ولا فى أصل الشيخ أبى بَحرٍ ، وقد ذكرها قاسمٌ فى الدلائل ، ولم يذكر روايةً أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبى عُبَيْدَةَ : أَذَمَّ بالركب : إذا أَبْطَأَ ، حتى حَبَسَتْهُمْ : من البئر الذَّمَّةُ ، وهى القليلة الماء (٢) .

(١) فى اللسان جمعه : عَذَبَ بضم العين والذال ، وقد خطأ الأزهري بأعبيدة لأن فعولا - بفتح الاء - وضم العين - لا يكسر على فَعُولٍ بضم الفاء

(٢) عند أبى ذر الخشنى : أَذْمَتْ : تأخرت بالركب ، أى تأخر الركب بسببها والضمير الذى فى أَذْمَتْ يرجع إلى الأتان ، وفى رواية : أَذْمَتْ بالركب أى : أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها ، مأخوذ من الشيء الدائم ص ٥٥ . وصاحب حليلة المذكور فى القصة هو زوجها : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى ، وكنيته أبو ذؤيب ، وفى رواية أخرى لحديث الرضاع جاء بعد قول حليلة : فذهبت إلى مايل : فإذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يفرح منه المسك ، وتحنن

وذكر قولَ حليلةَ : فلما وضعتُه في حِجْرِي أَقبلَ عليه ندياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِيَ ، وشرب معه أخوه حتى روى .

وذكر غير ابن إسحاق أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - كان لا يقبل إلا على نديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر ، فيأباه كأنه قد أشعر - عليه السلام - أن معه شريكاً في لبانها ، وكان مَنفُوراً على العدل ، يجتنبوناً على المشاركة والفضل - صلى الله عليه وسلم .

### التماس الأجر على الرضاع :

قال المؤلف : والتماسُ الأجر على الرضاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء العرب ، حتى جرى المثلُ : تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها<sup>(١)</sup> ، وكان عند بعضهم لا بأس به ، فقد كانت حليلةُ وسيطة في بني سعد ، كريمةً من كرائم قومها ، بدليل اختيارِ الله - تعالى - إياها لِرَضاع نبيِّه - صلى الله عليه وسلم - كما اختار له أشرفَ البُطون والأصلاب . والرضاعُ كالنسب ؛ لأنه يُغيِّر

== حريز أخضر راقد على قفاه يفظ ، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله ، المواهب اللدنية في باب رضاعه ص ١٤٣ ج ١ ، هذا ورضاعه من ثوبة قد ورد في سياق حديث عن أم سلمة ، وقد رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والبيهقي د منتخب السنة ، ص ٦٠ > ١

(١) روايته : تجوع الحرة ، ولا تأكل بثدييها ، أى : لا تكون ظنراً ، وإن آذاها الجوع . ويروى : ولا تأكل ثدييها . وأول من قال ذلك : الحارث بن سليل الأسدي . في قصة طويلة روتها كتب الأمثال ، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال د مجمع الأمثال للميداني ،



الطباع . في المسندِ عن عائشةَ رضى الله عنها - ترفعه : « لَا تَسْتَرْضِعُوا الْحَمَقَ ؛ فَإِنَّ الْإِبْنَ يُورَثُ » ويحتمل أن تكونَ حليلةٌ ونسأه قومها طلبن الرضعاَ اضطارا للأزمة التي أصابتهم ، والسنة الشبهة التي اقتحمتهم .

### لم كانت قريسه ترفع أولادها إلى المراضع ؟

وأما دَفْعُ قريشٍ وغيرهم من أشرافِ العربِ أولادهم إلى المراضع ، فقد يكون ذلك لوجوهٍ . أحدها : تفريغُ النساءِ إلى الأزواجِ ، كما قال عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لَأُمِّ سَلَمَةَ - رضى الله عنها - وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزعَ من حَجْرِهَا زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ ، فقال : « دَعَى هَذِهِ الْمَقْبُوحَةَ الْمَشْقُوحَةَ <sup>(١)</sup> » التي آذيتَ بها رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم » وقد يكون ذلك منهم أيضاً لِيَنْشَأَ الْوَلَدُ فِي الْأَغْرَابِ ، فيكونَ أَفْصَحَ لِللِّسَانِ ، وَأَجْلَدَ لِلْجِسْمِ ، وَأَجْدَرَ أَنْ لَا يَفَارِقَ الْهَيْئَةَ الْمَعْدِيَّةَ <sup>(٢)</sup> كما قال عُمَرُ رضى الله عنه : تَمَعَّدُوا وَتَمَعَّرُوا <sup>(٣)</sup> وَاخْشَوْشُوا [رواه ابن أبي حذَرْدٍ] . وقد قال - عليه السلام - لأبي بكرٍ - رضى الله عنه - حين قال له : مَا رَأَيْتَ أَفْصَحَ مِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فقال : وَمَا يَمْنَعُنِي ، وَأَنَا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَرْضِيْعَتُ فِي بَنِي سَعْدِ ؟! فهذا ونحوه كان يحملهم على دَفْعِ

(١) المشقوقة : المكسورة أو المبعدة ، من الشقح ، وهو الكسر أو البعد ومشقوقة اتباعاً لمقبوحة .

(٢) نسبة إلى قوم معد ، وكانوا أهل غلظ وقشع .

أى : تصلبوا ، وتشبهوا بمعد .

(٣) وتمعرزوا : تعزز لحمه : اشتد وصلب ، وتمعرز البعير : اشتد عدوه .

الرُّضْعَاءُ إِلَى الرَّاغِضِ الْأَعْرَابِيَّاتِ . وقد ذكر أن عبدَ الملك بن مَرْوَانَ كان يقول : أَضْرَبْ بِنَا حُبَّ الْوَلِيدِ ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ لَحَانًا ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ فَصِيحًا ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ أَقَامَ مَعَ أُمِّهِ ، وَسُلَيْمَانُ وَغَيْرُهُ مِنْ إِخْوَتِهِ سَكَنُوا الْبَادِيَةَ ، فَتَعَمَّرَبُوا ، ثُمَّ أَذْبُوا فَتَعَادَبُوا ، وَكَانَ مِنْ قُرَيْشٍ أَعْرَابٌ ، وَمِنْهُمْ حَضَرٌ ، فَالْأَعْرَابُ مِنْهُمْ : بَنُو الْأَذْرَمِ وَبَنُو مُحَارِبٍ ، وَأَحْسَبُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الظَّوَاهِرِ ، وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ (١) .

شَوِّ الصَّدر :

وذكر قول أخيه من الرضاعة : نزل عليه رَجُلَانِ أبيضان ، فَشَقَّاعِنِ بطنه ، وهما يَسُوطَانِه ، يقال : سَطَّتُ اللَّيْنَ أَوِ الدَّمَ ، أَوْ غَيْرَهَا ، أَسُوطَه : إِذَا ضَرَبْتَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ . وَالْمِسْوَطُ : عُوْدٌ يُضْرَبُ بِهِ .

وفى رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ ابْنِ إِسْحَاقٍ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ كُرْكِيَّانَ (٢) ، فَشَقَّ أَحَدُهُمَا بِمَنْقَرِهِ جَوْفَهُ ، وَمَجَّ الْآخَرَ بِمَنْقَرِهِ فِيهِ ثَلَجًا ، أَوْ بَرَدًا ، أَوْ نَحْوَ هَذَا ، وَهِيَ رِوَايَةٌ غَرِيبَةٌ ذَكَرَهَا يُونُسُ عَنْهُ ، وَاخْتَصَرَ ابْنُ إِسْحَاقٍ حَدِيثَ نُزُولِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا .

وروى ابن أبي الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) سبق الحديث عن قریش البطاح وقریش الظواهر .

(٢) السكرکی : طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتز الذنب . ومج الماء : لفظه .

عنه - قال : « قلت : يا رسول الله كيف علمت أنك نبيٌّ ، وبِمَ علمت حتى استنقِضْتَ ؟ قال : يا أبا ذرٍّ أتاني ملكان ، وأنا ببطحاء مَكَّةَ ، فوق أحدُهما بالأرضِ ، وكان الآخرُ بين السماء والأرضِ ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو - قال : فزِنهُ برجلٍ ، فوزَنَنِي برجلٍ ، فرَجَحْتُهُ ، ثم قال : زِنهُ بعشرة ، فوزَنَنِي فرَجَحْتُهُمْ ، ثم قال : زِنهُ بمائة ، فوزَنَنِي ، فرَجَحْتُهُمْ ، ثم قال : زِنهُ بألفٍ ، فوزَنَنِي فرَجَحْتُهُمْ ، حتى جَبَلُوا يَبْتَنِّقُلُونَ عَلَيَّ مِنْ كِفَّةِ الْمِيزَانِ ، فقال أحدهما لصاحبه : شقُّ بطنه ، فشق بطني ، فأخرج قلبي ، فأخرج منه مَفْغَمَ الشَّيْطَانِ وَعَلَقَ الدَّمَ ، فَطَارَ حِمَاهُ ، فقال : أحدهما لصاحبه : اغْسِلْ بطنه غَسْلَ الْأَنْاءِ ، واغْسِلْ قلبه غَسْلَ الْمَلَأِ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطِّ بطنه ، نَخَّاطْ بطني ، وجعل الخاتم بين كَتِفَيَّ كما هو الآن ، وولِّيا عني ، فكأنني أعين الأُمَرَاءِ معاينةً » ففي هذا الحديث بيان لما أبهم في الأول ، لأنه قال : فأخرج منه مَفْغَمَ الشَّيْطَانِ ، وَعَلَقَ الدَّمَ ، فبيِّن أن الذي التمس فيه هو الذي يغمزه الشَّيْطَانُ مِنْ كُلِّ مَوْلُودٍ إِلَّا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ (١) - عليهما السلام - لقول أمها حَنَّةُ : « وإني

(١) يشير إلى ما رواه البخاري ومسلم والترمذي : « ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان ، فيستهل صارخا من نخسه الشيطان إلا ابن مريم وأمه ، قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ( وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) ، قال عياض : يريد أن الله قبل دعائها مع أن الأنبياء معصومون ، وقال النووي : أشار عياض إلى أن جميع الأنبياء يشاركون عيسى في هذه الخصوصية . وسيأتي أن صدره شق أيضا ليلة الإسراء في حديث من طريق شريك في الصحيحين ، ودعوى أنه لا منافاة ، لاحتمال وقوع ذلك مرتين دعوى بلا بيضة ، وفي أحاديث خاتم النبوة »

أَعِذْهَا بِكَ وَذَرِيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» آل عمران : ٣٦ . فلم يصل إليه لذلك ، ولأنه لم يَخْلُقْ مِنْ مَتْنِي الرِّجَالِ فَأَعِيزَهُ مِنْ مَعْتَز ، وَإِنَّمَا خُلِقَ مِنْ نَفْخَةِ رُوحِ الْقُدُسِ ، وَلَا يَدُلُّ هَذَا عَلَى فَضْلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ نَزَعَ مِنْهُ ذَلِكَ الْمَعْتَزُ ، وَمُلِيَ قَلْبُهُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، بَعْدَ أَنْ غَسَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ بِالْثَّلَجِ وَالْبَرَدِ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْتَزُ فِيهِ لِمَوْضِعِ الشَّهْوَةِ الْمُحَرَّكَ لِلْمَتْنِي ، وَالشَّهْوَاتُ يَحْضَرُهَا الشَّيَاطِينُ ، لَا سِيمَا شَهْوَةٌ مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ الْمَعْتَزُ رَاجِعًا إِلَى الْأَبِ ، لَا إِلَى الْإِبْنِ الْمَطَهَّرِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وفي الحديث فائدة أخرى ، وهى من نفيس العلم ، وذلك أن خاتَم النبوة لم يدر هل خُلِق به ، أم وُضِع فيه بعد ما وُلِد ، أو حين نُبِيَ ، فبين في هذا الحديث متى وُضِع ، وكيف وُضِع ، ومن وُضِعَ ، زادنا الله علما ، وأوزعنا شُكْرَ ما عَمَّ ، وفيه البيان لما سأل عنه أبو ذر - رضى الله عنه - حين قال : كيف عِلِمْتَ أَنْكَ (١)

= مغايرة لما ورد من وصف الخاتم هنا ، كما أن في ألفاظ بعض أحاديث الشق  
 مايوحى بأنه أحداث منام ، لأحداث واقع ، أما الإسراء فيقطة بنص القرآن وسيأتي  
 (1) كل حديث يزعم فيه أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعرف أنه نبي  
 هو حديث كذب ، لا يعتمد به ، لأنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يعرف حتى ليلة  
 الوحي أنه نبي . هذا وعن خاتم النبوة ورد في حديث - رواه الشيخان والترمذي  
 عن السائب بن يزيد : « فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة ، الزر : البيضة  
 وعن جابر في مسلم : « رأيت خاتما في ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأنه  
 بيضة حمام ، وفي مسلم والترمذي : « كان خاتم رسول الله (ص) الذي بين كتفيه غدة  
 حمراء مثل بيضة الحمامة ، وعن عبد الله بن سرجس : « نظرت إلى خاتم النبوة بين =

نبي ، فأعلمه بكيفية ذلك ، غير أن في هذا الحديث ، وثما من بعض النقلة ، وهو قوله : بينما أنا بطحاء مكة ، وهذه القصة لم تعرض له إلا وهو في بني سعد مع حليلة ، كما ذكر ابن إسحاق وغيره ، وقد رواه البزار من طريق عروة عن أبي ذرٍّ - رضى الله عنه - فلم يذكر فيه بطحاء مكة .

== كنفه عند ناغض كتفه اليسرى جمعاً عليه خيلان ، كأمثال التأليل ، مسلم وأحمد . والناغض : أعلى الكنف ، أو ما يظهر من عظمه عند التحرك . 'مجمعاً : أى كصورة الكنف بعد جمع الأصابع وضمها . الخيلان : جمع خال وهى الغدة الصغيرة . التأليل : جمع : ثولول حييات تعلو الجسد ، وفى مسلم أيضاً عن جابر بن سمرة أنه كبيضة الحمامة . وعند الحاكم والترمذى وأبو يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن أحطب أن الخاتم شعر مجتمع عند كتفه ، وعند البخارى فى تاريخه والبيهقى أنه : لحم ناتئة ، وفى جامع الترمذى ودلائل البيهقى : كالتفاحة ، وعند ابن حبان . وفى تاريخ ابن عساكر والحاكم : كالبندة . وعند الترمذى : كبُضعة ناشزة من اللحم . وعند الطبرانى : كان كأنه ركة عز على طرف كتفه اليسر ، وعند ابن حبان : كان مثل البندة من اللحم . . والحجلة تنطق بفتح الحاء والجيم ، وضم الحاء أو كسرهما وإسكان الجيم ، وضم الحاء وفتح الجيم . وجزم الترمذى بأن المراد بالحجلة : الطير المعروف ، وهو فى حجم الحمام ، أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم ، وفسره النووى بأنها واحدة الحجال . وهى بيت كالقبة . لها أزرار كبار وعرا ، أو كما فسره الأزهري فى التهذيب : بيت كالقبة يستر بالثياب ، ويجعل له باب من جنسه ، فيه زر وعروة تشد إذا علقت

وقال القرطبي : اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفيه اليسر ، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة ، وإذا كبر جمع اليد . وفى الفتح : باب خاتم النبوة : أى صفته ، وهو الذى كان بين كتفى النبي ، وكان من علاماته التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها ، وسيأتى عنه بيان آخر

مَدِيَّتُ السَّكِينَةِ :

وذكر فيه أنه قال : وَأُوتِيَتْ بِالسَّكِينَةِ كَأَنَّهَا رَهْرَهَةٌ ، فَوُضِعَتْ  
فِي صَدْرِي . قال : وَلَا أَعْلَمُ لِعُرْوَةِ سَمَاعٍ مِنْ أَبِي ذَرٍّ . وذكر من طريق آخر عن  
أبي ذَرٍّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَهُ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، وَزَنْتُ  
بِأَرْبَعِينَ ، أَنْتَ فِيهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ » وَالرَّهْرَهَةُ : بَصِيصُ الْبَشَرَةِ ، فَهَذَا بَيَانُ  
وَضْعِ الْخَاتَمِ مَتَى وَضَعَهُ .

مَسْأَلَةُ سُؤْلِ الصَّدرِ مَرَّةً أُخْرَى :

وَأَمَّا مَتَى وَجَبَتْ لَهُ النَّبُوءَةُ ، فَرَوَى عَنْ مَيْسَرَةَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : مَتَى وَجَبَتْ  
لَكَ النَّبُوءَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : وَأَدُمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، وَيُرْوَى : وَأَدُمُ  
مُجَنَّدَلٌ فِي طِينَتِهِ (١) .

(١) وهكذا كل إنسان في قَدَرٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عِنْدَهُ مَقَادِيرَ الْكَائِنَاتِ جَمِيعَهَا ،  
وَلَا فَاغِي . — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حَتَّى لَيْلَةِ الْوَحْيِ الْأُولَى أَنَّهُ نَبِيٌّ .  
أَوْ أَنَّ النَّبِيَّةَ سَنَأْتِيهِ . وَلَا مَارْجِعَ فِي ارْتِجَافِهِ الشَّدِيدِ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا  
يَحْدِثُهَا أَنَّهُ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ . وَفِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ : وَلَإِنِّي لَمُكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ  
النَّبِيِّينَ . وَحَدِيثُ الْعَرَبِ بَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
يَقُولُ : لَإِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ آدَمُ لَمُنْجَدَلٌ فِي طِينَتِهِ ، وَسَأَخْبِرُكُمْ عَنْ  
ذَلِكَ : لَإِنِّي دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبَشَارَةَ عِيسَى ، وَرَوَّيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ ، وَكَذَلِكَ  
أُمَمَاتُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ  
نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ ، أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَّانٍ وَالْحَاكِمُ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ  
عِنْدَ أَحْمَدَ نَحْوَهُ ، وَنَصَهُ عَنْ لِقْمَةَ بْنِ عَامِرٍ سَمِعَتْ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ : قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ —

وهذا الخبر يُروى عنه - عليه السلام - على وجهين ، أحدهما : أنه سُقِّ عن قلبه ، وهو مع رابته ومُرُضته في بني سعد ، وأنه جرى بطَّستٍ من ذهب ، فيه ثلج ففسل به قلبه ، والثاني فيه : أنه غُسِّل بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين أُعرج به إلى السماء بعد ما بُعث بأعوام ، وفيه أنه أتى بطَّستٍ من ذهبٍ ممتلئ حكمة وإيمانا ، فأفْرِغ في قلبه . وذكر بعضُ من أَلَف في شرح الحديث أنه تعارض في الروایتين ، وجعل يأخذ في ترجيح الرواة وتغليب بعضها ، وليس الأمرُ كذلك ، بل كان هذا التقديسُ وهذا التطهيرُ مرتين .

الأولى : في حالِ الطُفُولِيَّةِ لِيُنَقِّيَ قَلْبُهُ مِنْ مَغَمَزِ الشَّيْطَانِ ، وَلِيُطَهِّرَ وَيُقَدِّسَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ ، حَتَّى لَا يَتَلَبَّسَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُعَابِ عَلَى الرَّجَالِ ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّوْحِيدُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ : فَوَلِّا عَنِّي ، يَعْنِي : الْمَلَائِكَةُ ، وَكَأَنِّي أَعَيْنُ الْأَمْرَ مُعَايَنَةً .

والثانية : في حالِ الْاِكْتِهَالِ ، وَبَعْدَ مَا نُبِّئَ ، وَعِنْدَمَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي لَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا مُقَدَّسٌ ، وَعُجِرَ بِهِ هُنَاكَ

== ما كان بدء أمرك؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاء منه قصور الشام ، تفرد به أحمد ، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة . وقد روى قصة شق الصدر في الطفولة أبو نعيم في الدلائل عن طريق عمر ابن صبح مطولة جدا ، وعمر متروك كذاب متهم بالوضع .

لَتُقَرَّضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ ، وَلْيُصَلِّيْ بِمَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ ، وَمِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ : الطُّهُورُ ،  
فَتَقْدُسَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَغُسِّلَ بِمَاءٍ زَمَزَمَ .

وَفِي الْمَرَّةِ الْأُولَى بِالتَّلَجِّ لِمَا يُشْعِرُ التَّلَجُّ مِنْ تَلَجِّ الْيَقِينِ وَبَرْدِهِ عَلَى الْقَوَادِ ،  
وَكَذَلِكَ هُنَاكَ حَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَبِوَحْدَانِيَّةِ رَبِّهِ .

وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ ، فَقَدْ كَانَ مُوقِنًا مُنْبَأً ، فَإِنَّمَا طُهِرَ لِمَعْنَى آخِرٍ ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ .  
مِنْ دُخُولِ حَضْرَةِ الْقُدُّسِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا ، وَلِقَاءِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ، فَفَسَلَهُ رُوحُ  
الْقُدُّوسِ بِمَاءٍ زَمَزَمَ الَّتِي هِيَ هَزْمَةُ رُوحِ الْقُدُّوسِ ، وَهَمْزَةُ عَقَبِهِ (١) لِأَيِّهِ إِسْمَاعِيلُ .  
عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجِئْتُ بِطَسْتٍ مُنْتَلِيءَةٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأَفْرِغْ فِي قَلْبِهِ ، وَقَدْ  
كَانَ مُؤْمِنًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الْفَتْحُ : ٤  
وَقَالَ : ﴿ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ الْمَدَّثَرُ : ٣١ . فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ يَكُونُ  
الْإِيمَانُ وَالْحِكْمَةُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَالْإِيمَانُ عَرَضٌ ، وَالْأَعْرَاضُ لَا يَوْصَفُ  
بِهَا إِلَّا مَحْمَلُهَا الَّذِي تَقُومُ بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ الْإِنْتِقَالُ ، لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ مِنْ صِفَةِ  
الْأَجْسَامِ ، لَا مِنْ صِفَةِ الْأَعْرَاضِ ؟ قُلْنَا :

إِنَّمَا عُبِّرَ عَمَّا كَانَ فِي الطَّسْتِ بِالْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ ، كَمَا عُبِّرَ عَنِ الْبَلْبِ الَّذِي  
شَرِبَهُ ، وَأُعْطِيَ فَضْلَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِالْعِلْمِ ، فَكَانَ تَأْوِيلُ مَا أُفْرِغَ فِي  
قَلْبِهِ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، وَلَعَلَّ الَّذِي كَانَ فِي الطَّسْتِ كَانَ تَلَجًّا وَبَرْدًا - كَمَا ذَكَرَ فِي .

(١) هَزَمَ الْبَثْرَ : حَفَرَهَا ، وَالْهَمْزَةُ : الثَّقَرَةُ ، هَذَا وَمِثْلَانِي بَيَانُ أَنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ  
مَفْرُوضَةً قَبْلَ الْإِسْرَاءِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ . هَذَا وَقَوْلُهُ : كَأَنِّي  
أَعَايِنُ الْأَمْرَ مَعَايِنَةً يُوَكِّدُ أَنَّهُ رُؤْيَا مَنَامِيَّةً .



الحديث الأول - فمبر عنه في المرة الثانية بما يؤول إليه ، وعبر عنه في المرة الأولى بصورته التي رآها ؛ لأنه في المرة الأولى كان طفلاً ، فلما رأى الثلج في طست الذهب اعتقده ثلجاً ، حتى عرّف تأويله بعد . وفي المرة الثانية كان نديئاً ، فلما رأى طست الذهب مملوءاً ثلجاً علم التأويل لحينه واعتقده في ذلك المقام حكمة وإيماناً ، فكان لفظه في الحديثين على حسب اعتقاده في المقامين .

#### مناسبة الذهب للمعنى المقصود :

وكان الذهبُ في الحالتين جميعاً مناسباً للمعنى الذي قصدَ به . فإن نظرتَ إلى لفظِ الذهبِ ، فطابق للإذهابِ ، فإن الله - عز وجل - أراد أن يُذهبَ عنه الرِّجْسَ ، ويُطَهِّرَهُ تطهيراً ، وإن نظرتَ إلى معنى الذهبِ وأوصافِهِ وجذْبَتِهِ أنقى شيء وأصفاه ، يقال في المثل : أنقى من الذهب . وقالت بريرةُ في عائشة - رضى الله عنها - ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصَّائِغُ على الذهبِ الأحمر . وقال حذيفة في صلّة بن أشيم رضى الله عنهما : إنما قلبه من ذهب ، وقال جرير بن حازم في الخليل بن أحمد : إنه لرجلٌ من ذهب ، يريدون : النقاء من الأُيُوبِ ، فقد طابق طستُ الذهبِ ما أريد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من نقاء قلبه . ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابقة لهذا المقام ثقله ورُسُوبُهُ ، فإنه يُجعل في الزَّيْبِقِ الذي هو أثقلُ الأشياءِ ، فيرسب ، والله تعالى يقول : ( إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ) المزمل : ٥٠ . وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : إنما ثقلت موازينُ المُحَقِّقِينَ يومَ القيامة ، لاتباعهم الحقَّ ، وحقُّ ليزانٍ لا يوضع فيه إلا الحقُّ

أن يكونَ تَمِيلًا ، وقال في أهلِ الباطلِ بعكسِ هذا . وقد روى : أنه أنزلَ عليه الوحي ، وهو على ناقته ، فَتَمَلَّ عليها حتى ساخت قوائمها في الأرض ، فقد تطابقت الصفةُ الممقولةُ والصفةُ المحسوسةُ . ومن أوصافِ الذهبِ أيضا أنه لا تأكله النارُ ، وكذلك القرآنُ : لا تأكل النارُ يومَ القيامةِ قلبًا وعاءً ، ولا تبدئًا عَمَلَ به ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم : « لو كان القرآنُ في إهابٍ ، ثم طُرِحَ في النارِ ما احترق <sup>(١)</sup> » ومن أوصافِ الذهبِ المناسبةِ لأوصافِ القرآنِ والوحي : أنَّ الأرضَ لا تُباليه ، وأن الثرى لا يذريه ، وكذلك القرآنُ لا يَخْلُقُ على كثرةِ الرَّدِّ ، ولا يُستطاع تغييرُهُ ولا تبدُّلُهُ ، ومن أوصافه أيضا : نفاسته وعزَّته عند الناسِ ، وكذلك الحقُّ والقرآنُ عزَّيزٌ ، قال سبحانه : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) فَصَّلَتْ : ٤١ . فهذا إذا نظرت إلى أوصافِهِ ولَفِظِهِ ، وإذا نظرت إلى ذاته وظاهره ، فإنه زُخْرُفُ الدُّنيا وزِينَتُها ، وقد فُتِحَ بالقرآنِ والوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمنته خزائنُ الملوكِ ، وتصيَّرَ إلى أيديهم ذهبُها وفضتها ، وجُمِعَ زُخْرُفُهَا وزِينَتُهَا ، ثم وعدوا باتباعِ القرآنِ والوحي قُصُورَ الذهبِ والفضةِ في الجنةِ . قال - صلى الله عليه وسلم : « جَنَّتانِ من ذهبٍ ، آتيتُهُما وما فيهما من ذهب <sup>(٢)</sup> » وفي التنزيلِ : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِضُحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ) الزُّخْرُفُ : (٧١) وَيُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاورٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) الحج : ٢٣ وفاطر : ٣٣

( ) رواه الطبراني . وفي الجامع للسيوطي أنه ضعيف .

(٢) من حديث رواه الجماعة إلا أبا داود : وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن .

فكان ذلك الذهب يُشعر بالذهب الذي يصير إليه من اتبع الحق ، والقرآن وأوصافه تشعّر بأوصاف الحق ، والقرآن ولفظه يُشعر بإذهاب الرّجس ، كما تقدم ، فهذه حكم بالغة<sup>(١)</sup> لمن تأمل ، واعتبار صحيح لمن تدبر ، والحمد لله .

وفى ذكر الطّستِ وحروفِ اسمِهِ حكمة تنظر إلى قوله تعالى : (طس . تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مبین<sup>(٢)</sup>) النمل : ١ وما يستل عنه : هل خُص هو - صلى الله عليه وسلم - بفعل قلبه فى الطست ، أم فُعل ذلك بغيره من الأنبياء قبله ، فى خبر التابوت والسكينة ، أنه كان فيه الطّستُ التى غُسلت فيها قلوبُ الأنبياء عليهم السلام . ذكره الطبرى<sup>(٣)</sup> ، وقد انتزع بعضُ الفقهاء من حديث الطّست حيثُ جُعِلَ محلاً للإيمان والحكمة جوازَ تعلية المصحف بالذهب ، وهو فقه حسن<sup>(٤)</sup> ، فى حديث أبي ذر - رضى الله عنه - هذا الذى قدمناه ، متى علم أنه نبى .

- (١) تأويلات مغربة ، وإن كانت تشهد بذكاء ، لكنها لا ترف بسكينة على القلب ، وشأن القرآن أعظم .
- (٢) وهذا أغرب ، وأشدّ بعدا ، وتقرأ طس هكذا : « طاسين » .
- (٣) يشير إلى قوله تعالى : « وقال لهم نبيهم : إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم ، وبقيّة مما ترك آله موسى وآل هارون تحمله الملائكة » البقرة : ٢٤٨ . وقد روى العوفى عن ابن عباس أن السكينة هى الرحمة . كما فسرها عطاء تفسيرا طيبا ، إذ قال لابن جريج لما سأله عنها : أما تعرفون من آيات الله فتسكنون إليه . وروى ابن كثير ما ذكره السهيلي بصيغة تفيد تضعيفه إذ جاء قبله بكلمة : وقيل . وخب فيها وهب بن منبه ووضع ، فأتى بالعجب العجيب من الأساطير . فقال : السكينة : رأس مرة ميتة .
- (٤) رد ابن القيم هذا الرأى .

## الحكمة في غم النبوة :

والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لما ملئ قلبه حكمةً وبقينا، خُتِمَ عليه كما يُخْتَمُ على الوعاء المملوء مسكاً أو دُرّاً ، وأما وَضْعُهُ عند نُفْضِ (١) كَتِفِهِ ، فَلأنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْ وَشْوَسَةِ الشَّيْطَانِ ، وَذَلِكَ الْمَوْضِعُ مِنْهُ يُوسُوسُ الشَّيْطَانُ لِابْنِ آدَمَ . رَوَى مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ (٢) ، فَأَرَى جَسَدَ أُمِّهِ (٣) يُرَى دَاخِلُهُ مِنْ خَارِجِهِ ، وَالشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ ضِفْدَعٍ عِنْدَ نُفْضِ كَتِفِهِ (٤) حِذَاءَ قَلْبِهِ ، لَهُ خُرْطُومٌ ، كَخُرْطُومِ الْبَعُوضَةِ ، وَقَدْ أَدْخَلَهُ إِلَى قَلْبِهِ يوسوس ، فإذا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الْعَبْدُ خُنِسَ (٥) .

(١) هو أعلى منقطع غضروف الكتف .

(٢) في شرح المواهب : « موضع الشيطان من ابن آدم . وفي النهاية : موقع

(٣) ضَبْطُهَا فِي اللِّسَانِ وَفِي مَعْجَمِ ابْنِ فَارِسٍ وَفِي النَّهْيَةِ هَكَذَا ، وَضَبَطَهَا الزَّرْقَانِيُّ بِضَمِّ الْمِيمِ الْأَوَّلَى وَسُكُونِ الثَّانِيَةِ . وَتَخْفِيفُ الْهَاءِ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ : أَهْمَاهُ ، أَيْ مَصْفَغِي ، وَفِي النَّهْيَةِ : أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ مِنْهَا مَا ، قَالَ : وَالْمَاهَا : الْبُلُورُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ صَفِيٍّ ، فَهُوَ مَعْنَى تَشْبِيهِهَا بِهِ . زَادَ فِي الْفَائِقِ : وَمَقْلُوبٌ مِنْ عَمُوهُ ، وَهُوَ مُفْعَلٌ مِنْ أَصْلِ الْمَاءِ . أَيْ يَجْعَلُ مَاءً ص ١٥٤ ج ١ .

(٤) في شرح المواهب : « وأرى الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه . »

(٥) في شرح المواهب : « وقد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، والحديث مقطوع . ص ١٥٤ ج ١ شرح المواهب . وفي اللسان نقلاً عن النهاية لابن الأثير : « فرأى فيما يرى النائم جسد رجل مُنَمَّسٍ . » وحذاء : مقابل . وخنس : تأخر وغاب . وانظر ص ٤٣٩ وما بعدها فتح الباري ج ٦ .

رواه ابنه المنبى « ص » :

فصل : وكان ردّ حليمة إياه إلى أمّه وهو ابنُ خمسِ سنينَ وشهر ،  
فيما ذكر أبو عمر<sup>(١)</sup> ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداها بعد تزويجه خديجة  
- رضى الله عنها - جاءتته تشكو إليه السنّة ، وأن قومها قد أسنّوا<sup>(٢)</sup>  
فسكّام لها خديجة ، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكّرات ، والمرة الثانية : يوم  
حنين<sup>(٣)</sup> وسيأتى ذكرها إن شاء الله .

تأويل النور الذى رآته آمنه :

فصل : وذكر النور الذى رآته آمنه ، حين ولدته عليه السلام ، فأضاءت  
لها قصور الشام ، وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافة فيها  
مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلادُ وغيرُها بنوره - صلى الله عليه وسلم -  
وكذلك رأى خالد بن سَعِيد بن العاصي قبل المبعث يسير نوراً يخرج من  
زَمْزَم ، حتى ظهرت له البُسْر<sup>(٤)</sup> فى نخيل يَثْرِب ، فقصّها على أخيه عمرو ،

(١) يعنى ابن عبد البر . وفى الأصل : عمرو وهو خطأ . وفى المواهب  
نقلنا عن ابن عبد البر أنها ردتّه بعد خمس وبومين ، وتفيد بعض الروايات أنها  
ردته فى السنة الثالثة ، أو الرابعة ، أو السادسة ، وجزم الحافظ العراقى وابن  
حجر أنها ردتّه فى الرابعة ص ١٥٠ ج ١ المواهب .

(٢) أسنّوا : أجدبوا .

(٣) ذكره الأماوى .

(٤) البسر أوله : ططلع ثم : خلال بالفتح ، ثم بلح بفتحين ، ثم مبشر ،

ثم : رُطِب ثم : تمر .

عود إلى حديث ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ما مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى النَّعَمَ ، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه : « أنا أعرِبُكُمْ ، أنا قُرَشِيٌّ ، واشْتَرَضِصْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ » . [حديث ضعيف] : قال ابن إسحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون ، والله أعلم : أن أمَّه السعدية . لما قدمت به مكة أضلَّها في الناس ، وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتصته فلم تجده . فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إني قد قدِّمتُ بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلَّني ، فوالله ما أدري أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجدَه ورقةُ بن نوفل بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناهُ بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه ، وهو يطوف بالكعبة يُعوِّذه ويدعوه ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم ، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرتُ لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نفرًا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعدَ فِطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلَّبوه ، ثم قالوا لها : لَمَّا أَخَذْنَا هَذَا الْغُلَامَ ، فَلَمَذْهَبْنَا بِهِ إِلَى مَلِكِنَا وَبَلَدِنَا ؛ فَإِنْ هَذَا غُلَامٌ كَأَنَّ لَهُ شَأْنٌ نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ ، فزعم الذي حدثني أنها لم تسكِّدْ تنفقت به منهم

فقال له : إنها حَفِيرَةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وإن هذا النور منهم ، فكان ذلك سببَ مُبَادَرَتِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ .

## وفاة آمنة

وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أمه آمنة بنت وهب ، وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه ، يُنبئته الله نباتا حسنا ، لا يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ست سنين ، توفيت أمه آمنة بنت وهب .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آمنة توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم - ابن ست سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار ، تزيره إياهم ، فماتت ، وهي راجعة به إلى مكة .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سلمى بنت عمرو النجارية فهذه الخُولة التي ذكرها ابنُ إسحاق لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيهِ إجلالا له ، قال : فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتي ، وهو غلام جفّر ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ، ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب

.....

إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنِي ، فوالله إنَّ له لَشَأْنًا ، ثُمَّ يُجْلِسْهُ مَعَهُ عَلَى الْفَرَّاشِ ، وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ، وَيَسْرَهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ .

### رعي الغنم :

فصل : وذكر قولَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ » . قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا . وإنما أراد ابنُ إِسْحَاقَ . بهذا الحديثِ رَعَايَتَهُ الْغَنَمَ فِي بَنِي سَعْدِ مَعَ أَخِيهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ رَعَاهَا بِمَكَّةَ أَيْضًا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ . ذكره البخاري ، وذكر البخاري عنه أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ : مَا هَمَّمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ ، وَرَوَى أَنَّ إِحْدَى الْمَرَّتَيْنِ كَانَ فِي غَنَمٍ يَرَعَاهَا هُوَ وَغُلَامٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : اكْفِنِي أَمْرَ الْغَنَمِ حَتَّى آتِيَ مَكَّةَ ، وَكَانَ بِهَا عُرْسٌ فِيهَا لُتُوٌّ وَزَمْرٌ ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الدَّارِ لِيَحْضُرَ ذَلِكَ ، أُلْقِيَ عَلَيْهِ النَّوْمُ ، فَتَنَامَ حَتَّى ضَرَبَتْهُ الشَّمْسُ عِصْمَةً مِنَ اللَّهِ لَهُ . وَفِي الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ قَالَ لِصَاحِبِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ النَّوْمُ فِيهَا ، كَمَا أُلْقِيَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . ذكر هذا المعنى ابنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ رِوَايَةٍ الْبُكَائِيِّ . وَفِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِلْقُتَيْبِيِّ : « بُعِثَ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ ، وَبُعِثَ دَاوُدُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ ، وَبُعِثْتُ ، وَأَنَا رَاعِي غَنَمٍ أَهْلِي بِأَجْيَادٍ <sup>(١)</sup> » ، وَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ هَذَا فِي الْأَنْبِيَاءِ

(١) جبل بمكة ، وهما أجيدان كبير وصغير ، وهما حلتان بمكة . وقيل فيه : جباد بنير ألف وقد سبق .



تَقْدِمَةً لَهُمْ ، لِيَكُونُوا رِعَاةَ الْخَلْقِ ، وَلِتَكُونَ أُمَمُهُمْ رِعَايَاهُمْ ، وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ يَنْزِعُ عَلَى قَلِيبٍ <sup>(١)</sup> وَحَوْلَهَا غَنَمٌ سُودٌ ، وَغَنَمٌ عُفْرٌ <sup>(٢)</sup> . قَالَ : ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — فَزَعَزَعَهُ نَزْعًا ضَعِيفًا ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا <sup>(٣)</sup> . يَعْنِي : الدَّلْوُ ، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى قَرِيَّةً <sup>(٤)</sup> ، فَأَوَّلَهَا النَّاسُ فِي الْخِلَافَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَلَوْلَا ذِكْرُ الْغَنَمِ السُّودِ وَالْعُفْرِ كَبَعْدَتِ الرُّثُوبَا عَنْ مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَالرَّعَايَةِ ؛ إِذِ الْغَنَمُ السُّودُ وَالْعُفْرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ لَمْ يَذْكُرُوا الْغَنَمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ . ذَكَرَهُ الْبَزَّازُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَيْضًا ، وَبِهِ يَصِحُّ الْمَعْنَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

### فِي كِفَايَةِ الْعَمَلِ :

فصل : وَذَكَرَ كَوْنُ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي كِفَالَةِ عَمِهِ يَكْلُمُوهُ

(١) الْقَلِيبُ : الْبُحْرُ قَبْلَ أَنْ تَبْنَى بِالْحِجَارَةِ وَنَحْوِهَا يَذْكُرُ وَيُؤْنَتُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : هِيَ الْبُحْرُ الْعَادِيَةُ الْقَدِيمَةُ . وَنَزَعَ الدَّلْوُ : اسْتَقَى بِهَا .

(٢) الْعُفْرُ : جَمْعُ عُفْرَاءَ : مَا يَلْعَلُ بِيَاضِهَا حَمْرَةً ، أَوِ الْبِيَضَاءُ لَيْسَتْ بِالشَّدِيدَةِ الْبِيَاضِ ، أَوِ الَّتِي فِي سِرَاتِهَا حَمْرَةٌ ، وَخَاصَرَتَهَا بِيَضَاءٌ . وَالسَّرَاةُ : أَعْلَى الظَّهْرِ وَالْوَسْطُ

(٣) السَّدَلْتُو الْعَظِيمَةَ .

(٤) يَعْمَلُ عَمَلَهُ الْعَظِيمَ ، وَبِقَطْعِ قِطْعِهِ . وَفَسَّرَ بِهِ تَقَالُ : بِفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ أَيْضًا ، وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بِدُونِ ذِكْرِ الْغَنَمِ . وَحَدِيثٌ : أَنَا أَعْرَبُكُمْ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَفِي رَوَاتِهِ مَبْشَرُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ ، وَقَالَ السِّيُوطِيُّ : ضَعِيفٌ .

وَيَحْفَظُهُ . فَمِنْ حَفَظِ اللَّهِ لَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتِيمًا لَيْسَ لَهُ أَبٌ يَرْحُمُهُ ، وَلَا أُمَّ  
تَرَأَاهُ (١) لِأَنَّهَا مَاتَتْ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَكَانَ عِيَالُ أَبِي طَالِبٍ ضَعْفًا ، وَعَيْشُهُمْ  
شَقًّا (٢) ، فَكَانَ يَوْضِعُ الطَّعَامَ لَهُ وَلِلصَّبِيِّ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي طَالِبٍ ،  
فَيَتَطَاوَلُونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَقَاعَرُ هُوَ ، وَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ ، وَتَنَفَّضُ يَدُهُ تَكَرُّمًا مِنْهُ  
وَاسْتِحْيَاءً وَنِزَاهَةً نَفْسٍ وَقَنَاعَةً قَلْبٍ ، فَيَصْبَحُونَ غُصَصًا رُفَصًا ، مُصْفَرَّةً  
أَلْوَانُهُمْ (٣) وَيُصْبِحُ هُوَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - صَقِيلًا دَهِينًا (٤) كَأَنَّهُ فِي أَنْعَمِ  
عَيْشٍ ، وَأَعَزَّ كِفَايَةٍ ، لُطْفًا مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهِ . كَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْفَقْتَبِيُّ  
فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ .

موت آمنة وزيارته لهما :

فصل : وذكر موت أمه آمنة بالأبواء ، وهو موضع معروف بين مكة

(١) تحبه وتحنو عليه وتعطف . والمذكور في السيرة مع الحفظ والسكارة  
هو : عبد المطلب ، لا أبو طالب كما في الروض .

(٢) الضعف : كثرة العيال . والشظف والشظاف : الضيق والشدة ، وليس  
العيش وشدة .

(٣) الرمص - كما في الصحاح - وسخ يجتمع في الموق ، فإن سال فهو غمص ، وإن  
جده فهو رمص ، يقال : عين رمصاء ، وهو أرمص . وهو أغمص ، وهي غمصاء .  
(٤) صقيل : مجلوع . ودهين : مدهون بالدهن كناية عن حسنه ونضارته .

وفي حديث الرضاع كلمات نفسرها هنا : ظئر : أصلها الناقة التي تعطف على ولد  
غيرها ، فتدر عليه ، فسميت المرأة التي ترضع ولد غيرها ظئرا . والجفر :  
الفليظ الشديد . منتقع : متغير . الحافل : الممتلئ الضرع . اربعى علينا : أقمى  
وانتظري . والعجف : الهزال « عن الحشني ص ٥٦ »

والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب كأنه سُمِّيَ بجمع بَوٍّ ، وهو جلد الخولر<sup>(١)</sup>  
المَحْشُوءُ بالتبن وغيره ، وقيل : سُمِّيَ بالأبواء لتَبَوُّءِ الشُّيُولِ فيه ، وكذلك  
ذكر عن كثير . ذكره قاسم بن ثابت .

وفي الحديث أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — زار قبر أمه  
بالأبواء في ألفِ مُقَنَّعٍ ، فبكى وأبكى ، وهذا حديث صحيح<sup>(٢)</sup> ، وفي الصحيح  
أيضاً أنه قال : استأذنت ربي في زيارة قبر أمي ، فأذن لي ، واستأذنته أن أستغفر  
لها ، فلم يأذن لي<sup>(٣)</sup> . وفي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ من حديث بُرَيْدَةَ أنه — صلى الله  
عليه وسلم — حين أراد أن يستغفرَ لأمه ، ضرب جبريلُ عليه السلام في  
صَدْرِهِ ، وقال له : لا تستغفر لمن كان مُشْرِكًا ، فرجع وهو حزين .

وفي الحديث زيادةٌ في غير الصحيح أنه سُئِلَ عن بُسْكَائِهِ ، فقال : ذكرت  
ضَعَمَتَهَا وشدةَ عذابِ الله ، إن كان صَحَّ هذا .

(١) ولد الناقة حتى يفصل . وذكر صاحب المصباح : أن الأبواء قرية من أعمال الفرع  
والفرع : قرية من نواحي الريزة عن يسار السقيا ، بينها وبين المدينة ثمانية برد ، من  
المدينة بينها وبين الجحفة بما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . وقيل : جبل عن  
يمين آره ويمين المصعد إلى مكة من المدينة .

(٢) رواه أحمد وفيه : وثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان ، فقام إليه عمر  
ابن الخطاب ، وفداه بالأب والام ، وقال : رسول الله ، مالك ؟ قال : إني سألت  
ربي عز وجل في الاستغفار لأمي ، فلم يأذن لي ، فدمعت عيناى رحمة لها  
من النار . .

(٣) مسلم وابن ماجه .

وفي حديث آخر ما يُصَحِّحُهُ ، وهو أن رجلاً قال له : يا رسول الله : أين أبي ؟ فقال : في النار ، فلما ولي الرجلُ ، قال عليه السلام : إن أبي وأباك في النار <sup>(١)</sup> ، وليس لنا أن نقول نحن هذا <sup>(٢)</sup> في أبيه — صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام : لا تُؤذُوا الأحياءِ بِسَبِّ الأَمْواتِ ، والله عزَّ وَجَلَّ يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .

(١) في رواية مسلم : فلما قفا : دعاه ، فقال : إن أبي وأباك في النار . والحديث رواه أبو داود أيضا . وقيل عن الرجل الذي سأل : أنه أبو رزين العقيلي أو حصين بن عبيد والد عمران . وفي مستند أحمد أن أبا رزين سأل عن أمه : أين هي ، فقال : كذلك . هذا ، وقد ذكر البيهقي عدة أحاديث في هذا ، ثم قال بعد روايته لها في دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده - عليه الصلاة والسلام - بهذه الصفة في الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ، ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدر في نسبه - عليه الصلاة والسلام - لأن أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم ، فلا يلزمهم تجديد العقد ، ولا مفارقتهم إذا كان مثله يجوز في الإسلام ، ويقول ابن كثير : وإخباره عن أبيه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطناه سنداً ومتناً — في تفسيرنا — عند تفسير قوله تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) الإمراء : ١٥ . فيكون منهم من يجيب ، ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة والله الحمد والمنة ، ص ٢٨١ ج ٢ البداية ، ورغم هذا فإنني أذكر بقول الله : ( تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون ) البقرة : ١٤١ .

(٢) إذا سئلنا صدعنا بالحق .

الأحزاب : ٧٥ . وإنما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك الرجل هذه المقالة ، لأنه وجد في نفسه ، وقد قيل : إنه قال : أين أبوك أنت ؟ حينئذ قال ذلك ، وقد رواه مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ بغير هذا اللفظ ، فلم يذكر أنه قال له : إن أبي وأباك في النار ، ولكن ذكر أنه قال له : إذا مررت بقبر كافر ، فبشره بالنار (١) ، وروى حديث غريب لعله أن يصح . وجدته بخط جدِّي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي - رحمه الله - بسند فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتاب ، انْتُسِخَ مِنْ كِتَابِ مُعَوِّذِ بْنِ دَاوُدَ الزَّاهِدِ رَفَعَهُ إِلَى [عبد الرحمن ابن] [أبي الزناد عن] [هشام بن] [عروة] ، عن [أبيه عن] عائشة رضي الله عنها - أخبرت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأل ربَّه أن يُحْيِيَ أبويه ، فأحياهما له ، وآمنا به ، ثم أماتهما ، والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيُّه عليه السلام أهل أن يُخَصَّه بما شاء من فضله ، ويُنعم عليه بما شاء من كرامته - صلوات الله عليه وآله وسلم - قال القرطبي في تذكرته : جزم أبو بكر الخطيب في كتاب : السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب : الناسخ والنسوخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : حجَّ بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع ، فر على قبر أمه ، وهو بالكِّ حزين مُتَمَتِّمٌ ، فبكيت لبكائه - صلى الله عليه وسلم - ثم إنه نزل فقال : يا أحمراء استمسكي ، فاستندتُ إلى جنب البعير ، فمكثتُ عن طويلا مَلِيًّا ، ثم إنه عاد إلي ، وهو فَرِحٌ مُتَبَتِّمٌ ، فقلت له : بأبي أنت وأمي

(١) ورواه البيهقي والبزار والطبراني في الكبير وفيه عن الآب : إنه في النار وقال عنه ابن كثير : غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

## وفاة عبد المطلب : ومارثي به من الشعر

فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد الفيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفي ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ثمانى سنين .

يارسول الله نزلت من عندى ، وأنت باك حزين مُقْتَمٌ . فبكيت لبكائك .  
ثم عدت إلى ، وأنت فَرِحَ مَبْتَسِمٌ ، فَمِمَّ ذَا يارسول الله ، فقال : ذهبت لقبر  
أمنة أُمى ، فسألت أن يحياها ، فأحياها فأمنت بي (١) ؛ أو قال : فأمنت .  
وردها الله عز وجل .

(١) قال ابن كثير في البداية عن حديث ابن أبي الزناد : منكر جداً . وقال في التفسير عن أحد الأحاديث : وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه الخ وقال الدارقطني : باطل ، وكذا ما رواه السهيلي في الروض بسند فيه جماعة مجهولون أن الله أحيا له أباه وأمه ، وقال ابن دحية عن حديث إحياء الام : وهذا الحديث موضوع يردده القرآن والإجماع . قال تعالى : ولا الذين يموتون ، وهم كفار ، وقال : دُفِيت وهو كافر ، فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة ، بل لو آمن عند المعايضة لم ينفعه ، وكيف بعد الإعادة ، ص ١٦٨ ح ١ المواهب .

وقيل إن أمه ماتت وسنه أربع كما حكى العراقي ومغلطاي ، وقيل : ست وبه قطع ابن إسحاق . وقيل : سبع كما حكاه ابن عبد البر ، وقيل : تسع ، وينسب إلى حكاية مغلطاي أيضاً ، وقيل : اثنتا عشرة سنة وشهر وعشرة أيام . وينسب إلى حكاية مغلطاي . وقيل : ثمان ، وهو قول ابن حبيب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سعيد بن المسيَّب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة ، وعرف أنه ميت جمع بناته ، وكنَّ ست نسوة : صفية ، وبرّة ، وعاتكة ، وأمّ حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، فقال لهن : ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيَّب ، كتبناه :

فقلت صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَبْكِي أَبَاهَا :

أَرَقْتُ لَصَوْتِ نَائِحَةٍ بِذَيْلِ	على رَجُلٍ بِقَارَعَةِ الصَّامِعِ
فَقَاصَتْ عِنْدَ ذَلِكَ دُمُوعِي	على خَدَى كُنُحْدَرِ الْفَرِيدِ
على رَجُلٍ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغَلِ	له الْفَضْلُ الْمُبِينِ عَلَى الْعَبِيدِ
على الْفَيَاضِ شَيْبَةً ذِي الْمَعَالِي	أَيُّكَ الْخَيْرِ وَارِثِ كُلِّ جُودِ
صَدُوقٍ فِي الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نِكْسِ	وَلَا شَخْتُ الْمَقَامِ وَلَا سَنِيدِ
طَوِيلِ الْبَاعِ ، أَرْوَعَ شَيْظَمِي	مُطَاعٍ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدِ
رَفِيعِ الْبَيْتِ أَبْلَجَ ذِي فَضُولِ	وَعَيْثِ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْخُرُودِ
كَرِيمِ الْجَدِّ لَيْسَ بِذِي وَصُومِ	يَرُوقُ عَلَى السُّودِّ وَالْمَسُودِ
عَظِيمِ الْحَلِيمِ مَنْ نَقَرَ كِرَامِ	خَضَارِمَةٍ مَلَاوِنَةٍ أَسُودِ
فَلَوْ خَلَدَ امْرُؤٌ لِقَدِيمِ مَجْدِ	وَلَكِنْ لَسَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ
لَكَانَ مُخَلِّدًا أُخْرَى اللَّيَالِي	لِفَضْلِ الْمَجْدِ وَالْحَبِيبِ التَّلِيدِ

. . . . .

وقالت برة بنت عبد المطلب تبكى أباه :

أَعْيَنِي جُودًا بِدَمْعٍ دِرَرٍ	على طَيِّبِ الْخَلِيمِ وَالْمُقْتَصِرِ
على ماجد الجدِّ وارى الزَّناد	جميل الحَيِّ عَظِيمِ الْخَطَرِ
على شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ	وذى الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُفْتَخَرِ
وذى الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ فِي النَّائِبَاتِ	كثيرِ الْمَكَارِمِ ، جَمِّ الْفَجَرِ
له فَضْلٌ تَجَدُّ عَلَى قَوْمِهِ	مُنِيرٌ ، يَلُوحُ كَقَصْوَةِ الْقَمَرِ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا ، فَلَمْ تُشَوِّهِهِ	بَصْرِفِ الْإِيَالَى ، وَرَبِّ الْقَدَرِ

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباه :

أَعْيَنِي جُودًا ، وَلَا تَبْخَلَا	بِدَمْعِكَا بَعْدَ نَوْمِ النَّيَامِ
أَعْيَنِيَّ وَاسْتَحْنَفِرَا وَاسْكُبَا	وَشُوبَا بَكَاءِكَا بِالتَّيْدَامِ
أَعْيَنِيَّ ، وَاسْتَخْرِطَا وَاسْجُمَا	على رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسِ كَهَامِ
على الْجَحْفَلِ الْعَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ	كَرِيمِ الْمَسَاعِي ، وَفِي الدُّمَامِ
على شَيْبَةِ الْحَمْدِ ، وَارِي الزَّناد	وذى مَصْدُقٍ بَعْدُ ثَبَّتِ الْمَقَامِ
وَسَيْفٍ لَدَى الْحَرْبِ صَمُصَامَةٍ	وَمِرْدَى الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامِ
وَسَهْلٍ الْخَلِيقَةِ طَلَقَ الْيَدَيْنِ	وَفِيَّ عُدْمِلِي صَمِيمِ لُهَامِ
تَبَنَّاكَ فِي بَاذِخٍ بَيْتُهُ	رَفِيعُ الدُّوَابَةِ صَعْبِ الْعَرَامِ

وقالت أم حَكِيمِ الْبَيْضَاءِ بنت عَبْدِ الْمَطْلَبِ تبكى أباه :

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهْلِيْ وَبَكِّيْ ذَا الْمَدَى وَالْمَكْرُمَاتِ

. . . . .



أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أَشْعَفِنِي . بَدَمَجْ مِنْ دُمُوعِ هَاطَلَاتِ  
وَبَكِّي خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا أَبَاكَ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ  
طَوِيلَ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا الْمَعَالَى كَرِيمَ الْخَلِيمِ تَحْمُودَ الْهَبَاتِ  
وَصُولاَ لِلْقَرَابَةِ هِزْزِيَا وَغَيْثَا فِي السَّيْنِ الْمُحَلَاتِ  
وَلَيْنَا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالَى تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاطِرَاتِ  
عَقِيلَ بَنَى كِنَانَةَ وَالْمَرْجَى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهِنَاتِ  
وَمَفْرَعَهَا إِذَا مَا هَاجَ هَيْجٌ بَدَاهِيَةَ ، وَخَضَمَ الْمُفْضَلَاتِ  
فَبَكِيهِ ، وَلَا تَسْمِي بِحُزْنٍ وَبَكِّي ، مَا بَقِيَتْ ، الْبَاكِيَاتِ

وَقَالَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا:

أَلَا هَلَاكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو النَّمَقْدِ وَسَاقِي الْحَجِيرِ ، وَالْحَامِي عَنِ الْمَجْدِ  
وَمَنْ يُؤَلِّفُ الصَّيْفَ الْغَرِيبَ بِيُوتَهُ إِذَا مَا سَمَاءُ النَّاسِ تَبْخُلُ بِالرَّعْدِ  
كَسَبْتُ وَلِيداً خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَى فَلَمْ تَنْفَكْ كَلَّكَ تَزْدَادُ يَاشَدِيدَةَ الْحَمْدِ  
أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَاضُ ، خَلَى مَكَانَهُ فَلَا تَبْعُدَنَّ ، فَكُلْ حَتَّى إِلَى بُعْدِ  
فَإِنِّي لِبَاكَ — مَا بَقِيَتْ — وَمُوجَعٌ وَكَانَ لَهُ أَهْلًا لِمَا كَانَ مِنْ وَجْدِ  
سَقَاكَ وَلِيُّ النَّاسِ فِي الْقَبْرِ مُنْطَرَأً فَسَوْفَ أَبْكِيهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَحَدِ  
فَقَدْ كَانَ زَيْنَا لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَكَانَ تَحْمِيداً حَيْثُ مَا كَانَ مِنْ تَحْمَدِ

وَقَالَتْ أَرْوَى بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا:

بَكَتْ عَيْنِي ، وَحَقُّ لَهَا الْبُكَاءُ عَلَى سَمْعٍ ، سَجِيئُهُ الْحَيَاءُ

. . . . .

عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِي كَرِيمِ الْخَلِيمِ ، نَيْتُهُ الْعَلَامِ  
 عَلَى الْفَيْضِ شَيْبَةُ ذِي الْمَعَالِي أَيْمِكَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاةُ  
 طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ ، شَيْطَمِيَّ أَغْرَ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ  
 أَقْبَ السَّكْشَحِ ، أَرْوَعُ ذِي فُضُولٍ لَهُ الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَاءُ  
 أَبِي الضَّمِيمِ ، أَبْلَجَ هَبْرِيَّ قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ لَهُ خَفَاءُ  
 وَمَنْعِلُ مَالِكٍ ، وَرَبِيعُ فِهْرِ وَفَاصِلُهَا إِذَا التَّمَسَ الْقَضَاءُ  
 وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَمًا وَجُودًا وَبِأَسَا حِينَ تَنْسُكِبُ الدَّمَاءُ  
 إِذَا هَابَ السَّكْمَةُ الْمَوْتُ حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ  
 مَضَى قَدْماً بِذِي رُبْدٍ خَشِيبٍ عَلَيْهِ حِينَ تُبْصِرُهُ الْبَهَاءُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَرَعَمَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ابْنُ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ أَشَارَ بِرَأْسِهِ ، وَقَدْ  
 أَضْمَتَ : أَنْ هَكَذَا فَأَبْكَيْنِي .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْمُسَيْبُ بْنُ حَزَنٍ بْنُ أَبِي وَهَبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانَ  
 ابْنُ نَحْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ حُدَيْفَةُ بْنُ غَانِمٍ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ  
 يَبْنِي عَبْدِ الْمَطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَهُ ، وَفَضْلَ قُصَى عَلَى  
 قُرَيْشٍ ، وَفَضْلَ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ بَغْرَمَ أَرْبَعَةِ آلَافٍ دَرَاهِمَ  
 بِمَكَّةَ ، فَوَقَفَ بِهَا فَمَرَّ بِهِ أَبُو هَلَبٍ عَبْدُ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ ، فَافْتَكَّهَ :

أَعْيَى جُودًا بِاللَّهِ مَوْعٍ عَلَى الصَّدْرِ وَلَا تَسَامَا ، أَسْقِيْتُمَا سَبَلَ الْقَطْرِ

وَجُودًا بَدَمَجٍ، وَاسْفَحًا كُلَّ شَارِقٍ  
وَسُحْحًا، وَجُمًّا، وَاسْجُمًّا مَا بَقِيَتَا  
عَلَى رَجُلٍ جَدَلُ الْقَوَى، ذِي حَفِيفَةِ  
عَلَى الْمَاجِدِ الْبُهْلُولِ ذِي الْبَاعِ وَاللَّهِ  
عَلَى خَيْرِ خَافٍ مِنْ مَعْدَةٍ وَنَاعِلٍ  
وَأَخْبِرُهُمْ أَصْلًا وَفِرْعَا وَمَعْدَنَا  
وَأَوْلَاهُمْ بِالْمَجْدِ وَالْحِلْمِ وَالنَّهْيِ  
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ  
وَسَاقِي الْحَجِيجِ نَمَ لِلْخُبَرِ هَاشِمٍ  
طَوَى زَمْرًا عِنْدَ الْمَقَامِ، فَأَصْبَحَتْ  
لَيْبِكَ عَلَيْهِ كُلُّ عَانٍ بِكَرْبَةٍ  
بَنُوهُ سَرَآةً، كَهْلُهُمْ وَشَبَابُهُمْ  
قُصِيَّ الَّذِي عَادَى كِنَانَةَ كُلِّهَا  
فَإِنْ نَكُ غَالَتُهُ الْأَمْنَايَا وَصَرُّهَا  
وَأَبْقَى رِجَالًا سَادَةً غَيْرَ عُزَلٍ  
أَبُو عَتَبَةَ الْمُتَقِيَّ إِلَى حَبَاءِ  
وَحَمْزَةٍ مِثْلَ الْبَدْرِ، يَهْتَزُّ لِلْنَّدَى  
وَعَبْدُ مَنْافٍ مَاجِدٌ ذُو حَفِيفَةِ  
كُهُولُهُمْ خَيْرُ الْكُهُولِ، وَنَسْلُهُمْ

مُبَكَّاءُ أَمْرِي لَمْ يَشُوهُ نَائِبُ الدَّهْرِ  
عَلَى ذِي حَيَاءٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَذِي سِنَرٍ  
جَمِيلٍ الْمُحَيَّا غَيْرِ نَكَسٍ وَلَا هَذَرٍ  
رَبِيعُ لُؤَيٍّ فِي التُّحُوطِ وَفِي الْمُسَرِّ  
كَرِيمُ الْمَسَاعِي، طَيْبُ الْخَلِيمِ وَالنَّجَرِ  
وَأَحْظَاهُمْ بِالْمَكْرُمَاتِ وَبِالذِّكْرِ  
وَبِالْفَضْلِ عِنْدَ الْمُجْهِفَاتِ مِنَ الْغُبَرِ  
يُضِيءُ سَوَادَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرُ  
وَعَبْدُ مَنْافٍ، ذَلِكَ السَّيِّدُ الْفَهْرِيُّ  
سِقَايَتُهُ فَخْرًا عَلَى كُلِّ ذِي فَخْرٍ  
وَأَلُ قُصَيٍّ مِنْ مُقِلٍّ وَذِي وَفَرٍ  
تَفَلَّقَ عَنْهُمْ بَيْضَةُ الطَّائِرِ الصَّغِيرِ  
وَرَابِطَ يَدَيْ اللَّهِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ  
فَقَدْ عَاشَ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةِ وَالْأَمْرِ  
مَصَالِيَتَ، أَمْثَالُ الرُّدَيْنِيَّةِ الشُّعْرِ  
أَغْرَ، هِجَانُ اللَّوْنِ مِنْ نَفَرِ غُرٍّ  
نَقَى الثِّيَابِ وَالذَّمَامِ مِنَ الْغَدْرِ  
وَصَوْلُ الَّذِي الْقُرْبَى رَجِيمُ بَذَى الصَّهْرِ  
كَنَسَلُ الْمُلُوكِ، لَانْبُورٌ وَلَا تَحْرِي

متى ما تُلَاقِي منهمُ الدَّهْرَ نَاشِئًا      تَحِيَّهِهِ بِإِجْرِيًّا أَوَّالِهِ يَجْرِي  
 ثُمَّ مَلَأُوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وَعِزَّةً      إِذَا السُّبْحُ الْخَيْرَاتِ فِي سَالِفِ الْعَصْرِ  
 وَفِيهِمْ بُنَاةٌ لِلْعُلَا ، وَعِمَارَةٌ      وَعَبْدُ مَنْفَاجِدْتُمْ ، جَابِرُ الْكُسْرِ  
 يَأْكُلُح عَوْفَ بَنْتِهِ ، لِيُجِيرَنَا      مِنْ أَعْدَانِنَا إِذَا أَسْلَمْتُنَا بَنُو فِهْرِ  
 فَسِرْنَا يَهَامِيَّ الْبِلَادِ وَتَجَدَّهَا      بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتْ الْعِيرُ فِي الْبَحْرِ  
 وَهُمْ حَضَرُوا وَالنَّاسُ بَادٍ فَرِيْقُهُمْ      وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا شَيْوُخُ بَنِي عَمْرِو  
 بَنَوْهَا دِيَارًا جَمَّةً ، وَطَوَّأَهَا      بِثَارًا تَسُحُّ الْمَاءَ مِنْ تَبِجِ الْبَحْرِ  
 لَكِي يَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا ، وَغَيْرُهُمْ      إِذَا ابْتَدَرُوهَا صُبْحَ تَابِعَةِ النَّخْرِ  
 ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ تَظَلُّ رِكَابُهُمْ      مُخَيَّسَةً بَيْنَ الْأَخَاشِبِ وَالْحِجْرِ  
 وَقَدَمَا غَنِينَا قَبْلَ ذَلِكَ حَقِيبَةً      وَلَا تَسْتَقِي إِلَّا بِحُمٍّ أَوْ الْحَفْرِ  
 وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقِمُ دُونَهُ      وَيَهْفُونَ عَنْ قَوْلِ السَّفَاهَةِ وَالْهَجْرِ  
 وَهُمْ جَمْعُوا حَلْفَ الْأَحَاشِشِ كُلِّهَا      وَهُمْ نَسَكَلُوا عَنَّا غَوَاةَ بَنِي بَسْكَرٍ  
 فَخَارِجَ ، إِمَّا أَهْلِسْكَنَّ ، فَلَا نَزَلَ      لَهُمْ شَاكِرٌ حَتَّى تُفَيِّبَ فِي الْقَبْرِ  
 وَلَا نَسَ مَا أَسْدَى ابْنُ لُبْنَى ؛ فَإِنَّهُ      قَدْ أَسْدَى بَدَأَ تَحْفُوقَةً مِنْكَ بِالشُّكْرِ  
 وَأَنْتَ ابْنُ لُبْنَى مِنْ قُصَى إِذَا انْتَمَوْا      بِحَيْثُ انْتَهَى قَصْدُ الْفَوَادِ مِنَ الصَّدْرِ  
 وَأَنْتَ تَنَاوَلْتَ الْعُلَا ، فَجَمَعْتَهَا      إِلَى مَحْتَدٍ لِلْمَجْدِ ذِي تَبِجِ جَسْرٍ  
 سَبَقْتَ ، وَفَتَّ الْقَوْمَ بَذْلًا وَنَائِلًا      وَسُدَّتْ وَلِيدًا كُلَّ ذِي سُودٍ دَعَمَرٍ  
 وَأَمَّاكَ سِرٌّ مِنْ خَزَاعَةِ جَوْهَرٍ      إِذَا حَصَلَ الْأَنْسَابُ يَوْمَا ذُوُوا الْخُبَرِ  
 إِلَى سَبَأِ الْأَبْطَالِ تُنْتَمَى ، وَتَنْتَمَى      فَأَكْرَمَ بِهَا مَنْسُوبَةٌ فِي دُرَا الزُّهَرِ

أَبُو شَيْمٍ مِنْهُمْ ، وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ      وَذُو جَدَانٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجُبَرِ  
وَأَسْعَدُ قَادَ النَّاسِ عَشْرِينَ حِجَّةً      يُؤَيِّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنَّصْرِ

قال ابن هشام : « أُمُّكَ سِرٌّ مِنْ خِرَازَةِ » ، يعنى : أبا لهب ، أمه : لُبْنَى  
بنت هاجر الخَزَاعِي . وقوله : « بِإِجْرِيًّا أَوَانِلَهُ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال مَطْرُودُ بْنُ كَعْبٍ الْخَزَاعِيُّ يَبْنِكِي عَبْدَ الْمَطْلَبِ  
وَبَنَى عَبْدَ مَنْفٍ :

بِأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ      هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنْفٍ  
هَبَلَتْكَ أُمُّكَ ، لَوْ حَلَلْتَ بَدَارَهُم      ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ  
الْخَالِطِينَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ      حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي  
الْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ      وَالطَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِبْلَافِ  
وَالْمُنْعَمِينَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاقَشَتْ      حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ  
إِنَّمَا هَلَكْتَ أبا الْفَعَالِ فَمَا جَرَى      مِنْ فَوْقِ مِثْلِكَ عَقْدَ ذَاتِ نِظَافِ  
إِلَّا أَيْبُكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَحْدَهُ      وَالْفَيْضِ مُطْلَبِ أَبِي الْأَضْيَافِ

قال ابن إسحاق : فلما هَلَكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ وَلِيَ زَمْزَمَ وَالسَّقَايَةَ  
عليهما بعده الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَحْدَثِ إِخْوَتِهِ سِنًا ، فَلَمْ  
تَزَلْ إِلَيْهِ ، حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامُ وَهُوَ بِيَدِهِ . فَأَقْرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَهُ  
عَلَى مَا مَضَى مِنْ وَلَايَتِهِ ، فَهَبَى إِلَى آلِ الْعَبَّاسِ ، بَوْلَايَةَ الْعَبَّاسِ إِيَّاهَا ، إِلَى  
الْيَوْمِ .

## كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد عبد المطلب مع عمّه أبي طالب ، وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصى به عمّه أبا طالب ، وذلك لأنّ عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا طالب أخوان لأب وأمّ أُمّهمَا : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم [ بن بَقَطَّة بن مُرَّة ] .

قال ابن هاشم : عائذ بن عمران بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدّه ، فكان إليه ومعه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أبااه حدثه : أن رجلاً من لُثَب - قال ابن هشام : وَلِثَب : من أزد شنوءة - كان عائفاً ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بفيلمانهم ينظر إليهم ، ويعتاف لهم فيهم . قال : فأتى به أبو طالب ، وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام . علىّ به ، فلمّا رأى أبو طالب حرّصه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : وَيَلَكُم ! رُدُّوا علىّ الغلام الذى رأيت آنفاً ، فوالله لَيَكُونَنَّ له شأن . قال : فانطلق أبو طالب .

## وفاة عبد المطلب

قول صفية :

ففاضت عند ذلك دُمُوعِي على خَدَّي كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ

يروى : كمنحدر بكسر الدال أى : كالدر المنحدر ، وَمُنْحَدَرٌ بفتح الدال  
فيكون التشبيهُ راجعاً للفيض ، فعلى رواية الكسر : شَبَّهَتِ الدَّمْعَ بِالْدرِّ الْفَرِيدِ ،  
وعلى رواية الفتح شَبَّهَتِ الْفَيْضَ بِالْأَمْحَدَارِ .

وقولها : أَيْبِكَ الْخَيْرِ . أرادت : الْخَيْرُ نَخَفْتُ ، كما يقال : هَيْنٌ وَهَيْنٌ ، وفى  
التنزيل : ( خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ) الرحمن : ٧٠ . وكان اسمُ أمِّ الدرداء : خَيْرَةُ بنتُ أبي  
حَدَرْد (١) وكذلك أم الحسن بن أبي الحسن البصرى ، اسمُها : خَيْرَةُ ، فهذان  
المخفف ، ويموز أن يكون الْخَيْرُ هُنَا هو ضدُّ الشَّرِّ ، جعلته كله خيراً على المبالغة  
كما تقول : ما زِيدُ إِلَّا عِلْمٌ أو حُسْنٌ ، وما أنت إِلَّا سَيْرٌ ، وهو تَجَازَ حَسَنٌ ،  
فعلى هذا الوجه لَا يَشْنَى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُؤَنَّثُ ، فيقال : خَيْرَةُ .

(١) هى صحابية ، وكانت زوجا لأبي الدرداء . وكانت له زوجتان كل  
واحدة منهما كنيتهما : أم الدرداء ، وهما كبرى وصغرى . والكبرى : هى الصحابية ،  
والصغرى : تابعة ، وهى التى روت فى الصحيح ، أما الكبرى فليس لها فى الصحيحين  
حديث ، وهى خَيْرَةُ بنتُ أبي حدرد ، واسمها : سلامة بن عمر . وهى أصلية  
وفى القاموس : أبو الحدرد الأسلى : صحابى ، ولم يحمىء فمطلع بتكرير العين  
غيره . والحدرد : القصير .

وقولها : ولا شَخَتْ المقام ولا سَنَيْدُ : الشَخْتُ : [ الدقيق الضامِرُ لا هُزَّ الأ ]  
ضدُّ الضَّخْم ، تقول : ليس كذلك ، ولكنه ضَخْمُ المقام ظاهرُهُ . والسَّيْدُ :  
الضَّعِيفُ الذي لا يَسْتَقِيلُ بنفسه ، حتى يَسْنُدَ رأيه إلى غيره .

وقولها : خَضَارِمَةٌ مَلَاوِيَّةٌ . ملاوئته : جَمْعُ مِلَاوَاتٍ <sup>(١)</sup> من اللَّوْثَةِ ، وهى  
القوة ، كما قال المُكَعَّبَرُ :

عند الحَفِيطَةِ إِنْ ذُو لَوْنَةٍ لَأَمَّا

وقد قيل : إِنْ اسْمَ اللَّيْثِ مِنْهُ أُخِذَ ، إِلَّا أَنْ وَآوَهُ انْقَلَبَتْ ياء ؛ لأنه  
فَعِيلٌ ، فُخِفَ كما تقدم : فى هَيْنٍ وَهَيْنٍ ، وَلَيْنٍ وَلَيْنٍ .  
وقول بَرَّةَ :

أنته المنايا فلم تُشَوِّه

أى : لم نُصِبِ الشَّوْى <sup>(٢)</sup> ، بل أصابَتِ المَقْتَلُ ، وقد تقدم فى حديث  
عبد المطلب وضرِّبه بالقِدَاحِ على عبد الله ، وكان يَرَى أن السَّهْمَ إِذَا خَرَجَ  
على غيره أَنَّهُ قد أُشْوِى ، أى : قد أخطأ مقتله ، أى : مقتل عبد المطلب وابنه ،

(١) فى اللسان : الملائكة بفتح الميم والمملووث : السيد الشريف والشيظلى :  
اللقى الجسم . والخضارمة : جمع خضرم بكسر الخاء والراء : الكثير العطاء .  
النكس : الضعيف الذى لا خير فيه . الحُرود : الناقة القليلة الدر .

(٢) الشَّوَاة : جلدة الرأس ، والشَّوْى : البدان والرجلان والأطراف ، وما كان  
غير مقتل ،



ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذى أشوى وأخطأ ، وبكلا الضبطين وجدته ، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرَكَ (١) فالأول من الشوى ، وهذا من الشىء بالنار ، قاله أبو حنيفة .

وقول عاتكة : ومِرْدَى المَخَامِ ، المِرْدَى : مِفْعَل من الرَدَى ، وهو الحجر الذى يَقْتُل مَنْ أُصِيبَ بِهِ ، وفى المثل : كُتِبَ عِنْدَهُ مِرْدَاتُهُ (٢) [أى : يقرب منه حتفه ، لأنه يُرمى به فيقتل ]

وقولها : وَفِ . أَى : وَفَى ، وخفف للضرورة ، وقولها : عُدْمِلَى . الْعُدْمِلَى : [ وَالْعُدْمِلُ وَالْعُدْمِلَى ] الشديد . وَاللَّهُمَّ : فُعَالٌ من لَمِمتُ الشىءَ ، أَلْهَمَهُ : إذا ، ابْتَلَعْتَهُ ، قال الراجز : [رُؤْبَةُ بن العَجَّاج] .

كالخوت لا بُرُوبَهُ شَىءَ بَلَهَمَهُ يُصْبِحُ عَطْشَانًا (٤) وفى البحرِ قَمَةُ ومنه سَمَى الجيش : أَلْهَمًا

(١) أفرَكَ : حان له أن يفرك . وفى اللسان : أشوى القمع : أفرَكَ ، وصلح أن يشوى .

(٢) هذا والخيم فى قصيدة برة : السجية والطبيعة . وطيب المعتصر : جواد حين يسأل .

(٣) فى الأصل : عند . وفى مجمع الأمثال وسط الكلى : «عنده» . والمرداة : الحجر الذى يرمى به ، والضرب قليل الهداية ، فلا يتخذ حجره إلا عند حجر يكون علامة له . فن قصده ، فالحجر الذىرمى الضرب به يكون بالقرب منه . فعنى المثل : لا تأمن الحدثنان والسير . فإن الآفات مُعَدَّةٌ مع كل أحد : يصرب أن يتعرض للهِلْسَكَةِ .

(٤) فى ديوان رؤبة : ظلمان . وانظر ص ٣٤٣ > خزائن البغدادى .

وقولها : على الْجَحْفَلِ . جعلته كالجَحْفَلِ ، أى : يقوم وحده مقامه ،  
وَالْجَحْفَلُ : لفظ مَنْحَوْتُ من أصلين ، من : جَحَفَ وَجَفَلَ ، وذلك أنه يَجْحَفُ  
ما يمر عليه أى : يَقْشِرُهُ وَيَجْفِلُ : أى يَقْلَعُ (١) ونظيره نَهَشَلُ : الذئبُ ، هو  
عندهم منحوت من أصلين أيضاً ، من : نَهَشَتُ اللحمَ ونَشَلْتُهُ (٢) وعاتكة : اسم  
منقول من الصَّفَات ، يقال : امرأةٌ عاتِكةٌ ، وهى الْمُصَفَّرَةُ لبدنها بالزَّعْفَرَانِ  
والطَّيِّبِ . وقال القُتَيْبِيُّ : عَتَكَتِ القوسُ : إِذَا قَدَمَتْ (٣) وبه سُمِّيَتِ المرأةُ .  
والقول الأول قولُ أبى حنيفة .

وقول أَرَوَى : وَمَعْقِلُ مالِكٍ وربيعٍ فِهْرٌ . تريد : بنى مالك بن النضر  
ابن كِنانةَ . وقولها : بذى رُبْدٍ . تريد : سَيْفًا ذا طرائقَ . والرُّبْدُ : الطرائقُ .  
وقال صَخْرَةُ النُّعَيْ : [ الهَذَلُ ] :

وصارمٌ أَخْصَصَتْ خَشِيبَتَهُ أبيضُ مَهْوٌ فى مَتْنِهِ رُبْدٌ (٤)

(١) يجفل فى اللسان ويجحف : يقشر : وفى الأصل : جحف بدلا من جحف ،  
وهذه أثبتنا خطأ الأولى .

(٢) نهشه : كمنعه ، نهسه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان ونثفه . ونشل  
اللحم : أخرجه من القدر بيده بلامرقة ، أو أخذ بيده عضوا ، فتناول ما عليه  
من اللحم بفيه .

(٣) فى القاموس : عتك القوس عتكاً . وعتكوا ، فهى عاتك :  
احمرت قدماً ، وكذلك فى اللسان .

(٤) خشية فى الأصل : خشيشة ، وهو خطأ صوابه ، من اللسان . والخشيشة : الطبيعة  
أخلصها المداوس والصقل ، يقال : خشب السيف : طبعه أو صقله . المهو : السيف  
الرفيق الشفرتين . وهى على وزن قلع ، لأنها مقلوبة من موه ، لأنها من الماء الذى لأمه =

وقول عاتكة : تَبَنِّكَ في باذخ بيته . أى : تَبَنِّكَ بيته في باذخ من الشَّرَفِ ، ومعنى تَبَنِّكَ : تَأَصَّل من البُنْكَ وهو : الأَصْلُ . وَالبُنْكَ أَيْضاً : ضَرْبٌ من الطَّيْب ، وهو أَيْضاً عود السوس<sup>(١)</sup> [شجر يغمى به البيوت ،

== هاء ، بدليل قولهم في جمعه : أمواه . والربد : شبه غبار أو مدب نمل في جوهره وقيل : الخشب الذى فى السيف هو أن يضع عليه سناناً عريضاً لمس ، فيدلك به . والمعنى : أن هذا السيف أرق حتى صار كالماء فى رفته . والبيت فى اللسان فى مادة خشب : ومرفه - برفعها ورفع أبيض - ومهو . وفى مادة : مها - وصارم ، كما فى الروض ، وقد ورد البيت فى معجم ابن فارس فى مادة ربد كما فى الروض وقال عن الربد : « فأما ربد السيف فهو فرند ديباجته ، وهى «ذلية» .

وقال فى مهو : « وسيف مهو : رفيق الحد كأنه يمر فى الضريبة مر الماء » . واللسان يرويه فى مادى ربد وهو كما ذكر الأستاذ عبد السلام هارون فى تعليقه على معجم ابن فارس . ويوجد البيت فى ديوان الهذليين وشرح السكرى للهذليين . . ومن معانى قصيدة عاتكة : اسحنفرا : صبا الدموع بكثرة . الالتدام : ضرب النساء وجوههن فى النياحة . استخرط الرجل فى البكاء : لج فيه . الكهام : الرجل السكيل السن . ومن معانى قصيدة أم حكيم : استلى ، أظهرى البكاء . التيار : معظم الماء . والفراة : الماء العذب . الهيرزى : الحاذق فى أموره . تشتجر العوالى : تختلط الرماح فى الحرب . الهنات : جمع هنة ، وهى كناية عن القبيح . ولاتسسمى ، أرادت : ولاتسمى . ومن غريب شعر أميمة : ذو الفقد : الفياض الكثير العطاء ، فإنى لباك : أخبرت عن نفسها لإخبار المذكر على معنى الشخص . ومن غريب شعر أروى . السجية : الطبيعة ، أبطحى : نسبة إلى بطحاء مكة ، وهو الموضع السهل منها . الآقب : الضامر . الكشخ : الخصر .

(١) فى اللسان وفى القاموس ما وضعته بين قوسين عن عود السوس ، ويقول الأزهرى عن البُنْكَ : لأنها فارسية ومعناها : الأصل . ولهذا يقول ابن فارس فى مادة بُنْكَ : كلمة واحدة وهو قولهم : تبَنِّكَ بالمسكان ، أقام به .

وَيَدْخُلُ عَصِيرَهُ فِي الْأَدْوِيَةِ ، وَفِي عُرُوقِهِ حَلَاوَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَفِي فُرُوعِهِ مَرَارَةٌ [ .  
 وَقَوْلُهُ : فَأَشَارَ إِلَى بَيْنِ بَرَأْسِهِ ، وَقَدْ أُضْمِتْ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ ، هَكَذَا قَيْدُهُ  
 الشَّيْخُ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ ، وَيُقَالُ : صَمَتَ وَأَصْمَتَ ، وَسَكَتَ وَأَسَكَتَ  
 بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، [ وَسَمَحَ وَأَسَمَحَ ، وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَعَصَفَتْ ، وَطَلَعَتْ عَلَى الْقَوْمِ  
 وَأَطْلَعَتْ . ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ ] .

### أَبُو جَهْمٍ :

وَذَكَرَ شِعْرَ حُذَيْفَةَ بْنِ غَانِمٍ الْعَدَوِيِّ ، وَهُوَ وَالِدُ أَبِي جَهْمِ بْنِ  
 حُذَيْفَةَ (١) ، وَاسْمُ أَبِي جَهْمٍ : عُبَيْدٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَهْدَى الْخُمَيْصَةَ (٢)

(١) قَالَ الْبُخَارِيُّ وَجَمَاعَةٌ : اسْمُهُ عَامِرٌ ، وَكُنْيَتُهُ فِي الْإِصَابَةِ : أَبُو الْجَهْمِ . وَأَبُو  
 جَهْمٍ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ ، وَفِي لِسَبِّ قُرَيْشٍ : أَبُو جَهْمٍ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ غَانِمٍ ، بْنُ عَامِرٍ ،  
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَوْجٍ ، بْنُ عَدَى بْنِ كَعْبِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ . وَقَدْ ضَبَطَ  
 النَّوَوِيُّ عُبَيْدَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَضَبَطَ فِي الْقِسْبِ بِضَمِّهَا . انْظُرْ ص ٣٦٩ نَسَبِ  
 قُرَيْشٍ ، وَتَرْجُمَةُ أَبِي جَهْمٍ فِي التَّهْذِيبِ لِلنَّوَوِيِّ .

(٢) الْخُمَيْصَةُ ، ثَوْبٌ حَرٌّ ، أَوْ صَوْفٌ مُعَلَّمٌ ، وَقِيلَ : لَا تُسَمَّى خُمَيْصَةً إِلَّا أَنْ  
 تَكُونَ سُودَاءَ مُعَمَّلَةٍ ، وَكَانَتْ مِنْ لِبَاسِ النَّاسِ قَدِيمًا . وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى مَا رَوَى  
 فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : صَلَّى النَّبِيُّ -  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَسَلَّمَ - فِي خُمَيْصَةٍ لَهَا أَسْلَامٌ . فَقَالُوا : أَذْهَبُوا بِخُمَيْصَتِي هَذِهِ  
 إِلَى أَبِي جَهْمٍ . وَاتَّفَقُوا بِأَنَّ بَسْجَانِيَّةَ أَبِي جَهْمٍ ، فَبَيْنَمَا الِتِّقَى آتَفًا عَنْ صَلَاقٍ .  
 وَالْأَنْبَجَانِيَّةُ - بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكَسْرِهَا وَفَتْحِ الْهَمْزَةِ - نَسَبَةٌ إِلَى مَنْبُجٍ أَوْ أَنْبَجَانٍ ، وَهُوَ كَسَاءٌ  
 يَتَّخِذُ مِنَ الصَّوْفِ ، وَلَهُ خُمَلٌ [ الْقَطِيفَةُ أَوْ أَهْدَابُهَا ] ، وَلَا عَسَلَمَ لَهُ . وَهِيَ  
 مِنْ أَدْوَنِ الثِّيَابِ الْغَلِيظَةِ . وَإِنَّمَا طَلَبَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْأَنْبَجَانِيَّةَ  
 لِتَلَايُوثِهَا بِرَدِّ الْهَدِيَّةِ - وَهِيَ الْخُمَيْصَةُ - فِي قَلْبِهِ .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى علمها . الحديث . وقد روى  
أيضاً هذا الحديث على وجه آخر ، وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
أتى نَجْمَيْصَتَيْنِ ، فأعطى إحداهما أبا جهم ، وأمسك الأخرى ، وفيها علم ،  
فلما نظر إلى علمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهم ، وأخذ الأخرى بدلا  
منها ، هكذا رواه الزُّبَيْرُ (١) . وأم أبي جهم : بُسَيْرَةُ بنتُ عبد الله بن أذاة  
ابن رباح ، وابن أذاة : هو خالُ أبي قُحَافَةَ ، وسيأتي نسبُ أمه ، وقد قيل :  
إن الشعرَ لِحَذَافَةَ بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافه ، وله يقول  
فيه : أَخَارِجُ إِنْ أَهْلِكَ . وفي الشعر : غَيْرُ نَكْسٍ وَلَا هَذَرٍ . النُّكْسُ من  
السَّهَامِ : الذي نُكِّسَ في الكِنَانَةِ ليميزه الرامي ، فلا يأخذه لرداءته . وقيل :  
الذي انكسر أعلاه ، فَنُكِّسَ وَرُدَّ أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمي .

وقوله : لَا تَبُورُ وَلَا تَحْزِي . أى : لَا تَهْلِكُ وَلَا تَنْقُصُ ، ويقال للأفمى : حَارِبَةٌ  
لرَقَّتِهَا (٢) وفي الحديث : ما زال جسم أبي بكرٍ يَحْزِي حُزْنَا على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، أى : يَنْقُصُ لحمه ، حتى مات ، والإِجْرِيَاءُ : السيرة وهي  
إفْعِيلَاءٌ من الْجَزَى (٣) ، وليس لها نظيرٌ في الأبنية إلا الإِهْجِيرَاءُ في معنى

(١) رواه مرسلًا .

(٢) هي التي كبرت ، ونقص جسمها ، ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسماها .

(٣) في الأصل : لإحرياء والبحري بالحاء ، وهو خطأ صوابه ما أثبتته . والإِجْرِيَاءُ  
في اللسان : الوجه الذي تأخذ فيه ، وتجرى عليه . وتقصّر وتمد .

• • • • •

### الهِجْرِي (١)

وفيها قوله : وليس بها إلا شيوخ بنى عمرو . يريد : بَنِي هَاشِمٍ ؛ لأنَّ اسمَه عَمْرُو .

وفيها : غَيْرُ عَزَلٍ ، وهو : جمعُ أُعْزَلَ ، ولا يُجمعُ أَفْعَلَ على فَعَّلٍ ، ولكن جاء هكذا ؛ لأنَّ الأَعْزَلَ في مقابلة الرامح (٢) وقد يحملون الصفة على ضدها ، كما قالوا : عَدُوَّةٌ - بقاء التأنيث - تحللا على صديقة ، وقد يجوز أن يكون أجراه تجرى : حُسْرٍ جمع : حاسِرٍ ؛ لأنه قريبٌ منه في المعنى (٣)

تهامم وشأم :

وقوله : فسرنا تهاميَّ البلاد مخففاً مثل يمانياً ، والأصلُ في يَمَانٍ : يَمَيٌّ ، تخففوا الياء ، وعوضوا منها ألفاً ، والأصل في تهامٍ : تهاميٌّ بكسر التاء من تهاميٍّ لأنه منسوب إلى تهامة (٤) ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما فعلوا في يَمَانٍ

(١) الدأب والعادة والقول السيء وكثرة الكلام . ولا تسكاد تستعمل إلا في العادة الذميمة .

(٢) في اللسان : العزل ، بضم العين والزاي ، والأعزل الذي لا سلاح معه ، فهو يعتزل الحرب . أو الذي لا رمح معه . وجمعهما أعزال وعزُل وعُزْلان ، وعُزْلٌ . والأعزل والرامح : نجمان نيران . قال الأزهري : وفي نجوم السماء سماكان ، أحدهما : السماك الأعزل ، والآخر : السماك الرامح . وفي شرح الشافية للرضي . المطارد في تكسير أَفْعَلَ : فعلاء . وفي مؤنثه : فَعْعَلٌ ، ولا يضم عينه إلا لضرورة الشعر ، ويحذف فَعْعَلان أيضاً كثيراً . كسودان وبيضان .

(٣) الحاسر : من لا مِفْقَر له ولا درع ، أو لا جنة له .

(٤) تهامة : تسائر البحر . منها : مكة . وقيل : طرف تهامة من قبل الحجاز : =

وفتحوا التاء من تَهَامٍ لما حذفوا الياء من آخره ، لتكون الفتحة فيه كالعوض من الياء ، كما كانت الألف في يَمَانٍ ، وكذلك الألف في شَامٍ بفتح الهمزة ، وألف بعدها عِوَضًا من الياء المحذوفة ، فَإِنْ شَدَّدْتَ الياء من شَامٍ قلت : شَامِيَّ بسكون الهمزة ، وتذهب الألف التي كانت عوضا من الياء لرُجوع الياء المحذوفة ، ولا تقول في غير النسب : شَامٍ بالفتح والهمز ، ولا في النسب إذا شددت (١)

== مدارج العرَج ، وأول تهامة قبل نجد : ذات عرق ، وقيل : يخرج من مكة . فلا يزال في تهامة حتى يباغ عُسْتَفَان .

(١) هذا من النسب المسموع ، ويتميز هذا النوع بتخفيف ياء النسب المشددة ، والإتيان بألف التعويض عنها قبل لام الكلمة . فيقال في يَمَنِيَّ : يَمَانِي وفي شَامِيَّ : شَامِي ياء واحدة ساكنة فيها . وبهذا يصير الاسم منقوصاً ، فتقول : قام اليماني ، رأيت اليماني ، ومررت باليماني . ولا تجتمع ألف التعويض مع الياء إلا شذوذاً في ضرورة الشعر . ويستحسن الاختصار على المسموع . ولم يرد غير يمان وشَامٍ وتهَامٍ وزاد الجوهري في الصحاح : نباتي ونباط ، وفي اللسان : ورجل شَامٍ وتهَامٍ إذا نسبت إلى تهامة والشَام . وكذلك : رجل يمان ، زادوا ألفاً فخففوا ياء النسبة . وفيه أيضاً عن تهامة : والنسبة إليه تَهَامِيٌّ بكسر التاء وتشديد الياء ، وتهَامٍ بفتح التاء على غير قياس ، كأنهم بنوا الاسم على تَهَمِيٍّ أو تَهَمِيٍّ ، ثم عوضوا الألف قبل الطرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها . ويقول الجوهري : إذا فتحت التاء في تهَامٍ لم تشدد ، كما قالوا : يمان وشَامٍ إلا أن الألف في تهَامٍ من لفظها والألف في يمان وشَامٍ عوض من ياء النسبة . وفي شرح الشافية ص ٨٣ ح ٢ : وقالوا : يمان وشَامٍ وتهَامٍ . ولأربع لها . والأصل : يَمَنِي وشَامِي وتهَمِي محذوف في الثلاثة إحدى ياء النسبة ، وأبدل منها الألف ، وجاء : يَمَنِي وشَامِي على الأصل ، وجاء تَهَامِي بكسر التاء وتشديد الياء منسوباً إلى تهامة ، وجاء يَمَانِي وشَامِي =

الياء شامي. وسألت الأستاذ أبا القاسم بن الرماك - وكان إماماً في صنعة العربية عن البيت الذي أملاه أبو علي في النوادر ، وهو قوله :

[ أَتَظَنُّ عَنْ حَبِيبِكَ نِمَ تَبْكِي      عَلَيْهِ ، فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ ]  
 [ كَأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ لِلْبَيْتِ طَعْمًا      فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مُرٌّ الْمَذَاقِ ]  
 [ أَقِمْ وَانْعَمْ بِطَوْلِ الْقَرَبِ مِنْهُ      وَلَا تَظَنِّ فُتُكِبْتَ بِاشْتِيَاقِ ]  
 فما اعتاضَ الفَارِقُ مِنْ حَبِيبٍ      وَلَوْ يُعْطَى الشَّامُ مَعَ الْعِرَاقِ  
 فقال : مُحَدَّث ، ولم يره حُجَّةً . وكذلك وَجَدْتُ فِي شِعْرِ حَبِيبٍ : الشَّامُ  
 بالفتح كما في هذا البيت . وليس بحجة أيضاً .

[ فِي اللِّسَانِ : « وَقَدْ جَاءَ الشَّامُ لَفَةً فِي الشَّامِ قَالَ الْمَجْنُونُ :  
 وَخُبِّرْتُ لَيْلَى بِالشَّامِ مَرِيضَةً      فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودَهَا  
 وَقَالَ آخَرُ :  
 أَتَنَّا قَرِيشَ قَصْصًا بِقَضِيضِهَا      وَأَهْلَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ تَقْصِفُ (١) ]  
 وقوله :

مَنْزَفَ الْيَاءِ مِنْ هَاءِ الْكُنَايَةِ :  
 حَذَفَ الْيَاءَ مِنْ هَاءِ الْكُنَايَةِ بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتْ الْعِيرُ فِي الْبَحْرِ \*

= وكانهما منسوبان إلى يمان وشام المنسويين بحذف ياء النسبة دون ألفها. إذ لا استئصال فيه كما استئصل النسبة إلى ذى الياء المشددة لو لم تحذف . والمراد يمان وشام في هذا موضع منسوب إلى الشام واليمن . فينسب الشيء إلى هذا المكان المنسوب . ويجوز أن يكون يمانى وشامى جمعاً بين العوض والمعوّض عنه وأن يكون الالف في يمانى للإشباع . وانظر المزهري على ص ١٠١ ح ٢ (١) عن اللسان والأمالى



. . . . .

ضرورة ، كما أنشد سيديويه : سأجعل عينيه لِنَفْسِهِ مَقْنَمًا (١) \* في أبيات كثيرة  
أنشدها سيديويه ، وهذا مع حذف الياء والواو ، وبقاء حركة الهاء ، فإن سكنت  
الهاء بعد الحذف ، فهو أقل في الاستعمال من نحو هذا ، وأنشدوا :

وَنُضَوَايَ مُشْتَقَاتَانِ لَهُ أَرْقَانِ (٢)

وهذا الذي ذكرناه هو في القياس أقوى ؛ لأنه من باب حل الوصل على  
الوقف نحو قول الراجز :

لما رأى أن لادعة ولا شبح

ومنه في التنزيل كثير نحو إثبات هاء السكت في الوصل ، وإثبات الألف  
من أنا ، وإثبات ألف الفواصل نحو : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ الأحزاب : ١٠٠  
وهذا الذي ذكره سيديويه من الضرورة في هاء الإضمار إنما هو إذا  
تحرك ما قبلها نحو : به وله ، ولا يكون في هاء المؤنث البتة خلفه الألف ، فإن  
سكن ما قبل الهاء نحو : فيه وبنيه كان الحذف أحسن من الإثبات ؛ فإن قلت

(١) الشعر لمالك بن خزيمة الهمداني وهو :

فإن يك غثا أو سمينا فإنني سأجعل عينيه لنفسه مَقْنَمًا

أراد لنفسه ، لحذف الياء ضرورة في الوصل تشبيها بها في الوقف إذ قال :  
لنفسه . يصف ضيفا فيقول : إنه يقدم إليه ما عنده من القرى ويحكمه فيه ،  
ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه ، فيقنع بذلك انظر ص ١٠ ح ١ الكتاب  
لسيديويه ط ١ .

(٢) النضو : البعير المهزول والناقة .

فقد قرأ عيسى بن مينا : نُصْلَهُ وَيُودُّهُ وَأَرْجِهْ (١) ونحو ذلك في اثني عشر

(١) يعني الآيات القرآنية : ( ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ، ونُصْلُهُ جَهَنَّمُ ، وساءت مصيراً ) النساء : ١١٥ و : ( ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدُّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدُّه إليك إلا ما دمت عليه قائماً ) آل عمران : ٧٥ و : ( قالوا : أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين ) الأعراف : ١١١ . وفي « يؤدُّه ونُصْلُهُ » خمس قراءات . إحداها : بكسر الهاء ، وصلتها بياء في اللفظ ، والثانية : بكسر الهاء من غير ياء . اكتفى بالكسرة عن الياء لدالاتها عليها ، ولأن الأصل ألا يزداد على الهاء شيء كبقية الضمائر ، والثالثة : إسكان الهاء ، وذلك أنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، وهو ضعيف ، وحق هاء الضمير الحركة ، وإنما تسكن هاء السكت ، والرابعة : ضم الهاء وصلتها بواو في اللفظ على تبين الهاء المضمومة بالواو ، لأنها من جفس الضمة كما بينت المكسورة بالياء . والخامسة : ضم الهاء من غير واو لدلالة الضمة عليها ، ولأنه الأصل ، ويجوز تحقيق الهمزة وإبدالها واوا للضممة قبلها . وأرجه يقرأ بالهمزة وضم الهاء من غير إشباع « أرجته » وهو الجيد ، وبالإشباع وهو ضعيف ، ويقرأ بكسر الهاء مع الهمزة وهو ضعيف ، ويقرأ من غير همزة من أرجيت بالياء ، ثم منهم من يكسر الهاء ويشبها ومن لا يشبها . ومنهم من يسكنها . هذا ، ومن معاني مفردات قصيدة حذيفة - كما ذكر الخشني : السبل : المطر : كل شارق : عند طلوع الشمس . سُحْحًا : صبا . جُمُعًا : أجمعاً وأكثرأ . واسجاً : أسبلاً . والحفيظة : الغضب مع عزة . والهدر : الكثير الكلام في غير فائدة . البهلول : السيد . واللبي : العطايا . وفي رواية : الندى ، وأخرى : النهش . والنجر : الأصل . والمجحفات : التي تذهب بالأموال . والغبر : السنين المقطعات . وسراة : خيار . غالته : ذهبت به . النقية : النفس وميمون النقية : يسعد فيما يتوجه له . مصاليت : شجعان . ردينية : رماح . حباء : عطاء . هجان اللون : بيض . والإجريا : ما يجري عليه من أفعال آبائه ويتعوده . وفي القاموس : الوجه الذي تأخذ فيه وتجرى عليه . وهي بالمدة =

موضعاً بحذف الياء ، وقبل الهاء متحرك ، فكيف حسن هذا ؟ قلنا : إن ما قبل الهاء في هذه المواضع ساكن ، وهو الياء من نُصْلِيهِ وَيُؤَدِّيهِ وَيُؤْتِيهِ ، ولكنه حذف للجازم ، فمن نظر إلى اللفظ ، وأن ما قبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتناها : به وله ، ومن نظر إلى الكلمة قبل دخول الجازم ، رأى ما قبل الهاء ساكناً ، فحذف الياء ، فهما وجهان حسنان بخلاف ما تقدم

### من شرح قصيدة مزينة :

وذكر في هذا الشعر : وأسعدُ قَادِ الناس . وهو أسعدُ أبو حَسَّان بن أسعد ، وقد تقدم في التَّبَاعِيَةِ ، وكذلك أبو شَمِيرٍ ، وهو شَمِيرُ الذي بنى سَمَرْقَنْدَ (١) ، وأبوه : مالك ، يقال له : الأُمْلُوكُ (٢) ، ويحتمل أن يكونَ أرادَ أبا شَمِيرٍ النَّسَائِيَّ والدَّ الحَرِث بن أبي شَمِيرٍ .

وعَمْرُو بن مالك الذي ذكرَ أَحْسَبَهُ عَمْرًا ذا الأذعار ، وقد تقدم في التَّبَاعِيَةِ ،

= القصر . تهاوى البلاد ونجدها : ما انخفض منها وما علا . ثَج الشيء : أَعْلَاهُ ومَعْلَمُهُ . مخيصة : مذلة . الأخاشب : جبال يسكنها جبالان ، لجمعهما مع ما عليهما ، وخم : اسم بئر . والحفر : اسم بئر . والحُجْر : القبيح من الكلام الفاحش . والآحاييش : من حالف قريشاً من القبائل ودخل في عقدها وذمتها . ونكلوا : صرفوا . فخرج : أراد : يا خارجة فحذف حرف النداء ، ورخم . وأسدَى : أعطى ، والمحمد : الأصل . جسر : ماض في أموره قوى عليها . غمر : كثير العطاء . أملك سرّاً : خالصة النسب .

(١) في القاموس : شمر بن أفریخش غزا مدينة السغد ، فقلعها ، فقليل : شمر كند ، أو بناها ، فقليل : شمر كنت ، وهي بالتركية : القرية فعربت : سمرقند .

(٢) الأملوك : اسم جمع للملك ، وقوم من العرب ، أو هم مقاول حمير .

(٢ م — الروض الأنف ج ٢)

وهو من ملوك اليمن ، وإنما جعلهم مَفْخَرًا لأبي لهب ؛ لأن أمه خُزاعية من سبأ ، والتبابعة كُثْلهم من حمير بن سبأ ، وقد تقدم الخلاف في خُزاعة .

وأبو جَبْرِ الذي ذكره في هذا الشعر : ملكٌ من ملوك اليمن ذكر القُتَيْبِيُّ أن سُمَيَّةَ أم زياد ، كانت لأبي جَبْرِ ملكٍ من ملوك اليمن ، دفعها إلى الحرث بن كَلْدَةَ الْمُتَطَبِّبِ في طِبِّ طَبَّه .

### زيد أفضل إخوته :

وذكر ولاية العباس - رضى الله عنه - السَّقَايَةَ ، وقال : كان من أ حَدَثِ إِخْوَتِهِ سَنًا ، وكذلك قال في صفة النبي - صلى الله عليه وسلم : كان من أفضل قومه مُرُوءَةً ، وهذا مما منعه النحويون أن يقال : زيد أفضل إخوته ، وليس بمتنع ، وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره ، وحسن لأن المعنى : زيد يُفْضَلُ إِخْوَتَهُ ، أو يُفْضَلُ قَوْمَهُ ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير ، وإنما الذى يمتنع بإجماع : إضافة أفضل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أكرم أخويه ، إلا أن تقول : الأخوين ، بغير إضافة (١) .

(١) بما اشترط النحاة في أفضل التفضيل المضاف أن يكون المضاف بعضاً من المضاف إليه بشرط إرادة التفضيل ، وبقاء معناه وجوده . ويقول الأشعمونى في شرح الألفية : « وإن لم تنو باً فاعل معنى : من ، بأن لم تنو به المفاضلة أصلاً ، أو تنوياً ، لأعلى المضاف إليه وحده ، بل عليه وعلى كل ماسواه كقوله : الناقص والأشعج (يعنى يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لنقصه أرزاق الجند ، وعمر بن عبد العزيز لشجته أصابته بضرب الدابة ، أعدلا بنى مروان . أى : عادلاهم ، فكان أفضل بمعنى فاعل ، وليس في هذا تفضيل ، ونحو : محمد - صلى الله عليه وسلم -

أفضل قريش . أى : أفضل الناس من بين قريش . وإضافة هذين النوعين مجرور -

## من شرح شعر مطرود :

فصل : وذكر في شعر مطرود : منعوك من جَوْرِ ومن إقراف (١) ،

==التخصيص ؛ ولذلك جازت إضافة أفعل فهما إلى ما ليس هو بعضه بخلاف المنوى فيه معنى من ، أى : إرادة التفضيل ، فإنه لا يكون إلا بعض ما أضيف إليه ، فلذلك يجوز : يوسف أحسن إخوته ، إن قصد : الأحسن من بينهم ، أو قصد : حسنهم — رأى جعله صفة مشبهة — ويمتنع إن قصد أحسن منهم ، ص ٤١ ج ٣ ط ١٣٠٥ هـ ويقول ابن يعيش في شرح المفصل : قد علم أن أفعل إنما يضاف إلى ما هو بعضه . فليعلم أنه لا يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، وذلك أنك إذا أضفت الإخوة إلى ضميره خرج من جملتهم ، وإذا كان خارجا عنهم ، صار غيرهم وإذا صار غيرهم لم يحز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، كما لا يجوز أن تقول : الياقوت أفضل الزجاج ؛ لأنه ليس من الزجاج ، فينتزى يلزم من المسألة أحد أمرين ، كل واحد منهما يمتنع . أحدهما : ما ذكرناه من إضافة أفعل إلى غيره ، إذ إخوة زيد غير زيد . والثاني : إضافة الشيء إلى نفسه ، وذلك أننا قلنا : إن زيدا من جملة الإخوة — نظرا إلى مقتضى إضافة أفعل ، ثم أضفت الإخوة إلى ضمير زيد ، وهو من جملتهم — كنت قد أضفته إلى نفسه ، بإضافتك إياه إلى ضميره وذلك فاسد . فأما النوع الثاني — يعنى ابن يعيش : أفعل بمعنى فاعل ، وهو غير دال على معنى التفضيل — وهو أن يكون أفعل فيه للذات بمعنى فاعل ، فإنه يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، ولا يمتنع فيه كاستناعه من القسم الأول إذ المراد أنه فاضل فيهم ، لأنه لا يلزم في هذا النوع أن يكون أفعل بعض ما أضيف إليه ، وعليه جاء قولهم لنصيب الشاعر : أنت أشعر أهل جلدتك ، لأن أهل جلدته غيره . وإذا كانوا غيره لم تسن إضافة أفعل إذا كان هو إياه إليهم ؛ لما ذكرته ويجوز على الوجه الثاني لأنه بمعنى : الشاعر فيهم ، أو شاعرهم ، ص ٨ ج ٣ شرح المفصل لابن يعيش . وبهذا يتبين أن النحويين لم يمتنعوا هذا منعا مطلقا . بل أجازوا نفس ما ذكره السهيلي .

(١) الذى فى السيرة ، ضمنوك . والمقرف الذى دانى الهجنة من الفرس وغيره ==

أى : ممنوعك من أن تُسكِحَ بناتِكَ أو أخواتِكَ من لثيمٍ ، فيكون الابن مُقَرِّفًا لِلْوَمِ أبيه ، وكرم أمه ، فيلحقك وَصَمٌ من ذلك ، ونحو منه قول مُهْلِيل (١) :

أَنسَكَحَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمَ (٢)

وهو الذى أمه عربية ، وأبوه ليس عربى ، فالإقرار من قبل الأب ، والهجنة من قبل الأم .

(١) المهليل : قال الأمدى : اسمه : امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب ، وهو الشاعر المشهور ، ويقال اسمه : عدى ، وقال ابن قتيبة : مهليل بن ربيعة ، هو : عدى بن ربيعة ، وسمى مهليلًا ؛ لِأَنَّهُ لَهْلَهْلُ الشَّعْرِ ، أى : أَرْقَلُهُ ، ويقال : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَصَدَ الْقَصِيدَ . وهو خال امرئ القيس صاحب المعلقة . وهو أخو كليب الذى هاج بمقتله حرب البسوس . وقيل : إِنَّهُ مَاتَ أَسِيرًا ، وذلك أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ الْيَمَنُ نَزَلَ فِي بَنِي جَنْبٍ ، وجنب من مذحج ، فخطبوا إليه ابنته . فقال لهم : إِنِّى طَرِيدٌ بَيْنَكُمْ ، فَتَى أَنْسَكَحْتُمْ ؟ قَالُوا : فَأَجْبِرُوهُ عَلَى تَزْوِيجِهَا ، وَسَاقُوا إِلَيْهِ فِي صَدَاقِهَا أَدَمًا ، فقال :

أَنسَكَحَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمَ

ثم انحدر ، فلقبه عوف بن مالك أبو أسماء صاحبة المرقش الأكبر ، فأسره ، فمات فى أسره . وقيل فى وفاته غير ذلك ص ٢٣ وما بعدها ج ٢ خزانه الادب للبغدادى ط دار المصور .

(٢) قيل عن جنب إنه لقب لا اسم أب . وفى نهاية الأرب ج ٣ ص ٦٧ جاء هذان البيتان :

أَعَزُّهُ عَلَى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيتُ أَخْتِ بَنَى الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُشَمٍ  
لَيْسُوا بِأَكْفَاتِنَا الْكِرَامِ ، وَلَا يُغْنُونِ مِنْ ذُلَّةٍ وَلَا عَدَمٍ =

أى : أَنْكِحَتْ لِفَرْبَتِهَا مِنْ غَيْرِ كُفٍّ . قَالَ مَبْرُكَمَانُ (١) : أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ  
ابن دريد : وَكَانَ الْخِلْبَاءُ مِنْ أَدَمَ ، بَخَاءٍ مَعْجَمَةِ الْأَعْلَى ، وَهُوَ خَطَأٌ وَتَصْحِيفٌ ،  
وَلِنَّمَا هُوَ بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي تَصْحِيفَاتِ ابْنِ دُرَيْدٍ ، وَفِيهِ يَقُولُ الْمُفَضَّلُ  
[ البصري ] رَدًّا عَلَى ابْنِ دُرَيْدٍ :

أَلَسْتَ قَدِيمًا جَمَلْتَ تَفْتَرِقُ مِ الْطَّرْفَ بِجَهْلٍ مَكَانَ تَفْتَرِقُ (٢)  
وَقُلْتَ : كَانَ الْخِلْبَاءُ مِنْ أَدَمَ . وَهُوَ حِبَاءٌ يُهْدَى ، وَيُصَلِّدُ  
وَذَلِكَ أَنَّ مُهْلِلًا نَزَلَ فِي جَنْبٍ ، وَهُوَ حَيٌّ وَضِيعٌ مِنْ مَذْحِجٍ .  
فَخَطَبَتْ ابْنَتَهُ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ مَنَعَهَا ، فَزَوَّجَهَا ، وَكَانَ نَقْدُهَا مِنْ أَدَمَ ، فَأَنشَدَ :  
أَنْكِحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْخِلْبَاءُ مِنْ أَدَمَ  
لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ خَاطِبُهَا ضُرَّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بَدَمَ (٣)

= والاول منهما قبل : د أنكحها فقدما الخ ، والآخر بعد قوله : ولو بأبانين ،  
الذي سيأتي . والأراقم : حى من تغلب قوم المهلهل . وقد تقدم من قبل الحديث  
عن جنب .

(١) لقب لأبي بكر الأزمى .

(٢) تفترق الطرف : تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنا ، وانظر  
المزهر ص ٣٦٦ ج ٢ للسيوطى فقيه قول المفضل . وقد روى بدر الدين الزركشى  
ابن دريد بهذا التصحيف كما ذكر السبيل ، وأورده التيجانى فى تحفة العروس  
وروى الشطرة الاولى هكذا : د ألم تصحف ، فقلت تفترق الخ ، وروى أيضا فى  
غيره : د ألسنت مما صحت تفترق .

(٣) الابانان : جبلان بالبادية اسم أحدهما : أبان ، والآخر : متالع ، أحدهما =

وقوله : حتى تغيب الشمس بالرجاف<sup>(١)</sup> . يعنى : البحر . لأنه يَرَجُفُ .  
ومن أسمائه أيضاً : خُضَارَةٌ ، [سُمِّيَ بذلك لخُضْرَةِ مائه] . والدَّأْمَاءُ [سَمِيَ بذلك  
لتداؤم أمواجه أى : تراكمها ، وتكسر بعضها على بعض] وأبو خالد .

وقوله : عَمْدُ ذاتِ نِطَافٍ . النُّطْفُ<sup>(٢)</sup> : اللؤلؤ الصافى . ووصيفةُ  
مُنْطَفَةٍ [وَمُنْطَفَةٍ] أى : مُقَرَّطَةٍ بِتَوَمَتَيْنِ [والتَّوَمَةُ : اللؤلؤة ، أوحبة تعمل  
من النضة كالذرة] والنُّطْفُ فى غير هذا : التَّاطُخُ بالقميب ، وكلاهما من  
أصل واحد ، وإن كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى ؛ لأن النُّطْفَةَ هى الماء  
القليل ، وقد يكون الكثير ، وكأن اللؤلؤ الصافى أخذ من صفاء النُّطْفَةِ .  
والنُّطْفُ الذى هو العيب : أخذ من نُطْفَةِ الإنسان ، وهى ماؤه ، أى :  
كانه لُطِخَ بها .

وقوله : والفَيْضُ مُطْلَبُ أبى الأضياف . يريد : أنه كان لأضيافه

== أبيض ، وهولبى أسد ، والآخِرُ : أسود ، وهولبى فزارة ، هذا ، وقد روى اللسان  
البيتين . وفيهما : « الحباء ، ورُمْلٌ ، بدلا من « الحباء ، وضرَجٌ . »

(١) فى السيرة : فى الرجاف .

(٢) مفردا . نطفة كهزمة . بضم النون وفتح الطاء .

ملحوظة : فى السيرة أن فاطمة بنت عمرو بن عائذ هى أم عبدالله وأبى طالب . فى  
نسب قريش وعند السدوسى هى : أمهما أيضاً ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم . وفى السيرة  
فى نسب فاطمة هذه قال ابن إسحاق : « ابن عائذ بن عبد بن عمران ، وفى نسب  
قريش لا توجد عبد بن عائذ وعمران ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم ، وعند السدوسى ،  
ولم يلى هذا ذهب ابن هشام ، وما بين قوسين فى نسب زينة فاطمة من كتب النسب . »



كالأب . والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف . كما قال مرة بن  
نخaskan [ السعدي التميمي سيد بني ربيع ] :

أدعى أباهم ، ولم أعرف بأبائهم وقد عمرت . ولم أعرف لهم نسبا

اللهي العائف :

فصل : وذكر خبر النبي العائف . قال ابن هشام : ولهب : حى من  
الأزد : وقال غيره : وهو لب بن أخجن بن كعب بن الحارث بن كعب  
ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وهى القبيلة التى تعرف بالعيافة  
والزجر (١) . ومنهم النبي الذى زجر حين وقعت الحصاة بصلعة عمر

(١) العيافة : تتبع آثار الأقدام والاختاف والحوافر فى المقابلة للأثر ، وهى  
التي تكون فى تربة حرة تشكل بشكل القدم . وقد اشتهر بها قديما بنو مدج قبيلة  
من كنانة وبنو لب وبلوغ الأرب للألوسى ، وانظر ص ٩١ ، الاشتقاق ، واللسان  
فى مادة لب ، والزجر : الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها وسائر  
أحوالها واستعلام ما غاب عنهم . ويقول ابن خلدون عنه : هو ما يحدث من  
بعض الناس من التسكلم بالغيب عند سماع طائر أو حيوان . ويقول ابن القيم  
فى مفتاح دار السعادة عنه : وأصل هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير ، والوحش  
ويثيرونها ، فأتيا من منها وأخذ ذات اليمين سموه سائحا ، وما تيسر منها سموه :  
بارحا ، وما استقبلهم منها فهو : الناطح ، وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد . ومن  
العرب من يمين بالسائح ويتشاهم بالبارح ومنهم غير ذلك . وقيل عن السائح والبارح  
غير هذا . ويقول الأزهري : العيافة : زجر الطير ، وهو أن يرى طائرا ، أو  
غرابا ، فيتطير ، وإن لم ير شيئا ، فقال بالحدس كان : عيافة أيضا ، وفى القاموس :  
العائف : المتشكك بالطير ، وكل هذا حرمة الإسلام ، وقيل فى تعريفهما غير ذلك .

## قصة بحيرى

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركبٍ تاجرًا إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسيرَ صَبَّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فَرَقَّ له ، وقال : والله لَأُخْرُجَنَّ به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصِّرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له : بِحَيْرَى في صَوْمَعَةٍ ، وكان إليه عِلْمُ أهلِ النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قَطَّ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون

رضى الله عنه - فَأَدَمَّتْهُ ، وذلك في الحج ، فقال : أُشِيرُ أميرُ المؤمنين . والله لا يَحْجُجُ بعد هذا العام ، فكان كذلك (١) واللَّهْبُ : شَقٌّ في الجبلِ (٢) [والجمع : ألْهَابٌ ولُهوبٌ] . وبنو ثَمَالَةَ رَهْطُ المُبَرِّدِ الثَّمَالِيِّ : هُمُ بَنُو أَسْلَمَ بْنِ أَخْجَنَ ابنِ كَعْبٍ . وَثَمَالَةُ : أُمُّهُمْ . وكانت العِيَافَةُ والزجر في لِهَبٍ قال الشاعر (٣) :

سَأَلْتُ أَخَا لِهَبٍ لِيَزْجُرَ زَجْرَةً      وَقَدْ رُدَّ زَجْرُ الْعَالَمِينَ إِلَى لِهَبٍ

وقوله : لِيَعْتَفَ لَهُمْ : وَهُوَ يَفْتَعِلُ مِنَ الْعَيْفِ . يقال : عِفْتُ الطيرَ . واعتَفَتْهَا عِيَافَةٌ واعتِيَا فَاً : وعِفْتُ الطعامَ أَعَا فُهُ عَيْفَاً . وعافت الطيرُ الماءَ عِيَا فَاً .

(١) هذا خرف أسطورى . فالله وحده هو عالم الغيب .

(٢) عند ابن دريد في الاشتقاق ، واللَّهْبُ : الشعب الضيق في أعلى الجبل والجمع ألْهَابٌ ولُهوبٌ .

(٣) هو كثير عزة ، والبيت في نهاية الأرب هكذا :

تيسمت لها أبتنى العلم عندها      وقد رد علم الطائفين إلى لِهَبٍ

يتوارثونه كابرأ عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببَحْرِى ، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبلَ ذلك ، فلا يكلمهم ، ولا يَعرِض لهم ، حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صَوْمَعَتِهِ صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك - فيما يزعمون - عن شىء رآه وهو فى صَوْمَعَتِهِ ، يزعمون أَنَّهُ رأى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو فى صَوْمَعَتِهِ فى الرَّكْبِ حينَ أقبلوا ، وَغَمَامَةٌ تَظِلُّهُ من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا فى ظلِّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حينَ أَظَلَّت الشجرة ، وَهَمَّصَتْ أَغْصَانُ الشجرة على رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظلَّ تحتها ، فلما رأى ذلك بِحَيْرَى نزل من صَوْمَعَتِهِ وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إني قد صنعتُ لَكم طعاماً يامعشرَ قُرَيْشٍ ، فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَحْضُرُوا كُلَّكُمْ ، وصغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وخُرُّكم ، فقال له رجل منهم : والله يابحيرى إنا لك لشأنا اليومَ ! ما كنتَ تصنع هذا بنا ، وقد كنَّا نَمُرُّ بِكَ كثيراً ، فما شأنك اليومَ ؟ قال له بحيرى : صدقتَ ، قد كان ما تقول ، ولكنَّكم ضَيْفٌ ، وقد أُحْبِيتُ أَنْ أكرمَكم ، وأصنعَ لَكم طعاماً ، فتأكلوا منه كُلُّكم . فاجتمعوا إليه ، وتَخَلَّفَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم ، لحدائِة سنه ، فى رِحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظَرَ بِحَيْرَى فى القوم لم يَرَ الصَّفَةَ التى يَعْرِفُ وَيَجِدُ عنده ، فقال : يامعشرَ قُرَيْشٍ : لا يتخلفنَ أَحَدٌ منكم عن طعامى ، قالوا له : يابحيرى ، ما تخلفَ عنك أَحَدٌ ينبغى له أَنْ يَأْتِيَكَ إِلا غلامٌ ، وهو أَحَدُ القوم سنا ، فتخلفَ فى رِحالهم ، فقال : لاتفعلوا ، ادعوه ، فليحضُر هذا الطعامَ معكم قال : فقال رجل من قُرَيْشٍ مع القوم : واللَّاتِ والعُزَّى ، إنا كان

لَقَوْمٌ بَنَّا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ . فَلَمَّا رَأَاهُ بِحَيْرَى ، جَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ ، وَقَدْ كَانَ يَحِيدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا ، قَامَ إِلَيْهِ بِحَيْرَى ، فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بِحَيْرَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا ، فَرَعَمُوا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بُغْضَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ بِحَيْرَى : فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي عَمَّا بَدَاكَ . فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ ، فَيُوافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بِحَيْرَى مِنْ صِفَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ ، فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المِحْجَمِ .

قال ابن إسحاق : فلما فَرَّغَ ، أَقْبَلَ عَلَى عَمَّةِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْغَلَامُ مِنْكَ ؟ قَالَ : ابْنِي . قَالَ لَهُ بِحَيْرَى : مَا هُوَ بَابُنْكَ ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغَلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهَ حَيًّا ، قَالَ : فَإِنَّ ابْنَ أَخِي ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَبُوهَ ؟ قَالَ : مَاتَ وَأُمُّهُ حُبَلَى بِهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَارْجِعْ بَابِنَ أَخِيكَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَاحْذَرِ عَلَيْهِ يَهُودَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا ، فَإِنَّهَ كَاثِرٌ لِابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ ، فَاسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ .

فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمته مكة حين فرغ من تجارته بالشام  
 فزعموا فيما روى الناس : أن زُريرا وتما ماودريسا - وهم نفر من أهل الكتاب -  
 قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى عليه وسلم - مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر  
 الذى كان فيه مع عمه أبي طالب ، فأرادوه ، فردم عنه بحيرى ، وذكروا الله  
 وما يحدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم  
 يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه  
 وانصرفوا عنه . فشَبَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله تعالى يَكْلؤُهُ ، ويحفظه  
 ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان  
 رجلا أفضل قومه مُروءة ، وأحسنهم خُلُقًا ، وأكرمهم حَسَبًا ، وأحسنهم  
 جِوَارًا ، وأعظمهم حِلْمًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من  
 الفحش والأخلاق التى تُدنِّسُ الرجال ، تنزُّها وتكْرُما ، حتى ما اسمه فى قومه  
 إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لى - يُحدِّث عما كان  
 الله يحفظه به فى صِغَرِهِ وأمر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتني فى غِلْمانٍ قُرَيْشٍ نَنَقُلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ ما يلعب به الغِلْمانُ ،  
 كلُّنا قد تعرَّسَى ، وأخذ إزاره ، فجعله على رَقَبَتِهِ ، يحمل عليه الحِجَارَةَ ، فإنى لأقبل  
 معهم كذلك وأدبر ، إذ لَكَمَتْنِي لَأَكِمَّ ما أراه ، لكَمَةً وَجِيعَةً ، ثم قال :  
 شُدَّ عليك إزارك . قال : فأخذته وشدَّته علىّ ، ثم جعلت أحمل الحِجَارَةَ على  
 رَقَبَتِي وإزارى علىّ من بين أصحابى .

## فصل بحيرى :

فصل : فى قصه بحيرى وسفر أبى طالب بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وقع فى سِيرَ الزُّهْرَى أن بحيرى كان حَبْرًا من يَهُودِ تَيْسَمَاءَ (١) ، وفى المسعودى : أنه كان من عبد القيس ، واسمه : سَرْجِسُ ، وفى المعارف لابن قتيبة ، قال : سَمِعَ قبل الإسلام بقاليل هاتِفٌ يهتِفُ : أَلَا إِنَّ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ : بِحَيْرَى ، وَرِبَابُ بْنُ الْبَرَاءِ الشَّئْبَى (٢) وَالثَّالِثُ : الْمُنْتَظَرُ ، فكان الثالثُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال الْفَقَيْ : وَكَانَ قَبْرُ رَبَابِ الشَّئْبَى : وَقَبْرُ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، لَا يَزَالُ يُرَى عَلَيْهَا طَشٌّ ، وَالطَّشُّ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ (٣) .

وَقَالَ فِيهِ : فَصَّبَ (٤) رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَعْمَهُ . الصَّبَابَةُ : رِقَّةُ الشَّوْقِ ، يَقَالُ : صَدَبْتُ - بِكَسْرِ الْبَاءِ - أَصَبْتُ ، وَيَذَكُرُ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَرَأَ : ﴿ أَصَبْتُ إِلَيْهِمْ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ يُوسُفُ : ٣٣

(١) بَلِيدٌ فِى أَطْرَافِ الشَّامِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَادِى الْقَرْيَةِ عَلَى طَرِيقِ حَاجِ دِمَشْقَ .

(٢) هُوَ فِى الْمَعَارِفِ : أَرْبَابُ بْنُ رَبَابٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ .

(٣) نَصُّ قَوْلِ ابْنِ قَتَيْبَةَ فِى الْمَعَارِفِ : « كَانَ لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ أَرْبَابٍ فَيُدْفَنُ إِلَّا رَأَوْا طَشًا عَلَى قَبْرِهِ ، وَنَصُّ كَلَامِهِ عَنِ الرَّسُولِ - كَمَا زَعَمُوا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « وَآخِرُ لِمَ يَأْتِ بَعْدَ النَّبِيِّ (ص) ، ص ٣٠ تَحْتَ بَابِ : مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ قَبْلِ مَبْعَثِ النَّبِيِّ (ص) ، وَهُوَ خَيْرٌ مَصْنُوعٍ وَلَا شَيْءٍ

(٤) وَفِى رِوَايَةٍ - كَمَا جَاءَ فِى الطَّبَرِى وَشَرْحِ الْحَشْنِى - ضَبٌّ ، وَفَسَّرَهَا الْآخِرُ بِقَوْلِهِ : تَلَطَّنَ بِهِ وَامْتَسَكَ .

وفي غير رواية أبي بجر: ضَبَّتْ به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَى :  
لَزِمَهُ قال الشاعر :

كَأَن فَوَادَى فِي يَدِ ضَبَّتَتْ بِهِ مُحَاذِرَةً أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِبُهُ  
فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذْ ذَاكَ ابْنَ تِسْعِ سَنِينَ فِيمَا  
ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ أَلْفَ فِي السَّيْرِ ، وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً (١) .

### من صفات هُتَمِ النبوة :

وَذَكَرَ فِيهِ خَاتَمَ النبوة وَقَوْلَ ابْنِ هِشَامٍ : كَانَ كَأَثَرِ الْمِجْجَمِ يَعْنِي : أَثَرَ  
الْمِجْجَمَةِ الْقَابِضَةِ عَلَى اللَّحْمِ ، حَتَّى يَكُونَ نَاتِئًا . وَفِي الْخَبَرِ أَنَّهُ كَانَ حَوْلَهُ  
خِيَلَانٌ فِيهَا شَعْرَاتٌ سُودٌ . وَفِي صِفَتِهِ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ كَالْتِفَاحَةِ ، وَكَزِرِّ الْحَجَلَةِ  
وَفَسْرِهِ التِّرْمِذِيُّ تَفْسِيرًا وَهَمَّ فِيهِ فَقَالَ : زِرُّ الْحَجَلَةِ يُقَالُ : إِنَّهُ بَيِضٌ لَهُ فَتَوَهُمُ  
الْحَجَلَةُ مِنَ الْقَبْجِ (٢) وَإِنَّمَا هِيَ حَبَلَةُ السَّرِيرِ ، وَاحِدَةٌ : الْحِجَالُ ، وَزِرُّهَا الَّذِي  
يَدْخُلُ فِي عُرْوَتِهَا - قَالَ عَلِيٌّ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - لِأَهْلِ الْعِرَاقِ : يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ :

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سَنِينَ ، وَقَبْلَ ، ثَلَاثَ عَشْرَةَ . حَكَاهُ أَبُو عَمْرٍو  
وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ، اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرَانِ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ . وَفِي سِيرَةِ مَغَلَطَايَ : وَشَهْرٌ  
(٢) هُوَ الْحَجَلُ ، وَفِي اللِّسَانِ أَنَّهُ الْكَرْوَانُ ، وَأَنَّهُ مَعْرَبٌ ، وَهُوَ بِالْفَارْسِيَةِ .  
كَبِجٌ مَعْرَبٌ ؛ لِأَنَّ الْقَافَ وَالْجِيمَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَقَدْ ضَبَطَ  
الْبُخَارِيُّ الْحَجَلَ بِضَمِّ الْحَاءِ ، وَقَالَ : لِأَنَّهُ مِنْ حَجَلِ الْفَرَسِ بِضَمِّ الْحَاءِ وَسُكُونِ الْجِيمِ ، الَّذِي بَيْنَ  
عَيْنَيْهِ ، وَهُوَ بَعِيدٌ لِأَنَّ الَّذِي بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ اسْمُهُ الْغُرَّةُ لَا الْحَجَلَ ، وَالتَّحْجِيلُ فِي الْقَوَائِمِ .

ولارِجَالٍ، وَيَاطْغَامَ الْأَحْلَامِ. وَيَا عَقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ (١). وفي حديث آخر: كان كبيضة الحمامة، وفي حديث عيَّاذ بن عبد عمرو، قال: رأيت خاتَمَ النبوة، وكان كَرُكْبَةِ الْعِزِّ. ذكره النعمريُّ مُسْنَدًا في كتاب الاستيعاب، فهذه خمس

(١) من خطبة منسوبة إلى علي بن أبي طالب، وقد رواها المبرد في أول الكامل وهي في كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضى خطبا رائعة، ونسبها إلى علي. وفي رأى كثير أنها للشريف نفسه، وفي المبرد كما هنا. ومعنى طغام: من لا معرفة عنده — كما ذكر المبرد — أو أوغاد الناس ورذائل الطير، مفردا: طغامة وفي نهج البلاغة: وحلوم الاطفال وعقول ربات الحجال، برفع حلوم وعقول. وربات الحجال: النساء. وبداية الخطبة كما في النهج: «أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحة الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة الخ، انظر ص ٧٤ وما بعدها نهج البلاغة ط الرحمانية، و ص ١٦٤ ج ١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ٣ دار الفكر لبنان.

(٢) أما عيَّاذ فترجمته في الإصابة عيَّاذ بن عمرو، أو ابن عبد عمرو الأزدي أو السلي أو عباد بدلا من عيَّاذ، وكان — كما جاء في بعض الروايات — يخدم النبي «ص»، فخطبه يهودى، فسقط رداؤه عن منكيه — وكان النبي صلى الله عليه وسلم — يكره أن يرى الخاتم. يقول عيَّاذ. فسويته عليه، فقال: من فعل هذا؟ فقلت، أنا. قال: تحول إلى، فجلست بين يديه، فوضع يده على رأسي، فأمرها على وجهي وصدرى، وكان الخاتم على طرف كتفه الأيسر، كأنه رقبة عز وهذه رواية ابن منده والطبراني، ومن تبعهما وسنده ضعيف، وللخطيب من هذا الوجه، وفيه أن الخاتم مثل ركبة العز، وفي سنده من لا يعرف «الإصابة باختصار». هذا وقد سبق الحديث عن الخاتم، ويقول ابن حجر في الفتح ما ورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم، أو الشامة السوداء، أو الخضراء — كما في تاريخ ابن أن خيشمة — المكتوب عليها: محمد رسول الله — كما في تاريخ الحاكم وغيره، أو سر فإنك المنصور، لم يثبت منها شيء، ولا يغتر بشيء مما وقع في صحيح ابن خبان؛ فإنه غفل حيث صحح ذلك.



روايات في صفة الخاتم : كالنفاحة وكتبنيضة الحمامة ، وكزير الحجلة ، وكأثر المخرجم وكز كنية العنز ورواية سادسة : وهي رواية عبد الله بن سرجس : قال : رأيت خاتم النبوة كأجتماع يعني : كالمخجمة ، [ وهي الآلة التي يجتمع بها دم الحجامه عند المص ] لا كجتماع الكف ، ومعناه كعنى الأول أى كأثر الجتمع . وقد قيل في الجتمع : إنه جتمع الكف : قاله القتيبي<sup>(١)</sup> : والله أعلم .

ورواية سابعة عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - وقد سئل عن خاتم النبوة : فقال : بضعة ناشزة<sup>(٢)</sup> هكذا : ووضع طرف السبابة في مفصل الإبهام ، أو دون المفصل ، ذكرها يونس عن ابن إسحاق ، وفي صفته أيضاً رواية ثامنة ، وهي رواية من شبهه بالسلعة<sup>(٣)</sup> ، وذلك لتنوّه ، وقد تقدم حديث ، فيه عن أبي ذر - رضى الله عنه - مرفوعاً بيان وضع الخاتم بين كتفيه

(١) يقول الزرقاني في شرح المواهب عن تفسير السهلي . وهو تكلف والمتبادر في تفسير ابن قتيبة ، وقد تبعه عليه عياض ، والنووي والمصنف وغيرهم ، من ١٥٧ ج ١ وجمع بضم الجيم . وحكى ابن الجوزي وابن دحية كسرهما ، وجزم به في المفهم . والجمع صورة الكف بعد أن تجمع الأصابع وتضمها وحديث ابن سرجس في مسلم ومسنده أحمد .

(٢) حديث الخدري رواه الترمذي في الشمائل .

(٣) حديث السلعة رواه البيهقي ، وبضعة ناشزة : قطعة لحم مرتفعة ، وتروى بضعة بفتح الباء ، وضمتها وكسرهما ، انظر المواهب ص ١٥٥ ج ١ ، ولاحد عن الخدري : لحم ناشز بين كتفيه ، والبيهقي ، والبخاري في التاريخ عنه : لحم ناتئة وأحمد وابن سعد من طرق عن أبي رمانة ، والسلعة : زيادة تحدث في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت ، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة .

متى كان ، وروى التَّزَمِيذِيُّ<sup>(١)</sup> في مصنفه ، قال : حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي ، حدثنا عبد الرحمن بن غَزْوَانَ أبو نوح ، أخبرنا يونس ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي - صلى الله عليه وسلم - في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ، فَحَلَّوْا رِحَالَهُمْ : فخرج إليهم الراهبُ ، وكانوا قبل ذلك يمرون به ، فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت : فجعل يتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ : وهم يَحْلُونَ رِحَالَهُمْ : حتى جاء فأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول ربِّ العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : ما عَلمَكَ ؟ . فقال : إنكم حين أشركم من العَقَبَةِ لم يبق حَجَرٌ ، ولا شجر إلا خَرَّ ساجداً : ولا يسجدان إلا للنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غُضْرُوفِ كتفه . ويقال : غُضْرُوفٌ مثل التفاحة . ثم رجع : فصنع لهم طعاما ، فلما أُنْهَمَ به - وكان هو في رِعْيَةِ الإبل - قال : أرسلوا إليهِ . فأقبل وعليه عَمَامَةٌ تُظِلُّهُ ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى قِئِ الشجرة ، فلما جالس مال قِئِ الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى قِئِ الشجرة مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدُهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الرومَ إن رأَوْه عرفوه بالصفة ، فيقتُلونه ، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم فقالوا : جئنا أن هذا النبيَّ خارجٌ في هذا الشهر ،

(١) ورواه أيضاً الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم والخرائطي وابن أبي عساكر ، وابن أبي شيبة .

فلم يبق طريق إلا يُبعث إليه بأناس ، وإنما قد اخترنا خيرة بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خففكم أحدٌ هو خير منكم ، فقالوا : إنما اخترنا خيرة لطريقك (١) هذا ، قال : أفراً أتيتم أمراً أراد الله أن يتفضيه : هل يستطيع أحدٌ من الناس رده؟ قالوا : لا ، قال : فبايعوه (٢) وأقاموا معه . قال : أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يُناشده حتى رده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالا - رضى الله عنهما - وزوَّده الراهب من الكمك والزيت (٣) ، قال

(١) فى لفظ الحديث اضطراب وخطأ ، وفى المواهب وشرحها ما يأتى : ج ١ ص ١٩٥ : فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس ، وأنا هذا أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خففكم أحدٌ هو خير منكم؟ قالوا : إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا ، وانظر الخصائص للسيوطى ج ١ ص ٢٠٨ و ١٤٢ و ١ السيرة الحلبية .

(٢) معناه : بايعوا بحيرا على ألا يأخذوا النبی «ص» ، ولا يؤذوه على حسب ما أرسلوا فيه ، وأقاموا مع بحيرا خوفاً على أنفسهم إذا رجعوا بدونه ، انظر ص ٢٨٥ ج ٢ البداية والمواهب ، ومن أسماء بحيرا : جرجس وجرجيس .

وأكرر مرة أخرى بحجة من القرآن أن رسول الله «ص» لم يكن هو نفسه يعرف عن أمر نبوته شيئاً قبل أن ينزل عليه الوحي : والآيات التى جعلت آيات له - كما ورد فى القرآن والإنجيل والتوراة - لاتعلق بصفات جسمية ، وإنما بالحقائق التوراتية من دعوته صلى الله عليه وسلم ، فهو نبى أمى اسمه : أحمد يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث ، ويضع الأغلال والإصر عن البشر .

(٣) يقول القسطلانى والزرقانى فى المواهب وشرحها : « وضعف الذهبى الحديث - حديث بحيرى - لقوله فى آخره : وبعث معه أبو بكر بلالا ، فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلاً . قال ابن سيد الناس : لأنه حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، فإن المصطفى أزيد منه بعامين ، وكان له يومئذ تسعة أعوام على ما قاله الطبرى وغيره ، أو اثنا عشر عاماً على ما قاله آخرون ، ولا اشتري =

أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وما  
قاله أبو طالب في هذه القصة :

== بلالا . قال اليعمرى : لأنه لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين  
عاما ، فإنه كان لبني خلف الجمحين . وعندما عذب في الله اشتراه أبو بكر رحمة  
له ، واستنقاذا له من أيديهم . ولفظ الذهب في الميزان في ترجمة عبد الرحمن ابن  
غزوان : كان يحفظ وله مناكير ، وأنكر ماله : حديث عن يونس بن أبي إسحاق  
عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبي موسى في سفر النبي ، وهو مرافق مع  
أبي طالب إلى الشام .

وما يدل على أنه باطل قوله : وبعث معه أبو بكر بلالا ، وبلال لم يكن  
خلق ، وأبو بكر كان صبيا ، وقال في تلخيص المستدرک بعد ما ذكر تصحيح  
الحاكم للحديث : قلت : أظنه موضوعا ؛ فبعضه باطل ، ويقول عنه عباس الدوري :  
ليس في الدنيا أحد يحدث به - أي بهذا الحديث - غير قراد أبي نوح - أي  
عبد الرحمن بن غزوان - وقد سمعته منه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين لغرابته  
وانفراده . وفي رواية الترمذی لم يذكر اسم الراهب ، وهو تارة يهودى ، وتارة  
نصرانى ، وتارة ببحرى ، وأخرى سرجس وغيره !! هذا وبصرى التى فى القصة بلد  
بالشام ، وهى قسبة كورة حوران . ولا ريب فى أن قصة ببحرى مخترعة وإفك  
صراح ، وقد استغلها عدو الإسلام ، فزعموا أنه - صلى الله عليه وسلم - اقتبس  
دينه مما تعلمه من رهبان النصارى وأجبار اليهود ، وقد تردى فى هذه المهلكة مؤرخ  
ينتسب إلى الإسلام ، فزعم أن رحلتى الرسول إلى الشام كان لهما أثرهما فيما صدر  
عنه من تشريع .

وأقول : لو أنها حدثت لتواتر خبرها ، ولأجَّ فى مكة وما حولها من القرى ،  
ولبدا من رسول الله العلم بما جاءه ليلة الوحى الأولى ، وكيف ، وهو كما أكد  
القرآن - لم يكن يعرف حتى الإيمان قبل الوحى ١١ .

هذا وفى رواياته متناقضات ، فبحيرى من يهود تيماء ، كما جاء فى بعض السنن  
للزهرى ، وفى مروج الذهب وغيره أنه كان نصرانياً من عبد القيس . والرحلة  
كانت مع أبي طالب ، والرحلة مع أبي بكر ، والرحلة وهو فى سن التاسعة ==

أَلَمْ تَرَنِي مِنْ بَعْدِهِمْ هَمَّتْهُ  
بِأَحْمَدَ لَمَّا أَنْ شَدَّذْتُ مَطِيَّتِي  
بِكِي حَزَنًا وَالْعَيْسُ قَدْ فَصَلَتْ بِنَا  
ذَكَرْتُ أَبَاهُ ، ثُمَّ رَقَرْتُ عَبْرَةً  
فَقُلْتُ : تَرَوْحَ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ  
فَرُحْنَا مَعَ الْعَبْرِ الَّتِي رَاحَ أَهْلُهَا  
بُفْرَقَةً حُرَّ الْوَالِدَيْنِ كِرَامٍ  
لِتَرْحَلَ إِذْ وَدَّعْتُهُ بِسَلَامٍ  
وَأَمْسَكَتُ بِالسَّكْفَيْنِ فَضَّلَ زِمَامٍ  
تَجُودُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ ذَاتَ سِجَامٍ  
مَوَاسِينِ فِي الْبَاسَاءِ غَيْرَ لَثَامٍ  
شَامِي الْهَوَى ، وَالْأَصْلُ غَيْرُ شَامِي

== أو الثانية عشرة أو الثامنة عشرة . وأبو بكر هو الذي يتوجه إلى الراهب في زواية ، وبحيرا هو الذي ينزل في زواية ، والراهب مجهول الاسم في رواية ، والراهب سرجس ، أو جرجس ، أو جرجيس في رواية ١١ والراهب يحذر أبا طالب من الروم ، والراهب يحذر أبا طالب من اليهود في رواية ، وعدد الروم سبعة ، وعدد هم تسعة في رواية . هذا الكاتب الهندي خذا بخش - على ما في قوله من اتهام لابن عباس بأنه واضع الحديث ، وابن عباس برىء من إفسكه - يحكم بزييف هذه القصة فيقول : « ولكن القصة بأكملها ليست حقيقية ، بل موضوعة ، وهي من صنع خيال ابن عباس ١١ وربما تكون قد دونت حوالى سنة ١٠٠ هـ » ثم يستعرض موقف الصليبية من قصة هذا الراهب ، فيذكر أموراً مذهلة ترينا إلى أى حد استغل أعداء الدين هذه القصة المنتهرة ، فانظر كتابه ( الحضارة الإسلامية ترجمة الدكتور الخربوطلى ) من ص ٤٠ . ويقول المؤرخ سيديو - رغم اعتداله : « وكان أول سفره إلى الشام مع عمه أبى طالب في سنة ٥٨٣ م فبلغ بصرى ، فاجتمع فيها ببحيرى الذى كان اسمه لدى النصارى جرجيس أو سرجيس ، فنال حظوة عنده ، ص ٦٦ تاريخ العرب العام ، ويقول غسٹاف لوبون عن قصة ببحيرى : ( وتقول القصة : إن محمداً سافر مرة مع عمه إلى سورية ، فتعرف في بصرى براهب نسطورى في ديسر نصراني ، فتلقى منه علم التوراة ) ص ١٣٠ حضارة العرب . وذكر هذا في مثل هذا الأسلوب الهادى الذى يختال بأنه سكتينة من اليقين يفتح قلب من لا يعي لهذا الباطل الصريح ١١

فَلَمَّا هَبَّ طِفْلاً أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ جِسَامَ  
نَجَاءٍ بَحِيرَى عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِداً لَنَا بِشَرَابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامٍ  
قَالَ : اجْمَعُوا أَصْحَابَكُمْ لَطْعَامَنَا فَقُلْنَا : جَمَعْنَا الْقَوْمَ غَيْرَ غَلَامٍ (١)  
ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْهُ ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الشَّعْرَ .

مِفْظُهُ فِي الصَّفَرِ :

فصل : وَذَكَرَ مَا كَانَ اللَّهُ سَبْجَانَهُ وَتَعَالَى يَحْفَظُهُ بِهِ : أَنَّهُ كَانَ صَغِيراً يَلْعَبُ  
مَعَ الْغُلَامَانِ ، فَتَعَرَّى فَلَا كَمَتَهُ لَا كَمَتَهُ . الْحَدِيثُ . وَهَذِهِ الْقِصَّةُ إِنَّمَا وَرَدَتْ  
فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي حِينِ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ مَعَ قَوْمِهِ إِلَيْهَا ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَ أُرُؤَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ  
لِتَقْفِيَهُمُ الْحِجَارَةُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَحْمِلُهَا عَلَى  
عَاتِقِهِ ، وَإِزَارُهُ مَشْدُودٌ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا بَنَ أَخِي !  
لَوْ جَعَلْتَ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ ، فَفَعَلَ نَسَطَ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِزَارِي  
إِزَارِي ! فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ ، وَقَامَ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ (٢) ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّهُ لَمَّا  
سَقَطَ ، ضَمَّهُ الْعَبَّاسُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ نُودِيَ مِنَ  
السَّمَاءِ : أَنْ اشْدُدْ عَلَيْكَ إِزَارَكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ : وَإِنِّهُ لِأَوَّلُ مَا نُودِيَ . وَحَدِيثُ  
ابْنِ إِسْحَاقَ ، إِنْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ فِي صَفَرِهِ ، إِذْ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامَانِ : فَمَحَمَلُهُ عَلَى  
أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً فِي حَالِ صَفَرِهِ ، وَمَرَّةً فِي أَوَّلِ اكْتِهَالِهِ هُنْدَ  
بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ .

- (١) تَبْدُو فِي الشَّعْرِ رَاحِمَةُ الْوَضْعِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَصْرَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ سَمَةُ ،  
وَلِهَذَا لَمْ يَرَوْهُ ابْنُ هِشَامٍ .  
(٢) الْحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

## حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني أبو عُبَيْدَةَ النُّحْوِيُّ ، عن أبي عمرو بن العلاء - هاجت حربُ الفِجَارِ بين قُرَيْشٍ ، ومن معها من كِنانة ، وبين قَيْسِ عَيْلانَ . وكان الذي هاجها أنَّ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ بنَ عُثَيْبَةَ بنَ جَعْفَرِ بنِ كِلَابِ بنِ رَبِيعَةَ ابنِ عامِرِ بنِ صَعْمَةَ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوَازِنَ ، أجارَ أَطِيمَةَ للنعمانِ ابنِ الْمُنْذَرِ ، فقال له الْبَرَّاضُ بنُ قَيْسٍ ، أحدُ بني صَمْرَةَ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَنَافَةَ ابنِ كِنانة : أَتُجِيرُهَا عَلَى كِنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الْخَلْقِ ، فخرجَ فيها عُرْوَةُ الرَّحَّالِ ، وخرجَ الْبَرَّاضُ يَطْنِبُ غَفَنَتَهُ ، حتى إِذَا كَانَ بِتَيْمَنِ ذِي طَلَالٍ بِالْعَالِيَةِ ، غَفَلَ عُرْوَةُ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الْبَرَّاضُ ، فَقَتَلَهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ : الْفِجَارُ . وقال الْبَرَّاضُ فِي ذَلِكَ :

وَدَاهِيَةٍ سَهُمُ الذِّسِّ قَبْلِي      شَدَدْتُهَا - بَنِي بَكْرٍ - ضُلُوعِي  
هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بَنِي كِلَابٍ      وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِيَ بِالْضُّرُوعِ  
رَفَعْتُ لَهُ بَذَى طَلَّالٍ كَفِّي      فِخْرَ يَمِيدُ كَلْبُذَعِ الصَّرِيعِ

وقال لَبِيدُ بنُ مَالِكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلَابٍ :

أُبْلِغُ - إِنْ عَرَضَتْ - بَنِي كِلَابٍ      وَعَامِرَ وَالْخُطُوبُ هَا مَوَالِي  
وَبَلِّغْ إِنْ عَرَضَتْ بَنِي مُنْذِرٍ      وَأَخْوََالَ الْقَتِيلِ بَنِي هِلَالٍ  
بَأَنَّ الْوَافِدَ الرَّحَّالَ أَمْسَى      مُقِيمًا عِنْدَ تَيْمَنِ ذِي طَلَّالٍ

. . . . .

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قال ابن هشام : فأتى آتٍ قريشا ، فقال : إِنَّ الْبَرَّاضَ قَدْ قَتَلَ عُرْوَةَ ، وهم في الشهر الحرام بِمَسْكَاطٍ ، فارتحلوا ، وهَوَازُنُ لَا تَشْمُرُ ، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هَوَازُنٌ ، ثم التَمَّوْا بعد هذا اليوم أياما ، والقَوْمُ مُتَسَانِدُونَ ، على كُلِّ قَبِيلٍ من قريش وكنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كُلِّ قَبِيلٍ من قَيْسٍ رئيسٌ منهم .

وشهد رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعض أيامهم ، أخرجهم أعمامهم معهم ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كُنْتُ أَنْبِئُ عَلَى أَعْمَامِي ، أَيْ : أَرُدُّ عَنْهُمْ ، نَبِيلَ عَدُوِّهِمْ ، إِذَا رَمَوْهُمْ بِهَا .

قال ابن إسحاق : هاجت حربُ الفِجَارِ ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ابنُ عشرين سنة ، وإِنَّمَا سَمِيَ يَوْمَ الْفِجَارِ ، بِمَا اسْتَحَلَّ هَذَانِ الْحَيَّانُ : كِنَانَةُ وَقَيْسُ عَيْلَانَ فِيهِ الْمَحَارِمُ بَيْنَهُمْ .

وكان قائدُ قريش وكنانة حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وكان الظَّفَرُ في أولِ النهار لَمَيْسٍ عَلَى كِنَانَةَ ، حتى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ النَّهَارِ كَانَ الظَّفَرُ لِسَكْنَانَةَ عَلَى قَيْسٍ .

قال ابن هشام : وحديثُ الفِجَارِ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرْتُ ، وَإِنَّمَا مَنَعْنِي مِنْ اسْتِقْصَائِهِ قِطْعُهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

• • • • •



## حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمساً وعشرين سنة ، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المديني .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه ، بشئ يجعله لهم ، وكانت قريش قومًا تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بلغها ، من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكبرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تُعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فقبِلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قَدِمَ الشام .

فنزَلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطَّلَعَ الراهبُ إلى ميسرة ، فقال له : مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجلٌ من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهبُ : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبيٌّ .

• • • • •

ثم باع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سِلْعَتَهُ التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، ومعه مَيْسِرَةٌ ، فكان مَيْسِرَةٌ - فيما يزعمون - إذا كانت الهَاجِرَةُ ، واشتدَّ الحرُّ ، يرى مَلَكَ كَيْنٍ يُظَلِّلُهُ مِنَ الشَّمْسِ - وهو يسير على بعيره ، فلما قَدِمَ مكةَ على خديجة بما لها ، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريبا . وحدثها مَيْسِرَةٌ عن قول الراهب ، وعمّا كان يرى من إِظلال المَلَكَ كَيْنٍ إِيَّاهُ ، وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفةً لبيبةً ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها مَيْسِرَةٌ بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت له - فيما يزعمون : يَا بَنَى عَمِّ ، إني قد رَغِبْتُ فَيْكَ لِقَرَابَتِكَ ، وَسِطَّتِكَ فِي قَوْمِكَ وَأَمَانَتِكَ ، وَحُسْنِ خَلْقِكَ ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذٍ أوسطَ نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ، وأكثرهن مالاً ، كلُّ قَوْمِهَا كان حريصاً على ذلك منها لو يَقْدُرُ عليه .

وهي خديجة بنت خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصمِّ بْنِ رُوَاحَةَ بْنِ حَجَرَ بْنِ عَبْدِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُنْذِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأم هالة : قِلَابَةُ بنت سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . فلما قالت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ ، ففُرج معه عُمَةُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - رحمه الله - حتى دخل على خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فخطبها إِيَّاهُ ، فتنزَّجها .

• • • • •

قال ابن هشام : وأُضِدَّ قَهْرُ رَسُولِ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — عشرين بَكْرَةً ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

### قصة الفجار

والفجار بكسر الفاء بمعنى : الْمُفَاجِرَةُ كالقتالِ والمُفَاتَلَةِ ، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، فَفَجَرُوا فيه جميعاً ، فسمى : الْفِجَارَ ، وكانت للعرب فِجَارَاتٌ أربع ، ذكرها السعدي ، آخرها : فِجَارُ الْبَرَّاضِ (١) الذي ذكر في السيرة . وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مَذْكُورَة : يوم شَمْطَة ، ويوم الشَّرِبِ ، وهو أعظمها يوماً ، وفيه قَيْدُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ وَسُفْيَانِ وَأَبُو سُفْيَانَ ابْنَاهُ أُمَيَّةُ أَنْفُسَهُمْ كَيْ لَا يَفِرُّوا ، فَسَمُّوا الْعَنَابِسَ (٢) ، ويوم الْحُرَيْرَةِ عند نخلة ، ويوم الشَّرِبِ انهزمت قيسٌ إِلَّا بَنِي نَضْرٍ مِنْهُمْ ، فَأَنْهَزَتْهُمْ ، وَإِنَّمَا لَمْ يُقَاتِلْ رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — مع أَعْمَدِهِ ، وَكَانَ يَنْبُلُ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ كَانَ بَلَّغَ سِنِّ الْقِتَالِ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ حَرْبَ فِجَارٍ ، وَكَانُوا أَيْضاً كُلُّهُمْ كُفَّاراً ، وَلَمْ يَأْذِنْ اللَّهُ تَعَالَى لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُقَاتِلَ إِلَّا لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَلِيَّةَ .

(١) هي : فِجَارُ الرَّجُلِ ، أَوْ فِجَارُ بَدْرِ بْنِ مَعْشَرٍ ، وَفِجَارُ الْفَرْدِ ، وَفِجَارُ الْمَرْأَةِ ، وَالْأُولَى بَيْنَ كِنَانَةَ وَهَوَازِنَ . وَالثَّانِيَةُ أَيْضاً : بَيْنَهُمَا ، وَالثَّلَاثَةُ : بَيْنَ قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ ، وَكَانَتْ الْبَرَّاضُ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ كُلِّهَا . وَبَيْنَ هَوَازِنَ . وَتُسَمَّى : ثَلَاثَةُ الْفِجَارَاتِ . الْأُولَى : أَيَّامُ الْمَجَارِ الْأُولَى . أَمَّا الْبَرَّاضُ فَالْفِجَارُ الْآخِرُ .

(٢) الْعَنَابِسُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ ، وَالْعَنَابِسُ مِنْ قُرَيْشٍ أَوْلَادُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْكَبِيرِ ، وَهَمِ سِتَّةٌ ، مِنْهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ السَّهْلِيُّ وَالْآخَرُونَ هُمْ : أَبُو حَرَبٍ وَعَمْرُو وَأَبُو عَمْرٍو ، وَسَمُّوا بِالْأَسَدِ ، وَالْبَاقُونَ يُقَالُ لَهُمْ : الْإِنْعَابُ .

وَالْأَطِيمَةُ : عَيْرٌ تَحْمِلُ الْبَرْءَ وَالْعِطَرَ .

وقوله : بذى طَلَّالٍ (١) بتشديد اللام ، وإنما خففه لَبِيدٌ في الشعر الذي ذكره ابن إسحاق ههنا للضرورة .

منع تنوين العلم :

وقول البراءض : رفعت له بذى طَلَّالٍ كَفَى . فلم يصرفه ، يجوز أن يكون جعله اسمَ بُقْعَةٍ ، فتراكب إجراء الاسم للتأنيث والتعريف ، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذاتِ طَلَّالٍ ، أى : ذات هذا الاسم للمؤنث ، كما قالوا : ذو عمرو أى : صاحب هذا الاسم ، ولو كانت أنثى ، لقالوا : ذاتُ هذا ، فالجواب : أن قوله : بذى يجوز أن يكون وصفا لطريق ، أو جانب مضاف إلى طَلَّالٍ اسم البقعة . وأحسن من هذا كله أن يكون طَلَّالُ اسماً مذكراً علماً ، والاسم العلم يجوز ترك صرفه في الشعر كثيراً ، وسيأتي في هذا الكتاب من الشواهد عليه ما يدل على كثرتة في الكلام ، ونؤخر القول في كشف هذه المسئلة وإيضاحها إلى أن تأتي تلك الشواهد . إن شاء الله . ووقع في شعر البراءض مُشَدَّداً ، وفي شعر لَبِيدٍ الذي بعد هذا مُخَفَّفاً ، وقلنا : إن لبيداً خففه للضرورة ، ولم يقل : إنه شَدَّدَ للضرورة ، وإن الأصل فيه التخفيف ، لأنه قَمَالٌ من الطَّلِّ ، كأنه موضعٌ يكثر فيه الطَّلُّ ، فَطَلَّالٌ بالتخفيف لا معنى له ، وأيضاً ؛ فإننا وجدناه في الكلام المنشور مُشَدَّداً ، وكذلك تقييد في كلام ابن

(١) تنطق بالظاء أيضاً ، وتيمن ذى طلال ، قيل : إنه واد إلى جنب فذلك ، والصحيح : أنه بعالية نجد ، كما ذكر ابن هشام . والعالية : كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائها إلى تهامة . وما كان دون ذلك : فالسافلة

إسحاق هذا في أصل الشيخ أبي بحر<sup>(١)</sup>.

من تفسير سمر البراصم :

وقوله في البيت الثاني : وألحقتُ الموالي بالضروع<sup>(٢)</sup> . جمع : ضرع ، هو في معنى قولهم : ائيمم راضع ، أى : ألحقتُ الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضرُوع ، وأظهرت فسالتهم<sup>(٣)</sup> . وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وضرعاهم .

وقول ليبد : بين تيمن ذى طلال . بكسر الميم وفتحها ، ولم يضرِفهُ لَوَزْنِ النِّعْلِ ، والتعريف ؛ لأنه تَفْعِلُ ، أو تَفْعَلُ من التَّيْمَنُ أو التَّيْمِينُ .  
آخر أمر الفجاء :

وكان آخرُ أمرِ الفجاءِ أن هَوَازِنَ وَكِنانَةٍ تواعدوا للعامِ القابلِ بِمَسْكَاطِ فجاءوا للوعدِ ، وكان حَرْبُ بنِ أُمَيَّةَ رَئِيسَ قُرَيْشٍ وَكِنانَةٍ ، وكان عُتْبَةُ بنُ رِبيعةَ يَتِيماً فى حِجْرِهِ ، فَضَنَّ بِهِ حَرْبٌ ، وَأَشْفَقَ مِنْ خُرُوجِهِ مَعَهُ ، فخرَجَ عُتْبَةُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، فلم يَشْعُرُوا إِلَّا وهو على بعيره بين الصَّفَيْنِ ينادى : يا مَعْشَرَ مُضَرَ ، عَلَامَ تَقَاتِلُونَ ؟ فَقالت له هَوَازِنُ : ما تدعو إاليه ؟ فقال : الصالح ، على أن ندفع إليكم دِيَةَ قَتْلِكُمْ ، وَنَغْفُو عَنْ دِماءِنَا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رَهْناً مِنَّا ، قالوا : وَمَنْ لَنَا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : عُتْبَةُ بن ربيعة بن عبد شمس ، فَرَضُوا وَرضيت كِسانَهُ ، وَدفعُوا إلى هَوَازِنَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا : فيهم : حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ [بن خُوَيْلِد] ، فَلَمَاراتُ بنو عامر بن صعْصَعَةَ الرّهْنِ

(١) انظر عن هذا ص ٦١ شرح السيرة للنخشي .

(٢) في السيرة : وأرضعت .

(٣) الفصل من الرجال : الرذل .

في أيديهم ، عَفَوْا عن الدماء ، وأطلقوهم وانقضت حَرْبُ الْفِجَارِ (١) ، وكان يقال : لم يَسُدَّ من قريشٍ مُمْلِقٌ إِلَّا عُتْبَةُ وأبو طالب ، فإنهما سادا بغير مال .

## فصل في تزويجه عليه السلام خديجة

### رضي الله عنها

#### شرح قول الراهب :

ذكر فيه قول الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إِلَّا نَبِيٌّ . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعة إِلَّا نَبِيٌّ ، ولم يُرِدْ : ما نزل تحتها قط إِلَّا نَبِيٌّ ؛ لبعده العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان في لفظ الخبر : قَطَّ ، فقد تسكلم بها على جهة التوكيد للنفي ، والشجرة لَا تُعْمَرُ في العادة هذا الْعُمَرُ الطويل حتى يَدْرِي أنه لم يَنْزِلْ تحتها إِلَّا عيسى ، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - وَيَبْعُدُ في العادة أَيْضاً أن تكون شجرة تخلو من أن يَنْزِلَ تحتها أحدٌ ، حتى يحى نبي إِلَّا أن تَصِيحَّ رواية من قال في هذا الحديث : لم يَنْزِلْ تحتها أحدٌ بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - وهي رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم . وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نَسْطُوراً (٢) وليس هو بخيرا المتقدم ذكره .

(١) ومن حديث حرب الفجار نُسِرَ ما ياتني : اللطيمة : الإبل تحمل التجارة والطيب واللبز وأشباهماء القوم متساندون : ليس لهم أمير واحد يجمعهم . ولم يرد في حضور النبي ، ص ، حرب الفجار حديث يعتد به .  
(٢) قلت : إن الصليبية استغلت هذه الأكذوبة ، فادعى أحدهم وهو =

### تحقيق معنى الوسط :

وقول خديجة - رضى الله عنها : لِسِطَتِكَ فى عَشِيرَتِكَ ، وقوله فى وصفها : هى أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا . فالسَّطَةُ : من الوَسَطِ ، مَصْدَرٌ كَالْعِدَّةِ وَالزَّيْنَةِ ، وَالْوَسَطُ من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب ، وفى ذكر الشهادة . أما النسب ؛ فلأن أَوْسَطَ الْقَبِيلَةِ أَغْرَفُهَا ، وأولاهها بالصميم وأبعدُها عن الأطراف والوسيط ، وأجدرُ أن لا تنضاف إليه الدعوة ؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان أَوْسَطُ من أجل هذا مدحاً فى النسب بهذا السبب ، وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه : ( قال أوسطهم ) وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة : ١٤٣ فكان هذا مدحاً فى الشهادة ؛ لأنها غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وَسَطًا كالميزان ، لا يميل مع أحد ، بل يُصَمِّمُ على الحقِّ تصميماً ، لا يجذبُه هوى ، ولا يميل به رغبة ، ولا رهبة من هُنا ، ولا من هُنا ، فكان وصفه بأَوْسَطَ غايةً فى التزكية والتعديل ، وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط : الأفضل على الإطلاق ، وقالوا : معنى الصلاة الوُسْطَى : النُّضْلَى ، وليس كذلك ، بل هو فى جميع الأوصاف لأمَدَحٍ ولأَدَمٍّ ، كما يقتضى لفظ التَّوَسُّطِ ، فإذا كان وَسَطًا فى السَّيِّئِ ، فهى بين المُمِخَّةِ (١) والمعجَّاء . والوسط فى الجلال بين الحسناء

= نيكولس ، أن اثنين من اليهود ، ومسيحياً يعقوبياً يدعى : بحيرى أمدأ محمدأ بكثير من المعلومات التى استفاد منها فى دينه ص ٣٢ - الحضارة الإسلامية ، ويزعم « أندريا داندولو » أن هذا الراهب النسطورى « نسبته إلى فرقة مسيحية ، أراد محاربة الكنيسة ، فاستغل محمدأ فى هذا . وكلاماً مفتریات من تن فرية خبيثة انظر خدابخش الحضارة الإسلامية .

(١) فى اللسان : الممخة بضم فكسر نغاء مشددة مفتوحة : السمينة وفى المثل : بين الممخة والمعجَّاء .

والشَوْهَاءُ ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحا ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا فى المثل : أنقل من مُغَنٍّ وَسَطٍ على الذم ؛ لأن المغنى إن كان مُجيدا جدا أمتع وأطرب ، وإن كان باردا جدا أضحك وألهى ، وذلك أيضا مما يمتنع . قال الجاحظ : وإنما الكَرْبُ الذى يَجْنُمُ على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس الغناء القاتر الوَسَطُ الذى لا يمتنع بِحُسْنٍ ، ولا يُضْحِكُ بِلَهْوٍ ، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو : أَوْسَطُ الناس . أى : أفضلهم ، ولا يوصف بأنه وَسَطٌ فى العلم ، ولا فى الجود ، ولا فى غير ذلك إلا فى النسب والشهادة ، كما تقدم ، والحمد لله ، والله المحمود .

### من الذى زوج خديجة ؟

فصل : وذكر مشى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ مع عمه حمزة — رضى الله عنه — وذكر غيرُ ابنِ إسحاق أن خُوَيْلِدًا كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنسكح خديجة — رضى الله عنها — هو عمُّها عمرو بن أسد ، قاله المبرد وطائفة معه ، وقال أيضا : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى خَطَبَ خُطْبَةَ النكاح ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمداً يَمُنُّ لا يُؤازِرُ به فتى من قريش إلا رَجَحَ به شرفا ونُبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قُلٌّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْتَرْجَعَةٌ ، وله فى خديجة بنت خُوَيْلِدٍ رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » فقال عمرو : هو الفحل الذى لا يُقْدَعُ أنفه ، فأنسكحها منه ، ويقال : قاله وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، والذى قاله المبرد هو الصحيح ؛ لما رواه

(١) ونص الخطبة فى نهاية الأرب : والحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم =



الطَّبْرِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ عَائِشَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ — قَالَ : إِنْ عَمَرُوْا بَنَیَ الْأَسَدَ الَّذِي أَنْكَحَ خَدِيجَةَ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَنْ خُوِيلِدًا كَانَ قَدْ هَلَكَ قَبْلَ الْفَجَارِ ، وَخُوِيلِدُ ابْنُ الْأَسَدِ هُوَ الَّذِي نَازَعَ تُبْعًا الْآخَرَ حِينَ حَجَّ ، وَأَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ مَعَهُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَامَ فِي ذَلِكَ خُوِيلِدٌ ، وَقَامَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ إِنْ تُبْعًا رُوِيَ فِي مَنَامِهِ تَرْوِيْعًا شَدِيدًا حَتَّى تَرَكَ ذَلِكَ ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فصل : وذكر الزُّهْرِيُّ فِي سِيَرِهِ ، وَهِيَ أَوَّلُ سِيرَةِ أُلْفَتِ فِي .

==وزرع إسماعيل ، وضئضئ معد ، أى معدنه وأصله ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسواس حرمه ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الأحكام على الناس ، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا لارجح به ، فإن كان فى المال قُلٌّ ، فإن المال ظل زائل ، وأمر حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا . وهو والله بعد هذا نبأ عظيم ، وخطب جليل ، ص ٩٨ = ١٦ نهاية الأرب . وفى رواية أن صداقها كان اثنتى عشرة أوقية ذهباً ونَشْأاً ، وقال المحب الطبري فى السمط الثمين : إنه كان عشرين بكرة . وفى المنتقى : أربعمئة دينار . وفيه أيضاً أن ورقة بن نوفل خطب بعد أبى طالب فقال : الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عدت ، فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله ، لا تنكر العشرة فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس غركم وشرفكم ، وقد رغبتنا فى الاتصال بجيلكم وشرفكم ، فاشهدوا على يا معاشر قريش بأننى قد زوجت خديجة بنت خويلد ، من محمد بن عبد الله على أربعمئة دينار ثم سكت ، فقال أبو طالب ، قد أحيت . أن يشركك عمها . فقال عمها : اشهدوا على يا معاشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد ، وشهد على ذلك صناديد قريش .

الإسلام ، كذا روى عن [ عبد العزيز بن محمد بن عبيد ] الدَّرَاوَرْدِيُّ أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لشريكه الذي كان يَتَجَرُّ معه في مالِ خديجة : هَلُمَّ فَلَمَنَّا حَدَّثَ عِنْدَ خَدِيجَةَ ، وَكَانَتْ تُسَكِّرُ مُمَّهَما وَتُحَفِّهُمَا (١) ، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مُسْتَمْدِثَةٌ (٢) — وهى الكاهنة — كذا قال الخطابي في شرح هذا الحديث ، فقالت له : جئت خاطبا يا محمد ، فقال : كلا ، فقالت : ولم ؟ ! فوالله ما فى قريش امرأة ، وإن كانت خديجة إلا تراك كُفْمًا لها ، فرجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خاطبا لخديجة مُسْتَحْفِيًا منها ، وكان خويلد أبوها سكران من الخمر ، فلما كَلَّم في ذلك أنسكحها ، فألقت عليه خديجة حُلَّةً وَضَمَّحَتَهُ بِخُلُوقٍ (٣) فلما صحا من سُكْرِهِ قال : ما هذه الحُلَّةُ والطَّيِّبُ ؟ فقيل : إنك أنسكحت محمدا خديجة ، وقد ابتنى بها ، فأنكر ذلك ، ثم رَضِيَهُ وأمضاه ، ففى هذا الحديث أن أباهما كان حيا ، وأنه دى أنسكحها . كما قال ابن إسحاق . وقال راجزٌ من أهل مكة فى ذلك :

لَا تَزْهَدِي خَدِيجَ فى مُحَمَّدٍ نَجْمٌ يَضِيءُ كِبَاضِ الْفَرْقَدِ (٤)

(١) التحفة بالضم وكهمزة : البر واللفظ والطرفة .

(٢) كانت من مولدات قريش ، يقال : يستنشى الاخبار ، أى : يبحث عنها . وقال الأزهري : إن مُسْتَمْدِثَةٌ علم املك الكاهنة .

(٣) الخلق : ضرب من الطيب . والضمخ : طخ الجسد بالطيب .

(٤) الفرقد : النجم الذى يهتدى به ، وفى شرح المواهب : « كإضياء الفرقد » .

بدلا من « كإضياء الفرقد » .

أولاده صلى الله عليه وسلم منها :

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَهُ كُلُّهُمْ إِلَّا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يُسَكَّنَى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ، والطَّيِّب ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

قال ابن هشام : أكبرُ بَنِيهِ : القاسم ، ثم الطَّيِّب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته : رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم ، والطَّيِّب ، والطاهرُ فهلكوا في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه : ماريةُ القبطية . حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن كهيعة ، قال : أم إبراهيم : ماريةُ سُرِّيَّةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم التي أهداها إليه الْمُتَّقِيسُ مِنْ حَفْنٍ مِنْ كُورَةِ أَنْصَمًا .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد المزى - وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تدبّع الكتب ، وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكُانِ يُظْلانهُ ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيٌ يُنْتَظَرُ ، هذا زمانه ، أو كما قال :

. . . . .

فَجْعَلَ وَرَقَةً يَسْتَبْطِئُ الْأَمْرَ وَيَقُولُ : حَتَّى مَتَى ؟ فَقَالَ وَرَقَةً فِي ذَلِكَ :

لَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لُجُوجًا	إِيَّاهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوُصِفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفِ	فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِطَنِ الْمَكْتَنِينَ عَلَى رَجَائِي	حَدِيثَكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ	مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَمُوجَا
بَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا	وَيُخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِيجَا
وَيُظْهَرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءُ نُورٍ	يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فِيَلْتَمَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا	وَيَلْتَمَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فِيَالْيَتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ	شَهِدْتُ فَكُنْتُ أَوْلَهُمْ وَلُوجَا
وَلُوجَا فِي الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ	وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكْنَتِهَا عَجِيجَا
أُرْجَى بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعَا	إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَقَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّقَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ	بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَى نَكُنْ أُمُورٌ	يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَحِيجَا
وَأِنْ أَهْلَكَ فَكُلُّ فَتَى سَيَلْتَمَى	مِنَ الْأَقْدَارِ مَقْلَقَةً حُرُوجَا

وقيل : إن عمرو بن خويلد أخاها هو الذي أنسكحها منه ، ذكره ابن إسحاق في آخر الكتاب .

أولاده من خديجة :

فصل : وذكر ولده منها - صلى الله عليه وسلم - فذكر البنات ، وذكر القاسم والطاهر والطيب ، وذكر أن البنين هلكوا في الجاهلية ، وقال

الزبير — وهو أعلم بهذا الشأن — ولدت له القاسم وعبد الله ، وهو الطاهر ، وهو الطَّيِّبُ سُمِّيَ بالطاهر ، والطيبُ لأنه وُلِدَ بعد النبوة ، واسمُهُ الَّذِي سُمِّيَ بِهِ أَوَّلُ هُوَ : عبد الله ، وبلغ القاسمُ المشي ، غير أن رضاعته لم تكن كملت ، وقع في مُسْنَدِ الْفِرْيَابِيِّ أَنَّ خَدِيجَةَ دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بَعْدَ مَوْتِ الْقَاسِمِ ، وَهِيَ تَبْكِي : فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَرَّتْ لُبَيْنَةُ الْقَاسِمِ فَلَوْ كَانَ عَاشَ حَتَّى يَسْتَكْمَلَ رِضَاعَةَ لَهَوْنٍ عَلَيَّ ، فَقَالَ : إِنْ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ تَسْتَكْمَلُ رِضَاعَتَهُ ، فَقَالَتْ : لَوْ أَعْلِمُ ذَلِكَ لَهَوْنٍ عَلَيَّ ، فَقَالَ : إِنْ شِئْتَ أَسْمَعْتُكَ صَوْتَهُ فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَتْ : بَلْ أَصْدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . قَوْلُهَا ، لُبَيْنَةُ هِيَ تَصْغِيرُ لَبْنَةٍ ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّابَنِ ، كَالْعُسَيْلَةِ ، تَصْغِيرُ عَسَلَةٍ ذَكَرَ سَيْبُويه اللَّبْنَةَ وَالْعَسَلَةَ وَالشُّهْدَةَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى . قَالَ الْمُؤَلَّفُ : وَهَذَا مِنْ فَتَاهَا — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا — كَرِهَتْ أَنْ تُؤْمِنَ بِهَذَا الْأَمْرِ مُعَايِنَةً ، فَلَا يَكُونُ لَهَا أَجْرُ التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ ، وَإِنَّمَا أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ . وَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ الْقَاسِمَ لَمْ يَهْلِكْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَاخْتَلَفُوا فِي الصُّغُرَى وَالْكُبْرَى مِنَ الْبَنَاتِ ، غَيْرَ أَنَّ أُمَّ كَلْثُومَ لَمْ تَسْكُنِ الْكُبْرَى مِنَ الْبَنَاتِ ، وَلَا فَاطِمَةَ ، وَالْأَصْحَحُ فِي فَاطِمَةَ أَنَّهَا أَصْغَرُ مِنْ أُمِّ كَلْثُومَ (١)

(١) فِي نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ٢١ : « فَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الْقَاسِمُ ، وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ ، ثُمَّ زَيْنَبُ ، ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ أُمُّ كَلْثُومَ ، ثُمَّ فَاطِمَةُ ، ثُمَّ رَقِيَّةُ هُمُ هَكَذَا الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ ، ثُمَّ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ وَلَدَتْ لَهُ مَارِيَةُ بِنْتُ شَمْعُونِ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ ، وَفِي زَادِ الْمَعَادِ : وَقَدْ قِيلَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ لَهَا أَسْنٌ مِنْ اخْتِيهَا ، وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : رَقِيَّةُ أَسْنُ الثَّلَاثِ ، وَأُمُّ كَلْثُومَ أَصْغَرُهُنَّ

### خديجة ومجربى وطمعها :

وخديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة في الجاهلية والإسلام ، وفي سير  
الأنبياء . أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم -  
حين أخبرها عن جبريل ، ولم تكن سمعت باسمه قط ، ركبت إلى مجربى الراهب ،  
واسمهُ مَرْجِسٌ<sup>(١)</sup> فيما ذكر المسعودي ، فسألته عن جبريل ، فقال : قُدُّوسٌ  
قُدُّوسٌ يا سيدة نساء قُرَيْشٍ أُنِّي لك بهذا الاسم ؟ ! فقالت : بعلى وابنُ عمي  
محمد أخبرني أنه يأتيه ، فقال : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ما علم به إلا نبيٌّ مُقَرَّبٌ ، فإنه  
السفير بين الله وبين أنبيائه ، وإن الشيطان لا يجترى أن يتَمَثَّلَ به ، ولا أن  
يَتَسَمَّى باسمه ، وكان بمكة غلامٌ لِعُتْبَةَ بن ربيعة سيأتي ذكره ، اسمه : عَدَّاسٌ  
عنده علم من الكتاب ، فأرسلت إليه تسأله عن جبريل ، فقال : قُدُّوسٌ  
قُدُّوسٌ ! ! أُنِّي لهذه البلاد أن يُذَكَّرَ فيها جبريلُ يا سيدة نساء قريش ، فأخبرته  
بما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال عَدَّاسٌ مثل مقال الراهب ،  
فكان مما زادها الله تعالى به إيماناً و يقيناً .

وذكر ابن إسحاق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم<sup>٢</sup> ، ولم يذكر اسم  
الأصم ، وذكره الزبير وغيره ، فقال : جُنْدُب بن هِذَم بن حَجَر ، بفتح الحاء والجيم  
من حَجَر . كذا قيده الدارقطني<sup>(٢)</sup> ، وأخوه : حُجَيْر بن عبد بن معيص بن عامر ،

(١) استقلت الصليبية هذا الإلفك المفترى ، فهبت القديسة العظيمة خديجة  
بأنها كانت على صلة بهذا الراهب المزعوم .

(٢) صوب الحشنى أيضاً في ضبط حجر رواية الدارقطني ص ٦٢ وفي نسب  
ص ٢١ ، ٢٣٠ قريش عن أم خديجة : « وأما : فاطمة بنت زائدة بن جندب ، وهو  
الأصم بن هدم بن رواحة بن حجير بن عيدين معيص ، وضبط حَجَر بضم الحاء . »

وأما حَجْرٌ يسكون الجيم ففي حَى ذَى رُعَيْنٍ وإليه ينسب الحَجْرِيُّونَ ، وأما حَجْرٌ بكسر الحاء ، ففي بنى الدَّيَّانَ: عَبْدُ الحَجْرِ بن عبد المَدَّانِ ، وهم من بنى الحارث ابن كعب بن مَذْحِج ، وذكر يونس عن ابن إسحاق نسب أم خديجة ، كما ذكر في رواية ابن هشام ، وزاد فقال: كانت أم فاطمة بنت زائدة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عَبْدِ بن مُنْقِذِ بن عمرو بن مَعِيصِ بن عامر بن لُؤَيٍّ ، وأمها قِلَابَةُ ، وهى العَرِيقَةُ بنت سَعِيدِ بن سَعْدٍ<sup>(١)</sup> بن سهم بن عمرو بن هُصَيْنِ بن كعب بن لُؤَيٍّ وأُمُّها: أُمَيْمَةُ بنتُ عامر بن الحارث بن فِهْرٍ<sup>(٢)</sup> .

### من نزلت خديجة قبل الرسول ؟

وكانت خديجة قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند أبي هالة ، وهو هند بن زُرَّارَةَ ، وقد قيل في اسمه: زُرَّارَةَ ، وهند: ابنة: ابن النَّبَّاشِ من بنى عَدِيٍّ ابن جِرْوَةَ بن أُسَيْدٍ<sup>(٣)</sup> ابن عمرو ابن تميم ، فهو أُسَيْدِيٌّ بالتخفيف ، منسوب إلى أُسَيْدٍ بالتشديد ، كذا قال سيبويه في النسب إلى أُسَيْدٍ. وعدي بن جرّوة . يقال

(١) في نسب قريش : هالة ، وهى العرقه بنت سعيد بن سهم بن عمرو الخ . وأما قلابه بنت سعيد بن سعد بن سهم فلا تلقب بالعرقه انظر ص ٢٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٣٨ نسب قريش . وفي نسب هالة جدة خديجة المذكور في ابن هشام مخالفة لما في نسب قريش ، فهو في هذا كما يأتى هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص ، ص ٢٢ و ص ٤٣٨

(٢) في نسب قريش : أُمَيْمَةُ بنت عائش بن ظرب بن الحارث بن فِهْرٍ .

(٣) في مشابه القبائل لابن حبيب : ه أن كل شئ في العرب أُسَيْدٌ - بفتح الهمزة وكسر السين سوى أُسَيْدِ بن عمرو في بنى تميم فإنه على مثال التصغير ، ص ٤٥١ ج ٢ المزهر .

إِنَّ الزُّبَيْرَ صَحَّفَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ عِذِيُّ بْنُ جِرْوَةَ ، وَكَانَتْ قَبْلَ أَبِي هَالَةَ عِنْدَ عَتِيقٍ <sup>(١)</sup> بَنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُحْرُومٍ ، وَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ مَنَافٍ بْنُ عَتِيقٍ ، كَذَا قَالَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ : وَلَدَتْ لَعَتِيقٍ جَارِيَةً اسْمُهَا : هِنْدُ <sup>(٢)</sup> .  
وَوَلَدَتْ لِهِنْدَ أَبِي هَالَةَ ابْنًا اسْمُهُ : هِنْدُ <sup>(٣)</sup> أَيْضًا ، مَاتَ بِالطَّاعُونَ طَاعُونَِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوَ سَبْعِينَ أَلْفًا ، فَشَغِلَ النَّاسُ بِجَنَازَتِهِمْ عَنْ جَنَازَتِهِ ، فَلَمْ يَوْجَدْ مِنْ يَحْمِلُهَا ، فَصَاحَتْ نَادِبَتُهُ : وَاهِنْدُ بْنُ هِنْدَاهُ !! وَارِيبِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ تَبْقَ جِنَازَةٌ إِلَّا تَرَكْتُ ، وَاحْتَمَلْتُ جِنَازَتَهُ عَلَى أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ لِإِعْظَامِ لَرِيبِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَكَرَهُ الدَّوْلَابِيُّ ، وَخَلْدِيجَةُ مِنْ أَبِي هَالَةَ ابْنَانِ غَيْرَ هَذَا ، اسْمُ أَحَدِهِمَا : الطَّاهِرُ ، وَاسْمُ الْآخَرِ : هَالَةُ . وَاخْتَلَفَ فِي سَنَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ تَزَوَّجَ خَلْدِيجَةَ فَقِيلَ مَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَقِيلَ : كَانَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً <sup>(٤)</sup> .

### مَارِيَّةُ وَإِبْرَاهِيمُ :

فَصَل : وَذَكَرَ أَنَّ خَلْدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَلَدَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَدَهُ كَلَّاهُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّهُ مِنْ مَارِيَّةَ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْمُعَمَّوْقِسُ ،

(١) وَقِيلَ : إِنَّ عَتِيقَ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ أَبِي هَالَةَ وَالْقَوْلَانِ فِي الْإِصَابَةِ .

(٢) قِيلَ : لَهَا اسْمُهَا أَسْلَمَتْ وَلَهَا صَحْبَةٌ .

(٣) صَحَابِيُّ رَوَى حَدِيثَ صَفَةِ النَّبِيِّ شَهِدَ بِدِرَا ، وَقِيلَ : أَحَدًا . وَذَكَرَ الدَّارِقُطْنِيُّ وَابْنُ بَكَارٍ أَنَّهُ قُتِلَ مَعَ عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَمَلِ .

(٤) فِي الْبَيْهَقِيِّ وَالْحَاكِمِ أَنَّ عَمْرَهُ كَانَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ، وَعَمْرُهَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ .



وقد تقدم اسمُ الْمُقَوْسِ ، وأنه جُرْنُجُ بن مينا ، وذكرنا معنى الْمُقَوْسِ في أول الكتاب ، وذكرنا أنه أهدى ماريةَ مع حاطبِ بن أبي بلتعةَ ، ومع جَبْرِ مَوْلى أبي رُفَهِمِ الْفِغَارِيِّ ، واسم أبي رُفَهِمِ : كَلْتُومُ بن الْحُصَيْنِ . وذلك حين أرسلها إليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوهُ إلى الإسلام ، وأهدى معها أختها سِيرِينَ ، وهى التى وهبها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لِحَسَّانِ ابن ثابتٍ - رضى الله عنه - فأولدها عبد الرحمن بن حسان ، وأهدى معها الْمُقَوْسُ أيضاً غلاماً خَصِيّاً اسمه : مَابُورُ ، وبغلةً تسمى : دُلْدُلُ ، وقدحاً من قَوَارِيرَ كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يشرب فيه ، وتُوفيت ماريةَ - رضى الله عنها - سنة ستَّ عَشْرَةَ فى خلافةِ عُمرَ - رضى الله عنه - وكان عُمرُ هو الذى يَحْشُرُ الناسَ إلى جِنَازَتِها بنفسِهِ ، وهى ماريةُ بنتُ شَمْعُونِ (١) الْفِطِيطِيَّةُ من كُورَةِ حَفَنَ . وأما إبراهيمُ ابن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فمات ، وهو ابن ثمانيةَ عَشَرَ شَهْراً فى سنة عَشْرِ من الهجرة فى اليوم الذى كُفِّت فيه الشمسُ ، وكانت قابِلَتُهُ ، سَمَى امرأَةَ أبى رافعٍ ، وأرضعته أمُ بُرْدَةَ بنتُ الْمُنْذِرِ النَّجَّارِيَةِ امرأَةَ الْبَرَاءِ بن أَوْسٍ ، وسَمَى : هى مَوْلَاةُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وقابلهُ بنى فاطمةَ كُلَّهم ، وهى غَسَلَتْها مع أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ الْخُثَمِيَّةِ ، وغسلها معها على بن أبى طالب - كَرَّمَ الله وجهَهُ - - وفى الْمُسْتَد من طريقِ أَنَسٍ أَنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - حين

(١) زاد فى نسب قريش بعد شمعون : ابن إبراهيم .

ولدت له ماريّة ابنة إبراهيم وقع في نفسه منه شيء ، حتى نزل جبريل عليه السلام ، فقال له : السلام عليك يا أبا إبراهيم <sup>(١)</sup> .

### رزمه ورقة :

وذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وأم ورقة : هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي ، ولا عقب له <sup>(٢)</sup> ، وهو أحد من آمن بالنبي —

(١) في زاد المعاد : أن الطيب والظاهر لقبان لولده المسمى : عبد الله الذي ولد بعد النبوة . وأما إبراهيم فذكر ابن القيم أنه ولد في العام الثامن من الهجرة . وأن الذي بشره به هو أبو رافع مولاه . فوهب له عبدا ، أما الحديث المروى عن طريق ألس ، ففيه ابن لهيعة ، ولا يعتد بحديث يروى عن طريقه ، وفي روايات الحديث أن مابورا هذا كان يدخل كثيرا على مارية ، فهل يصدق مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لمثل هذا أن يغشى بيته هكذا ؟ وقد اختلف في مابور ، فقيل إنه أخوها ، وقيل أيضاً : إنه ابن عمها ، وهو خصي ، ويقول ابن أبي الحديد — على تشييعه — في شرحه لتهج البلاغة وهو يتحدث عما بهتت به عائشة ، وعن براءتها في سورة النور ، وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها ، وإنما أنزلت في مارية القبطية ، وما قذفت به مع الأسود القبطي . وجهدهم لإنزال ذلك في عائشة جحد لما يعلم ضرورة من الأخبار المتواترة . ص ٤٤٢ > ٣ طبع لبنان ، وأما المرتضى صاحب كتاب الآمال المعروف باسمه . فافترض صحة الحديث ، وزاح بزل ألفاظه انظر ص ٥٤ ج ١ أمالي المرتضى ط ١ .

(٢) اسم أبي كبير : منب بضم الميم وسكون النون وكسر الهاء انظر ص ٣٧٧ نسب قريش ، ٢٥٦ وما بعدها .

صلى الله عليه وسلم - قبل التَّبَثِ (١) ، وروى التِّرْمِذِيُّ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : رأيتُه في المنام ، وعليه ثيابٌ بيضٌ ، ولو كان من أهل النار ، لم تكن عليه ثيابٌ بيضٌ ، وهو حديثٌ في إسناده ضَعْفٌ . لأنه يدور على عُثْمَانَ بن عبد الرحمن ، ولكن يُقَوِّيه ما يأتي بعد هذا من قوله عليه السلام : رأيتُ النَّسَّ يعني ، وَرَقَةً وعليه ثيابٌ حرير ، لأنه أولُ مَنْ آمَنَ بِي ، وصدقني ، وسيأتي بقيةٌ من خبره (٢) فيما بعد - إن شاء الله - وقد أُلْفِيتُ للحديث الذي خرَّجه التِّرْمِذِيُّ في وَرَقَةٍ إسناده جيداً غير الذي ذكره التِّرْمِذِيُّ ، وهو ما رواه الزُّبَيْرُ بن أبي بكر عن عبد الله بن مُعَاذٍ الصَّنْعَانِيُّ عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ - رضى الله عنه - قال : سئل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عن ورقة بن نوفل ، كما بلغنا فقال : رأيتُه في المنام ، وعليه ثيابٌ (٣) بيضٌ ، فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياضَ ، وكان يذكر الله في سفره في الجاهلية ، ويسبِّحه ، وهو الذي يقول :

(١) يقول ابن عساكر : لا أعرف أحداً قال إنه - أى ورقة - أسلم .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل وقال : إنه منقطع .

(٣) أخرجه أحمد عن طريق ابن لهيعة ، ولا يعتمد بحديث يروى عن طريقه . وهكذا كل حديث يتحدث عن إسلام ورقة أو آخرته ، فهو ضعيف وحسبنا ما ورد عنه في الصحيحين .

لقد نصحت لأقوام ، وقلت لهم : أنا النذير ، فلا بفرزكم أحد  
 لا تعبدن (١) إلها غير خالقكم فإن دعواكم (٢) فقولوا : يننجد (٣)  
 سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له وقبلنا (٤) سبح الجودي والجعد  
 مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يناوي (٥) مذكاه أحد  
 لا شيء مما ترى تبقى بشاسته يبقى الإله ويودي المال والولد  
 لم نغن عن هرمز يوماً خرائنه وأخلد قد حاولت عاد فما خلدوا  
 ولا سليمان إذ تجرى الرياح به والإنس والجن فيما بينها مرد (٦)  
 أين الملوك التي كانت لعزتها من كل أوب إليها وافد يقد  
 حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من وزده يوماً كما وردوا (٧)

(١) في نسب قريش جعل لا نافية فأثبت الواو وهو خطأ - كما أعتقد - من محقق الكتاب .

(٢) في النسب « فإن أبيتم » .

(٣) في الأغاني وفي النسب « حدد ، بالحاء لا بالجيم » .

(٤) « في الأغاني » نعوذ به ، وقبل قد » .

(٥) في النسب : يساوى ، وفي الأغاني كما هنا .

(٦) في الأغاني : « والجن والإنس تجرى بينها البرد » وكذلك في نسب قريش بدون الواو قبل « الجن » .

(٧) هذا البيت غير موجود في الأغاني ص ١١٥ مجلد ٣ والقصيدة في نسب قريش ، وبينها وبين ما هنا اختلافات وزيادات مثل :

سبحان ذي العرش الخ فقد ورد هكذا في نسب قريش

سبحان ذي العرش لا شيء يعادله رب البرية فرد واحد حمد

وورد بعده في نسب قريش :

نسبه أبو الفرج (١) إلى وَرَقَةَ ، وفيه أبياتٌ تُنسب إلى أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ ، ومن قوله فيما خبرته به خديجةُ — رضى الله عنها — عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بالرَّجَالِ اصْرَفِ الدَّهْرَ وَالْقَدَرَ (٢)	وما لشيء قضاء الله من غير
حتى خديجةُ تدعوني لأخبرها	أمرأ أراه سيأتى الناس من آخر (٣)
نخبرتنى بأمرٍ قد سمعت به	فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمدَ يأتيه فيخبره	جبريلُ : إنك مبعوثٌ إلى البشر
فقلت : علّ الذى ترَجِّينَ ينجزه	لك الإلهُ فرَجِّى الخيرَ وانتظري
وأرسلته إلينا كي نسأله	عن أمرِهِ ما يَرى فى النومِ والسَّهرِ
فقال حين أنانا منطلقا عَجَبًا	يقِفُ منه أعلى الجلدِ والشَّعرِ
إنى رأيتُ أمينَ الله واجهنى	فى صورة أكلت فى أهيبِ الصُّورِ
ثم استمر فكان الخوفُ بدعرتنى	مما يُسلمُ من حولى من الشَّجرِ

== سبحانه ثم سبحانه يعود له وقبل سبحانه الجودى والحمد  
والبيتان الأخيران فى الروض غير مذكورين فى النسب انظر نسب قريش  
ص ٢٠٨ .

(١) يعنى صاحب كتاب الاغانى .

(٢) فى الإصابة د و صرف الدهر .

(٣) فى الإصابة .

هذى خديجة تأتيني لأخبرها وما لنا يخفى الغيب من خبر

فقلت : ظني وما أدرى أبصُدُ قني      أن سوف تُبْعَثَ تَمْلُومُنْزَلِ الشُّورِ  
وسوف أبليكَ إنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهُمْ      من الجهادِ بِلَا مَنٍّ وَلَا كَدَرٍ  
مَتَى يَفْصِدُ بِهِ الْفِرْدُ :

فصل : وفي شعر وَرَقَةَ :

بَيِّنُ الْمَسْكَتَيْنِ عَلَى رَجَائِي      حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا  
ثَنِيَّ مَكَّةَ ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ ؛ لِأَنَّ لَهَا بَطَاحًا وَظَوَاهِرَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ  
الْبَطَاحِ ، وَمِنْ أَهْلِ الظُّوْهِرِ فِيمَا قَبْلَ ، عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ مَذْهَبًا فِي أَشْعَارِهَا فِي  
تَثْنِيَةِ الْبُقْعَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَجَمْعِهَا نَحْوُ قَوْلِهِ : وَمَيِّتُ بَغْزَاتٍ . يَرِيدُ : بَغْزَةً وَبَغَادِينَ .  
فِي بَغْدَادَ ، وَأَمَّا التَّثْنِيَةُ فَكَثِيرٌ نَحْوُ قَوْلِهِ :

بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ      وَالْحَمَّتَيْنِ سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ دَارِ (١)  
وَقَوْلُ زَهِيرٍ : وَدَارَ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ (٢) . وَقَوْلُ وَرَقَةَ مِنْ هَذَا : بَيِّنُ

(١) فِي اللِّسَانِ : الرَّقْمَةُ : الرُّوضَةُ ، وَرَقَةُ الْوَادِي حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْمَاءُ . وَأَجْرٌ :  
جَمْعُ جَرَوْ ، وَجَمْعُ الْعَمْرَسِ وَهِيَ امْرَأَةُ الرَّجُلِ وَرَجُلُهَا ، وَلِبْوَةُ الْأَسَدِ : أَعْرَاسُ  
وَقَدْ اسْتَعَارَهُ الْهَذَلِيُّ لِلْأَسَدِ فَقَالَ :

لَيْتَ مَهْزَبُشْ مُدِلٌ حَوْلَ غَابَتِهِ      بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ  
قَالَ ابْنُ بَرِي : الْبَيْتُ لِلْمَلِكِ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْخُزَيْمِيِّ وَقَبْلَهُ .

يَأْمِي لَا يَمُجِزُ الْآيَامَ مَجْمَرِي      فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ رَزَاءُكُمْ وَفَرَّاسُ  
الرِّزَامِ الَّذِي لَهُ زَيْبَرٌ ، وَالْفَرَّاسُ الَّذِي يَدُقُّ عُنُقَ فَرِيئَتِهِ

(٢) الرَّقْمَتَانِ — كَمَا فِي اللِّسَانِ — رَوْضَتَانِ بِنَاحِيَةِ الصَّيْفَانِ ، وَإِيَّاهُمَا أَرَادَ زَهِيرٌ .  
وَدَارَ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيعُ وَشَمٌ فِي نَوَاشِرِ مَعْصَمٍ

المسكنين . لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ ، وقد أضاف إليها البظن ، كما أضافه المبرق حين قال :

يبطن مكة مقهور ومفتون .

وإنما يقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المعنى ، وقد قالوا : صدنا بقتوين<sup>(١)</sup> وهو قنا اسم جبل ، وقال عنقرة .

شربت بماء الدخرضين<sup>(٢)</sup> .

وهو من هذا الباب في أصح القولين ، قال عنقرة أيضا ،

بعنيزتين وأهلنا بالغيم<sup>(٣)</sup>

(١) في القاموس : القنسوان . جبلان

(٢) الدخرضان : موضعان أحدهما : دخرض ، والآخر : وسيع وقال الجوهري : الدخرضان : اسم موضع . وقال : وسيع ودخرض ماءان ثناهما بلفظ الواحد ، وببت عنقرة :

شربت بماء الدخرضين ، فأصبحت

زوها تنفر عن جاس الديلم

(٣) في المراد : عنيزة . موضع بين البصرة ومكة ، وأيضاً : برعلى ميلين من القريتين بطن الرمة ، وعنيزة من أودية اليمامة قرب سواح ، وقرى عنيزة بالبحرين وعنيزتن تشبة الذي قبله . قيل : هو موضع آخر ، وقيل : هو الذي قبله ، ثنى كما قالوا في عمارة : عماتان ، وفي رامة : رامتان وأمثاله كثير .

والغيم بالغين لا بالغين . ففي المراد . واللسان : الغيم : موضع في شعر عنقرة .

كيف المزار وقد تربع أهلها بعنيزتين وأهلنا بالغيم

وَعُثْرَةُ اسم موضع ، وقال الفرزدق :

عُثْرَةَ سَالِ الْمِرْبَدَانِ كِلَاهُمَا (١)

وإنما هو مِرْبَدُ البصرة . وقولهم :

تَسْأَلُنِي بِرَامَتَيْنِ سَلَجَمًا (٢)

(١) الشعر للفرزدق :

عُثْرَةَ سَالِ الْمِرْبَدَانِ كِلَاهُمَا عَجَاجَةٌ مَوْتٌ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ  
والمِرْبَدُ : المسكن الذي يحبسون فيه الإبل وبه سمى مِرْبَدُ البصرة وبه كانت  
مفاخرات الشعراء ، وبجالس الخطباء . وقال الجوهري في بيت الفرزدق إنه عني  
به سكة المِرْبَدُ بالبصرة ، والسكة التي تليها من ناحية بني تميم جعلهما المِرْبَدَيْنِ كما يقال  
الأحوصان وهما : الأحوص وعوف بن الأحوص ، اللسان المرصع ، ياقوت ،  
(٢) رامة : منزل في طريق البصرة إلى مكة وبعده برحلة أخرى ديار بني تميم ،  
وقيل : جبل لبني دارم ، ورامة أيضاً من قرى بيت المقدس ، والسلجم عدة معان منها  
أنه نبت ، وقيل : هو ضرب من البقول . قال أبو حنيفة السلجم : معرب وأصله بالسّين  
والعرب لا تتكلم به إلا بالسّين ، وكذا ذكره سيوطي بالسّين في باب علل  
ما يجعله زائدا فقال : ويجعل السّين زائدة إذا كانت في مثل سلجم . وقيل لرامى .  
لم زرعت السلجم ، فقال معاندة لقوله :

تَسْأَلُنِي بِرَامَتَيْنِ سَلَجَمًا

باقى لو سألت شتا أما

جاء به السكرى أو تجشما

لو أنها تطلب شيئا أما

وفي اللسان ، فاما لكثرتهم من ثنية رامة في الشعر فعلى قولهم للبيهر . ذوعثانين .  
كأنه قسمها جزأين . ويقول ابن سيدة إنها سميت رامتين للضرورة لأنهما لو  
كانتا أرضين لقليل : الرايتين .



وإنما هو رامة وهذا كثير . وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين في فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنتك إذا دخلتها ، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قُرَّةً ، وصدرَكَ مَمَرَّةً ، وفي التنزيل : ( [ لقد كان لِسَبَاءٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ . جَنَّاتٍ ] عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ) إلى قوله سبحانه : ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ﴾ . سبأ : ١٥ . وفيه : ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾ الآية . السكف : ٣٢ ، وفي آخرها : ( ودخل جَنَّتَهُ ) فأفرد بعد مائتي ، وهي <sup>(١)</sup> هي ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ الرحمن : ٤٦ ، والقول في هذه الآية يتسع ، والله المستعان .

### النور والضياء :

فصل : وقال في هذا الشعر : ويظهر في البلاد ضياء نور . هذا البيت بوضع لك معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفي التنزيل : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمُ ﴾ البقرة : ١٧ . وفيه : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً ، وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ يونس : ٥ . لأن نور القمر ، لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، [و] لاسيما في طرفي الشهر ، وفي الصحيح : الصلاة نور ، والصبر ضياء ، وذلك أن الصلاة هي

(١) في البيضاوي : « أفراد الجنة ، لأن المراد ما هو جنته ، وهي ما متع به في الدنيا تنبيهاً على أنه لا جنة له غيرها ، ولاحظ له في الجنة التي وعد المتقون ، أولاً أعمال كل واحد من جنتيه بالآخرى ، أو لأن الدخول يكون في واحدة » . وهو أجود .

عمود الإسلام ، وهي ذكر وقرآن ، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن ، والذكر ، وفي أسماء البارئ سبحانه (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ . ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه - سبحانه - وقد أميت في غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والأرض ما فيه شفاء ، والحمد لله .

### نونه الوقاية في إبه وأغوائها :

فصل : وفي شعر ورقة : فياليتنى إذا ما كان ذاكم . بحذف نون الوقاية ، وحذفها مع ليت ردى ، وهو فى لعل أحسن منه ، لقرب مخرج اللام من النون ، حتى لقد قالوا : لعلَّ وَلَعَنَّ ولأن بمعنى واحد ، ولاسيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بلعل ، وهذا يؤكّد حذف النون من لعلنى ، وأحسن ما يكون حذف هذه النون فى إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ لاجتماع النونات ، وحسنه فى لعل أيضاً كثرة حروف الكلمة ، وفى التنزيل : ﴿لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ﴾ يوسف : ٤٦ . بغير نون ، وبجى ، هذه الياء فى ليتنى بغير نون مع أن ليت ناصبة ، بذلك على أن الاسم المضمر فى ضربنى هو الياء ، دون النون كما هو فى : ضربك ، وضربه حرف واحد ، وهو الكاف ، ولو كان الاسم هو النون مع الياء - كما قالوا فى المحفوض : مَنَّى وعَنَّى بنونين نون : من ، ونون أخرى مع الياء ، فيأذاً الياء وحدها هى الاسم فى حال الخفض ، وفى حال النصب .

### مول تقدم صلة المصدر عليه :

فصل : وفيه : حديثك أن أرى منه خروجاً . قوله منه الهاء راجعة على الحديث ،

وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدّر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من صلة أن ، فلا يتقدم ، فمن أطلق القول في هذا الأصل ، ولم يخص مصدراً من مصدر ، فقد أخطأ المَفْصِل ، ونأه في تَضَلُّلٍ ؛ ففي التنزيل : ﴿ أَكُنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا [إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ] ﴾ يونس : ٢ . ومعناه : أكان عجباً للناس أن أوحينا ، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب ؛ لأنها ليست في موضع صفة ، ولا موضع حال لعدم العامل فيها ، وفيه أيضاً : ﴿ لَا يَتَّبِعُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴾ الكهف : ١٠٨ : ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ الكهف : ٥٣ . وفيه أيضاً : ﴿ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾ الكهف : ١٨ . وتقول : لى فيك رغبة ، ومالى عنك مَعْوَالٌ ، فيحسُن كلُّ هذا بلا خلاف ، وقد أجاز ابن السراج أبو بكر ، و [ محمد بن يزيد ] المبرِّد أيضاً في ضَرْبًا زِيدًا ، إذا أردت الأمر : أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر ، وقال : لأن ضَرْبًا هاهنا في معنى : اضرب ، فقد خصص لك ضرباً من المصادر بجواز تقديم معمولها عليها فإن كان المصدر غير أمر ، وكان نكرة لم يتقدم المفعول خاصة عليه ، بخلاف المجرور والظرف ، فالواجب إذا رَبَطَ هذا الباب وتفصيله .

### متى يجوز تقديم معمول المصدر ؟

فنقول : كل مصدر نكرة غير مضاف إلى ما بعده يجوز تقديم معموله عليه إلا المفعول لأن المصدر النكرة لا يتقدر بأن والفعل ؛ لأنك إن قدرته بأن والفعل بقي الفعل بلا فاعل ، وما كان مضافاً إلى ما بعده ، فالمضاف إليه فاعل في المعنى أو مفعول ؛ فلذلك يصير المصدر مقدراً بأن والفعل ، فقف على هذا الأصل ، فمنه ( ١٧٢ - الروض الأنف ج ٢ )

حُسْنُ قول ورقة : أن أرى منه خُروجاً ، أى : أرى خروجاً منه ، وكذلك لو ذكر الدخولُ ، فقال : أرى فيه دخولا ، يريد : دخولا فيه ، اسكان حسناً ، وتقول : اللهم اجعل من أمرنا فَرْجاً ونَحْرجاً ، فَمِنْ أمرنا : متعاقباً بما بعده ، وهو مصدر ، ولا خفاء في حُسْن هذا التقديم لما ذكرناه .

ومن قول وَرَقَةَ بن نوفل في معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن إسحاق :

أُتْبِكِرُ أم أنت العَشِيَّةُ رَاحُ وفي الصدر من إضمارِكَ الحزن قَادِحُ (١)  
لِفُرْقَةٍ قومٍ لا أحب فِرَاقَهُمْ كأنك عنهم بعدد يومين نازح  
وأخبارِ صِدْقٍ خَبَرْتُ عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح  
فتاك الذي وجهت ياخير حُرَّةً بِغُورٍ وبالنَّجْدَيْنِ حيث الصَّاحِصُ (٢)  
إلى سُوْقٍ بُصِّرَ في الركاب التي غدت وَهْنٌ من الأحوال قُفُصٌ دَوَالِحُ (٣)  
نُفِّرْنَا عن كلِّ خيرٍ بعلمه ولاحق أبوابُ أهنَّ مفتح

(١) إما أن تكون اسم فاعل من قدح الزند ، أو هي أكال يقع في الشجر والاسنان ، وهي الصدع في العود .

(٢) الغور : ما بين ذات عرق إلى البحر ، وكل ما انحدر مغرباً عن تهامة ، وموضع بديار بني سليم . والنجد : ما خالف الغور أي تهامة : أعلاه : تهامة واليمن ، وأسفله : العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز . ذات عرق ، والصاحص : جمع صحصح الأرض الجرداء المستوية .

(٣) دلح كمنع مثى بحمله منقبض الخطو لثقله ، والقفص : الموت السريع . والقعاص : داء في الصدر كأنه يكسر العنق ، وشاة قعوص : تضرب حالبة وتمنع الدرة .

## حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين قريش في وضع الحجر

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم - خمساً وثلاثين سنة - اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يَهْمُونَ بذلك ، لِيُسَقِّفُوهَا وَيَهَابُونَ هَدْمَهَا ، وإنما كانت رَمَّماً فوق القامة ، فأرادوا رَفْعَهَا وَتَسْقِيفَهَا ، وذلك أن نفرأ سرقوا كنزاً للكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده الكنز دُوَيْسَكا مولى لبني مُلَيْح بن عمرو من خزاعة. قال ابن هشام : قَطَعَتْ قريشُ يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْسَك وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّةَ لرجل من تجَّار الروم ، فتحطَّمت ، فأخذوا خَشَبَهَا فَأَعَدُّوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبضيَّ نَجَار ، فتهبأ لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصْلَحُهَا وكانت حَايَةً تُخْرِجُ من بئر الكعبة التي كان يُطْرَحُ فيها ما يهدى لها كل يوم ، فَمَتَشَرَّقُ على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا اخْزَأَلَتْ وَكَشَّتْ ، وفتحت فاهها ، وكانوا يهابونها . فبينما هي ذات يوم تَتَشَرَّقُ على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع

بأن ابن عبد الله أحمد مُرْسَلٌ إلى كلِّ مَنْ ضَمَّتْ عليه الأباطح  
وظنِّي به أن سوف يُبَيِّتَ صادقاً كما أُرْسِلَ العبدان هودٌ وصالح  
وموسى وإبراهيمُ حتى يُرى له بهاءٌ ومنشورٌ من الذكر واضح  
ويتبعه حيّاً لُوَيٌّْ جماعة شياهم والأشيون الجحاجج<sup>(١)</sup>

(١) جمع ججج وجججج : السيد.

بعث الله إليها طائراً فاخترطها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا نرجو أن يكون الله قد رَغِيَ ما أردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحيلة .

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها ، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عبد بن عمران بن مخزوم . قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا معشر قريش ، لا تدخلوا في بناءها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهرٌ بغيٍّ ولا بيعٌ رباً ، ولا مظلمةٌ أحد من الناس ، والناس ينتحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج بن عمرو ابن هُصَيص بن كعب بن لؤي . أنه رأى ابناً لجمدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو يطوف بالبيت ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ابن لجمدة بن هبيرة ، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك : جدُّ هذا ، يعني : أبا وهب الذي أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش : لا تدخلوا في بناءها من كسبكم إلا طيباً . لا تدخلوا فيها مهر بغيٍّ ، ولا بيع رباً ، ولا مظلمة أحد من الناس .

فإن أبقى حتى يدرك الناس دهره فإنني به مستبشرُ الود فارجع  
ولا فإنني يا خديجة — فاعلمي عن ارضيك في الأرض العريضة سامح

قال ابن اسحاق : وأبو وهب : خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وكان شريفاً ، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبي وهب أنختُ مطيَّتي      غدت من نداه رخلها غيرُ خائبِ  
بأبيض من فرعى لؤي بن غالب      إذا حُصِّلَت أنسابها في الدوائِبِ  
أبي لأخذ الصِّم يرتاح للندى      توسط جداه فرُوع الأطايِبِ  
عظيم رماد القدر يلا حِفائِه      من أُلْهِزْ يعلوهنَّ مثلُ السَّابِ

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة ، فكان شقُّ الباب لبني عبد مناف وزهرة  
وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ، وقبائل من قريش  
انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جحج وسهم ، ابني عمرو بن هُصَيْن بن  
كعب بن لؤي . وكان شقُّ الحجر لبني عبد الدار بن قصي ، ولبنى أسد بن  
المزى بن قصي ، ولبنى عدي بن كعب بن لؤي وهو الخطيمُ

ثم إن الناس هابوا هدمها وقرقوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنه  
أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المِعْوَل ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرْعَ - قال  
ابن هشام : ويقال : لم تَزِغْ - اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية  
الركنَيْن ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : نفطر ، فإن أصيب لم نهدم  
منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يُصِبْ شيء ، فقد رضى الله صنْعنا ،  
فهدمنا . فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدمَ وهدمَ الناسُ معه ،  
حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساسِ أساس إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى  
حجارة خضر كالأسنمة أخذ بعضها بعضاً .

• • • • •

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض مَنْ يَرَوِي الحديث : أن رجلاً من قُرَيْشٍ ، ممن كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حَجَرَيْنِ منها لِيَقْلَعَ بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تَنَقَّضَتْ مَكَّةُ بِأَسْرَها ، فاتموا عن ذلك الأساس .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسرّ يانية ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : « أنا الله ذو بَكَّة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصبرت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك خنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشابها ، مبارك لأهلها في الماء واللبن » .  
قال ابن هشام : أخشابها : جبلها .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : « مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سُبُل ، لا يُحْلَها أولُ من أهلها » .

قال ابن إسحاق : وزعم ليثُ بن أبي سليم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مَبْعَثِ النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه : « مَنْ يَزْرَعْ خَيْراً ، يَحْصِدْ غَبْطَةً ، وَمَنْ يَزْرَعْ شَرّاً ، يَحْصِدْ نَدَامَةً . تعملون السيئات ، وتُجْزَوْنَ الحسنات ! أَجَلٌ ، كما لا يُجْتَنَى مِنَ الشُّوكِ الْعَنْبِ » .

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قُرَيْشٍ جَمَعَتِ الحجارة لبنائها ، كلُّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِدَةٍ ، ثم بَنَوْها ، حتى بلغ البُنيان موضعَ الركن ، فاخصموا فيه ، كلُّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الأُخْرَى ، حتى تَحَاوَرُوا

. . . . .



وتحالفوا ، وأعدوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جَفَنَةً مَمْلُوءَةً دِماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كَعْب بن لُؤَيٍّ على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فَسَمُّوا : لَمَعَةَ الدِّم ، فسكنت قُرَيْش على ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان عامِئذٍ أَسَنَ قُرَيْش كلها ، قال : يا معشر قُرَيْش ! اجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أولَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا : فكان أولَ داخل عليهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينَا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ ، قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمُّ إِلَى ثَوْبَا ، فَأَتَى بِهِ ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : لِنَأْخُذْ كُل قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ أَرْفَعُوهُ جَمِيعًا ، ففعلوا : حتى إذا بافوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قُرَيْش تَسْمَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحي : الأمين . فلما فرغوا من البنیان ، وبنوها على ما أرادوا ، قال الزُّبَيْر بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بُنْيَانَ الكعبة لها .

عَجِبْتُ لِمَا نَصَوَّبَتِ الْمُقَابُ إِلَى الثَّعْبَانِ وَهِيَ لَهَا اضْطِرَابُ  
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ وَأَخِيَانًا يَكُونُ لَهَا وَثَابُ  
إِذَا قُمْنَا إِلَى النَّاسِيسِ . شَدَّتْ تَهَيَّبْنَا الْبِنَاءَ . وَقَدْ تَهَابُ

فلما أن خَشِينَا الرَّجْزَ . جاءت عُقَابٌ تَتَلَسَّبُ لَهَا انْصِبابُ  
 فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا ، ثم خَلَّتْ لَنَا الْبُنْيَانُ ، لَيْسَ لَهُ حِجَابُ  
 فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءِ لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالتُّرَابُ  
 غَدَاةَ تُرْفَعُ التَّاسِيسَ مِنْهُ وَلَيْسَ عَلَى مُسَوِّينَا رِيَابُ  
 أَعَزَّ بِهِ الْمَلِكُ بَنِي لُؤْمَى فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَابُ  
 وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ وَامْرَأَةٌ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَابُ  
 قَبَوْنَا الْمَلِكُ بِذَلِكَ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ يُبْتَلَسُّ الشَّوَابُ  
 قال ابن هشام : وَيُرْوَى :

وليسَ على مَسَاوِينَا رِيَابُ

وكانت الكعبة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى عَشْرَةَ  
 ذِرَاعًا ، وكانت تُكْسَى الْقَبَاطِي ، ثم كُسِيَتِ الْبُرُود . وأَوَّلُ مَنْ كَسَاهَا  
 الدِّبَاجُ : الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسَفَ .

### بُنْيَانُ الْكَعْبَةِ

ففى خبرها أنها كانت رَضْمًا فوق القامة . الرَّضْمُ : أَنْ تُنَصَّدَ الْحِجَارَةُ بَعْضُهَا  
 عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ مِلَاطٍ <sup>(١)</sup> كما قال :  
 رُزِئْتُهُمْ فِي سَاعَةٍ جَرَعَتْهُمْ كُشُوسَ الْمَنَاطِ تَحْتَ صَخْرٍ مُرَضَّمٍ  
 وقوله : فوق القامة ، كلامٌ غَيْرُ مُبَيَّنٍّ لِمَقْدَارِ ارْتِفَاعِهَا إِذْ ذَاكَ ، وَذَكَرَ

(١) الطين يجعل بين ساقى البناء ، ويملأ به الحائط .

غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع ، فكانت ثمان عشرة ذراعا ، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يصعد إليها إلا في درج أو سلم ، وقد ذكرنا أول من عمل لها غلقاً ، وهو تبع . ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع ، فكانت سبعا وعشرين ذراعا ، وعلى ذلك هي الآن ، وكان بناؤها في الدهر خمس مرات . الأولى : حين بناها شيث بن آدم <sup>(١)</sup> ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس ، فوقعت في أستارها ، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تُجَمِّرها ، فطارت شرارة من المِجْمَرِ <sup>(٢)</sup> في أستارها ، فاحترقت ، فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره ، فهابوا هدمها ، وقالوا : نرى أن تصالح ما وهى ، ولا تهدم . فقال : لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكل صلاح . ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها . فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم ، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر . فحركوا حَجَرًا فَرَأَوْا تَحْتَهُ نَارًا وَهْوَ <sup>(٣)</sup> . أفزعهم فأمرهم أن يُقَرِّوْا

(١) أول من بناها إبراهيم .

(٢) ما يوضع فيه الجمر بالدخنة ، والعود نفسه . ويقال أيضاً بضم الميم .

الأولى وفتح الثانية .

(٣) لم يرد في الحديث الذى أخرجه مسلم ذكر لهذه النار بل ورد : ودفنوه . أى بناء الكعبة - حتى بلغوا به الأرض . فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه . وفيه أنه زاد فيه خمسة أذرع ، وأن طول الكعبة كان ثمانية عشر ذراعا ، فلما زاد فيه استقصره ، فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما : يدخل منه ، والآخر يخرج منه .

القواعد ، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد ، فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب ، واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا أجل يطوف بها ، فلما استتم بنياها ، ألصق بابها بالأرض ، وعمل لها خلفاً أى : باباً آخر من ورائها ، وأدخل الحجر فيها ، وذلك لحديث حديثه به خالته عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : ألم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة ، ثم قال عليه السلام : لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها ، وجعلت لها خلفاً<sup>(١)</sup> وألصقت بابها بالأرض ، وأدخلت فيها الحجر أو كما قال — عليه السلام — قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على مقتضى حديث عائشة ، فلما قام عبد الملك بن مروان ، قال : لسنّا من تخليط أبي خُبَيْب<sup>(٢)</sup> بشيء ، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما فرغ من بنائها جاء الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع<sup>(٣)</sup> ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، ومعه رجل آخر ،

(١) وردت في معناه أحاديث رواها البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والفسائى والترمذى .

(٢) هو عبد الله بن الزبير ، ويقال عنه وعن ابنه أو أخيه مصعب : الحبيبان  
(٣) القبايع بضم القاف وفتح الباء : مكيال ضخمة ، ولقد لقب الحارث بهذا لأنه اتخذها ، أو لأنه قال لأهل البصرة حين ولى عليهم وأتوه بمكيال : إن مكيالكم هذا لقبايع ، وهو : الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . وقد سقط من الروض : ابن عبد الله ، وأمه : بنت أبرهة . ويقال إنه وجد الصليب في =

فحدثناه عن عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالحديث المتقدم ،

== عنقها حين ماتت ، وخرج إلى الناس . فقال : انصرفوا رحمكم الله ، فإن لما أهل دين هم أولى بها منا ومنكم ، فاستحسن ذلك منه . يقول عنه ابن سبة : « كان الحارث ابن عبد الله شريفا كريما ديننا وسيدا من سادات قريش ، وله قصص طريفة مع أخيه الشاعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة . انظر ص ٣١٨ نسب قريش ط ١ و ص ١١٤ المجلد الأول من الأغاني طبع لبنان .

وفي حديث مسلم عما ذكره الروض عن هذا أن الحجاج لما قتل ابن الزبير كتب إلى عبد الملك يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاده في طوله فأفره ، وأما ما زاد فيه من الحجر ، فردّه إلى بنائه ، وسد الباب الذي فتحه ، فنقضه وأعادّه إلى بنائه . وفي رواية أخرى أن الحارث بن عبد الله وفد على عبد الملك بن مروان في خلافته ، فقال عبد الملك : ما أظن أبا مخنف سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها ، فقال الحارث : « بلى أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حدائنه عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا ، فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلّمى لأريك ما تركوا منه ، وأراها قريباً من سبعة أذرع . هذا حديث عبد الله بن عبيد بن عمير في مسلم ، وزاد عليه الوليد بن عطاء : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض ، شرقياً وغربياً ، وهل تدريين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ قالت : قلت : لا . قال : تمزراً ألا يدخلها إلا من أرادوا ، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى ، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط . . وفي رواية : أن عبد الملك قال : قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين — ثم ذكر حديث عائشة — فقال الحارث لا نقل هذا يا أمير المؤمنين ؛ فإنّي سمعت أم المؤمنين تحدث هذا . قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير . ويقول ابن كثير : فهذا الحديث

فقدم ، وجعل يَنْسُكُ في الأرض بِمِخْصَرَةٍ في يده ، ويقول : وَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُ  
أَبَاخُبَيْبَ ، وما تَحْمَلُ من ذلك ، فهذه المرة الخامسة ، فلما قام أبو جعفر المنصور ،  
وأراد أن يبينها على ما بناها ابن الزبير ، وشاور في ذلك ، فقال مالك بن أنس :  
أَشْهَدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وأن تجعل هذا البيتَ مَلْعَبَةً لِلْمُلُوكِ بِعَدِكَ ، لا يَشَاءُ  
أَحَدُ مِنْهُمْ أَنْ يُغَيِّرَهُ إِلَّا غَيْرُهُ (١) فتذهب هَيْئَتُهُ من قُلُوبِ النَّاسِ ، فصرفه عن  
رَأْيِهِ فِيهِ ، وقد قيل : إنه بنى في أَيَّامِ جُرْهُمِ مرةً أو مرتين ؛ لأن السيل كان  
قد صدع حائطه ، ولم يكن ذلك بنيانا على نحو ما قدمنا ، إنما كان إصلاحاً لما  
وَهَى مِنْهُ ، وجداراً بَنَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيْلِ ، بناه عامر الجارود (٢) ، وقد تقدم هذا  
الخبر ، وكانت السكعبة قبل أن يبينها شَيْثٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيَمَةً مِنْ يَاقُوتَةِ حِمْرَاءَ  
يَطُوفُ بِهَا آدَمُ ، وَيَأْنَسُ إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّهَا أَنْزَلَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْجَنَّةِ ، وكان قد حجج إلى  
موضعها من الهند ، وقد قيل : إن آدم هو أول من بناها ، ذكره ابن إسحاق في  
غير رواية الْبَيْهَقِيِّ . وفي الخبر أن موضعها كان غُثَاءَةً عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ  
اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فلما بدأ اللَّهُ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ خَلَقَ التُّرْبَةَ قَبْلَ السَّمَاءِ ، فلما

== كالقَطُوعِ بِهِ إِلَى عَائِشَةَ ؛ لِأَنَّهُ قَدَرَوْا عَنْهَا مِنْ طَرُقٍ صَحِيحَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، فدل هذا على  
صواب ما فعله ابن الزبير ، فلو ترك لكان جيداً . ولكن بعد ما رجع الأمر إلى  
هذا الحال ، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله .

(١) نقل النوى وعياض أن هذا حدث من الرشيد أو أبيه المهدي ، وأن  
ما لُكَا قَالَ : مالك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . لا تجعل كعبة الله مَلْعَبَةً لِلْمُلُوكِ لا يَشَاءُ  
أَحَدٌ أَنْ يَهْدِمَهَا إِلَّا هَدَمَهَا .

(٢) انظر ص ١٤ من نسب قریش ،

خلق السماء ، وقضاهن سبع سموات دحا الأرض ، أى : بسطها ، وذلك قوله سبحانه : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ النازعات : ٣ . وإنما دحاها من تحت مكة ؛ ولذلك سُمِّيَتْ أم القرى ، وفى التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت : ١١ لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم <sup>(١)</sup> ، فلذلك حرمها . وفى الحديث : أن الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض ، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن ، لأن المؤمن إنما حُرِّمَ دمه وعرضه وماله بطاعته لربه ، وأرض الحرم لما قالت : أَتَيْنَا طَائِعِينَ ، حُرِّمَ صيدها وشجرها وخلاها إلا الإذخر <sup>(٢)</sup> ، فلا حُرْمَةً إِلَّا لِدَى طَاعَةٍ ، جعلنا الله يَمِّنَ أطاعه .

(١) هذا من كلام كعب الأحبار وهو معروف بإسرائيلياته . وكل ما قيل عن حج آدم ، وعن أصل الكعبة وعن موضعها قبل إبراهيم وعن إجابة أرض الحرم . كل هذا أكاذيب مفتراة . ومن عيوب السبيل أنه يأتي أحياناً بأسطورة ثم يقيم عليها بناء يتوهمه ثابتاً ، فليست أرض الحرم وحدها هى التى أطاعت الله ، بل الأرض كلها ، كما بين القرآن فإياها لم تحرم ؛

(٢) فى حديث أخرجه البخارى ومسلم . « إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ، فبى حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، ومعناه : أن الله قضى هذا كما قضى كل أمر له . هذا وفى حديث رواه مسلم : « إن إبراهيم حرم مكة ، ولأنى أحرم ما بين لابتيها ، وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن المدينة . « اللهم لى أحرم ما بين جليها مثل ما حرم لإبراهيم مكة ، وفى حديث رواه البخارى : « إن لإبراهيم حرم مكة ، ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم لإبراهيم مكة ، وهذه الأحاديث تؤكد أن إبراهيم هو الذى حرم مكة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم حرم المدينة كما حرم لإبراهيم مكة . =

### سبب آفر لبنيان البيت :

وروى في سبب بنيان البيت خبر آخر ، وليس بمعارض لما تقدم ، وذلك أن الله سبحانه لما قال للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ البقرة : ٢٩ .

خافوا أن يكون الله عاتباً عليهم لاعتراضهم في علمه ، فطافوا بالعرش سبعة ، يسترضون ربهم ، ويتضرعون إليه ، فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة ، وأن يجعلوا طوافهم به ، فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ، ثم أمرهم أن يبنوا في كل سماء بيتاً ، وفي كل أرض بيتاً ، قال مجاهد : هي أربعة عشر بيتاً ، كل بيت منها مناصباً ، أى : في مقابلته ، لو سقطت لسقطت بعضها على بعض .

### حول بناء الكعبة مرة أخرى :

روى أيضاً أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرض إلى منتهائها ، وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل ، فتلک القواعد من البيت التي رفع إبراهيم وإسماعيل ، فلما جاء الطوفان رفعت ، وأودع الحجر الأسود أبا قبيس (١) .

= وفي هذا نظر ، فالتة جل شأنه هو الذي يحل ويحرم لا النبيون ، ولم يذكر تحريم المدينة في القرآن كما ذكر تحريم مكة ، والإذخر : الحشيش الطيب الرائحة . (١) ليس لكل ما قاله عن الملائكة هنا سند صحيح ، ولم يرد حديث طواف الملائكة المذكور هنا سوى : « أبو الفرج » في كتابه « مشير الغرام » ، وليس من البر في الدين أن تفتري الأكاذيب لتعظيم أمر ، شأنه بالصدق في النفوس أعظم ، والحق لا يحويه لباطل ، والجمال يشينه الكذب



وذكر ابن هشام أن الماء لم يعلها حين الطوفان ، ولكنه قام حولها ، وبقيت في هواء إلى السماء <sup>(١)</sup> ، وأن نوحا قال لأهل السفينة ، وهي تطوف بالبيت : إنكم في حرم الله ، وحول بيته ، فأحرموا الله ، ولا يمس أحد امرأة ، وجعل بينهم وبين السماء حاجزا ، فتعدى حام ، فدعا عليه نوح أن يسودّ لون بنيه ، فاسودّ كوش بن حام ونسله إلى يوم القيامة ، وقد قيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا <sup>(٢)</sup> ، والله أعلم .

وذكر في الخبر عن ابن عباس ، قال : أول من عاذ بالكعبة حوت صغير ، خاف من حوت كبير ، فعاذ منه بالبيت ، وذلك أيام الطوفان . ذكره يحيى بن سلام ، فلما نضب ماء الطوفان ، كان مكان البيت ربوة من مدرة <sup>(٣)</sup> وحج إليه هود وصالح ، ومن آمن معهما ، وهو كذلك <sup>(٤)</sup> .

(١) كلام لا سند له ، وقد روى أن من أسباب بنائها احتراقها أو تصدعها من السيل ، فكيف لم ترتفع إلى الهواء .  
هذا وفي السيرة عن السفينة أنها كانت لرجل من تجار الروم ، ولكن ورد عن الاموى أنها كانت لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحا قيصر مع باقوم الرومى إلى الكنيسة التي أحرقتها الفرس الحبشة . وقيل عن باقوم القبطى لأنه كان مولى سعيد بن العاصى بن أمية وفي الإصابة أن اسم الرجل الذى بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا ، وكان في سفينة حبستها الريح ، فخرجت إليها قريش ، وأخذوا خشبها ، وقالوا له : ابنها على بناء الكنائس .

(٢) لأنه رأى عورة أبيه لإصحاح ٩ سفر التكوين .

(٣) المدر — محرقة — قطع الطين اليابس ، أو العلك الذى لا رمل فيه واحدة مدرة .

(٤) لم يرد هذا في نقل صحيح .

وَيَذْكُرُ أَنَّ يَعْزُبَ قَالَ لهُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا نَبْنِيهِ ؟ قَالَ : إِنَّمَا بَيْنِيهِ نَبِيٌّ كَرِيمٌ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي يَتَّخِذُهُ الرَّحْمَنُ خَلِيلًا ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَشَبَّ إِسْمَاعِيلُ بِمَكَّةَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ ، فَدَلَّاهُ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ (١) ، وَظَلَّلَتْ لَهُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ ، فَكَانَتْ عَلَيْهِ كَالْجُحْمَةِ (٢) ، وَذَلِكَ أَنَّ السَّكِينَةَ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ ، فَجُعِلَتْ عِلْمًا عَلَى قِبَلَتِهَا حِكْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ (٣) ، وَبَنَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبُلٍ ، كَانَتْ الْمَلَأْسُكَةُ تَأْتِيهِ بِالْحِجَارَةِ مِنْهَا ، وَهِيَ : طَوْرُ تَيْنًا ، وَطَوْرُ زَيْتَا (٤) الَّذِينَ بِالشَّامِ ، وَالْجُودِيَّ وَهُوَ بِالْجَزِيرَةِ (٥) ، وَتَيْنَانَ (٦) وَحِرَاءَ وَهِيَ بِالْحَرَمِ ، كُلُّ هَذَا جَمْعُهُ مِنْ آثَارٍ مَرْوِيَةٍ . وَانْتَبَهَ لِحِكْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ جَعَلَ بِنَاءَهَا مِنْ خَمْسَةِ أَجْبُلٍ ، فَشَاكِلُ ذَلِكَ مَعْنَاهَا ؛ إِذْ هِيَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَعُمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ بَنَى عَلَى خَمْسٍ ، وَكَيْفَ دَلَّتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ؛ إِذْ هُوَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ ، وَالسَّكِينَةُ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَأَتَوْهَا

(١) وَهِيَ عِنْدَ رَوَاةِ هَذَا : رِيحٌ تَخْرُجُ ، وَلَهَا رَأْسَانِ ، فَاتَّبَعَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَكَّةَ ، فَتَطَوَّاتُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ كَطَيِّ الْجَحْفَةِ . وَالتَّجْوُوحُ : الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الْمَسَرَّةُ ، أَوْ الْمَلْتَوِيَّةُ فِي هَبْوِهَا .

(٢) بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي جَوَانِبِ الْحَوْضِ .

(٣) مَرَّةً أُخْرَى بَنَى عَلَى أُسْطُورَةٍ رَأَى وَحَدِيثُ السَّكِينَةِ لَيْسَ لَهُ سَنَدٌ صَحِيحٌ

(٤) تَيْنَا تَقَالُ بِالْكَسْرِ وَبِالْفَتْحِ وَيَقُولُ الْقَامُوسُ وَتَيْنَا هِيَ بِمَعْنَى سَيْنَاءَ

(٥) يَعْنِي جَزِيرَةَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ شَرْقِيٍّ دَجَلَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْمُوَصَّلِ

(٦) فِي الْمَرَاوِدِ ، لِبَنَانِ جَبَلَانِ قَرِبَ مَكَّةَ يُقَالُ لَهَا ، ابْنُ الْأَسْفَلِ وَابْنُ الْأَعْلَى

وَفَوْقَ ذَلِكَ جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ : الْمُبْرَكُ بَرَكَ الْقَبِيلُ بِهِ

وعليكم السكينة<sup>(١)</sup> « فلما بلغ إبراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الأسود من جوف أبي قُبَيْس ، وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « أنزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم »<sup>(٢)</sup> ، وروى الترمذى أيضاً من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعاً أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طُمِسَ من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب ، وفي رواية غيره : لأبرءا من استلهمهما من الخرس والجذام والبرص<sup>(٣)</sup> ، وروى غير الترمذى من طريق على رحمه الله أن العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره ألا يشركوا به شيئاً كتبه فى صكٍّ ، وألقمه الحجر الأسود ، ولذلك يقول المستمل له : إيماننا بك ، ووفاء بعهدك<sup>(٤)</sup> ، وذكر هذا الخبر الزبير ، وزاد عليه أن الله سبحانه أجرى نهراً أطيب

(١) فى حديث رواه الجماعة إلا الترمذى : « إذا سمعتم الإقامة ، فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم ، فصلوا ، وما فاتكم فاتموا ،

(٢) لا يعتد بمثل هذا . وفى البخارى : « لجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وهما - أى إبراهيم وإسماعيل - يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » وهو عند ابن أبي حاتم من كلام السدى ، ولم يرو البخارى ولا مسلم شيئاً من هذا .

(٣) الأحاديث الصحيحة تخالف ما رواه الترمذى ، وتخالف ما رواه بعده ، والقرآن يؤكد أن الله هو الذى يده الشفاء لا الركن اليماني . إنما هو مكر الأساطير بدين الله الحق ١١

(٤) لا يشهد لما قاله حديث صحيح ، ولا آية من كتاب الله ، وإليك التفسير الصحيح لآية أخذ العهد عن الحسن البصرى ، كما رواه عنه جماعة من السلف والخلف =

(م ١٨ - الروض الأنف > ٢)

من اللبن ، وأمين من الزبد ، فاستمد منه القلم الذى كتب العهد ، قال : وكان أبو قُبَيْس يسعى : الأمين ؛ لأن الركن كان مُودَّعا فيه ، وأنه نادى إبراهيم حين .

== ( ولما أخذ ربك من بنى آدم ) ولم يقل من آدم ( من ظهورهم ) ولم يقل من ظهره ( ذرياتهم ) أى جعل نسلهم جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، كقوله تعالى ( وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ) وقال : ( ويجعلكم خلفاء الأرض ) وقال : ( كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ) ثم قال : ( وأشهدهم على أنفسهم : ألسنت بربكم ، قالوا : بلى ) أى : أوجدكم شاهدين بذلك ، قائلين له حالا . وقال : أى الحسن البصرى - والشهادة تكون تارة بالقول ، وتارة تكون حالا . كما أن السؤال تارة يكون بالمقال ، وتارة يكون بالحال . قالوا - يعنى جماعة من السلف والخلف - ولما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم فى الإشراف ، فلو كان قد وقع هذا - يعنى استخراج الذرية من ظهر آدم واستنطاق الله لها - كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة له ( ثم فسروا هذا الإشهاد بأنه الفطرة التى فطر الله الناس عليها من الإقرار بالتوحيد . انظر ابن كثير فى تفسير الآية . هذا وقد حكم الطبرى بعدم صحة نسبة ما روى من أحاديث فى هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالحديث موقوف على ابن عمر . ولهذا قال : الظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : « وأشهدهم على أنفسهم . ألسنت بربكم ؟ » قالوا : بلى شهدنا . فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا . فقالوا : بلى شهدنا . عليكم بما أقررتم به على أنفسكم . وفى مكان آخر : « وأشهدهم على أنفسهم ، أى : أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك . ويقول المرتضى فى أماليه . « وقد ظن بعض من لا بصيرة له ، ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية أن الله استخراج من ظهر آدم جميع ذريته ، وهم فى خلقت النذر ، فقرروهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه ، لأن الله تعالى قال : ولما أخذ ربك من بنى آدم ، ولم يقل . من آدم ، وقال : من ظهورهم ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ذرياتهم ، ولم يقل . ذريته ، ثم أخبر تعالى بأنه ==

بلغ بالبنيان إلى موضع الركن ، فأخبره عن الركن فيه ، ودله على موضعه (١) منه ،  
وانتبه من ههنا إلى الحكمة في أن سوّده خطايا بني آدم دون غيره من حجارة  
الكعبة وأستارها ، وذلك أن العهد الذي فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها  
من توحيد الله ، فكل مولود يولد على تلك الفطرة ، وعلى ذلك الميثاق ، فلولا أن  
أبويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، حتى يسود قلبه بالشرك ، لما حال عن  
العهد ، فقد صار قلب ابن آدم محلاً لذلك العهد والميثاق ، وصار الحجر محلاً لما  
كتب فيه من ذلك العهد والميثاق ، فتناسبا ، فأسودّ من الخطايا قلب ابن آدم  
بعدما كان وُلد عليه من ذلك العهد ، واسود الحجر بعد ابيضاضه ، وكانت  
الخطايا سببا في ذلك حكمة من الله سبحانه ، فهذا ما ذكر في بنیان الكعبة  
ملخصا ، منه ما ذكر المأوردى ، ومنه ما ذكره الطبري ، ومنه ما وقع في كتاب  
التمهيد لأبي عمر ، ونبد أخذتها من كتاب فضائل مكة لرزين بن معاوية ، ومن  
كتاب أبي الوليد الأزرق في أخبار مكة ، ومن أحاديث في المسندات المروية ،  
وسنورد في باقي الحديث بعض ما باعنا في ذلك مستعينين بالله . وأما الركن

= فعل ذلك ، ائلا يقولوا : إنهم كانوا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم ،  
وأنهم نشئوا على دينهم وسنتهم ، وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه ،  
وأنها تناولات من كان له آباء مشركون ، وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد  
آدم ، فلهذه شهادة الظاهر بطلان تأويله ، ثم استشهد بدليل عقلي على بطلانه  
أيضا . واستدل ببعض النقول الصحيحة ، انظر ص ٢٠ وما بعدها ط ١

(١) لست أدري — والسبيل رجل كبير العقل — كيف يردد هذه الأساطير

الصغيرة ١٩ .

الياماني فسُمي بالياني - فيما ذكر القَتَبِيُّ - لأن رجلا من اليمن بناء اسمه : أبيُّ بن سالم وأنشد :

لنا الركنُ من بيتِ الحرامِ وراثَةً      بقيةَ ما أبقي أبيُّ بنُ سالم  
مول بناء السجمر الحرام :

وأما المسجدُ الحرامُ فأول من بناء عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، وإنكم دخلتم عليها ، ولم تدخل عليكم ، فاشتري تلك الدورَ من أهلها وهدمها ، وبني المسجدَ المحيطَ بها ، ثم كان عثمان ، فاشتري دورا أخرى ، وأعلى في ثمنها ، وزاد في سعة المسجد فلما كان ابنُ الزبير زاد في إتقانه ، لافى سَعَتَهُ ، وجعل فيه عمداً من الرُخَامِ ، وزاد في أبوابه ، وحسَّنَها ، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائطِ المسجد ، وحمل إليه السَّوَارِي في البحر إلى جُدَّة ، واحتملت من جُدَّة على العجل إلى مكة ، وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباجَ ، وقد كنا قدّمنا أن ابنَ الزبير كساها الديباجَ قبل الحجاج ، ذكره الزبير بن بكار ، وذكرنا أيضاً أن خالد بن جعفر بن كلابٍ ممن كساها الديباجَ قبل الإسلام ، ثم كان الوليدُ بن عبد الملك ، فزاد في حُلِيِّها ، وصرف في مِيزابها وسَقْفها ما كان في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهبٍ وفضةٍ ، وكانت قد احتملت إليه من طَلَيْطَلَةٍ من جزيرة الأندلس ، وكانت لها أطواقٌ من ياقوتٍ وزَبَرَجَدٍ ، وكانت قد احتُمِلت على بغل قوى فتفسَّخ تحتها ، فضرَب منها الوليدُ حِلِيَةً

للكعبة ، فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي زاد أيضا في إتيان المسجد ، وتحسين هيئته ، ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل إلى الآن . وفي اشتراء عمر وعثمان الدور التي زادا فيها دليل على أن رباع أهل مكة ملك لأهلها ، يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا ، وفي ذلك اختلاف .

### كنز الكعبة والتجار القبطي :

فصل : وذكر ابن إسحاق دوينكا الذي سرق كنز الكعبة ، وتقدم أن سارقا سرق من مالها في زمن جرهم ، وأنه دخل البئر التي فيها كنزها فسقط عليه حجر فخبسه فيها ، حتى أخرج منها ، وانزع السال منه ، ثم بعث الله حية لها رأس كراس الجدي ، بيضاء البطن سوداء المثنى ، فكانت في بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين ، وهي التي ذكرها ابن إسحاق ، وكانه لا يدنو أحد من بئر الكعبة إلا اخزألت<sup>(١)</sup> أي : رفعت ذنبها ، وكشفت أي : صوّتت<sup>(٢)</sup> . وذكر ابن إسحاق أن سفينة رماها البحر إلى جدة ، فتحطمت ، وذكر غيره عن ابن منيبه أن سفينة خجتها الريح إلى الشعبية ، وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . والشعبية بضم الشين ذكره البكري ، وفسر الخطابي خجتها : أي دفعته بقوة ، من الريح الخجوج أي : الدفوع .

(١) في الأصل ، وفي شرح السيرة للخشني : اخزألت بالخاء ، وهو خطأ صوبته من نسخ أخرى للسيرة ومن اللسان والقاموس .

(٢) وللخشني : الكشيش صوت جلدها إذا تقبض بعضه في بعض . وفيه السيرة . تشرق : أي تبرز للشمس .

قال ابن إسحاق : وكان بمكة نجار قبطى ، وذكر غيره أنه كان عاجاً (١)  
 فى السفينة التى خبّتها الريح إلى الشَّعْبِيَّة ، وأن اسمَ ذلك النجار : يا قوم (٢)  
 وكذلك روى أيضا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله - صلى الله  
 عليه وسلم - من طَرْفَاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

### الحية والدابة :

فصل : وذكر خبر الْعُقَابِ ، أو الطائر الذى اختطف الحية من بئر السَّكْعَةِ ،  
 وقال غيره : طرحها الطائر بِالْحُجُونِ ، فالتقمتها الأرض . وقال محمد بن الحسن  
 المقرئ هذا القول ، ثم قال : وهى الدابة التى تكلم الناس قبل يوم القيامة ،  
 واسمها : أَقْصَى أَفْئِدَا ذِكْرٍ ، ومحمد بن الحسن المقرئ هو الْمَقَاشُ ، وهو من  
 أهل العلم - والله أعلم بصحة ما قال ، غير أنه قد روى فى حديث آخر أن موسى  
 عليه السلام سأل ربه أن يُرِيه الدابة التى تُكَلِّمُ النَّاسَ ، فأخرجها له من  
 الأرض ، فرأى منظرا هالكا وأفرعه ، فقال : أَيْ رَبِّ : رُدَّهَا ، فَرَدَّهَا (٣) .  
 لم نزع :

وذكر ابن إسحاق حديثَ الْحَجَرِ الذى أُخِذَ مِنَ السَّكْعَةِ ، فوثب من يده  
 آخذه ، حتى عاد إلى موضعه ، وقال غيره : ضربوا بِالْمَعْمُولِ فى حجر من أحجارها ،

(١) الرجل من كفار العجم .

(٢) وقيل . يا قوم أوبأ قول . وقد سبق وانظر ص ٦٣ شرح  
 السيرة للخشنى .

(٣) لا يروى فى حقيقة صفات الدابة حديث يعتمد به . والدابة تطلق على الإنسان .  
 فلنقف عند القرآن والنقاش بكذب ويروى المناكير وليس فى تفسيره حديث صحيح .



فلمعت بركة كادت تحطف أبصارهم ، وأخذ رجل منهم حجرا ، فطار من يده ، وعاد إلى موضعه . وذكر ابن إسحاق قولهم : اللهم لم ترع ، وهى كلمة تقال عند تسكين الرّوع ، والتأنيس ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولاروع في هذا الوطن فيُنْفَى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ، وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الرّوع الذى هو مُحالٌ في حق البارئ تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا ، جاز النطقُ بها <sup>(١)</sup> ، وسيأتى في هذا الكتاب إن شاء الله زيادة بيان عند قوله : فاغفر فداءً لك ما اقتنينا .

ويروى أيضاً : اللهم لم ترع ، وهو جلي لا يشكل .

من تفسير صريث أبي لهب : وذكر قولهم : لا تُدْخِلُوا في هذا البيت مهرَ بَنِيٍّ وهى الزانية ، وهى فَعُولٌ من البِغَاء ، فاندغمت الواو فى الياء ، ولا يجوز عندهم أن يكون على وزن فَعِيل ، لأن فَعِيلًا بمعنى : فاعل يكون بالهاء فى المؤنث كرحيمة وكريمة . وإنما يكون بغير هاء إذا كان فى معنى : مفعول نحو : امرأة جريح وقتيل .

وقوله : ولا بيع رباً يدل على أن الربا كان محرماً عليهم فى الجاهلية ، كما كان الظلم والبغاء ، وهو الزنا محرماً عليهم ، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع

(١) الروع : الفزع ، ولا يجوز مطلقاً نسبته إلى الله ، ثم إنه لم يرد قول صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا . وفى شرح الزرقانى على المواهب : اللهم لم ترع . أى : لم تفزع الكعبة ، فأضمرها لتقدم ذكرها ، وهذا أولى من إعادة السهيل الضمير لله ، وهو نقد حق ، وهو رأى الخشنى فى شرحه للسيرة . هذا إن كان للحديث سند صحيح .

إبراهيم عليه السلام ، كما كان بقي فيهم الحج والعمرة وشيء من أحكام الطلاق والعتيق وغير ذلك . وفي قوله سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ ﴾ البقرة : ٢٧٥ دليل على تقدم التحريم .

### الحجر الذي كان مكتوباً :

فصل : وذكر الحجر الذي وجد مكتوباً في الكعبة ، وفيه : أنا الله ذوبكة . لحديث . روى مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ في الجامع عن الزهري أنه قال : بلغني أن قريشاً حين بنوا الكعبة ، وجدوا فيها حجراً ، وفيه ثلاثة صُفُوح (١) في الصَّفْحِ الأول : أنا الله ذوبكة صُفَّتْها يوم صُفَّت (٢) الشمس والقمر إلى آخر كلام بن إسحاق ، وفي الصَّفْحِ الثاني : أنا الله ذوبكة ، خلقت الرَّحِمَ ، واشتت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بَتَّته ، وفي الصَّفْحِ الثالث : أنا الله ذوبكة (٣) ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه ، وفي حديث ابن إسحاق : لا يُحِبُّهَا أُولُومُنْ أَهْلُهَا ، يريد - والله أعلم - ما كان من استحلال قريش القتال .

(١) في البداية : أصفح ، وهو أنسب وصفة الشيء : جانبه

(٢) في البداية : صنعها وهو يناسب رواية : خلقتها التي في السيرة

(٣) في البداية : . «إني أنا الله ، في جميع المواضع . والقصة ولاشك مصنوعة . ووراء بعضها رجل من أهل الكتاب ، ففيها ذكر السهيل وابن هشام ما يدل على هذه النسبة . وإن كانت كلمات حق . ففي الإصحاح الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى بعض كلماته . أما قوله : « خلقت الرحم » إلى تبته ، لحديث رواته أبو داود والترمذي . أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بَتَّته ،

فيها أيام ابن الزبير، وحُصَيْنَ بنُ مُنَمَّرٍ ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبي ربيعة :

أَلَا مَنْ لِقَابٍ مُعْنَى غَزَلٍ يُحِبُّ الْمُحِلَّةَ أُخْتِ الْمُحِلِّ

يعنى بالحلل : عبد الله بن الزبير لقتاله في الحرم .

هول الحجر الأسود وقواعد البيت :

فصل : وذكر اختلافهم في وضع الركن ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذي وضعه بيده ، وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدى ، وأنه صاح بأعلى صوته : يامعشر قريش : أَرْضَيْتُمْ أَنْ يَضَعَ هَذَا الركنَ ، وهو شرفكم غلامٌ يَتِيمٌ دون ذوى أَسْنَانِكُمْ ، فكاد يثير شراً فيما بينهم ، ثم سكتوا ذلك . وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام ابن الزبير ، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصلى بالناس في المسجد اغتتم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس في ذلك ، وخاف الخلاف ، فأقره أبوه . ذكر ذلك الزبير بن أبي بكر . وذكر ابن إسحق أيضاً أنهم أفضوا إلى قواعد البيت ، وإذا هم خُفِضَتْ كَالْأَسِنَّةِ ، وليست هذه رواية السيرة ، إنما الصحيح في الكتاب : كَالْأَسِنَّةِ ، وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحق والله أعلم ؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره ، وقد ذكر البخاري في بيان الكعبة هذا الخبر ، فقال فيه عن يزيد بن رومان : فنظرت إليها ، فإذا هي كأسنمة الإبل ، وتشبيهها بالأسننة لا يشبه إلا في الزُرْقَةِ ، وتشبيهها بأسنمة

الإبل أولى ، لعظمها ، ولما تقدم في حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا (١) .

شعر الزبير بن عبيد المطلب :

فصل : وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب : عجبت لما تصوّبت  
العقاب . إلى قوله : تَتَلَبَّثُ لها انصباب . قوله : تَتَلَبَّثُ ، يقال : اتَّالَبَّ  
على طريقه إذا لم يُعَرِّجْ يَمْنَةً (٢) ولايسرة ، وكأنه منْحَوْتُ من أصلين كما تقدم  
في مثل هذا من تلا : إذا تبع ، وأَلَبَ : إذا أقام ، وأَبَّ أيضاً قريبٌ من هذا  
المعنى . يقال : أَبَّ إجابة - من كتاب العين - إذا استقام وتبها ، فكانه مُقِمٌّ  
مُسْتَمِرٌّ على ما يتاوه ويتبعه مما هو بسبيله ، والاسم من اتَّالَبَّ : التَّلَائِبَةُ على  
على وزن الظْمَانِيَّةِ والقَشْعَرِيَّةِ ، قاله أبو عبيد .

وقوله : وليس على مُسَوِّينَا ثيابٌ . أى : مُسَوِّى البنيان . وهو فى

(١) عند أبى ذر الخشنى فى تفسير تشبيهها بالأسنة . وأراد أن الحجارة دخل  
بعضها فى بعض كما تدخل عظام السنام بعضها فى بعض ، ومن رواه كالأسنة  
فهو جمع سنان الرمح شبهها بالأسنة فى الخضرة ، وفى القصيدة البائية فى السيرة .  
الذوائب : يريد الانساب الكريمة . والسباب : جمع سببية وهى ثياب رفاق بيض  
شبهه الشحم الذى يعلو الجفان بها . عن الخشنى ، والخطيم : سعى خطيما ؛ لأن  
الناس يزدحمون فيه ، حتى يحطم بعضهم بعضا ، وقيل : لأن الثياب كانت تجرد فيه  
عند الطواف . وذومكة : اسم المسجد ، ومكة : اسم البلدة . تحاوزوا : انحازت كل  
قبيلة إلى جهة . هلم إلى ثوبا : هى كلبة سعى بها الفعل . ومعناه : أقبلوا إلينا  
تتلبث : تتابع فى انقضاءها

(٢) وفى القاموس : استقام وانتصب

## حديث الخمس

قال ابن إسحاق : وقد كانت قُرَيْش - لا أدري أقبلَ القيل أم بعده - ابتدعت رأى الخمس رأياً رَأَوْهُ وأَدَارُوهُ ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحُرمة ، وولاية البيت ، وقُطَّانُ مكة وساكنُها ، فليس لأحدٍ من العرب مثلاً حقّاً ، ولا مثلاً منزلتنا ، ولا تَعْرِفُ له العربُ مثلاً ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئاً من الحِلِّ كما تَعْتَمُونَ الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العربُ بِحُرْمَتِكُمْ ، وقالوا : قد عَظَّمُوا من الحِلِّ مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوفَ على عَرَفَةَ ، والإفاضة منها ، وهم يَعْرِفُونَ وَيَقْرُونَ أنها من المَشَاعِرِ والحجِّ ودين إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وَيَرَوْنَ لسائر العرب أن يُقْبِضُوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الحُرْمِ ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرمة ، ولا نَعْظُمَ غيرها ، كما نَعْظُمُ نحن الخمس ، والخمس : أهلُ الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلَدُوا من العرب من ساكنِ الحِلِّ والحرمِ مثلَ الذي لهم ، بولادتهم إياهم ، يحلّ لهم ما يحلّ لهم ، ويَحْرُمُ عليهم ما يَحْرُمُ عليهم . وكانت كِنَانَةُ وَخَزَاعَةُ قد دخلوا معهم في ذلك .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عُبَيْدَةَ النُجُومِيُّ : أن بني عامر بن صعصعة معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأنشدني لعَمْرِو بن مَعْدِيكَرْب :

معنى الحديث الصحيح في نقلناهم الحجارة إلى السكبة أنهم كانوا ينقلونها عُرَاءً ، ويرون ذلك ديناً ، وأنه من باب التَّشْمِيرِ والجِدِّ في الطاعة . وقول ابن هشام : ويروى : مَسَاوِينَا ، يريد : السَّوَاءَاتِ ، فهو جمع مَسَاءَةٍ ، مفعة من السَّوَةِ والأصل مَسَاوِيءٌ ، فسهلت الهمزة .

أَعْبَاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَاراً جِيَادُنَا      بَدَثَلِيثَ مَا نَاصَبْتَ بَعْدِي الْأَحَامِسَا

قال ابن هشام : تمليث : موضع من بلادهم . والشيار : الحسان . يعنى بالأحامس :  
بنى عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مرداس السلمى ، وكان أغار  
على بنى زُبَيْد بثناليث . وهذا البيت فى قصيدة لعمرؤ .

وَأُنْشِدُنِي لِلْقَيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ الدَّارِمِي فِي يَوْمِ جَبَلَةَ :

أَجْزِمُ إِلَيْكَ إِنِّهَا بَنُو عَبْسٍ      الْمَغْشَرُ الْجِدَّةُ فِي الْقَوْمِ الْحُسْرِ

لأن بنى عبس كانوا يوم جَبَلَةَ حُلَفَاءَ فى بنى عامر بن صعصعة .

ويومُ جَبَلَةَ : يومٌ كان بين بنى حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيد مَنَاقَةَ بن تَمِيمٍ ،  
وبين بنى عامر بن صعصعة ، فكان الظَّفَرُ فيه لِبَنَى عامر بن صعصعة على بنى  
حَنْظَلَةَ ، وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ لَقَيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ بن عُدُسَ ، وَأُسِرَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ بن  
عُدُسَ ، وَاَنْهَزَمَ عَمْرُو بْنُ عَمْرُو بن عُدُسَ بن زيد بن عبد الله بن دَارِمِ بن  
مالك بن حَنْظَلَةَ . ففیه يقول جرير للفرزدق :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقَيْطًا وَحَاجِبًا      وَعَمْرَ بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَا يَا لِدَارِمِ

وهذا البيت فى قصيدة له :

ثُمَّ اتَّقُوا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ فَكَانَ الظَّفَرُ لِحَنْظَلَةَ عَلَى بَنَى عامر ، وَقُتِلَ  
يَوْمَئِذٍ حَسَّانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْكِنْدِيِّ ، وَهُوَ أَبُو كَبْشَةَ . وَأُسِرَ يَزِيدُ بْنُ الصَّمْعِقِ

• • • • •

السكلابي، وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عامر بن الطفيل .  
ففيه يقول الفرزدق :

ومنهنّ إذ نجى طفيل بن مالك      على قُرْزُلٍ رَجَلارَ كَوْضِ الهَزَامِ  
ونحنُ ضَرْبْنَا هَامَةً ابنُ خُوَيْلِدٍ      يزيدُ على أُمِّ الفِرَاحِ الجَوَامِ  
وهذان البيتان في قصيدة له :

فقال جرير :

ونحنُ خَضْبُنَا لابنِ كَنْبَشَةَ نَاجَهُ      ولاقى امرأً في صَمَةِ الخَيْلِ مِصْقَعَا  
وهذا البيت في قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلَةَ ، ويوم ذى نَجَبٍ أطول مما ذكرنا . وإنما منعى من  
استقصائه ما ذكرتُ في حديث يوم الفِجَارِ .

قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا :  
لا يذنبى للحمس أن يأتقوا الأقط ، ولا يسأئوا السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا  
بيتاً من شعير ، ولا يستظلوا - إن استظلوا - إلا في بيوت الأدم ما كانوا  
حُرُمًا ، ثم رفعوا في ذلك ، فقالوا : لا يذنبى لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام  
جاءوا به معهم من الحِلِّ إلى الحرم إذا جاءوا حُجَّاجاً أو عُمَّاراً ، ولا يطوفوا  
بالبيت إذا قَدِموا أوَّلَ طَوَافِهِمْ إلا في ثياب الخمس . فإن لم يجدوا منها شيئاً  
طافوا بالبيت عُرَاءً ، فإن تكرّم منهم مُتَكَرِّمٌ من رجل أو امرأة ، ولم يجد

. . . . .

ثياب الخمس . فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلِّ ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يمسسها هو ، ولا أحدٌ غيره أبداً .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عِراءَ ، أمّا الرجال فيطوفون عِراءَ . وأمّا النساء فتضع إحداهنّ ثيابها كلها إلا درعا مُفَرَّجا عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهي كذلك تطوف بالبيت :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ ، أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّ

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلِّ ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه ، فلا يقربهُ - وهو يُحِبُّهُ - :

كَفَى حَزَنًا كَرَّيْ عَلَيْهَا كَأَنَّهَا لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٌ يَقُولُ : لَا تُمْسُ .

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأنزل عليه حين أحكم له دينه . وشرع له سنن حجّه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة : ١٩٩ . يعنى قريشا ، والناس : العرب ، فرفعهم في سنّة الحجّ إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها ،

• • • • •



وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا كَانُوا حَرَّمَوا عَلَى النَّاسِ مِنْ طَعَامِهِمْ وَلِبُوسِهِمْ عِنْدَ الْبَيْتِ . حِينَ طَافُوا عُرَاءَةً ، وَحَرَّمُوا مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْحَلِّ مِنَ الطَّعَامِ : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا . إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ : مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . قُلْ : هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » . الْأَعْرَافُ : ٣١ : ٣٣ . فَوَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ الْحُمْسِ ، وَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ ابْتَدَعَتْ مِنْهُ ، عَنِ النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ ، حِينَ بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : حدثني عبدُ الله بنُ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبي سُلَيْمَانَ بن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ ، عن عَمِّهِ نَافِعِ بن جُبَيْرٍ عن أبيهِ جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ . قال : لقد رأيت رسولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، وَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ بِعَرَفَاتٍ مَعَ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ حَتَّى يَدْفَعَ مَعَهُمْ مِنْهَا تَوْفِيقًا مِنَ اللَّهِ لَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

## الحُمس

فصل : وَذَكَرَ الْحُمْسَ ، وَمَا ابْتَدَعَتْهُ قُرَيْشٌ فِي ذَلِكَ ، وَالْتَحَشَّ : التَّشَدُّدُ ، وَكَانُوا قَدْ ذَهَبُوا فِي ذَلِكَ مَذْهَبَ التَّزَهُدِ وَالتَّأَلُّهِ (١) ، فَكَانَتْ نِسَاؤُهُمْ

(١) فِي الْبَدَايَةِ أَنَّهُمْ لَقِبُوا بِهَذَا مِنَ الشَّدَةِ فِي الدِّينِ وَالصَّلَابَةِ ، لِأَنَّهُمْ عَظَمُوا الْحَرَمَ تَعْظِيمًا زَائِدًا بِحَيْثُ التَّزَمُوا بِسَبِيهِ أَلَّا يَخْرُجُوا مِنْ لَيْلَةٍ عَرَقَةً . . فَكَانُوا لَا يَقْفُونَ بِعَرَفَاتٍ مَعَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ مُشَاعِرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى لَا يَخْرُجُوا عَنْ نِظَامِ مَا كَانُوا قَرَرُوهُ مِنَ الْبِدْعَةِ الْفَاسِدَةِ

لَا يَنْسُجَنَّ الشَّعَرَ وَلَا الْوَبَرَ، وَكَانُوا لَا يَسْلُكُونَ السَّمْنَ، وَسَلَا السَّمْنَ أَنْ  
يُطْبَخَ الزُّبْدُ، حَتَّى يَصِيرَ سَمْنًا، قَالَ أَرْهَةُ :

إِنْ لَنَا صِرْمَةٌ مُحْيِيسَةٌ نَشْرَبُ أَلْبَانَهَا وَنَسْلُوها<sup>(١)</sup>

ذكر قول ابن معد يكره : أعباسُ لو كانت شياراً جيداً . البيت :  
شياراً من الشارة الحسنة يعنى : سماناً حسناً وبعد البيت :

وَلَكِنَّا قِيدَتْ بِصَعْدَةِ مَرَّةٍ فَأَصْبَحْنَا مَائِشِينَ إِلَّا تَسْكَارُسا<sup>(٢)</sup>

وَأُنْشَدَ أَيْضاً : أَجْذِمُ إِلَيْكَ إِنَّمَا بَنُو عَبَسَ<sup>(٣)</sup> . أَجْذِمَ : زَجَرُ  
معروفٍ للخيل وكذلك : أَرْحَبُ، وَهَبٌ وَهَقَطٌ وَهَقَبٌ<sup>(٤)</sup> .

(١) صرمة بكسر الصاد: الإبل. مخيسة: لم تسرح، وإنما حبست للنحر أو القسم  
(٢) تسكارش الشيء: تراكم وتلازب، وناصيت في البيت الذي قبله في السيرة  
بالياء والباء معا — كما يقول الخشني — معناها وهي بالياء: عارضت، وأردت  
المساواة في المنزل، وقد يكون ناصبت: بمعنى إظهار العداوة، وتثليث  
موضع بالحجاز قرب مكة

(٣) في السيرة: د المعشر الجلة، الجلة: العظام، ومن رواه الجلة، فعناه الذين  
يسكنون الحل، وفي رواية أبي ذر المعشم — وزن مقعد — بدلا من معشر \*  
(٤) هقط: تكرار من الطبع، وفي اللسان: أرحب أيضاً، ولم أجد في مادة  
هَب إلا وهَب إذا زجر، وفي مادة رَحِب روى بيت السكيت بن معروف  
نعلها هي وهلا وأرحب وفي أبياتنا ولنا افلتينا

### يوم جبلة :

وذكر يوم جبلة . وجبلة<sup>(١)</sup> هضبة عالية ، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم في ذلك اليوم رئيس تجران ، وهو ابن الجون الكندي وأخ للنعمان بن المنذر ، أحسب اسمه : حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان لأمه ، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان بن قباد ، وكان مولد أبيه عبد الله لأربع وعشرين ماضت من ملك أنوشروان المذكور ، فيبينه - عليه السلام - وبين أبيه عبد الله نحو من ثمان عشرة سنة .

### عرس والحلة والطلس :

وذكر زُرارة بن عدس بن زيد ، وهو : عدس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عدس في العرب سواء فإنه مفتوح الدال . وذكر الحلة وهم ما عدا الحس ، وأنهم كانوا يطوفون عرارة إن لم يجدوا ثياب أحس ، وكانوا يقصدون في ذلك طرح الثياب التي اقتروا فيها الذنوب عنهم ، ولم يذكر الطلس من العرب ، وهم صنف ثالث غير الحلة ، والحس كانوا يأتون من أقصى اليمن طلساً من الغبار ، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس ، فسموا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .

(١) في ٢٥ من نهاية الأرب كلام طويل عن أيام العرب . وفيه عن يوم جبلة أنه كان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وفي الأغاني بتسع وخمسين سنة ، وفي النقائض بسبع وخمسين . وأم الفراع : الرماح . الجواثم : الساكنة اللاطئة مع الأرض ، وسيأتي تفسير السهيل لها ، وهو مخالف للخشي

اللقى :

فصل : وذكر اللقى وهو الثوب الذى كان يُطْرَح بعد الطواف فلا يأخذه أحدٌ ، وأنشد :

كفى حَزَنَا كَرَّيْ عليه كَأَنَّهُ لَقَى بَيْنَ أَبْدَى الطَائِفِينَ حَرِيمٌ  
حريم : أى مُحَرَّم ، لا يؤخذ ، ولا ينتفع به ، وكل شئ مُطْرَح ، فهو لَقَى .  
قال الشاعر يصف فرخ قَطَاً :

تَرَوَى لَقَى الْبَقَى فِي مَنَاصِفِ (١) تَضَاهَى الشَّمْسُ ، فَمَا يَنْصَحِرُ

تَرَوَى بفتح التاء أى : تَشْتَقِى له ، ومن اللقى : حديث فاختة أم حكيم ابن حزام ، وكانت دَخَلَتِ الكعبة وهى حامل مُتِمَّ بِحَكِيم بن حزام ، فأجاءها المَخَاضُ ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعت فيها ، فُلِفَّتْ فى الأنطاع هى وجنيتها ، وَطَرِحَ مَثْبَرُهَا (٢) وثيابها التى كانت عليها ، فجعلت لَقَى لاتقرب .

رمز المرأة الطائفة :

فصل : وذكر قول المرأة: اليوم يبدو بعضه ، أو كله (٣) البيتين ويذكر

(١) البيت لابن أحر ، والصفصف : المستوى من الأرض

(٢) الموضع تلد فيه المرأة

(٣) فى مسلم والنسائى وابن جرير عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء . الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وكانت المرأة تمول ، ثم ذكر البيت : اليوم يبدو بعضه أخ

أن هذه المرأة ، هي ضُبَاعَةُ بنت عامر بن صَعَصَعَةَ ، ثم من بنى سَلَمَةَ بن قُشَيْرٍ ،  
وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم خطبها ، فذُكرت  
له عنها كِبَرَةٌ ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كَمَدًا وحُزْنًا على ذلك قال المؤلف :  
إن كان صح هذا ، فما أخرها عن أن تكون أمًّا للمؤمنين ، وزوجا لرسول  
رب العالمين إلا قولها : اليوم يبدو بعضه أوكاه . تَكْرِمَةً من الله لنبيه وعلمه  
منه بغيرته ، والله أَغْيَرُ منه .

### أسطورة :

ومما ذُكر من تَعَرِّيهِمْ في الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك ،  
فانضم الرجل إلى المرأة تَلَدُّدًا واستمعا ، فلصق عَضُدُهُ بِعَضُدِهَا ، ففزعوا عند  
ذلك ، وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحدهما على فكِّ عَضُدِهِ  
من عَضُدِهَا ، حتى قال لهما قائل : توبا مما كان في ضميركما ، وأخلصا الله التوبة ،  
ففعلا ، فأنحل أحدهما من الآخر (١)

قرزل وطفيل :

وأشد لفردق :

ومنهم إذ نجي طَفِيلُ بن مالك على قُرْزُلٍ رَجَلَارُكُمْ ضَ المزامير (٢)

قُرْزُلُ : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : فارس قُرْزُلُ ، وقرزل : التقيد  
سمى الفرس به ، كأنه يقيد ما يسابقه (٣) ، كما قال امرؤ القيس :

(١) هي أسطورة تروى .

(٢) في التقائض : أرخى : ورجل .

(٣) وله عدة معانٍ آخر .

## بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

وُطْفَيْلٌ هَذَا هُوَ : وَالِدُ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ، عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ رَسُولِهِ ،  
وَأَخُو طَفِيلِ هَذَا : عَامِرٌ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ ، وَسَنَدُ كَرِّ لَمْ تُثْنِ مَلَاعِبُ ، وَنَذَرَ  
لِأَخَوْتِهِ وَأَلْقَاهُمْ فِي السَّكَنَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الرَّهْمَةُ :

وَقَوْلُهُ : عَلَى أُمِّ الْفِرَاحِ الْجَوَائِمِ . يَعْنِي : الْهَامَةُ ، وَهِيَ الْبُومُ ، وَكَانُوا  
يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قُتِلَ خَرَجَتْ مِنْ رَأْسِهِ هَامَةٌ تَصِيحُ : اسْقُونِي  
اسْقُونِي ، حَتَّى يُؤْخَذَ بِثَأْرِهِ . قَالَ ذُو الْإِصْبَعِ الْمَدَوَانِي :  
أَضْرِبْكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي (١)

شَرْحُ بَيْتِ جَبْرِ :

فَصَل : وَأَنْشُدِ الْجَرِيرَ :

وَنَحْنُ خَضَبْنَا لَابْنَ كَنْبَشَةَ تَاجَهُ      وَلَا فِى أَمْرٍ أَوْ فِي صَنَمَةِ الْخَلِيلِ مِصْقَعًا

وَجَدْتُ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ هَذَا الْبَيْتَ . الْمَعْرُوفُ فِي الْلُغَةِ أَنْ - الْمِصْقَعُ :  
الْخَطِيبُ الْبَالِغُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ ، لَكِنْ يُقَالُ فِي الْلُغَةِ : صَمَقَهُ : إِذَا ضَرَبَهُ عَلَى  
شَيْءٍ مُصَمَّتٍ يَابَسَ ، قَالَهُ الْأَصْمَعِيُّ ، فَيُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ مِصْقَعٌ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ

(١) الْبَيْتُ مِنْ عَمِيونَ قَصَائِدِهِ ، وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى مِنْهُ :  
يَا عَمْرُو لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي

هذا المعنى ، فيقال منه : رجل مصقع كما يقال : مخرب وفي الحديث : إن سعدا لمخرب<sup>(١)</sup> ، يعنى [ ابن ] أبى وقاص .

### ما نزل من القرآن في أمر الخمس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الخمس ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ الآية . «الأعراف : ٣٠» فقوله : «كُلُوا وَاشْرَبُوا» إشارة إلى ما كانت الخمس حرمته من طعام الحج إلا طعام أحمس ، وخذوا زينتكم : بمعنى اللباس ، وَلَا تَتَعَرَّوْا ، ولذلك افتتح بقوله : يَا بَنِي آدَمَ ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه ، إذ ينصفان عليهما من ورق الجنة . أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة . كما قال : ملة أبيكم إبراهيم ، أى : إن كانت عبادة الأصنام دين آبائكم ، فإبراهيم أبوكم ، ولم يكن من المشركين ، ومما نزل في ذلك : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَنًّا وَتَصَدِيَّةً ﴾ الأنفال : ٣٥ . ففى التفسير أنهم كانوا يطوفون عراة ، ويصفقون بأيديهم ويصفرون ، فالسكاء : الصغير ، والتصدية : التصفيق<sup>(٢)</sup> قال الراجز : وأنا من غرو الهوى أصدى . ومما نزل من أمر الخمس : ﴿ وَإِيسَ الْبِرُّ بَأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ البقرة : ١٨٩ .

(١) تشابه ألفاظه هنا بالخشنى في شرح السيرة . يقال : رجل حرب بفتح فسكون ، وحرب - بوزن منبر - ومحراب : شديد الحرب شجاع

(٢) رواه ابن أبي حاتم ، وقال مجاهد : وإنما كانوا يصنعون ذلك ، ليخطو بذلك على النبي ، ص ، صلاته . وقال الزهرى : يستهزئون بالمؤمنين

لأنَّ الحُمْسَ لَا يَدْخُلُونَ تَحْتَ سَقْفٍ ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ عَتَبَةٌ بَابٌ وَلَا غَيْرُهَا ، فَإِنْ احتَاجَ أَحَدُهُمْ إِلَى حَاجَةٍ فِي دَارِهِ تَسْمُ الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ مِنَ الْبَابِ ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة : ١٨٩ (١) .

### وقوف النبي بعرفة قبل الهجرة والنبوة :

وذكر وقوف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة مع الناس قبل الهجرة ، وقبل النبوة توفيقاً من الله ، حتى لَا يَفُوتَهُ ثَوَابُ الْحُجِّ ، والوقوف بعرفة قال جَمِيرُ بْنُ مُطْعِمٍ حِينَ رَأَاهُ واقفاً بعرفة مع الناس : هَذَا رَجُلٌ أَحْمَسُ ، فَمَا بِهِ لَا يَقِفُ مَعَ الْحُمْسِ حَيْثُ يَقْفُونَ (٢) ؟ !

(١) فِي هَذَا وَرَدَ عَنِ الْبَرَاءِ فِي الْبُخَارِيِّ : « كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَتَوْا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَأَنزَلَ اللَّهُ : « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا » ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَانَ أَقْوَامٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَرَادُوا حُدُومَ سَفَرٍ ، وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَرِيدُ سَفَرَهُ الَّذِي خَرَجَ لَهُ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ أَنْ يَقِيمَ ، وَيَدْعُ سَفَرَهُ لَمْ يَدْخُلِ الْبَيْتَ مِنْ بَابِهِ ، وَلَكِنْ يَتَسَوَّرُهُ مِنْ قَبْلِ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا . الْآيَةُ . أَقُولُ : وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى مَفْهُومِ الْآيَةِ وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ : كَانَ أَهْلُ يَثْرِبَ إِذَا رَجَعُوا مِنْ عِيدِهِمْ دَخَلُوا مَنَازِلَهُمْ مِنْ ظُهُورِهَا ، وَيُرُونَ أَنَّ ذَلِكَ أَذْنَى إِلَى الْبَرِّ . وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ مَدْنِيَّةٌ . (٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ . قَالَتْ : كَانَتْ قَرِيشٌ وَمِنْ دَانَ دِينُهَا يَقْفُونَ بِالْمَزْدَلِفَةِ ، وَكَانُوا يَسْمُونَ : الْحُمْسَ ، وَسَاءَ الْعَرَبُ يَقْفُونَ بِعُرَفَاتٍ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنْ يَأْتِيَ عُرَفَاتَ ، ثُمَّ يَقِفُ بِهَا ، ثُمَّ يَفِضُ مِنْهَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَبِجَاهِدٍ وَعَطَاءٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَحَكَى عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ =



## إخبار الكهان من العرب ، والأخبار من يهود والرهبان من النصارى

قال ابن إسحاق : وكانت الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،  
والكهَّان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل  
مبعثه ، لما تقارب من زمانه . أمَّا الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،  
فعمَّا وجدوا في كتبهم من صِفته وصِفَة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم  
فيه ، وأمَّا الكهَّان من العرب : فأتتهم به الشَّياطين من الجنِّ فيما سَتَرِق من  
السمع إذ كانت وهى لا تُحجَّب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن  
والكاهنة لا يزال يَقع منهما ذِكرُ بعضِ أمورِهِ ، لا تُلقَى العربُ لذلك فيه  
بالاً ، حتَّى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون .  
فعرَّفوها .

فلما تقارب أمرُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحَصَرَ مَبْعَثُهُ .  
حُجِبَت الشَّياطينُ عن السَّمْع ؛ وحِيلَ بينها وبين المَعَاد التي كانت تُنمِد  
لاستراق السمع فيها ، فَرَمُوا بالنُّجوم ، فعرَّفت الجنُّ أن ذلك لأمرٍ حَدَث من

---

== وأخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال : أضللت بعيراً إلى بعرفة . فذهبت  
أطلبه فإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - واقف ، قلت : إن هذا من الخمس  
ما شأنه هنا ، وأخرجه البخاري ومسلم ، ثم رواه البخاري من حديث موسى  
ابن شعبة عن كريب عن ابن عباس بما يفيد أن المراد من الإفاضة هي الإفاضة  
من المزدلفة لرمي الجمار .

أمر الله في العباد ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حُجِبُوا عن السَّمْع ، فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : ﴿ قُلْ : أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ . فَقَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا مَّجْبَىٰ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا . . . إِلَى قَوْلِهِ : « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ، فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ سِihَابًا رَّصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ الجن : ١ - ٦ - ٩ ، ١٠

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السَّمْع قبل ذلك ، لئلا يشكّل الوحيُ بشيء خبر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لو قوع الحجة ، وقطع الشبهة . فآمنوا وصدقوا ، ثم : ﴿ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا : يَاقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ، وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . . . الآية . الأحقاف : ٣٠

وكان قول الجن : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا » . أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم

. . . . .

إذا سافر فنزل بطن وادٍ من الأرض ليبيت فيه ، قال : إني أعوذ بعزب هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه .

قال ابن هشام : الرهق : الضيق والسفة . قال رؤبة بن العجاج .

إِذ تَسْتَبِي الْحَيَّامَةَ الْمُرَهَّقَا

[ يَتَمَقَّلَتِي رِيْمٌ وَحِيدٌ أَرْشَقَا ]

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرهق أيضا : طلبك الشئ ، حتى تدنو منه ، فتأخذه . أو لا تأخذه . قال رؤبة بن العجاج يصف سمير وحش :

بَصْبَصْنِ وَأَفْشَعَرْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقِ

[ يَمَصَّعْنَ بِالْأَذْنَابِ مِنْ لَوْحٍ وَبَقِ ]

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرهق أيضا : مصدر لقول الرجل : رهقت الإنم أو العسر ، الذى أرهقتنى رهقا شديدا ، أى : حملت الإنم أو العسر الذى حملتنى حملا شديدا ، وفى كتاب الله تعالى : ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ السكف : ٨٠ ، وقوله : ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ السكف : ٧٣ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن أول العرب فزع للرعى بالنجوم - حين رمى بها - هذا الحى من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بنى عِلاج - قال : وكان أدهم العرب وأنكرها رأيا - فقالوا له : يا عمرو : ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم

. . . . .

التي يُهتدى بها في البر والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ،  
لما يُصلح النَّاس في معاشهم ، هي التي يُرمى بها ، فهو والله طَيُّ الدنيا ،  
وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها ، وإن كانت نجومًا غيرها ، وهي ثابتة على  
حاملها ، فهذا لأمرٌ أراد الله به هذا الخلق ، فما هو ؟

وقال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عليّ  
ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفر من الأنصار :  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : « ماذا كنتم تقولون في هذا الذَّجَم الذي  
يُرمى به ؟ قالوا : يا نبي الله كنّا نقول حين رأيناها يُرمى بها : مات مَلِكٌ ، مُلْكٌ  
مَلِكٌ ، وُلد مولودٌ ، مات مَوْلودٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك  
كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خَدْمَةِ أَمْرٍ سمعه سَحَلَةُ  
العرش ، فسَبَّحُوا ، فسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ ، فسَبَّحَ لتسبيحهم مَنْ تَحْتَ ذَلِكَ ،  
فلا يزال التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فيسَبِّحُوا ثُمَّ  
يقول بعضهم لبعض : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون : سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فسَبَّحْنَا  
لتسبيحهم ، فيقولون : أَلَا تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ : مِمَّ سَبَّحُوا ؟ فيقولون مثل  
ذلك ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى سَحَلَةِ الْعَرْشِ ، فيقال لهم : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون :  
قضى الله في خَدْمَةِ كَذَا وَكَذَا ، لِلأَمْرِ الَّذِي كَانَ ، فيهِبُطُ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ سَمَاءِ  
إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فيتحدَّثُوا بِهِ ، فَتَسْتَرِقُهُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ ،  
عَلَى تَوْهَمٍ وَاخْتِلَافٍ ، ثُمَّ يَأْتُوا بِهِ السَّكَّانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فيحدثونهم به ،  
فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به السَّكَّانُ ، فيصيبون بعضاً ويخطئون بعضاً . ثُمَّ

• • • • •

إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقذفون بها ، فانقطعت  
السكّانة اليوم ، فلا كهانة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن  
ابن أبي لبيبة ، عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه بمثل حديث  
ابن شهاب عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن امرأة من بنى سَهْم يقال لها  
الْفَيْطَلَةُ ، كانت كاهنة في الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي ،  
فَأَنقَضَ تحتهَا ، ثم قال : أَذِرْ مَا أَذِرِ . يوم عَقَر وَنَحَرَ ، فقالت مُرَيْش حين  
بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فَأَنقَضَ تحتهَا ، ثم قال :  
شُعُوبٌ ، ماشُعُوبٌ ، تُصرع فيه كَغَبٍّ اجْنُوبٌ : فلما بلغ ذلك قريشا ،  
قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن ، فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه  
حتى كانت وقعة بدرٍ وأحد بالشعب ، فمرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبتِهِ .

قال ابن هشام : الْفَيْطَلَةُ : من بنى مُرَّةَ بن عَبْدِ مَنَاةَ بنِ كَنَانَةَ ،  
إخوة مُدَلِج بن مرة ، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله :

لَقَدْ سَفَهْتَ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خَلَفٍ قَيْضًا بَنَى وَالْغِيَّاطِلِ  
فَقِيلَ لَوْلَاهَا : الْغِيَّاطِلُ ، وهم من بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْنٍ . وهذا  
البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني علي بن نافع الجُرَشِيُّ : أَنَّ جَدَّيَا بَطْنًا

• • • • •

من اليمن ، كان لهم كاهنٌ في الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله صلى الله وسلم ، وانتشر في العرب ، قالت له جَنب : انظرُ لنا في أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له في أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً مُتَّكِئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جملَ يَزُوءُ ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وظهر قلبه وحشاه ، ومُكِّنْهُ فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتدَّ في جبله راجعاً من حيث جاء .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفَّان ، أنه حدث : أن عمر بن الخطاب ، بينما هو جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من العرب داخلاً المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لَعَلَّى شَرَكه ما فارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية . فسلمَ عليه الرجلُ ، ثم جلس ، فقال له عمر - رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهناً في الجاهلية ؟ فقال الرجل : سُبْحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتُ في ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رَعِيَّتِكَ منذ وَلَّيتَ ما وَايْتَ ، فقال عمر : اللهم غَفْراً ، قد كنَّا في الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام ، ونَعْتَنِقُ الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية ، قال : فأخبرني ما جاءك به صاحبُك ، قال : جاءني قبل الإسلام بشمراً أو شَيْعِهِ ، فقال : ألم تَرَ إلى الجنِّ وإِبلاسهما ، وإِباسها من دينها ، ولُحوقها بالقيلاص وأَحلاسها .

. . . . .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمرُ بن الخطاب عند ذاك يُحدّث الناس : والله إني لعندَ وثْنٍ من أوثان الجاهلية في نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب مجلاً ، فنحن ننتظر قسمة ليقيم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قطُّ أنفَذَ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعة ، يقول : يا ذريح ، أمرٌ نجيح ، رجل يصيح ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، باسان فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر .

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلِيسَ وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَخْلَاسِهَا

تَهْوِي إني مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من السكّهان من العرب .

## فصل في الكهانة

رُوى في ما ثور الأخبار أن إبليسَ كان يَحْتَرِقُ السَّمَوَاتِ قَبْلَ عِيسَى ، فلما بُعثَ عِيسَى ، أو وُلِدَ حُجِبَ عن ثلاث سَمَاوَاتٍ ، فلما وُلِدَ مُحَمَّدٌ حُجِبَ عنها كُلُّهَا ، وقُدِّفَتِ الشَّيَاطِينُ بِالنَّجُومِ وَقَالَتِ قَرِيشٌ حِينَ كَثُرَ الْقَذْفُ بِالنَّجُومِ : قَامَتِ السَّاعَةُ ، فقال عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ : انظُرُوا إِلَى الْعَيُوقِ <sup>(١)</sup> فَإِنْ كَانَ رُحَى بِهِ ، فَقَدْ آنَ قِيَامُ السَّاعَةِ ، وَإِلَّا فَلَا ، وَمَنْ ذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ الزَّيْبَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ .

(١) نجم أحمر مضيء في طرف الحجره الايمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

### رمي الشياطين :

وذكر ابن إسحاق في هذا الباب ما رُميت به الشياطين ، حين ظهر القذف بالنجوم ، ثلثا بلقيس بالوحي ، وليكون ذلك أظهر للحجة ، وأقطع للشبهة ، والذي قاله صحيح : ولكن القذف بالنجوم قد كان قديما ، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عوف بن الحزاع ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وكلهم جاهلي ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم ، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مُشكِل ابن قتيبة في تفسير سورة الجن (١) ، وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم : أكان في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلظَ وشُدَّ ، وفي قول الله سبحانه : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فوجدناها مُمِلَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴾ الجن : ٨ الآية ولم يقل : حُرست دلائل على أنه قد كان منه شيء ، فلما بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - مُلِمَّتْ حرسا شديداً وشُهَبًا ، وذلك لِمِنْحَسِمِ أمر الشياطين ، وتخليطهم ، ولتسكون الآية أبين ، والحجة أقطع ، وإن وجد اليوم كاهن ، فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع ، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة ، ثم بقيت منه ، أعنى من استراق السمع بقايا يسيرة

(١) انظر ص ١٨٤ ط ٢ كتاب القرطبي الذي هذب فيه ابن مطرف الكنتاني كتابي مشكل القرآن أو غريبه لابن قتيبة ، وفي هذا يقول ابن قتيبة : وفي أيدي الناس كتب الأعاجم ، وسيرهم تنبيه عن انقراض النجوم في كل عصر ، وكل زمان ، وفيه بشر بن خازم وهو خطأ صوابه ما أثبتته ، انظر ترجمة ابن أبي خازم في الشعر والشعراء لابن قتيبة ،



بدليل وجودهم على الثُّدُور في بعض الأزمنة ، وفي بعض البلاد . وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكُهَّان فقال : ليسوا بشيء ، فقليل : إنهم يتكلمون بالكلمة ، فتكون كما قالوا ، فقال : تلك الكلمة من الجن يحفظها الجنى ، فيُقرِّها في أذن وليه قرَّ الزُّجاجة ، فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة ، و يروى : قرَّ الدَّجاجة بالدال ، وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت في الدلائل . والزجاجة بالزاي أولى ؛ لما ثبت في الصحيح ، فيُقرِّها في أذن وليه ، كما تُقرُّ القارورة ، ومعنى يُقرِّها : يصبُّها ويُفرِّغها ، قال الراجز :

لَا تُفَرِّغَنَّ فِي أُذُنِي قَرَّهَا مَا يَسْتَفِرُّ فَأَرِيكَ فَقَرَّهَا

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس ، قال : إذا رمى الشهابُ الجنى لم يُخْطِئْهُ ، ويحرق ما أصاب ولا يقتله ، وعن الحسن قال : في أسرع من طرفة العين ، وفي تفسير ابن سلام أيضا عن أبي قتادة أنه كان مع قوم ، فرمى بنجم ، فقال : لَا تُتْبِعُوهُ أَبْصَارَكُمْ ، وفيه أيضا عن حمص أنه سأل الحسن : أَيُّتْبَعُ بَصَرَهُ السُّكُوبُ ، فقال : قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ الملك : ٥٠ . وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأعراف : ١٨٥ ، قال : كيف نعلم إذا لم ننظر إليه ، لَا تُتْبِعَنَّه بَصَرِي .

الجن الذين ذكرهم القرآن :

وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن والذين : ﴿ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ

(١) وفي رواية : قرَّ الزجاجة بالزاي ، أى : بصوتها إذا صب فيها الماء

مُنْذِرِينَ، قَالُوا: يَأْتُونَنَا إِنْ سَبَقْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى الْأَحْقَافَ: ٣٠. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ<sup>(١)</sup>. وَفِي التفسير أَنَّهُمْ كَانُوا يَهُودًا؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا: مَنْ بَعْدَ مُوسَى، وَلَمْ يَقُولُوا مِنْ بَعْدِ عِيسَى ذَكَرَهُ ابْنُ سَلَامٍ<sup>(٢)</sup>. وَكَانُوا سَبْعَةً، قَدْ ذُكِرُوا بِأَسْمَائِهِمْ فِي التفسير والمُسْنَدَات. وَهُمْ: شَاعِرٌ، وَمَاعِرٌ، وَمَنْشَى، وَلَا شَى، وَالْأَحْقَابُ، وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ ذَكَرَهُمُ ابْنُ دُرَيْدٍ، وَوَجَدْتُ فِي خَبَرٍ حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ الْإِسْبِيلِيُّ الْقَيْدِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ النَّسَائِيِّ فِي فَضْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَمْشِي فِي أَرْضِ فَلَاحٍ فَإِذَا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فَسَكَنَهَا بِفَضْلَةٍ مِنْ رِدَائِهِ، وَدَفَنَهَا فَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ: يَا سُرَّقُ اشْهَدْ، لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَقُولُ لَكَ: سَتَمُوتُ بِأَرْضِ فَلَاحٍ، فَيَسْكُنُكَ وَيَدْفَنُكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجَنَّةِ الَّذِينَ تَسْمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنَا وَسُرَّقُ، وَهَذَا سُرَّقُ قَدْ مَاتَ. وَذَكَرَ ابْنُ سَلَامٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ [عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ] السَّبَّيْعِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) ذَكَرَ أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَعْرِفُهَا كَجَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّلَامِ، فَيَقُولُ: هَذِهِ نَصِيبُونَ وَهِيَ مَدِينَةُ عَامِرَةَ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ عَلَى جَادَةِ الْقَوَافِلِ مِنْ مَوْصِلَ إِلَى الشَّامِ وَنَصِيبِينَ أَيْضًا مِنْ قَرْيِ حَلَبٍ، وَنَصِيبِينَ كَذَلِكَ: مَدِينَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ كَبِيرَةٌ تَعْرِفُ بِنَصِيبِينَ الرُّومِ.

(٢) مَا هَذَا الَّذِي يَنْقُلُهُ عَنْ ابْنِ سَلَامٍ؟ إِنَّهُ تَهْوِيَةٌ خِيَالٍ. وَلَعَلَّهُمْ قَالُوا: مَنْ بَعْدَ مُوسَى، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ التَّوْرَةِ كِتَابٌ تَشْرِيعٌ يَنْسَخُ الشَّرَائِعَ قَبْلَهُ سِوَى الْقُرْآنِ، أَمَّا الْإِنْجِيلُ فَيَذْكَرُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ

يُشَوْنُ فَرُفَعُ نَحْمِ إِعْصَارًا ، ثُمَّ جَاءَ إِعْصَارًا أَعْظَمُ مِنْهُ ، ثُمَّ انْقَشَعَ ، فَإِذَا حَيَّةٌ قَتِيلٌ ، فَقَعَدَ رَجُلٌ مِنَّا إِلَى رِجْلَيْهِ فَشَقَّهُ ، وَكَفَّنَ الْحَيَّةَ بِبَعْضِهِ وَدَفَنَهَا ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ إِذَا امْرَأَتَانِ تَتَسَاءَلَانِ : أَيَكُمُ دَفِنَ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ؟ فَقَالَا : مَا نَدْرِي مَنْ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ؟ فَقَالَا : إِنْ كُنْتُمْ ابْتِغَيْتُمُ الْأَجْرَ فَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ . إِنْ فَسَقَتَا الْجِنَّ اقْتَتَلَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ ، فَقَتَلَ عَمْرُو ، وَهُوَ الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتُمْ ، وَهُوَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ !!

ابن عسكروا والجن :

فصل : وأما ما ذكره في معنى قوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ﴾ الآية : الجن : ٦ . فقد رُوي في معنى ذلك عن حجاج ابن علاط السَّكَمِيِّ ، وهو والد نصر بن حجاج الذي قيل فيه :

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى نَصْرِ ابْنِ حَجَّاجٍ (١)

(١) يقول البغدادي في الخزانة : وحكى السهيلي في الروض الأتف هذه الحكاية على خلاف ما تقدم . قال : الحجاج بن علاط : وهو والد نصر الذي حلقت عمر رأسه ، فقتله من المدينة ، فأتى الشام ، فنزل على أبي الأعور السلي فوهبته امرأته ، وهوبها ، وفطن أبو الأعور لذلك ، بسبب يطول ذكره ، فابتنى له قبة في أقصى الحى ، فكان بها ، فاشتد ضناه بالمرأة حتى ماتت كلنا بها ، وسمى المضنى ، وضربت به الأمثال ، وذكر الأصهباني في كتاب الأمثال له خبره بطوله ، انتهى . أقول : والقصة مشهورة في كتب الأدب والأمثال . قالوا : أول من عس بالليل في الإسلام : عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فبينما يعس ليلة سمع امرأة تقول :

(م ٢٠ - الروض الأتف ج ٢)

== ياليت شعري عن نفسى أراهقة منى ، ولم أقض ما فيها من الحجاج  
 ألا سبيل إلى خمر فأشربها أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج  
 إلى فتى ماجد الأخلاق ذى كرم سهل الحيا كريم غير فجفاج  
 تنميه أعراق صدق حين تنسبه ذى نجدات عن المكروب فراج  
 سامى النواظر من بهزله كرم تضى سفته فى الحالك الداجى  
 نعم الفتى فى سواد الليل نصرتة لياثس أو للمهوف ومحتاج  
 يامنية لم أرب فيها بضائرة والناس من صادق فيها ومن داجى

قالوا : فدعا عمر بالمرأة وهى الذلعة. لقب فريضة بنت همام أم الحجاج - وضربها  
 بالدرية ضربات، ثم سأل عنها، فلم يخبر عنها إلا بخير، وأتى بنصر، وأمر بشعره خلق.  
 ثم أرسل به إلى البصرة إلى مجاشع بن مسعود السلى، فكان ما كان منه بما ذكره  
 السهيلي مختصراً — كما جاء فى خزائن البغدادى : وقيل إن المرأة أرسلت إلى عمر  
 بهذه الأبيات :

قل للإمام الذى تخشى بواده مالى وللخمر أو نصر بن حجاج  
 إني فتنت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف فاتر ساجى

أخ قالوا : فبكاه عمر ، وقال : الحمد لله الذى حبس الهوى التقوى . وبعدت عمر  
 إلى المرأة : لم يلقنا عنك إلا خير، وقد ضرب المثل بالمرأة هذه، فقالوا : « أصاب من  
 المتمنية ، ونصر ، فتالوا : « أدنف من المتمنى ، وقالوا : إن هذه المتمنية هى  
 الفريضة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفى. والبيت الأول يروى : « ألا سبيل إلى  
 خمر فأشربها ، وهى — كما يقص البغدادى — رواية الجاحظ وحمزة الأصهانى  
 والسهيلي لكنك ترى الرواية فى الروض « أم لا سبيل أخ » وروى المذائنى وغيره :  
 هل من سبيل ، ويروى الزجاج المصراع المذكور فى الروض :

أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

ودواه أبو على الفارسى فى إيضاح الشعر عن أبى عبيدة :

أولا سبيل إلى نصر بن حجاج

أنه قدِم مكة في ركب ، فأَجَنَّهُم لَّيْلُ بَوادٍ مَحُوفٍ مُوحِشٍ ، فقال له  
الركب : قم خذ لنفسك أماناً ، ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :  
أَعِيذُ نَفْسِي وَأَعِيذُ صَاحِبِي  
مَنْ كُلِّ جَيْءٍ بِهَذَا النَّقْبِ  
حَتَّى يُؤَبَّ سَالِمًا وَرَكْبِي

فسمع قارئاً : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْمِعْتُمْ أَنْ تَتْلُوا مِنْ  
أَفْصَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [ فَاتَّقُوا ، لَا تَتْلُوا إِلَّا بِإِذْنِ ] ﴾ الآية .  
الرحمن : ٣٣ . فما قدم مسكة خبَرَ كندَر قريش بما سمع ، فقالوا : أصبت (١)  
يا أبا كلاب . إن هذا يزعم محمد أنه أنزل عليه ، فقال : والله لقد سمعته  
وسمعه هؤلاء معي ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وابتنى بها  
مسجداً فهو يُعرف به (٢) .

== على أن أو بمعنى : أوأول وروايته دألا ، يستشهد بها النحويون على أن  
دألا ، تستعمل للمعنى . ويقول البغدادي : وقال قوم : هذا الشعر مصنوع  
إلا البيت الأول دألا سبيل أخ ، وقد جمع البغدادي كل أطراف القصة ، وقال  
عن الشعر : دألا يحق ما فيه من الاختلاف من جمع الجهات حتى في البيت الشاهد ،  
انظر ص ٥٩ وما بعدها ، ط السلفية خزانة الأدب للبغدادي والأمثال  
الميداني في حرف الصاد ما جاء منه على وزن أفعل . و ص ٥١٣ > ٢ ألفه  
بأه ليوسف بن محمد البلوي .

(١) روى البلوي نفس القصة ، وفيها دألا صبات ، بدلا من أصبت وهو الأليق  
(٢) ما ذكره هنا سندله . وسند كرم ما ورد من أحاديث حول استماع الجن . روى  
البهيقي في الدلائل عن ابن عباس : ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ==

الجن ولا رآهم . انطلق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها ، وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاريها يبتغون ما هذا الذى حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بنحلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم : ه قالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهdy إلى الرشd ، فأما به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنزل الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم — ( قل : أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ) وإنما أوحى إليه قول الجن ، ورواه البخارى عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيخان بن فروخ عن أبي عوانة به ، ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من حديث أبي عوانة ، وروى أحمد عن ابن عباس أنه قال : كان الجن يستمعون الرحى ، فيسمعون الكلمة ، فيريدون فيها عشرا ، فيكون ما سمعوا حقاً ، وما زادوا باطلا ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك ، فلما بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان أحدهم لا يأتى بمقعدة إلا رمى بشهاب يحرق ما أصابت

فشكروا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث . فبث جنوده فإذا بالنبي — صلى الله عليه وسلم — يحلى بين جبلى نخلة فأثروه ، فأخبروه . فقال : هذا الحدث الذى حدث فى الأرض . ورواه الترمذى والنسائى فى كتابى التفسير وقال الترمذى : حسن صحيح . وروى البخارى ، قال : حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة ، يقول : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : إن نبي الله — صلى الله عليه وعلى آله وسلم — قال : إذا قضى الله تعالى الأمر فى السماء —

== ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ما ذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق ، وهو العلي الكبير ، فيسميها مسترق السمع ، ومسترقوا السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه خرفاه ، وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة ، فيلقها إلى من تحته ، ثم يلقها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها - وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قاله لنا يوم كذا وكذا : كذا ، وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء ، انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه . وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والله أعلم . وروى أحمد عن ابن عباس قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالسا في نفر من أصحابه ، فرمى بنجم ، فاستنار ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نقول : يولد عظيم ، أو يموت عظيم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياة ، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخير أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخير أهل السماء الذين يلون حملة العرش . فيقول الذين يلون حملة العرش حملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، وتخطفه الجن السمع ، فيرمون ، فاجاءوا به على وجهه ، فهو حق ، ولكنهم يفرقون فيه ويؤيدون ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعلق بن عبيد الله ، أربعتهم ، عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رجل من الأنصار به . وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به ، ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي . عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رجل من الأنصار - رضي الله عنه ، وحسب المؤمن في مثل هذا وغيره أن يتدبر القرآن أولا ، ثم الصحيح المشهود له بالصحة القوية من الحديث ==

## مول انقطاع الكهانة :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس وفيه : كُفّا نقول إذا رأينا : يموت عظيم أو يولد (١) عظيم ، وفي هذا دليل على ما قدّمناه من أن القذف بالنجوم كان قديماً ، ولكنه إذ بُعث الرسول عليه السلام غُظّ وشدّد — كما قال الزهري — وملئت السماء حرساً . وقوله في آخر الحديث : وقد انقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة . يدل قوله : اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدّمناه ، والذي انقطع اليوم ، وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجَهْلَاء ، وعند تمسكها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبرٌ منهم عما يروّنه في الأرض ، ممّا لا نراه نحن كسرقه سارق ، أو خبيثته في مكان خفي (١) ، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تحرّصاً وتظنّياً ، فيصيبون قليلاً ، ويخطئون كثيراً .

وذلك القليل الذي يصابون هو مما يتكلم به الملائكة في العُفّان ، كما

== لأن موضوع الجن من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، ولا يعرف إلا عن الوحي .  
وقول الله تعالى في سورة الأحقاف وسورة الجن يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن الذين استمعوا له .

(١) ذكرته من قبل

(٢) هذا لافك يفتره الدجاجة . وأحب أن أذكر بقصة الجن الذين مات سليمان أمام أعينهم دون أن يعلموا ( فلما خر تبست عينات الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ) فلنتدبر هذه الآية المحكمة تؤمن بأن الجن لا يعرفون غيباً كما بين الله . بل لأنهم لم يعرفوا حتى ما وقع تحت عيونهم !!



في حديث البخاري ، فَيُطَرَّدُونَ بالنجوم ، فيضيئون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة — كما قال عليه السلام — في الحديث الذي قدمناه ، فإن قلت : فقد كان صاف بن صياد ، وكان يَتَكَهَّنُ ، ويدعى النبوة ، وخبأ له النبي — صلى الله عليه وسلم — خبيثاً ، فعلمه ، وهو الدُّخُّ (١) فأين انقطاع السكّهانة في ذلك الزمان ؟ قلنا : عن هذا جوابان ، أحدهما ذكره الخطابي في أعلام الحديث قال : الدُّخُّ نبات يكون من النخيل ، وخبأ له عليه السلام : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ الدُّخان : ١٠ ، فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأ له النبي — صلى الله عليه وسلم .

(١) بضم الدال وفتحها : الدخان ، ويقول ابن الأثير في النهاية : وفسر في الحديث أنه أراد بذلك : ( يوم تأتي السماء بدخان مبين ) وقيل إن الدجال يقتله عيسى عليه السلام بجبل الدخان . انتهى . فيحتمل أن يكون أرادته تعريضاً بقتله ، لأن ابن صياد كان يظن أنه الدجال ، وحديث ابن صياد متفق عليه ، وفيه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لابن صياد : ماذا ترى ؟ قال ابن صياد : يأتيني صادق وكاذب ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خلط عليك الأمر ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لاني خبأت لك خبيثاً وخبأ له . ( يوم تأتي السماء بدخان مبين ) فقال : هو الدُّخُّ ، فقال : اخسأ : فلن تعدو قدرك الحديث . وإذا كان الله سبحانه قد نفي علم الغيب عن الجن وعن الملائكة وعن الرسل ، فكيف يجوز لنا أن ننسب إلى دجال كابن صياد أنه كان يعرف الغيب ؟ ولا أظن أن رسول الله ص ، — على فرض الصحة — قصد من الاختبار هل يعرف ابن صياد الغيب أو لا ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يؤمن قبل هذا بأن الله وحده هو عالم الغيب ، وأنه لا ابن صياد ، ولا غيره يعلمون من الغيب شيئاً . إنما قصد الرسول بالاختبار أن يظهر أمام الحضور وأن يوضح حقيقة ابن صياد . وهي أنه مفتر كذاب ، وأن علم الغيب إنما هو لله وحده .

الثاني : أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض ، ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم ، فإن كان أراد بالدُّخَّ الدخان بقوة جُعِلَتْ لهم في أسماهم ليست لنا ، فأتى الكلمة عن لسان صافي وحدها، إذ لم يمكن سماع سائر الآيات ؛ ولذلك قال له النبي - عليه السلام : اخسأ فلن تعدو قدر الله فيك أي : فلن تعدو منزلتك من المعجز عن علم الغيب ، وإنما الذي يمكن في حقه هذا القدر دون مزيد عليه ، على هذا النحو فسرره الخطابي .

### الغيطلة الطائفة وكرائها :

فصل : وذكر حديث الغيطلة الكاهنة ، قال : وهي من بنى مرة بن عبد مناة بن كنانة أخى مُدَلِّجٍ ، وهي : أم الغياطل الذي ذكر أبو طالب ، وسند ذكر معنى الغيطلة عند شعر أبي طالب إن شاء الله . ونذكر هاهنا ما ألفيته في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر في هذا الموضع . قال : الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِقِ ابن شَنُوقِ بن مرة ، وشَنُوقُ أخو مُدَلِّجٍ ، وهكذا ذكر نسبها الزبير .

وذكر قولها : شعوب وما شعوب ، تُصرَع فيها كَعَبٌ لجَنُوب . كَعَبٌ ههنا هو : كَعَبُ بن لُؤَيٍّ ، والذين صرَعوا الجنوبيهم ببدرٍ وأحدٍ من أشرف قريش ، معظمهم من كعب بن لُؤَيٍّ ، وشُعُوبٌ ههنا أحسبه بضم الشين ، ولم أجده مقيدا ، وكأنه جَمْعُ شِعْبٍ ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يُدَرَ ما قالت ، حتى قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ببدرٍ وأحدٍ بالشَّعْبِ (١) .

(١) ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمنية لا يصرف ص ٦٨ الخشنى .

وذكر قول التابع : أذّر ما أذّر ، وقيد عن أبي عليّ فيه رواية أخرى : وما بذّر ؟ وهي أبين من هذه ، وفي غير رواية البسكاني عن ابن إسحاق أن فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن ، وكان إذا جاءها اقتحم عليها في بيتها ، فلما كان في أول البعث أتاها ، فقمعد على حائط الدار ، ولم يدخل فقالت له : لم لا تدخل ؟ فقال : قد بُعث نبي بتحريم الزنا ، فذلك أول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة (١) .

### تقيف ولهب والرمي بالنجوم :

فصل : وذكر إنكار تقيف للرمي بالنجوم ، وما قاله عمرو بن أمية أحد بني عِلاجٍ إلى آخر الحديث ، وهو كلام صحيح المعنى ، لكن فيه إيهاما لقوله : وإن كانت غير هذه النجوم فهو لأمرٍ حدث ، فما هو وقد فعل ما فعلت . تقيف بنو لُهبٍ عند فرعهم للرمي بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خَطَر ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة . روى أبو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لُهبٍ يقال له : لُهبٌ أو لُهبب (٢) . وقد تكلمنا على نسب لُهبٍ في هذا الكتاب . قال لُهبب : حضرت مع رسول

(١) لا أدري كيف يلتقي السهلي وأمثاله آذانهم إلى مثل هذا الخرف ، وإلى الباطل الذي يؤكد القرآن أنه باطل . ولنتدبر عشرات الآيات في القرآن التي تنفي علم الغيب عن غير الله . وتابعتها : شيطان إنسى بدليل الزنا ١١  
(٢) في الأصل : لُهب أو لُهبب ، وهو خطأ صوبته من الإصابة ، فابن منده يقول : ولُهبب بالتصدير بن مالك اللّهي ، وأبو عمر يقول : لُهب مكبرا وبه جزم الرشاطي . .

الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت عنده الكهانة ، فقلت : بأبي وأمي : نحن أول من عرف حراسة السماء ، وزجر الشياطين ، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له : خطر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً ، قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا ، فقلنا : يا خطرُ هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها ، فإننا قد فرعنا لها ، وخشينا سوء عاقبتها ؟ فقال :

إِنْتُونِي بِسَحَر

أَخْبِرْكُمْ أَخْبِر

أَلْبَحِيرِ أَمْ ضَرَر

أَوْ لَأْمَنٍ أَوْ حَذَر

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد في وجه السحر أتيناها ، فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص في السماء بعينه ، فناديناه : أخطرُ يا خطرُ ؟ فأوماً إلينا : أن أمسكوا ، فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ الكاهن رافعا صوته :

أَصَابَهُ إِصَابُهُ خَامَرَهُ عِقَابُهُ

عَاجِلُهُ عَذَابُهُ أَحْرَقَهُ شَهَابُهُ

زَالَهُ جَوَابُهُ

يَا وَيَا مَا حَالُهُ بَدَبَهُ بَلْبَالُهُ

عَاوَدَهُ خَبَالُهُ تَقَطَّطَتْ رِجَالُهُ

وَعُيِّرَتْ أَحْوَالُهُ

ثم أمسك طويلاً وهو يقول :

يا معشرَ بني قحطانِ أخبركم بالحقِّ والبيان  
أقسمت بالسكعِ والأركانِ والبلدِ المؤمنِ الشَّدانِ  
لقد مُنِعَ السمعَ عتاةُ الجانِ بثاقبِ بكفِّ ذى سلطانِ  
من أجلِ مبعوثِ عظيمِ الشأنِ يُبعثُ بالتنزيلِ والقرآنِ  
وبالهدى وفصلِ القرآنِ تبطلُ به عبادةُ الأوثانِ

قال: فقلنا: ويحك يا خطر إنك لتذكر أسراً عظيماً، فإذا ترى لقومك؟ فقال:

أرى لقومي ما أرى لنفسي أن يتبعوا خيرَ نبيِّ الإنسِ  
برُهانهُ مثلُ شعاعِ الشمسِ يُبعثُ في مكةَ دارِ الحُسنِ  
مُحكِّمِ التَّنْزِيلِ غيرِ اللبِّسِ

فقلنا له : يا خطرُ، ومَن هو؟ فقال : والحياة والعيش . إنه لمن قريش ، ما في حِلْمِهِ طَيْشٌ ، ولا في خَلْقِهِ هَيْشٌ (١) يكون في جَيْشٍ ، وأى جَيْشٍ ، من آل قحطان وآل أيش ، فقلت له : بين لنا: من أى قريش هو؟ فقال : والبيت ذى الدعائم ، والركن والأحائم ، إنه كين نجل هاشم ، من معشر كرائم ، يُبْعَثُ بِالْمَلَأِ حِمٍ ، وقتل كل ظالم ، ثم قال : هذا هو البيان ، أخبرني به رئيس الجان ، ثم قال : الله أكبر ، جاء الحق وظهر ، وانقطع عن الجن الخبر . ثم سكث وأغنى عليه ، فافأفأ إلا بعد ثلاثة ، فقال : لا إله إلا

(١) ليس في طبيعته وسجيته قول فييح .

الله ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لقد نطق عن مثل نبوة ، وإنه يُبَيِّتُ يوم القيامة أمة وحده (١).

أصل ألف إصابه :

قال المؤلف : في هذا الخبر قوله : أصابه إصابه ، هكذا قيده بكسر الهمزة من إصابه على أبي بكر بن طاهر ، وأخبرني به عن أبي علي الفسائي ، ووجهه أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح [ ووسادة وإسادة ] ، والمعنى : أصابه وصابه جمع : وصب مثل : بجل وجمالة ، معنى كلمة أبش والأشام :

وقوله : من آل قحطان وآل أيش ، يعني بآل قحطان : الأنصار ؛ لأنهم من قحطان . وأما آل أيش فيجتمعا أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ، ينسبون إلى أيش ، فإن يكن هذا ، وإلا فله معنى في المدح غريب ، تقول : فلان أيش هو وابن أيش ، ومعناه : أى شىء أى شىء عظيم فكأنه أراد من آل قحطان ومن المهاجرين الذى يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم ، وما هم ؟ وزيد وما زيد ، وأى شىء زيد ، وأيش فى معنى : أى شىء ، كما يقال وَيْلَهُ فى معنى : ويل أمه (٢) على الحذف .

(١) هو فى الإصابة مع اختصار واختلاف يسير عما هنا . وعيب السهلى أنه يصدق مثل هذا ، ويعلق عليه كأنه صحيح . بينما يقول أبو عمر : إسناده ضعيف ، ورواته مجهولون ، وعارة بن زيد راوى الحديث اتهموه بوضع الحديث . (٢) ويل أمه : أى هو داهية . ويقول ابن جنى : وأما وزن قوله : ويلمه فإن حكيت أصله ، فوزنه ( فَعْلُ غَله ) وإن وزنت على ما صار إليه بعد التركيب فمثالها ( فيعلة ) بسكون الياء وضم العين وتضعيف اللام مع فتح فإن قلت : فإن هذا مثال غير موجود ، قيل : إنما ينكر هذا : لو كان المثال أصلا برأسه ، فاما وهو فرع أدى إليه التركيب شيئا بعد شىء ، فلا ينكر ذلك ... ويجوز =

لكثرة الاستعمال ، وهذا كما قال : هو في جيش أيما جيش ، والله أعلم . وأحسبه أراد بآل أيش : بنى أقيش ، وهم حلفاء الأنصار من الجن ؛ فحذف من الاسم حرفاء ، وقد تفعل العرب مثل هذا ، وقد وقع ذكر بنى أقيش في السيرة في حديث البَيِّمَةِ . وذكر الركن والأحائم يجوز أن يكون أراد : الأحوام بالواو ، فهمز الواو لانكسارها ، والأحوام : جمع أحوام والأحوام جميع حَوْم ، وهو الماء في البئر ، فكأنه أراد : ماء زمزم ، والحَوْم أيضاً : إبل كثيرة ترد الماء ، فعبر بالأحائم عن وُرَاد زمزم ، ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التي تحوم على الماء ، فيكون بمعنى الحوائث ، وقلب اللفظ ، فصار بعد فواعل : أفاعل ، والله أعلم .

دى جنب :

فصل : وذكر أن جَنْباً وهم حَيٌّ من النمين اجتمعوا إلى كاهن لهم ، فسألوه عن أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - حين رمى بالنجوم إلى آخر الحديث : جَنْبٌ هم من مَذْحِج ، وهم : عَيْدُ الله ، وَأَنْسُ الله ، وزَيْدُ الله ، وأَوْسُ الله ، وجُعْفَى ، والحسك ، وجرؤة ، بنو سعد العشيرة <sup>(١)</sup> بن مَذْحِج ، ومَذْحِج هو : مالك بن أدد ، وسموا : جنباً لأنهم جنبوا بنى عمهم ضداء = أن يكون قولهم : ( ويله ) أصله : ويل لأمه ، ثم حذف حرف الجر والهمزة - التي هي فاء - والتنوين ، أو لم ينون ، لأنه نوى المعرفة كغفاق ، فبقى : ويله ( ص ١٦ التمام في تفسير أشعار هذيل ط بغداد . وقال ابن السجري ، أنها تنال بضم اللام وكسرهما ، وانظر ص ٢٥١ - ٣ خزانة البغدادي ط السلفية ، فقد فصل القول فيها . وفيه أن معناها مدح خرج بلفظ الذم . وأنها تنال للمستجاد وللدهية . (١) في جمهرة ابن حزم عن ولد سعد العشيرة أنهم : الحسك - وبه كان يكنى - والصعب ونمرة لأمهات شتى ، وجعفى وعائد الله ، وأوهن الله ، وزيد الله وأنس الله ، والحر أمهم : أسماء بنت أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة ص ٣٨٣

ويزيدا بنى سعد المشيرة بن مذحج (١) . قاله الدارقطني . وذكر في موضع آخر خلافا في أسماهم ، وذكر فيهم بنى غليّ بالغين ، وإيس في العرب غليّ غيره ، قال مهليل :

أُنْكَحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمَ

وهني خلت في وسيم

فصل : وذكر حديث عمر ، وقوله للرجل : أ كفت كاهنًا في الجاهلية؟ فقال الرجل : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ خِلْتُ (٢) فيَّ ، واستقبلتني بأمر ما أراك استقبلت به أحداً منذ وليت ! وذكر الحديث ، وقوله : خِلْتُ فيَّ هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خِلْتُ وظننت ، كقولهم في المثل : مَنْ يَسْمَعِ يَخْلُ ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذف الجملة كلها جاز ؛ لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ، ففي قولهم : مَنْ يَسْمَعِ يَخْلُ دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفي قوله ، خِلْتُ فيَّ دليل أيضاً ، وهو قوله : فيَّ ، كأنه قال : خِلْتُ الشَّرَفِ أَوْ نَحْوِ ، هذا وقوله : قبل الإسلام بشهر أو شيعة أى : دونه بقليل ، وشيعة كل شيء : ما هو تبع له ، وهو من

(١) في الاشتقاق لابن دريد وهو يتكلم عن مذحج (ومن بطونهم بنو منبه ابن حرب بن يزيد والحارث والغلي وسبحان وشمران وهنسان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا قومهم) ص ٤٥٥ .

(٢) يقال : خلت بالكسر إخال وهو الأفضح ، ويتوأسد يقولون : أخال بالفتح وهو القياس . المعنى : من يسمع أخبار الناس ومعايهم ، يقع في نفسه عليهم المكروه .



الشَّيَاحُ وَهِيَ : حَظْبٌ صَفَارٌ تَجْمَلُ مَعَ الْكِبَارِ تَبْعَالِهَا ، وَمِنْهُ : الْمَشِيقَةُ ، وَهِيَ :  
الشَّاةُ تَتَّبِعُ الْغَنَمَ ، لِأَنَّهَا دُونَهَا فِي الْقُوَّةِ .

جَلِيجٌ وَسَوَادٌ بَنَ قَارِبَ :

وَالصَّوْتُ الَّذِي سَمِعَهُ عُمَرُ مِنَ الْعَجَلِ يَا جَلِيجَ<sup>(١)</sup> سَمِعْتُ بِمَضْ أَشْيَاخًا .  
يَقُولُ : هُوَ اسْمُ شَيْطَانٍ ، وَالْجَلِيجُ فِي اللُّغَةِ : مَا تَطَايَرُ مِنْ رُءُوسِ النَّبَاتِ ، وَخَفَ .  
نَحْوُ الْقُطْنِ وَشَبَّهَهُ ، وَالْوَاحِدَةُ : جَالِيجَةٌ ، وَالَّذِي وَقَعَ فِي السَّيْرَةِ : يَأْذِرِيحُ ، وَكَأَنَّهُ  
نِدَاءٌ لِلْعَجَلِ الْمَذْبُوحِ لِقَوْلِهِمْ : أَحْمَرُ ذَرِيحِي<sup>(٢)</sup> ، أَيْ : شَدِيدُ الْحُمْرَةِ ، فَصَارَ وَصْفًا  
لِلْعَجَلِ الَّذِي يَبِيحُ مِنْ أَجْلِ الدَّمِ : وَمَنْ رَوَاهُ : يَا جَالِيجُ ، فَقَالَ لَهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى ؛ لِأَنَّ  
الْعَجَلَ قَدْ جَلِيجَ أَيْ : كَشَفَ عَنْهُ الْجِلْدُ ، فَاللهُ أَعْلَمُ ، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ كَاهِنًا .  
هُوَ سَوَادُ بْنُ قَارِبِ الدَّوْسِيِّ فِي قَوْلِ ابْنِ السَّكَبِيِّ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : هُوَ  
سَدُوسِي<sup>(٣)</sup> وَفِيهِ يَقُولُ الْقَائِلُ :

أَلَا لِلَّهِ عِلْمٌ لَا يُجَارَى إِلَى الْغَايَاتِ فِي جَنْبِ سَوَادٍ  
أَتَيْنَاهُ نَسَائِلَهُ امْتَحَانًا فَلَمْ يَبْعَلْ ، وَأَخْبَرَ بِالسَّدَادِ<sup>(٤)</sup>

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي شَعْرِ وَخَبَرِ ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَائِلُ فِي أَمَالِيهِ ، وَرَوَى غَيْرُ  
ابْنِ إِسْحَاقَ هَذَا الْخَبَرَ عَنْ عُمَرَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، وَأَنَّ عُمَرَ مَازَحَهُ ، فَقَالَ : مَا فَعَلْتُ :

(١) هَذِهِ رَوَايَةُ الْبَخَارِيِّ .

(٢) قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : كُلُّ سَدُوسٍ فِي الْعَرَبِ مَفْتُوحٌ إِلَّا سَدُوسُ بْنُ أَجْعَمَ  
ابْنَ أَبِي عَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ .

(٣) فِي الْأَمَالِيِّ ( وَتَحْسَبُ أَنَّ سَعِيدَ الْعَنَادِ ) وَالْخَبَرَ كَمَا قَالَ مَطُولًا فِي الْأَمَالِيِّ  
ص ٢٨٩ ط ٢٠ وَالشَّعْرَ مَنْسُوبًا إِلَى عَارِفِ الشَّاعِرِ . وَهُوَ كَلَامُ خُصْبَةٍ .  
كَلَامٌ لَا يَخُونُ عَلَيْهِ عَقْلٌ ، وَلَا يَصَالِحُهُ دِينٌ

كَمَا نَتَكُّ بِسَوَادٍ! فغَضِبَ، وَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ عَلَى شَرٍّ مِنْ هَذَا مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَأَكْلِ الْعَيْتَاتِ، أَفْتُعِيرُنِي بِأَمْرِ تَبْتُ مِنْهُ؟! فَقَالَ عُمَرُ حِينَئِذٍ: اللَّهُمَّ غَنِّرَا. وَذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ سِيَّاقَةً حَسَنَةً وَزِيَادَةً مُفِيدَةً، وَذَكَرَ أَنَّهُ حَدَّثَ عُمَرَ أَنَّ رَأِيَّةً جَاءَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مَتَوَالِيَاتٍ، هُوَ فِيهَا كَلَّمَهَا بَيْنَ النَّأَمِ وَالْيَقْظَانِ، فَقَالَ: قُمْ بِسَوَادٍ، وَاسْمَعِ مَقَالَتِي، وَاعْقِلْ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ، قَدْ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَأَنْشَدَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ اللَّيَالِي ثَلَاثَةَ أَيْيَاتٍ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ وَقَافِيَتُهَا مُخْتَلِفَةٌ:

عَجِبْتُ لِلْجِنَّ وَتَطْلُبُهَا      وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَقْتَابِهَا  
تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدَى      مَا صَادَقُ الْجِنَّ كَكَذَابِهَا  
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ      لَيْسَ قَدَامَهَا (١) كَاذُهَا

وَقَالَ لَهُ فِي الثَّانِيَةِ:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا      وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَخْلَاسِهَا  
تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدَى      مَا طَاهَرُ الْجِنِّ كَاثْجَاسِهَا  
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ      لَيْسَ ذُنَابِي الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهَا (٢)

(١) فِي الْخُصَائِصِ لِلْسَيُوطِيِّ: قَدَامَ، وَهُوَ صَحِيحُ الْمَعْنَى أَيْضًا.

(٢) فِي الْبَدَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ، وَفِي الْخُصَائِصِ لِلْسَيُوطِيِّ: مَا مَوْنُوهَا مِثْلُ أَرْجَاسِهَا - وَاسْمُ بَعِينِكَ إِلَى رَأْسِهَا. وَفِي السَّيْرَةِ الْخَلْبِيَّةِ: مَا خَيْرُ الْجِنِّ كَاثْجَاسِهَا، وَارْمِ بَعِينِكَ إِلَى رَأْسِهَا، بَدَلًا مِنْ: «مَا طَاهَرُ الْجِنِّ الْخُ» وَلَيْسَ ذُنَابِي الطَّيْرِ الْخُ.

وقال له في الثالثة :

عجبت للجنِّ وتنفَّارِها (١)      وشَدَّها العيسَ بأَكوارِها  
تَهَوَّى إلى مكة تبغى الهدى      مامؤنُ الجنِّ ككفَّارِها (٢)  
فارحل إلى الأتقين من هاشمٍ      ليس قدامها كأدبارِها (٣)

وذكر تمام الخبر، وفي آخر شعر سواد قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنشده ما كان من الجنى رَئِيَّةً ثلاث ليال متواليات، وذلك قوله :

أنا نى نَجَّيْ بمد هذه ورَقْدَةٍ (٤)      ولم يك فيما قد بَلَوْتُ بكاذب  
ثلاث لِيالٍ قولُه كل ليلة      أتاكَ نَبِيٌّ (٥) من لُوئِيٍّ بن غالب  
فرَقَّتْ أَذْيالُ الإزارِ وشَمَرَتْ      بي العِرمِيسُ الوَجْناهُجُولُ السَّبَّاسِبُ (٦)  
فأشْهدُ أن اللهَ لا شَيْءَ غَيْرُهُ      وأَنْتَ مامون على كل غائب

(١) في الخصائص : وتجسارها.

(٢) في الخصائص : ليس ذو الشر كأخيارها .

(٣) في الخصائص : مامؤنوا الجن ككفارها .

(٤) في الخصائص : درئى ، وليل وهجمة .

(٥) في الخصائص : رسول .

(٦) في الخصائص :

فشمِرت عن ساقى الإزار ، ووسطت      فى الذَّعْصَلِبِ الوجْناهُجُولُ السَّبَّاسِبِ  
والعِرمِيسُ : الناقة الصلبة . والوجْناهُجُولُ : العظيمة الوجنتين . والهَجُولُ : جمع هَجَل : المظمن من الأرض . والسَّبَّاسِبُ : جمع . سَبَسِب ، وهى المفاضة من الأرض ، أو الأرض البعيدة المستوية . والذَّعْلِبُ بكسر الذال واللام أو الذعلبة : الناقة السريعة .

وَأَنْتَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَرِسِيلَةً (١) إِلَى اللَّهِ يَا بَنِي الْأَكْرَمِينَ الْأَطْلَابِ  
فَمُرُّنَا بِمَا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا (٢) وَإِنْ كَانَ فِيمَا جِئْتَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ  
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ بِمُعْنٍ (٣) فَتَيَلَّاعِنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

(١) فِي الْخَصَائِصِ : شَفَاعَةٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّهُ وَرِسِيلَةٌ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالْمَعْنَى  
الْشَّرْعِيَّةِ الْمَحْكَمِ الَّذِي يَنْبَغِي الشَّرْكَ ، وَيُثْبِتُ التَّوْحِيدَ ، وَالْوَسِيلَةُ هُنَا : حُبُّهُ وَحُبُّ اللَّهِ  
وَطَاعَتُهُ وَطَاعَةُ اللَّهِ ، أَيْ : اتِّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ ، وَالْإِنْتِهَاءُ عَمَّا نَهَى عَنْهُ . أَمَّا الْمَعْنَى  
الشَّرْكِيَّةُ الَّتِي يَنْبَغِي الْإِيمَانَ ، فَهُوَ أَنَّ تَتَوَسَّلُ بِذَاتِهِ أَوْ قَبْرِهِ لَا بِطَاعَتِهِ وَحُبِّهِ .

(٢) فِي الْخَصَائِصِ : يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى ، وَفِي رِوَايَةٍ : يَا خَيْرَ مَرْسَلٍ .

(٣) فِي الْخَصَائِصِ : سَوَادُكَ . وَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ هُوَ طَلَبُهَا عَنْ لَا يَمْلِكُهَا ، وَلَا  
يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَطْلُبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الشَّفَاعَةَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا ، وَإِنَّمَا لَهُ أَنْ يَطْلُبَهَا مِنْ  
اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلِتَتَدَبَّرَ مَعَا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : « مِنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » ، وَغَيْرِهَا .  
مِنْ الْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ الشَّفَاعَةِ شَيْئًا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، وَهَذَا  
الْبَيِّنُ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْقِصَّةَ مُوَضَّوْعَةً ، وَأَنَّ الْقِصْدَةَ مُصْنُوعَةٌ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ دِينِ صَحَابِيٍّ ، بَلْ  
لَمْ يَكُنْ مِنْ دِينِ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ « ص » ، وَالْبَيِّنُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ  
الَّتِي يَسْتَشْهَدُ بِهَا النَّحْوِيُّونَ . وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ : « بِمُعْنٍ » ، حَيْثُ أَدْخَلَ الْبَاءَ الزَّائِدَةَ  
فِي خَبَرٍ لَا ، كَمَا تَدْخُلُ فِي الْخَبَرِ الْمُنْفَى بِلَيْسَ وَمَا ، وَذَاكَ قَلِيلٌ ، وَهَذِهِ الْبَاءُ لَتَأْكِيدِ  
النَّفْيِ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ، أَمَّا عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ فَهِيَ لِدَفْعِ تَوْحُمِ الْإِثْبَاتِ . وَرَأَى الْكُوفِيُّونَ هُوَ  
الصَّحِيحُ . وَلَا نَافِيَةَ حِجَازِيَّةٍ تَعْمَلُ عَمَلُ لَيْسَ ، وَلِهَذَا رَفَعَتْ ذُو . وَقَدْ رَوَى  
الْبُخَارِيُّ قِصَّةَ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَلِيمَانَ الْحَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ  
وَهْبٍ ، عَنْ عُمَرُو - وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ - أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْرُورٍ - بَنِي حَوْزٍ -  
عَمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ . وَسَوَادُ بْنُ قَارِبٍ مِنْ أَهْلِ السَّرَاةِ - كَمَا قِيلَ - مِنْ جِبَالِ الْبَلْقَاءِ  
لَهُ صَحْبَةٌ - كَمَا يَحْكِي - وَوَفَادَةٌ . وَقِيلَ : كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْبَلْقَاءِ ، وَهَنَّاكَ فِي بَعْضِ  
الطَّرِيقِ الَّتِي رَوَى مِنْهَا هَذَا الْحَدِيثُ مَا يُشِيرُ حَوْلَهُ الشُّكُّ ، بَلْ فِي الْفَافِظَةِ نَفْسُهَا .  
وَالْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُ لَهُ ، وَتَدَبَّرْ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ( لِأَنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ

سواد وروس عند وفاة الرسول « ص » :

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقام حينئذ سواد ، فقال : يامعشر الأزد ، إن من سعادة القوم أن يتعضوا بغيرهم ، ومن شقاؤهم ألا يتعضوا إلا بأنفسهم ، ومن لم تنفعه التجارب ضرته ، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل ، وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ، وقد علمتم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم ، وأوعد قوما أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنعه منكم غدة ولا عدد ، وكل بلاء مذبذب إلا ما بقي أثره في الناس ، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكى من أهل العافية للعافية ، وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه ، فلم ترالوا خارجين مما فيه أهل البلاء ، داخين مما فيه أهل العافية ، حتى قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيبكم وتقيبكم فعبّر الخطيب عن الشاهد ، ونقّب النقيب عن الغائب ، ولست أدري لعله تكون للناس جولة فإن تكن ، فالسلامة منها : الأناة ، والله يُحبها ، فأجبه القوم وسمعوا قوله ، فقال في ذلك سواد بن قارب :

== لا تروهم ، والجليح - كما فسر - هو الوقح المكافح بالعداوة ، وفي رواية . يا آل ذريح ، وهو بطن مشهور في العرب ، والقلاص : جمع قلص ، وهذه جمع قلوص : الفتية من النياق ، والاحلاس : جمع جلس ما يوضع على ظهر البعير ليقى الرجل من الدبر ، وألبس الرجل : سكت ذليلا أو مغلوبا ، والعيس : الإبل الكرام . انظر ص ١٤٤ > ٧ فتح الباري ، و ص ٢٥٢ > ١ الخصائص للسيوطي > ١ دار الكتب الحديثة ، ص ٦٨ شرح السيرة للخشني ، وبلوغ الأرب > ٣ ص . ٢٣ ، ٣٠٢ ، وجمع الزوائد للهيتمي .

جَلَّتْ مَصِيبُكَ الْغَدَاةَ سَوَادُ      وَأَرَى الْمَصِيبَةَ بَعْدَهَا تَزْدَادُ  
أَبْقَى لَنَا فَقْدُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ      - صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ - مَا يَعْتَادُ  
حُزْنًا لَعَمْرُكَ فِي الْفَوَادِ مُحَامِرًا      أَوْهَلُ لِمَنْ فَقْدُ النَّبِيِّ فَوَادُ؟  
كُنَّا نَحُلُّ بِهِ جَنَابًا مُمَرَّعًا      جَفَّ الْجَنَابُ، فَاجْدِبِ الرُّوَادُ  
فَبَكَتْ عَلَيْهِ أَرْضُنَا وَسَمَاوُنَا      وَتَصَدَّعَتْ وَجْدًا بِهِ الْأَكْبَادُ  
قَلَّ الْمَتَاعُ بِهِ، وَكَانَ عِيَانُهُ      خُمَسًا تَضَمَّنَ سَكْرَتِيهِ رِقَادُ  
كَانَ الْعِيَانُ هُوَ الطَّرِيفَ وَحُزْنُهُ      بَاقٍ لَعَمْرُكَ فِي النَّفُوسِ تِلَادُ  
إِنِ النَّبِيَّ وَفَاتِهِ كَحَيَاتِهِ      الْحَقُّ حَقٌّ وَالْجَهَادُ جِهَادُ  
لَوْ قِيلَ: تَقْدُونُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا      بُذِلَتْ لَهُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ  
وَتَسَارَعَتْ فِيهِ النَّفُوسُ بِبَذْلِهَا      هَذَا لَهُ الْأَغْيَابُ وَالْأَشْهَادُ  
هَذَا، وَهَذَا لَا يَرِدُ نَبِيَّنَا      لَوْ كَانَ يَقْدِيهِ فِدَاءُ سَوَادُ  
أَنَّى أَحَازِرُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً      أَمْرًا لِعَاصِفِ رِيحِهِ إِرْعَادُ  
إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَاَنْتُمْ      لِلْأَرْضِ - إِنْ رَجَفَتْ بَنَّا - أَوْتَادُ  
لَوْ زَادَ قَوْمٌ قَوْقَ مُنْيَةِ صَاحِبِ      زِدْتُمْ، وَابْسِلِ لِمُنْيَةِ مَزْدَادُ

### هذه فريش

فَتَعْجَبُ الْقَوْمَ شِعْرُهُ، وَقَوْلُهُ: فَاجَابُوا إِلَى مَا أَحَبَ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ خَبَرُ  
سَوْدَاءَ بِنْتِ زُهْرَةَ بْنِ كَلَابٍ، وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَ وُلِدَتْ وَرَأَاهَا أَبُوهَا زَرْقَاءُ  
شَيْمَاءَ (١) أَمْرَ بَوَادِيهَا، وَكَانُوا يَسْتَدُونِ الْبَنَاتِ مَا كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ  
فَأَرْسَلَهَا إِلَى الْحُجُوجِ لِيُتَدَفَّنَ هُنَاكَ، فَلَمَّا حَفَرُهَا الْحَافِرُ، وَأَرَادَ دَفْنَهَا سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ:  
(١) صَافِيَةُ الْبَيَاضِ فِيهَا شَامَةٌ، تَعْطِيهَا جَمَالًا.

لَا تَذُنُ الصَّبِيَّةَ ، وَخَلَّهَا فِي الْبَرِيَّةِ ، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَعَادَ لِدَفْنِهَا ، فَسَمِعَ  
الْهَاتِفَ يَهْتَفُ بِسَجْعٍ آخَرَ فِي الْمَعْنَى ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهَا ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ ، فَقَالَ :  
إِنْ لَهَا لُشَانَا ، وَتَرْكُهَا ، فَكَانَتْ كَاهِنَةً قُرَيْشٍ ، فَقَالَتْ يَوْمَا لَبِنَى زُهْرَةَ : إِنْ  
فِيكُمْ نَذِيرَةٌ ، أَوْ تَلِدُ نَذِيرًا ، فَأَعْرِضُوا عَلَيَّ بَنَاتِكُمْ ، فَعُرِضَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ فِي  
كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قَوْلًا ظَهَرَ بَعْدَ حِينٍ ، حَتَّى عُرِضَتْ عَلَيْهَا آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ ،  
فَقَالَتْ : هَذِهِ النَّذِيرَةُ ، أَوْ تَلِدُ نَذِيرًا ، وَهُوَ خَيْرٌ طَوِيلٌ ذَكَرَ الرَّبَّ بِيَرٍ مِنْهُ يَسِيرًا ،  
وَأُورِدَهُ بِطَوْلِهِ أَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ ، وَفِيهِ ذَكَرَ جَهَنَّمَ — أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا — وَلَمْ  
يَكُنْ اسْمُ جَهَنَّمَ ، مَسْئُوعًا بِهِ عِنْدَهُمْ ، فَقَالُوا لَهَا : وَمَا جَهَنَّمَ ، فَقَالَتْ : سَيُخْبِرُكُمْ  
النَّذِيرُ عَنْهَا (١) .

(٢) ليس صدق النبوة في حاجة إلى أن نكذب له . وتصديق مثل هذه  
المفتريات تكذيب للقرآن الذي يؤكد أن علم الغيب إنما هو لله وحده . وإذا كان  
محمد « ص » نفسه لم يكن يعرف الإيمان قبل النبوة ، ولم يكن يعرف بالتالي أنه  
نبي ، فكيف نسب هذا العلم إلى غيره من طواغيت الوثنية ؟ ! هذا وبعض اللغويين  
يقول عن جهنم : إنها معربة ، والأكثرون على أنها عربية أصيلة من جهنم مثلثة  
الجيـم - يقال : ركية جهنم أو جهنم : بعيدة القعر وحديث عاصم بن عمرو هو  
في البداية عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصاري ، وفي تفسير ابن كثير : عاصم بن عمرو  
عن قتادة . ورواه ابن إسحاق أيضا عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة ، أو سعيد  
ابن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول  
الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعث الله من العرب كفروا به وجحدوا  
ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود  
ابن سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد  
صلى الله عليه وسلم ، ونحن أهل شرك . وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته ،

## إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن سحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه ، لِمَا كُنَّا نَسْمَعُ من رجال يهود ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ ، فَإِذَا نَلَيْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا لَنَا : إِنَّهُ تَقَارِبُ زَمَانُ نَبِيِّ يَبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَبْنَاهُ حِينَ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَمَّنَّا بِهِ ، وَكَفَرُوا بِهِ ، فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مِنَ الْبَقَرَةِ : ( وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَذَمَّنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ) . الْبَقَرَةُ : ٧٩

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكمون ، وفي كتاب الله تعالى : ( رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، فَقَالَ سَلَامٌ بِنَ مَشْكَمَ أَخُو بَنِي النَّضِيرِ : مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الَّذِي كُنَّا نَذْكُرُ لَكُمْ .

وقال أبو العالية في تفسير الآية : كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نَجِدُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَنَا حَتَّى نَعَذِّبَ الْمَشْرِكِينَ وَنَقْتُلَهُمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ حَسَدًا لِلْعَرَبِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ : كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا هَذَا النَّبِيَّ يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ ، يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ ، أَيْ : يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ .



«وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ». الأعراف : ٨٩ .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن أبيد أخى بنى عبد الأشهل عن سلمة بن سلمة بن وقش - وكان سلمة من أصحاب بدر - قال : كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل ، قال : نخرج علينا يوماً من بيته ، حتى وقف على بنى عبد الأشهل - قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً ، على بردة لى ، مضطجع فيها بفناء أهلى - فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بمنا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ونحك يافلان !! أو ترى هذا كائنا ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به ، وبود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنوير فى الدار ، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطيقونه عليه ، بأن ينجو من تلك النار غداً ، فقالوا له : ونحك يافلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن - فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلى ، وأنامن أحدثهم سناً ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلام عمره بذكره . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو حى بين أظهرنا ، فأمنأ به ، وكفر به بغياً وحسداً . قال : فقلنا له : ونحك يافلان !! ألسنت الذى قلت لنا فيه ما قات ؟ قال : بلى . ولكن ليس به .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال :

• • • • •

قال لي : هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سَعْيَة وأسَد ابن عبيد نَفَرٍ من بني هَذَل ، إخوة بني قُرَيْظَة ، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الإسلام . قال : قات : لا ، قال : فإن رجلاً من يَهُود من أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيَّيَّان ، قَدِمَ علينا قُبَيْل الإسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قَطُّ لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قَحَطَ عنا المطرُ قُلْنَا له : اخرج يا ابن الهَيَّيَّان فاستسقى لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تَقْدُموا بين يدي تَخْرِجَكم صدقة ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر : أو مُدَيْنٍ من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتْنا ، فيستسقى الله لنا . فوالله ما يَبْرَحُ يجلسه ، حتى تمر السحابة وتُسْقَى ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . قال : ثم حَضَرَتْه الوفاة عندنا . فلما عَرَفَ أنه مَيِّت ، قال : يا معشر يَهُود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخَمِيرِ والخَمِيرِ إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فإني إنما قَدِمْتُ هذه البلدة أتوكّف خروج نبي قد أظَلَّ زمانه ، وهذه البلدة مُهاجرة ، فسكنت أرجو أن يُبعثَ ، فاتبعه ، وقد أظَلَّكم زمانه ، فلا تُسَبِّحُنَّ إليه . يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسبّ الذراري والنساء مِن خالفه . فلا يَمْنَعُكم ذلك منه . فلما بُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاصر بني قُرَيْظَة ، قال هؤلاء الفِثْيَة ، وكانوا شباباً أحداثاً : يا بني قُرَيْظَة ، والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابنُ الهَيَّيَّان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه هو بصفته ، فزولوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

## حديث سلمة :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث سلمة بن سلامة بن وقش ، وما سمع من اليهودي حين ذكر الجنة والنار ، وقال : آية ذلك نبي : مبعوث قد أظل زمانه إلى آخر الحديث ، وليس فيه إشكال ، وابن وقش يقال فيه : وقش بتحريك القاف وتسكينها ، والوقش : الحركة (١) .

## حديث ابن الربيع بن سعدة :

فصل : وذكر حديث ابن الهيثبان (٢) ، وما بشر به من أمر النبي — صلى الله عليه وسلم — وأن ذلك كان سبب إسلام ثعلبة بن سعدة وأسيد بن سعدة وأسدي بن سعدة ، وهم من بني هذيل ، والهيثبان من المسلمين بالصفات ، يقال : قطن هيثبان أي : منتفش ، وأنشد أبو حنيفة :

(١) روى حديث ابن وقش أحمد ، وصححه ابن حبان من طريقه ، ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير ج ٦ ص ٥٤ فتح الباري ، ص ٣٠٩ ج ٢ البداية . وقد ورد أن اسم الجار اليهودي هو : يوشع ، وهناك بعض كلمات في أحمد تخالف ما هنا . فقد ذكر فروة مكان بردة ، ويطبقونه مكان يطبقونه . ووضع كلة نحو مكان : إلى في قوله : إلى مكة . وذكر : ومتى تراه . بدلا من : متى تراه ؟

(٢) معناها : الكثير والجبان والليس والخفيف والراعي والتراب وزبد أفواه الإبل ، وقد يخفف ، وقد يقال : هيثبان . بتضعيف الياء مع فتحها . وقوله في حديث ابن الهيثبان : أتوكف خروج نبي : أنتظر وأستشعر . أطل زمانه : أشرف وقرب .

تَطِيرُ الْمَغَامَ الْهَيَّانَ ، كَأَنَّهُ جَنَى عُمَيْرٍ تَذْفِيهِ أَشْدَاقُهَا الْهُدَلُ (١)  
وَالْهَيَّانُ أَيْضًا : الْجَبَانُ ، وَقَدْ قَدِمْنَا الْإِخْتِلَافَ فِي هَذَا ، وَأَمَّا أُسَيْدُ  
ابْنِ سَعْنَةَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الْمَدَنِيِّ ،  
عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ أَحَدُ رَوَاةِ الْمَغَازِي عَنْهُ أُسَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ بِضَمِّ الْأَلْفِ ، وَقَالَ  
يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ قَوْلُ الْوَقَادِيِّ وَغَيْرِهِ أُسَيْدُ بَفَتْحِهَا قَالَ :  
الْدَّارِقُطِيُّ : وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ ، وَلَا يَصِحُّ مَا قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،  
وَبَنُو سَعْنَةَ هَؤُلَاءِ فِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (٢) ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ  
قَائِمَةٌ ﴾ آلِ عِمْرَانَ : ١١٣ آيَةً ، وَسَعْنَةُ أَبُوهُمْ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ الْعَرِيضِ ، وَهُوَ  
بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْيَاءُ الْمَنْقُوطَةُ بَاثْنَيْنِ .

(١) الْبَيْتُ لَذِي الرِّمَّةِ يَصِفُ إِبْلًا وَلِإِزْبَادَ مَشَافِرِهَا ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَجِي  
الْعُشْرُ : يَخْرُجُ مِثْلَ رِمَانَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَتَنْشَقُّ عَنْ مِثْلِ الْقَرْزِ ، فَشَبَّهَ لِقَامَهَا بِهِ . . .  
وَهُوَ فِي اللِّسَانِ : تَمَجُّجٌ . وَاللِّقَامُ : زَبْدُ أَفْوَاهِ الْإِبِلِ . وَالْعُشْرُ : نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ ،  
يَحْتَشِي فِي الْخِتَادِ . وَالْهُدَلُ : اسْتِرْخَاءُ الْمَشْفَرِ الْأَسْفَلَ مِنَ الْجَمَلِ ، أَوْ عَظَمُ الشَّفَةِ  
وَاسْتِرْخَاؤُهَا . وَهَذَا : جَمْعُ هَدَلَاءَ . وَفِي الرُّوضِ : خَبِي عَشْرُ تَبْقِيَةٍ وَهُوَ خَطَأٌ .  
(٢) فِي ابْنِ كَثِيرٍ نَقْلًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيمَنْ آمَنَ مِنْ أَجْبَارِ أَهْلِ  
الْكِتَابِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأُسْدِ بْنِ عُبَيْدٍ ، وَثَعْلَبَةَ بْنِ شُعْبَةَ . وَفِي مُسْنَدِ أَحَدٍ عَنْ  
ابْنِ مَسْعُودٍ : أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى  
الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ  
أَحَدٌ يَذْكُرُ اللَّهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرَكُمْ . فَنَزَلَتْ : ( لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
— إِلَى قَوْلِهِ — وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ) .

## سنة الهجرة وإسلامه :

وأما سُنَّةُ بالنون ، فزيد بن سُنَّةٍ خبر من أحبار يهود ، كان قد دابن النبي — صلى الله عليه وسلم — فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألا تَقْضِيَنِي يا محمد ، فإنكم يا بني عبد المطلب مُطْلَون ، وما أردت إلا أن أعلم علمكم ، فارتعد عمر ، ودار ، كأنه في فَلَاك ، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً ، وقال : تقول هذا لرسول الله ياعدو الله ؟ ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر : أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التَّيْبَةِ ، قم فاقضه عني ، فوالله ما حل الأجل ، وزده عشرين صاعاً بما رَوَّعْتَهُ ، وفي حديث آخر : أنه قال : دعه ؛ فإن صاحب الحق مقالا ، ويذكر أنه أسلم<sup>(١)</sup> لما رأى من موافقة وصف النبي عليه السلام لما كان عنده في التوراة ، وكان يحده موصوفاً بالحلم ، فلما رأى من حلمه ما رأى أسلم ، وتوفى غازي مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في غزوة تبوك ، ويقال في اسمه : سَفِيَّةُ بالياء كما في الأول ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون .

(١) روى قصة إسلامه الطبراني وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام ، قال زيد بن سمنة : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا خصلتين . لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً . . فذكر الحديث بطوله . . ومدار الحديث على محمد بن أبي السري الراوي له عن الوليد ، وثقه ابن معين ، ولىه أبو حاتم ، وقال ابن عدى : محمد كثير الغلط . وأخرجه أبو نعيم في الدلائل .

## حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصمُ بنُ عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني سلمان الفارسي . مِنْ فِيهِ قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ إِصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا : جَيٌّ ، وَكَانَ أَبِي دِهْمَانَ قَرْيَتَهُ ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، لَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْجُوسِيَةِ حَتَّى كُنْتُ قَطْنَ النَّارِ الَّذِي يوقدها ، لَا يَتْرَكُهَا تَحْبُو سَاعَةً . قَالَ : وَكَانَتْ لِأَبِي ضِيعَةٌ عَظِيمَةٌ ، قَالَ : فَشُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضِيعَتِي ، فَادْهَبْ إِلَيْهَا ، فَاطْلَعْهَا - وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ - ثُمَّ قَالَ لِي : وَلَا تَحْتَسِبْ عَنِّي ؛ فَإِنَّكَ إِنِ احْتَبَسْتَ عَنِّي . كُنْتُ أَهْمُ إِلَى مِنْ ضِيعَتِي ، وَشَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي . قَالَ : فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضِيعَتَهُ الَّتِي بَعَثَنِي إِلَيْهَا ، فَفَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كِنَائِسِ النَّصَارَى ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يَصَلُّونَ ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ ، لِحَبْسِي . أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا سَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ ، أَنْظَرُ مَا يَصْنَعُونَ ، فَامَّا رَأْيُهُمْ ، أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا بَرَّخْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَتَرَكْتُ ضِيعَةَ أَبِي فَلَمْ آتِهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا : بِالشَّامِ . فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي ، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي ، وَشَغَلْتَهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ : أَيُّ

• • • • •

بنى أين كنت؟ أو لم أكن عهدي إليك ما عهدي؟ قال : قلت له : يا أبت ، مررتُ بأناس يصلُّون فى كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أى بُنى ، ليس فى ذلك الدين خيرٌ ، دينك ، ودين آبائك خيرٌ منه ، قال : قلت له : كلا والله ، إنه لخيرٌ من ديننا . قال : تخافنى ، فجعل فى رجلٍ قيداً ، ثم حبسنى فى بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدَّم عليكم ركبٌ من الشام فأخبرونى بهم . قال : قدَّم عليهم ركبٌ من الشام تُجارٌ من النصارى ، فأخبرونى بهم ، فقلت لهم : إذا قَضَوْا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، فأخبرونى بهم : قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ، أخبرونى بهم ، فألقيت الحديد من رجلٍ ، ثم خرجت معهم ، حتى قدَّمت الشام فلما قدَّمتها قلت : مَنْ أفضلُ أهل هذا الدين ؟ فلما قالوا : الأسقف فى الكنيسة .

قال : بخيته ، فقلت له : إني قد رغبت فى هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك ، وأخذتُك فى كنيسة لك ، فأتعلم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخل ، فدخلت معه . قال : وكان رجلٌ سوء ، يأمرهم بالصدقة ، ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزته لنفسه ، ولم يُعطِ المساكين ، حتى جمع سبعَ قِلال من ذهب وورق . قال : فأبغضته بغضا شديداً ، لما رأيته يصنع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى ، أيدفونوه ، فقلتُ لهم : إن هذا كان رجلٌ سوء ، يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، فإذا جتمعوا بها ، اكتنزها لنفسه ، ولم يُعطِ المساكين منها شيئاً . قال : فقالوا لى : وما علمك بذلك ؟

• • • • •

قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزهِ ، قالوا : فدُلُّنا عليه ، قال : فأرَبَهُمْ موضعَهُ ، فاستخرجوا سَبْعَ قِلَالٍ مملوءةٍ ذهباً وَوَرَقاً . قال : فلما رأوها قالوا : والله لا نَدْفِنُهُ أبداً . قال : فصَلُّوهُ ، ورجعوه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجمَلوه مكانه .

قال : يقول سلمان : فما رأيتُ رجلاً لا يصلى الخمس ، أرى أنه كان أفضلَ منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه . قال : فأحببته حباً لم أحبه شيئاً قبله مثله . قال : فأقمتُ معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلتُ له : يا فلان ، إني قد كنت معك ، وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حَضَرَكَ ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَنْ تُوصي بى ؟ وبِم تأمرنى ؟ قال : أى بُنى ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس ، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالحق به .

فلما مات وَغُيِبَ لحقتُ بصاحب المَوْصِل ، فقلت له : يا فلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحقَ بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، قال : فقال لى : أَرَمَ عندى ، فأقمتُ عنده ، فوجدته خيراً رجلاً على أمرٍ صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة ، قلت له يا فلان : إن فلانا أوصى بى إليك ، وأمرنى بالحق بك ، وقد حضركَ من أمر الله ماترى ، فإلى مَنْ تُوصي بى ؟ وبِم تأمرنى ؟ قال : يا بُنى ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنتُ عليه ، إلا رجلاً بنَصْرَبين ، وهو فلان ، فالحق به .



فلما مات وعُيِّب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به .  
صاحبائي ، فقال : أرقم عندي ، فأقمتُ عنده فوجدته على أمر صاحبيه . فأقمتُ مع  
خير رجلٍ ، فوالله ما لبث أن نزل به الموتُ ، فلما حضر ، قلت له : يا فلان ،  
إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من  
توصى بي ؟ وبِمَ تأمرني ؟ قال : يا بني ، والله ما أعلمه بقي أحدٌ على أمرنا  
أمرُك أن تأتيه إلا رجلاً بمشورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن  
عليه ، فإن أحببت فاتِه ، فإنه على أمرنا .

فلما مات وعُيِّب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم  
عندي ، فأقمتُ عند خير رجلٍ ، على هدى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت  
حتى كانت لي بقرات وغنيمات . قال : ثم نزل به أمرُ الله ، فلما حضر ، قلت  
له : يا فلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى  
فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي ؟ وبِمَ تأمرني ؟ قال : أي  
بني ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أمرُك به  
أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ،  
يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات .  
لا تخفي ، يا كل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتمه خاتم النبوة ، فإن  
استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وعُيِّب ، ومكثت بمشورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي  
نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي

هذه وغُتِمتى هذه ، قالوا : نعم فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا ، وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلموني ، فباعوني من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذى وَصَفَ لى صاحبي ، ولم يَحِقْ فى نفسي ، فبينما أنا عنده ، إذ قَدِمَ عليه ابنُ عمِّ له من بَنى قَرِيطَةَ من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بِصَفَةِ صاحبي ، فأقمت بها ، وبُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من شغل الرِّقِّ ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأس عَذَقٍ لسيدي أعمل له فيه بعضَ العمل ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابنُ عمِّ له ، حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بنى قَيْلَةَ ، والله إنهم الآن ليجتمعون بِقُبَاءٍ على رجل قَدِمَ عليهم من مَكَّةَ اليوم ، يزعمون أنه نبي .

قال ابن هشام : قيلة : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن لَيْث ابن سَوْد بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة ، أم الأوس واخزرج .

قال النعمان بن بشير الأنصارى يمدح الأوس واخزرج :

بهايلُ من أولاد قَيْلَةَ لم يَحِدْ      عليهم خَلِيطٌ فى مُخالطَةٍ عَتَبًا  
مساميح أبطال يُرْأونَ للندى      يَرَوْنَ عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبًا

وهذان البيتان فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود

• • • • •

ابن أبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال سلمان : فلما سمعتموها أخذتني  
العرواء . قال ابن هشام : العرواء : الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان  
مع ذلك عرق فهي الرخضاء ، وكلاهما ممدود - حتى ظننت أني سأسقط على  
سيدي ، فزلت عن النخلة ، فجمعت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟  
ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكني لكلمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟  
أقبل على عمك . قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أَسْتَبِيْتَهُ عما قال .

قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أُمِيتُ أخذته ، ثم ذهبت  
به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يُقْبَاء ، فدخلت عليه ، فقلت له :  
إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالح ، ومعلك أصحاب لك غرباء ذُوُّو حاجة ، وهذا  
شيء قد كان عندي للصدقة ، فأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقرَّبته إليه ، فقال  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده ، فلم  
يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه راحدة . قال ثم انصرفت عنه ، فجمعت  
شيئا ، وتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، ثم جئته به ، فقلت له :  
إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال :  
فقلت في نفسي : هاتان ثُلتان ، قال : ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
وهو بَقِيع الْفَرْدِ ، قد نَسِعَ جِنَازَةَ رجلٍ من أصحابه ، على شِمْلَتَانِ لي ، وهو  
جالس في أصحابه ، فسأمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم  
الذي وصف لي صاحبي ، فلما رأني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

استدبرته ، عَرَفَ أَنِّي أُسْتَنْبِتُ فِي شَيْءٍ وَصَفَ لِي ، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ ،  
فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ ، فَأَكْبَبْتُ عَلَيْهِ أُقْبِلُهُ ، وَأَبْكَى . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَوَّلْ ، فَتَحَوَّلْتُ لِحَاسَتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي ،  
كَأَنَّكَ يَا بَنَ عَبَّاسَ ، فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -  
أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ . ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقْءُ حَتَّى قَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِدُرُوءِ أَحَدٍ .

قَالَ سَلْمَانُ : ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَاتِبُ يَسَلْمَانَ  
فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثَةِ نَحْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ ، وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً . فَقَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ : أَعِينُوا أَخَاكُمْ ، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ،  
الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَدِيَّةً ،  
وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ ، يُعِينُ الرَّجُلَ بِقَدَرِ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثَةُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ ،  
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا ، فَإِذَا فَرَّغْتَ  
فَأْتِنِي ، أَكُنْ أَنَا أَضْعُفُهَا بِيَدِي . قَالَ : فَفَقَّرْتُ ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا  
فَرَّغْتُ جِئْتُهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَفَرَّجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعِيَ إِلَيْهَا ،  
فَجَعَلْنَا نَقْرَبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّةَ ، وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ،  
حَتَّى قَرَعْنَا . فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ ، مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ . قَالَ :  
فَأَدَيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَى الْمَالِ . فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَثَلِ  
بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ ، مِنْ بَعْضِ الْأَعَادِنِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ الْفَارَسِيُّ  
الْمُسَكَّابُ ؟ قَالَ : فَدُعِيتُ لَهُ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ ، فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ .

قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله ممّا على ؟ فقال : خذها ، فإنّ الله سيؤدّي بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها - والذي نفسُ سلمان بيده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعَتَقَ سلمانُ . فشهدتُ مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أَخَذَ حُرّاً ، ثم لم يفتني معه مَشْهَدٌ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبْدِ القَيْسِ عن سلمان : أنه قال : لمّا قلت : وأين تقع هذه مِنَ الذي على يا رسول الله ؟ أخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلّبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفِهم منها ، فأوفيتهم منها حقهم كلّهُ ، أربعين أوقية .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عُمر بن قَتَادَةَ ، قال : حدثني من لا أتهم عن عُمر بن عبد العزيز بن مَرْوان ، قال : حَدَّثْتُ عن سلمان الفارسي : أنه قال : لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أخبره خبره : إن صاحبَ عُمُورِيَّةٍ قال له : ائْتِ كَذَا وكَذَا من أرض الشام ، فإنّ بها رجلاً بين غَيْضَتَيْنِ ، يخرج في كل سنة من هذه الغَيْضَةِ إلى هذه الغَيْضَةِ مُسْتَجِيرًا ، يعترضه ذَوُو الأسقام ، فلا يدعو لأحدٍ منهم إِلَّا شَفِي ، فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغي ، فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجتُ حتى أتيت حيث وصف لي ، فوجدتُ الناسَ قد اجتمعوا بمرْضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة ، مُسْتَجِيرًا من إحدى الغَيْضَتَيْنِ إلى الأخرى ، فغَشِيَهُ الناسُ بمرْضاهم ، لا يدعو لمرِيضٍ إِلَّا شَفِي ، وغابوني عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغَيْضَةُ التي يريد أن يدخل ،

.....

إِلَّا مَنْ كَبَهُ . قَالَ : فَتَنَّاوْنَهُ : فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَالتَفَتَ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ  
اللَّهُ ، أَخْبَرَنِي عَنْ الْحَنَفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ : إِنَّكَ لَتَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مَا يَسْأَلُ  
عَنْهُ النَّاسُ الْيَوْمَ ، قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ بِهِذَا الدِّينَ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ، فَأَتِيَهُ  
فَهُوَ يَحْمِلُكَ عَلَيْهِ . قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ - لِسُلَيْمَانَ : لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي يَا سُلَيْمَانُ ، لَقَدْ لَقِيتَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ  
عَلَى نَبِيْنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ .

### مَدْرِيْتُ - السَّامَانِي :

فَصْل : وَذَكَرَ حَدِيثَ سُلَيْمَانَ بِطَوْلِهِ ، وَقَالَ : كُنْتُ مِنْ أَهْلِ إِصْبَهَانَ  
هَكَذَا قِيْدَهُ الْبُسْكُرِيُّ فِي كِتَابِ الْمُعْجَمِ بِالْكَسْرِ فِي الْهَمْزَةِ (١) ، وَإِصْبَهَ بِالْعَرَبِيَّةِ :  
فَرَسٌ ، وَقِيلَ : هُوَ الْعَسْكَرُ ، فَمَعْنَى الْكَلِمَةِ : مَوْضِعُ الْعَسْكَرِ أَوِ الْخَيْلِ (٢) ،  
أَوْ نَحْوِ هَذَا . وَابْسَ فِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ عَلَى طَوْلِهِ إِشْكَالٌ ، وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ

(١) فِي الْمُرَادِدِ : فَتَحَ الْهَمْزَةُ هُوَ الْإِكْرُ وَالْأَشْهَرُ .

(٢) فِي الْبُسْكُرِيِّ : إِصْبَهَ بِلِسَانِ الْفَرَسِ : الْبَلَدُ ، وَهَانَ : الْفَرَسُ . فَعْنَاهُ : بِلَهْ  
الْفَرَسَانِ ، وَقَالَ : إِنْ إِصْبَهَ بِالْفَارْسِيَّةِ : الْعَسْكَرُ ، وَإِنْ هَانَ مَعْنَاهُ : ذَاكَ ، فَمَعْنَى الْاسْمِ :  
الْعَسْكَرُ ذَاكَ . وَفِي الْمُرَادِدِ : إِنَّهَا لَنَظَرٌ مُعَرَّبٌ مِنْ سَبَاهَانَ بِمَعْنَى : الْجَيْشِ ، فَيَكُونُ  
مَعْنَاهُ عَلَى حَذْفِ الْمِصْصَافِ : مَدِينَةُ الْجَيْشِ . وَإِصْبَهَانَ - كَمَا فِي الْمُرَادِدِ - مَدِينَةٌ  
عَظِيمَةٌ ، مَشْهُورَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْمَدَنِ وَأَعْيَانِهَا . وَأَصْبَهَانَ : اسْمٌ لِلْأَقْلِيمِ بِأَسْرَهَ ، وَكَانَتْ  
مَدِينَتَهَا أَوَّلًا : جِي ، ثُمَّ صَارَتْ الْيَهُودِيَّةَ ، وَهِيَ مِنْ نَوَاحِي الْجَبَلِ .

في هذا الحديث : فلما رأى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — استذبرته ، ورأيت في حاشية الشيخ : أَسْتَدِيرُ به ، وكذلك وقع فيه : أحياها له بالفقير ، وفي حاشية الشيخ : الوجه التَّنْقِير .

### أَسْمَاءُ النَّخْلَةِ :

وَالْفَقِيرُ لِلنَّخْلَةِ (١) . يقال لها في الكَرَمَةِ : حَيَّيَّةٌ ، وجمعها : حَيَايَا ، وهي الخَفِيرَةُ ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي : رَيْسَةٌ ، ثم يقال لها : وَدِيَّةٌ ، ثم فَسِيلَةٌ ، ثم أَشَاءَةٌ ، فإذا فانت اليد فهي : جَبَّارَةٌ ، وهي الْعَضِيدُ ، وَالْكَنْتِيلَةُ ، ويقال للتي لم تخرج من النواة ، لكنها اجْتُمَعَتْ من جنب أمها : قَلْعَةٌ وَجَيْثِيَّةٌ ، وهي الْجَنَائِثُ وَالْهَرَاءُ ، ويقال للنخلة الطويلة : عَوَانَةٌ بِلُغَةِ عُمَانَ ، وَعَيْدَانَةٌ بِلُغَةِ غَيْرِهِمْ ، وهي فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ (٢) بِالْمَسْكَانِ ، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين ، فجعلها تَارَةً : فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ ، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعَلَانَةً .

ومن الْفَسِيلَةِ حديث أنس : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

(١) في الخَشْنَى : أحياها له بالفقير ، أَى : بالحفر وبالغرس ، يقال ، فقر الأرض : إذا حفرها ، ومنه سميت البئر فقيرا . وقال الوقشي : الصواب هنا : التَّنْقِير . وأراد الوقشي هنا : المصدر ، وهو الاحسن . والفقير أيضا : البئر تنفرس فيها النخلة الصغيرة ، والمكان السهل يحفر فيه ، ويخرج الماء من القناة (٢) لزوم المسكان ، فلم يبرحه .

قال : إن قامت الساعة ، وبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فاستطاع أن يفرسها قبل أن تقوم الساعة ، فذَيَّفَ رِسْهَا (١) من مصنف حماد بن سلمة . والذين صحبوا سلمان من النصارى كانوا على الحقِّ على دين عيسى بن مريم ، وكانوا ثلاثين يُدَاوِلُونَهُ سَيِّدًا بَعْدَ سَيِّدٍ (٢) .

من فقه عربيّ سلحمان :

وذكر في آخر الحديث أنه جمع شيئًا ، فجاء به النبيّ — صلى الله عليه وسلم — ليختبره : أيا كل الصدقة ، أم لا ، فلم يسْئله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحرٌّ أنت أم عَبْدٌ ، ولا : من أين لك هذا ، ففي هذا من الفقه : قبول الهدية وترك سؤال المُهْدِي ، وكذلك الصدقة .

حكم الصدقة للنبي ومصدر مال سلحمان :

وفي الحديث : مَنْ قُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ فَلْيَأْكُلْ وَلَا يَسْتَلْ . وذكر أبو عبيد في كتاب الأموال حديث سلمان حُجَّةً على من قال إن العبد لا يملك ، وقال : لو كان لا يملك ما قبل النبي — صلى الله عليه وسلم — صدقته ، ولا قال لأصحابه : كلوا صدقته . ذكر غير ابن إسحاق في حديث سلمان الوجه الذي جمع منه سلمان ما أهدى للنبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : قال سلمان : كنت عبداً لامرأة ، فسألتُ سيدتى أن تهبَ لى يوما ، ففعلت في ذلك اليوم على صاع أو

(١) أحد في مسنده ، والبخارى في الادب المفرد ، وقال السيوطى : ضعيف

(٢) في البخارى : تداول سليمان بضعة عشر من رب إلى رب .



صاعين من تمر، وجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما رأيته لا يأكل الصدقة، سألت سيدتي أن تهب لي يوماً آخر، فعملت فيه على ذلك، ثم جئت به هدية للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقبله وأكل منه، فبين في هذا الرواية الوجه الذي جمع منه سلمان ما ذكر في حديث ابن إسحاق، والصدقة التي قال النبي عليه السلام: لا تحلُّ لمحمد، ولا لآل محمد هي المفروضة دون التطوع، قاله الشافعي، غير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن تحل له صدقة الفرض ولا التطوع، وهو معنى قول مالك.

وقال الثوري: لا تحلُّ الصدقة لآل محمد فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم، لأن موالى القوم من أنفسهم، بذلك جاء الحديث. وقال مالك: تحل لمواليهم، وقالت جماعة، منهم أبو يوسف: لا تحلُّ لآل محمد صدقة غيرهم، وتحلُّ لهم صدقة بعضهم على بعض، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب (١).

(١) في حديث رواه مسلم: إنا لا نأكل الصدقة، وفي حديث رواه أحمد بإسناد قوي: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة. ويقول الفسطلاني: والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن أوساخ أموال الناس: ويقول الزرقاني عن الصدقة، ولأنها تنفي عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه. ص ٢٢٠ وما بعدها ج ه المواهب اللدنية. أما الهدية فكان يقبلها، ففي البخاري أنه أهديت إليه ديباج مزررة بالذهب، فقسمها في ناس من أصحابه، وعزل منها واحداً لمحرمة بن تنوفل. وفيه أيضاً أن ملك أيلة أهدى إليه بغلة بيضاء، فكساه رسول الله بردة وكان أصحابه يهدون إليه، فيكافئهم أضعافها. وفي حديث سلمان بضع كلمات إليك معها. دهقان: شيخ القرية العارف بالفلاحة، وما يصلح الأرض. فطن النار

### أول من مات بعد الهجرة :

وقول سلمان : فأنبت رسول الله وهو في جنازة بعض أصحابه . صاحبه . الذي مات في تلك الأيام : كُنْثُومُ بْنُ الْهِذْمِ الذي نزل عليه النبي - صلى الله عليه وسلم . قال الطبري : أول من مات من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم . بعد قدومه المدينة بأيام قليلة : كُنْثُومُ بْنُ الْهِذْمِ <sup>(١)</sup> ، ثم مات بعده أسعد بن زُرَّارَة .

فصل : وذكر ابن إسحاق في مكانة سلمان أنه فُقر لثلاثمائة وِدِيَّةٍ . أي : حفر ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضعها كلها بيده ، فلم تمت منها وِدِيَّةٌ واحدة ، وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده وِدِيَّةً واحدة ، وغرس رسول الله -

==خادها . الأسقف في الكنيسة : هو عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم ، ويقال : أسقف بتخفيف الغاء أو تضعيفها مع ضم الهمة وإسكان السين وضم القاف . العذق بفتح العين : النخلة . وبكسر ها : الكباسة وهي عنقود النخلة وبها ليل جمع بهلول ، السيد . يراحون ؛ يهتزون . النجب : النذر . العرواء : الرعدة . الشملة . الكساء الغليظ يلتحف به .

(١) ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي . ذكر ابن عتبة وغيره أنه النبي - صلى الله عليه وسلم - نزل عليه بقباء أول ما قدم المدينة . وآخرون قالوا : إنه نزل على سعد بن خيشمه . قال الواقدي : كان نزوله على كلثوم ، وكان يتحدث في بيت سعد . ابن خيشمة ؛ لأن منزله كان منزل القرآن .

صلى الله عليه وسلم - سائرهما ، فعاشرت كلها إلا التي غرس سلمان . هذا معنى حديث البخارى .

### أسطورة نزول عيسى قبل بعثة النبي :

فصل : وذكر عن داود بن الحصين قال : حدثني مَنْ لا أتهم عن عمر ابن عبد العزيز قال : قال سلمان للنبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مُسْتَجِيزاً من غَيْضَةٍ إلى غَيْضَةٍ ، ويلقاه الناسُ بمرضاهم . فلا يدعوا لمرضى إلا شئى ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن كنت صدقتنى يا سلمان ، فقد رأيت عيسى بن مريم . إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك الرجل هو الحسن بن عماره (١) ، وهو ضعيف بإجماع منهم ، فإن صح الحديث ، فلا نكارة في مَقْنِه ، فقد ذكر الطبرى أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع ، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذى فيه الصليب يَتَكَيَّان (٢) ، فكلهما ، وأخبرها أنه لم يُقتل ، وأن الله رفعه

(١) وقيل عن الرجل المبهم إنه شيخ عاصم بن عمر بن قتادة . والحديث أيضا منقطع بل معضل بين عمر بن العزيز وسلمان رضى الله عنه . وقوله : لئن كنت صدقتنى الخ غريب جداً بل منكر - كما ذكر ابن الاثير في البداية . ص ٣١٤ > ٢ .

(٢) إنها كذبة صالحة لا يجوز ترددها . ولأنه يدبر أن الله سبحانه لم يذكر لعيسى عليه السلام سوى ثلاثة أطوار ككل البشر : وهو السلام على يوم وُلِدَ ، ويوم أمُوت ، ويوم أبْنَمَتْ حيا ، كما قيلت تماما عن يحيى ، والصليبيون يزعمون أنه سيرل ، ويجعل العالم كله يكرز بالإنجيل ، وآيات نزوله : عودة ملك سليمان إلى اليهودا ومن =

وأرسل إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد ، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا، ولسكن لا يُعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح والله أعلم ، وروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام<sup>(١)</sup> ، ويدفن إذا مات في الروضة التي فيها النبي عليه السلام .

== أين جاء الطبري وغيره بما زعموه عن نزول عيسى؟ وقد يقال هنا — كما قالوا — لنصح الخبر ، فإنه يدل على أن عيسى قد هرب من الذي جاءوا يطلبونه ليصلبوه ، وأن هؤلاء الطالبين أخذوا غيره ، وأن الذين رأوا عيسى بعد هذا ظنوا أنه بعث بعد صلبه ؛ إذ كانوا يظنون أنه قد أخذ ، وصلب .

(١) لا يستفيد من ترديد مثل هذا سوى الذين يحبون القضاء على الإسلام . وقد روى حديث نزول عيسى الشيخان والترمذي وأحد ، أما تزوجه فقد ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفا . وقد قيل : إن هذا الحديث معارض في دلالته بما تدل عليه أحاديث أخرى ، كالحديث الذي ورد في الصحيحين دالا على أن الحبش سينقضون الكعبة ، والحديث الذي ورد في البخاري مؤكدا أن بين يدي الساعة أي : قرب مجيئها — أياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع العلم ، ويكثر فيها الهرج — أي القتل — وكالحديث الذي شكاه بعض الناس لأنس من ظلم الحجاج فقال لهم : اصبروا فإنه لا يأت عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم . على حين يذكر في حديث عيسى أنه سيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، وأن المال سيفيض حتى لا يقبله أحد ، كما يؤكد زوال الشقاء والتباغض والتحاسد ، فأين هذا من ذلك؟ وهل يعتبر هذا شرا من أيامنا هذه ، كما يقول الحديث السابق؟ وقيل : إنه معارض أيضا بقوله سبحانه الذي يقص به قول عيسى يوم القيامة : « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد » ، فأين الحديث هنا عن كسر الصليب وقتل الخنزير؟ لماذا لم يقل : فلما أنزلتني ففعلت وفعلت ، وعلت أنهم غيروا؟

## ذكر وردة بن نوفل بن أسد بن العزى وعبيد الله

ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحاق : واجتمعت قُرَيْشُ يوماً في عيدٍ لهم عند صنمٍ من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وَيَنْحَرُونَ له ، وَيَكْتُمُونَ عنده ، وَيُذَيِّرُونَ به ، وكان ذلك عيداً لهم ، في كل سنة يوماً ، فخلص منهم أربعة نفر نجياً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكنتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : وردة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وعبيد الله بن جحش بن ريثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمه ، وكانت أمه أُمَيْمَةُ بنت عبد المطلب . وعثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤي ، فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ! ما حَجَرُ نَطِيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضرب ولا ينفع ! يا قوم اتمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم .

فأمَّا وردة بن نوفل فاستحکم فی النصرانية ، واتَّبَعَ الكتبَ من أهلها ، حتى علم علماً من أهل الكتاب . وأمَّا عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم

• • • • •

حَبِيبَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ مُسْلِمَةً ، فَلَمَّا قَدِمَهَا تَنْصَرُ ، وَفَارَقَ الْإِسْلَامَ ، حَتَّى هَلَكَ هُنَاكَ نَصْرَانِيًّا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ؛ قَالَ : كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ جَعْفَرٍ — حِينَ تَنْصَرُ — يَمْزُجُ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ هُنَاكَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَيَقُولُ : فَقَعْنَا وَصَاصًا تَمْ ، أَيْ : أَبْصِرْنَا وَأَنْتُمْ تَلْتَمِسُونَ الْبَصَرَ ، وَلَمْ تُبْصِرُوا بَعْدَ ، وَذَلِكَ أَنَّ وَلَدَ الْكَلْبِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ ، صَاصًا ؛ لِيَنْظُرَ . وَقَوْلُهُ : فَقَعْ : فَتَحَ عَيْنَيْهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ عَلَى أَمْرَاتِهِ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ فِيهَا إِلَى النَّجَاشِيِّ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، نَخَطِبُهَا عَلَيْهِ النَّجَاشِيُّ ؛ فَرَزَّوْجَهُ إِيَّاهَا ، وَأَصْدَقَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعًا مِائَةً دِينَارٍ . فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ : مَا نَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَقَفَّ صَدَاقَ النِّسَاءِ عَلَى أَرْبَعًا مِائَةً دِينَارٍ إِلَّا عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ الَّذِي أَمْنَكَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَمَّا عُمَانُ بْنُ الْخَوَّارِ ، فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ فَتَنْصَرَّ ، وَحَسَنَتْ مَنَزَلَتُهُ عِنْدَهُ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَلِعُمَانُ بْنُ الْخَوَّارِ عِنْدَ قَيْصَرَ حَدِيثٌ ، مَنْعَنِي مِنْ ذِكْرِهِ مَا ذَكَرْتُ فِي حَدِيثِ حَرْبِ الْفِجَارِ .

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن نُفَيْل فوقف ، فلم يدخل في  
يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميثة والدُم  
والذبائح التي تذبح على الأوثان ، ونَهَى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبدُ  
ربَّ إبراهيم ، وبَادَى قَوْمَهُ بَعِيْبَ ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عُرْوَة عن أبيه ، عن أمِّه أسماء بنت  
أبي بكر رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيْل شيخا كبيرا  
مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى السَّكْبَةِ ، وهو يقول : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ ، والذي نفسُ زيدِ  
ابن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم  
لو أني أعلم أىَّ الوجوه أحبَّ إليك عَبدتُك به ، ولكني لا أعلمه ، ثم يسجد  
على راحته .

قال ابن إسحاق : وُحِدَتْ أَنْ ابْنَهُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ  
وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وهو ابن عمِّه ، قالوا لرسول الله على الله عليه وسلم :  
أَسْتَغْفِرُ لَزَيْدِ بْنِ عَمْرِو ؟ قال : نعم ، فإنه يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ .

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ في فراق دين قومه ، وما كان لِقَى منهم  
في ذلك :

أَرَبًّا وَاحِدًا ، أَمْ أَلْفَ رَبٍّ      أَدِينُ إِذَا تُفَسِّمَتِ الْأُمُورُ  
عَزَلْتُ اللَّاتِ وَالْعُزَّى جَمِيعًا      كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبُورُ  
فَلَا الْعُزَّى ، أَدِينُ وَلَا ابْنَتَيْنِهَا      وَلَا صَنْئَتِي بَنَى عَمْرٍو أَزُورُ

ولا مُبَلَّأً أَدِينُ ، وكانَ رَبًّا      لَنَا فِي الدَّهْرِ إِذْ حِلْيِي يَسِيرُ  
مُجِئْتُ . وَفِي اللَّيَالِي مُعْجَبَاتُ      وَفِي الْأَيَّامِ يَغْرِفُهَا الْبَصِيرُ  
بَانَ اللَّهُ قَدْ أَفْنَى رِجَالًا      كَثِيرًا كَانَ شَأْنُهُمُ الْفُجُورُ  
وَأَبْقَى آخَرِينَ بَرَّ قَوْمٍ      قَلِيلٌ مِنْهُمْ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ  
وَبَيْنَا الْمَرْءُ يَعْتُرُ ثَابِ يَوْمًا      كَمَا يَتَرَوَّحُ الْفُضْنُ الْمَطِيرُ  
وَلَسَكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمَنَ رَبِّي      لِيَغْفِرَ ذَنْبِي الرَّبُّ الْغَفُورُ  
فَتَقْوَى اللَّهُ رَبُّكُمْ أَحْفَظُوهَا      مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا . لَا تَبُورُوا  
تَرَى الْأَبْرَارَ . دَارُهُمْ جَنَّاتُ      وَالْكَفَّارِ حَامِيَّةٌ سَعِيرُ  
وَحِزْنِي فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا      يُبْلِقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً — قال ابن هشام : هي لِأُمَيَّةَ بن أبي  
الصَّلْتِ في قصيدة له . إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز  
البيت الأول عن غير ابن إسحاق : —

إِلَى اللَّهِ أَهْدَى مِذْحَتِي وَثَنَانِيَا      وَقَوْلًا رَصِينَا لِابْنِي الدَّهْرِ بَاقِيَا  
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ      إِلَهٌ ، وَلَا رَبٌّ يَكُونُ مُدَانِيَا  
أَلَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالرَّذَى      فَإِنَّكَ لَا تَخْفِي مِنَ اللَّهِ خَافِيَا  
وإِيَّاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ      فَإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا  
حَنَانِيكَ إِنْ الْجَنِّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ      وَأَنْتَ إِلَهِي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا  
رَضِيتُ بِكَ — اللَّهُمَّ — رَبًّا فَلَنْ أَرَى      أَدِينُ إِلَهًا غَيْرَكَ اللَّهُ ثَانِيَا



وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مَنْ وَرَحْمَةٍ      بعثت إلى موسى رسولا مُنَادِيًا  
 فقلت له : يَا أَذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوا      إلى الله فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا  
 وقولاه : أَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ      بلا وَتَدِّ ، حتى اطمأنت كما هيا  
 وقولاه : أَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ      بلا عَمَدٍ ، أَرْفِقْ - إِذَا - بِكَ بَانِيَا  
 وقولاه : أَنْتَ سَوَّيْتَ وَسَطَهَا      مُنِيرًا ، إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا  
 وقولاه : مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدُوَّةً

فِيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَاحِيَا -  
 وقولاه : مَنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِي النَّزَى

فِيُصْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا  
 وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رَوْسِهِ      وفي ذاك آيات لمن كان واعيَا  
 وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُوسُفَا      وقد بات في أعضاف حُوتٍ لِيَالِيَا  
 وَإِنِّي لَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا      لَا كُثِرَ - إِلَّا مَا غَفَرْتَ - خَطَايَا  
 فَرَبِّ الْعِبَادِ أَلْقَى سَيْبًا وَرَحْمَةً      على ، وَبَارَكَ فِي بَنِي وَمَالِيَا  
 وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمي .

قال ابن هشام : واسم الحضرمي : عبدُ الله أحد الصَّدَفِ ، واسم الصَّدَفِ :  
 عمرو بن مالك أحد السَّكُونِ بن أشرس بن كِنْدِي ، ويقال : كِنْدَةُ بنُ  
 ثَوْرٍ بن مُرْتَعٍ بن عَفِيرٍ بن عَدِي بن الحارث بن مُرَّة بن أَدَدَ ابن زيد بن مِهْسَع  
 ابن عمرو ابن عَرِيب بن زيد بن كَهْلَانَ بن سَبَأ ، ويقال : مُرْتَعٍ بن مالك بن  
 زيد بن كَهْلَانَ بن سَبَأ .

قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروجَ من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فكانت صفية بنت الحضرمي كلما رآته قد تهيأ للخروج، وأرادته؛ آذنت به الخطاب بن نفيل، وكان الخطاب ابن نفيل عمه وأخاه لأمه، وكان يعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطاب قد وُكِّلَ صفية به، وقال: إذا رأيته قد تم بأمر، فأذيني به - فقال زيد:

لَا تَحْبِسْنِي فِي الْمَوَا      نِ صَفِيٍّ مَادَانِي وَدَائِبُهُ  
إِنِّي إِذَا خِفْتُ الْمَوَا      نِ، مُتَيْعٌ ذُلُّ رِكَابِهِ  
دُعُوصُ أَبْوَابِ الْمَلُوكِ      لَكَ وَجَائِبُ لِلْخَرْقِ نَابُهُ  
قَطَاعُ أَسْبَابِ تَذِلَ      بَغِيرِ أَقْرَانِ صَعَابِهِ  
وَأِنَّمَا أَخَذَ الْمَوَا      نَ الْعَبْرُ إِذْ يُوَمِّى إِهَابِهِ  
وَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَذِلَّ      بِصَكَ جَنْبِيهِ صَلَابِهِ  
وَأَخِي ابْنُ أُخْيٍ، ثُمَّ عَمِّي لَا يُؤَاتِينِي خُطَابِهِ  
وَإِذَا يُعَاتِبُنِي بِسُو      ءِ قُلْتُ: أَعْيَانِي جَوَابِهِ  
وَلَوْ أَشَاءَ لَقُلْتُ: مَا      عِنْدِي مَفَاتِحُهُ وَبَابِهِ

قال ابن إسحاق: وُحِدْتُ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ: أَنَّ زَيْدًا إِذَا كَانَ يُسْتَقْبَلُ فِي الْكَعْبَةِ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ، قَالَ: لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا، تَعَبُّدًا وَرِقًّا.

• • • • •

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وَهُوَ قَائِمٌ  
إِذَا قَالَ :

أَنْفِي لَكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمٌ مِمَّا تُجَنِّسُنِي فَإِنِّي جَاشِمٌ  
الْبِرِّ أَتَنِي لَا الْخَالَ ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ .

قال ابن هشام : ويقال : البرُّ أَتَنِي لَا الْخَالَ ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ : قال  
هو قوله : « مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ » عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تُحْمِلُ صَخْرًا ثَقَلَا  
دَحَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ ، أَرْسَى عَلَيْهَا الْجَبَالَا  
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمَزْنُ كَتَحْمِلُ عَذْبَا زُلَالَا  
إِذَا هِيَ سَيِّقَتْ إِلَى بَلَدَةٍ أَطَاعَتْ ، فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سَجَالَا

وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حِراءَ  
مقابل مكة ، ووكل به الخطابُ شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفاهم ،  
فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرا منهم ، فإذا علموا  
بذلك ، آذَنُوا بِهِ الْخَطَابُ ، فأخرجوه ، وآذَوْهُ كراهية أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ،  
وَأَنْ يُتَابِعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى قِرَاقِهِ . فقال - وهو يعظم حرُمته على مَنْ اسْتَحَلَّ  
منه ما استحل من قومه :

لَا تُهْمُ إِنِّي مُحَرِّمٌ لَا حِلَّهٖ وَإِنْ بَنَيْتِ أَوْسَطَ الْمَحِلَّةِ

عند الصَّفَا لَيْسَ بِذِي مَضَلَّةٍ

ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأخبار ، حتى بلغ الموصلَ والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجاء الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بمِيقَةَ من أرض البلقاء ، كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفة دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطبدنا ما أنت بواجدٍ من يَحْمِلُكَ عليه اليوم ، ولكن قد أظَلَّ زمانُ نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفة ، فاتَّخِذْ بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شامَّ اليهودية والنصرانية ، فلم يَرَضْ شيئاً منهما ، فخرج سريعاً ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا تَوَسَّطَ بلاد نَحْمٍ ، عَدَّوْا عليه فقتلوه - فقال وَرَقَةُ بن نوفل بن أسديبكيه :

رَشِدْتُ ، وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو ، وَإِنَّمَا	تَجَنَّبْتَ تَنْفُوراً مِنَ النَّارِ حَامِياً
بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ	وَتَرَكْتَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِي كَاهِياً
وإِذْ رَأَيْتَكَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ	وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِياً
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ كَرِيمٍ مُقَامُهَا	تُعَلِّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِياً
تُلَاقِي خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا ، وَلَمْ تَكُنْ	مِنَ النَّاسِ جَبَّاراً إِلَى الدَّارِ هَاوِياً
وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ	وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَاوِياً

قال ابن هشام : يُروى لِأُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ البَيْتَانِ الْأُولَانِ مِنْهَا ، وَآخِرُهَا

• • • • •

فصل : و ذكر حديث وَرَقَةَ بن نوفل <sup>(١)</sup> ، وعبيد الله بن جَحْش ، وعثمان ابن الحُوَيْرِث ، وزَيْد بن عمرو بن نُفَيْل وما تَنَجَّاهُ به ، وقال : زيد بن عمرو ابن نفيل إلى آخر النسب ، والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نُفَيْل بن رِيَّاح <sup>(٢)</sup> بن عبد الله بن قُرْط بن رِزَّاح <sup>(٣)</sup> بتقديم رياح على

(٢) في الإصابة : نفيل بن عبد العزى بن رياح .

وحدیث إسناد ظهره إلى السكبة - وسیاتی فی الروض - أخرجه البخاری من =

عبد الله ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر ، وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح ، وإنما رزاح بالكسر : رزاح بن ربيعة أخو قُصَيٍّ لأمه الذي تقدم ذكره (١) .

### الزواج من امرأة الأب في الجاهلية :

وأُمُّ زَيْدِ هِي : الحنيدة بنت خالد الفهمية ، وهي امرأة جده نُفَيْلٌ ولدت له الْخَطَّابَ (٢) فهو أخو الخطاب لأمه ، وابن أخيه ، وكان ذلك مُبَاحًا في الجاهلية بشرع متقدم (٣) ، ولم تكن من الحُرُمَاتِ التي انتَهَكُوهَا ، ولامن العظام التي ابتدعوها ، لأنه أمر كان في عهود نسب رسول الله — صلى الله

طريق هشام من طريق الليث تعليقاً ، والنسائي من طريق أبي أسامة ، والبغوي من طريق علي بن مسهر كلهم عن هشام ، وزادوا فيه : « يحبي الموءودة يقول للرجل إن أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، فأنا أكفيك موتها » ، وورد في رواية الطبراني أنه كان يسجد للكعبة بدلاً من راحته وقال عنه ابن دريد في الجهرة : رضى الأوثان في الجاهلية ، وامتنع من أكل ما ذبح لغير الله — عز وجل — والتزم الحنيفية دين إبراهيم ، إلى أن قتله أهل ميفعة ، قرية من قرى البلقاء بقرب دمشق من لحم أو جذام .

(١) والحديث الذي ذكره ابن إسحاق ، وفيه سؤال سعيد بن زيد وعمر ، بن الخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم الاستغفار لزيد . . . في رواية أحمد والطبراني والبخاري أن سعيداً هو الذي سأل ، وقال البيهقي عن الحديث : فيه المسمودي وقد اختلف ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) وكان عمرو بن نفيل قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب .

(٣) من أين له هذا ؟

عليه وسلم — فِكِنَانَةُ تَزُوجُ امْرَأَةً أَبِيهِ خُزَيْمَةَ ، وَهِيَ بَرَّةٌ بِنْتُ مُرَّةٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ النَّضْرَ بْنَ كِنَانَةَ ، وَهَاشِمٌ أَيْضًا قَدْ تَزُوجُ امْرَأَةً أَبِيهِ وَائِدَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ ضَعِيفَةَ <sup>(١)</sup> ، وَلَكِنْ هُوَ خَارِجٌ عَنْ عُمُودِ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَنَّهَا لَمْ تَلِدْ جَدًّا لَهُ ، أَعْنَى : وَائِدَةَ ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَا مِنْ نِكَاحِ لَا مِنْ سِفَاحِ <sup>(٢)</sup> ، وَلِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ : ( وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ) النِّسَاءُ : ٢٢ . أَيْ : إِلَّا مَا سَلَفَ مِنْ تَحْلِيلِ ذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ : وَفَائِدَةُ هَذَا الِاسْتِثْنَاءُ الْأَلَّا يُغَابُ نَسَبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي أَجْدَادِهِ مَنْ كَانَ لِفَيْئَةٍ <sup>(٤)</sup> وَلَا مِنْ سِفَاحٍ . أَلَا نَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فِي شَيْءٍ نَهَى عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ : إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، نَحْوَ قَوْلِهِ : ( وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَا ) وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ : ( وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ) الْإِسْرَاءُ : ٣٠ . وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي نَهَى عَنْهَا إِلَّا فِي هَذِهِ ، وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ قَدْ كَانَ مَبَاحًا أَيْضًا فِي شَرْعٍ مِنْ قَبْلُنَا ، وَقَدْ جُمِعَ يَعْقُوبُ بْنُ رَاحِيلَ وَأَخْتَاهُ إِيَّاهُ <sup>(٥)</sup> فَقَوْلُهُ : إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ

(١) يَقُولُ الْمَصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ فِي نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ١٧ : « وَكَانَتْ ضَعِيفَةُ بِنْتُ هَاشِمٍ عِنْدَ عَبْدِ مَنَافٍ بِنِ زَهْرَةَ بِنِ كَلَابٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدُ يَغُوثَ ، وَعَبِيدُ يَغُوثَ ، (٢) لَا رَيْبَ فِي طَهَارَةِ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ نِكَاحٍ صَحِيحٍ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَبِيهِ وَآمَنَةَ أُمِّهِ . لَكِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَرْفَعُ هَذِهِ السَّكَلَةَ ، حَتَّى آدَمَ أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ ، وَلِهَذَا لَمْ يُخْرِجْهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ السَّيِّئَةِ ، فَلَا تَرَاهَا إِلَّا عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَابْنِ عَسَاكَرٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ . وَأَحْسَنُ تَعْبِيرٍ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ : « لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ » .

(٣) لَا يَجُوزُ قَصْرُ الْآيَةِ عَلَى مَا ذَكَرَ وَحْدَهُ .

(٤) الزَّوْنَا ، وَتَقَالُ بِكَسْرِ الْغَيْنِ وَفَتْحِهَا .

(٥) هُمَا فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ : رَاحِيلَ وَلَيْثَةَ ابْنَتَا لَابَانَ ، وَقَصَّتُهُمَا مَعَ يَعْقُوبَ =

التَّفَانَةَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَتَذْيِيقَهُ عَلَى هَذَا الْمَغْزَى، وَهَذِهِ النِّسْكَةُ لَقِنَتْهَا مِنْ شَيْخِنَا  
الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن العربي - رحمه الله - وزيد هذا هو: والد سعيد  
ابن زيد أحد العشرة الذين شُهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأُمُّ سَعِيدٍ: فَاطِمَةُ بِنْتُ نَجَّحَةَ  
ابن خلف الخُزَاعِي [عند الزبير: بَعَجَّةُ بن أُمَيَّةَ بن خُوَيْلِدٍ بن خالد بن اليَمَعِرِ  
بن خَزَاعَةَ].

### تفسير بعض قول ابن محبس:

وذكر قول عبد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة: فَمَحَّنَا وَصَا صَائِمٌ،  
وشرح فَمَحَّنَا بقوله: فَمَحَّحَ الْجُرُوءُ: إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ،  
وَزَادَ: جَصَّصَ أَيْضًا، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ: بَصَّصَ بِالْبَاءِ حَكَاهَا عَنْ أَبِي زَيْدٍ (١)،  
وَقَالَ الْقَسَالَى: إِنَّمَا رَوَاهُ الْبَصَرِيُّونَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ بَيَاءً مَنْقُوطَةً بِأَمْتَيْنِ، لِأَنَّ  
الْيَاءَ تَبْدُلُ مِنَ الْجِيمِ كَثِيرًا كَمَا نَقُولُ: أَيْلٌ وَأَجْلٌ، وَلِرَوَايَةِ أَبِي عُبَيْدٍ وَجْهٌ،  
وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ بَصَّصَ مِنَ الْبَصِصِ، وَهُوَ الْبَرِيقُ.

### بعض الذين تنصروا:

فصل: وذكر عثمان بن الحويرث مع زيد، وورقة وعبيد الله بن جحش،  
ثم قال: وأما عثمان بن الحويرث فإنه ذهب إلى الشام، وله فيها مع قيصر خبر،  
ولم يذكر ذلك الخبر، وذكر البرقي عن ابن إسحاق أن عثمان بن الحويرث  
قدم على قيصر، فقال له: إني أجعل لك خَرَجًا على قريش إن جاءوا

== في الإصحاح التاسع والعشرين من التكوين، وفيه أن لابان خدع يعقوب وزوجه  
غير التي كان يريد بها أولاً، لأنها الكبرى، ثم زوجه لينة.

(١) في القاموس: يصصم الجرو: جصص. وانظر ص ١٣٦ نوادر أبي زيد



الشام لتجارهم ، وإلا منعهم ، فأراد قيصر أن يفعل فخرج سعيد بن العاصي ابن أمية وأبو ذئب ، وهو : هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود بن نضر بن مالك بن حنبل بن عامر إلى الشام ، فأخذوا حبسا ، فمات أبو ذئب في الحبس ، وأما سعيد بن العاصي ، فإنه خرج الوليد بن المغيرة ، وهو أمية فتخلصوه في حديث طويل ، رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأَخْذَسِ . وأبو ذئب الذي ذكر هو : جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، يُكْنَى : أبا الحارث من فقهاء المدينة ، وأمه بُرَيْهَةُ بنت عبد الرحمن بن أبي ذئب ، وأما الزبير فذكر أن قيصر كان قد تَوَجَّعَ عُثْمَانَ ، ولولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا الملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إِنَّ مَكَّةَ حَيٌّ لِقَاحٌ لَا تَدِينُ الْمَلِكَ <sup>(١)</sup> ، فلم يتم له مراده ، قال : وكان يقال له : الْبَطْرِيقُ <sup>(٢)</sup> ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمه عَمْرُو بْنُ جَمْنَةَ الْغَسَّانِي الْمَلِكُ .

اعتزال زبير بن عمر بن نفيل الأوثان :

فصل : وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه طوائفهم ، وتركه أكل ما نُحِرَ [ على الأوثان ] <sup>(٣)</sup> والنَّصُبِ . روى البخاري عن محمد بن أبي بكر ،

(١) أى لا تخضع للملوك .

(٢) في القاموس : البطريق : ككبريت ، القائم من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ، ثم الطرخان على خمسة آلاف ، ثم القصر مَس على مائتين ، والمختال .

(٣) ما بين القوسين زده من السيرة .

قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثني سالم ابن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقي زيدا بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح<sup>(١)</sup> قبل أن ينزل على النبي - عليه السلام - الوحي ، فقدّمت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ، سُقْرَةً أو قَدَمَهَا إليه النبي - صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل ما تذبجون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسمُ الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاةُ خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض الكَلأَ ، ثم تذبجونها على غير اسم الله ! إنكاراً لذلك ، وإعظاماً له . قال موسى بن سالم بن عبد الله : ولا أعلم إلا ما تُحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ، ويَدِّعُهُ ، فأتى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم ، وقال له إني لعلّ أن أدين بدينكم ، فأخبروني ، فقال : لا تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً ، وأنى أستطيعه ، فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فأتى عالماً من النصارى ، فذكر مثله ، فقال لن : تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفرُّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ، ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأنى أستطيع ، فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب ، أو مكان في طريق التنعيم .

يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً . ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه ، فقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم . وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مُسنداً ظهره إلى السكبة ، يقول : يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يُنحي المَوَدَّةَ ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أ كفيك مَوْتُهَا ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مَوْتُهَا . إلى هاهنا انتهى حديث البخاري . وفيه سؤال يقال : كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما ذبح على الثَّصْبِ ، وما لم يذكر اسمُ الله عليه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس في الحديث حين اُتِمَّ بِبَلَدَح ، فُقِدَتْ إليه السُّفْرَةُ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكل منها ، وإنما في الحديث أن زيدا قال حين قُدِّمَت السفرة : لا آكل مما لم يُذكر اسم الله عليه : الجواب الثاني (١) : أن زيدا إنما فعل ذلك برأى

(١) جوابه الثاني غير مقبول ، وزعمه أن ما ذبح لغير الله لم يكن محرماً في دين إبراهيم قول بغير دليل . والأناصِب : أحجار كانت حول السكبة يذبحون عليها للأضنام . وإليك بعض الآراء حول هذا الحديث . قال ابن بطال : كانت السفرة لقريش قدموها للنبي ، فأبى أن يأكل منها ، فقدمها النبي صلى الله عليه وسلم ، لزيد بن عمرو ، فأبى أن يأكل منها ، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها أولاً : إنا لأنا كل ما ذبح على أنصا بكم . وقال صاحب الفتح : وما قاله محتمل ، لكن لا أدري من أين له الجزم بتلك .

رآه ، لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم الميته ، لا بتحريم ما ذُبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام ، وبعض الأصوليين يقولون : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة ، فإن قلنا بهذا ، وقلنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما ذُبح على النصب ، فإنما قتل أمراً مباحاً ، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم ، وهو الصحيح ، فالذبايح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو ذلك ، مما أحله الله تعالى في دين من كان قبلنا ، ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل الله سبحانه : ( ولا تأكلوا مما لم يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) الأنعام : ١٢١ . ألا ترى كيف بقيت ذبايح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من

— وقال الخطابي . كان النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام ، ويأكل ما عدا ذلك ، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه ، لأن الشرع لم يكن نزل بعد ، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة . وقال صاحب الفتح : وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال ، وعلى تقدير أن يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر المذكور ، فإنما يحمل على أنه إنما ذبح عليه لغير الأصنام . وأما قوله تعالى : وما ذبح على النصب ، فالمراد به ما ذبح عليها الأصنام ، وفي الفتح أيضاً : أن الجواب على قوله : فذبحنا شاة على بعض الانصاب يعني : الحجارة التي ليست بأصنام ، ولا معبودة وإنما هي من آلات الجزار التي يذبح عليها ؛ لأن النصب في الأصل حجر كبير ، فمنها ما يكون عندهم من جملة الأصنام ، فيذبحون له ، وعلى اسمه ، ومنها ما لا يعبد ، بل يكون من آلات الذبح ، فيذبح الذابح عليه لا للصنم ، وكان امتناع زيد منها حسماً للمادة .

الكُفْر، وعبادة الصُّلْبَان، فكذلك كان ما ذبحه أهلُ الأوثانِ مُحَلَّاً بالشرع  
المتقدم، حتى خصه القرآن بالتحريم.

### زبد وصعصة والموءودة :

فصل : وذكر خبر الموءودة ، وما كان زيد يفعل في ذلك ، وقد كان  
صَعَصَمَةُ بن معاويةَ جدَّ الفرزدقِ رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل  
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : هل لي في ذلك من أجر؟ فقال في أصح الروايتين :  
لك أجره إذا منَّ الله عليك بالإسلام ، وقال المُبَرِّدُ في الكامل عن النبي  
- صلى الله عليه وسلم - كلاماً لم يصح لفظه ولا معناه ، ولا يشهد له أصل .  
والأصول تشهد له بهذه الرواية التي ذكرناها ؛ لما ثبت أن الكافر إذا أسلم ،  
وحسُن إسلامه ، كُتِبَ له كلُّ حسنة كان زَلَفَها ، وهذا الحديث أخرجه  
البخاري ، ولم يَذْكُرْ فيه : كل حسنة كان زَلَفَها ، وذكرها الدارقطني وغيره ،  
ثم يكون القصاص بعد ذلك : الحسنَةُ بِعَشْرِ أمثالِها ، والموءودة مَفْعُولَةٌ من  
وَأَدَّه إذا أنقله قال الفرزدق :

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَأْدَا تِ ، وَأَحْيَا الْوَيْدَ ، فَلَمْ يُؤَادِ

يعنى : جدَّ صَعَصَمَةَ بن معاوية بن ناجية بن عَمَّال بن محمد بن سفيان بن  
مُجَاشِع . وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غَيْرَةً على البنات ، وما قاله الله في  
القرآن هو الحق من قوله : ( خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) وذكر النقاش في التفسير :  
أنهم كانوا يَتَّيِدُونَ من البنات ، ما كان منهن زَرْقَاءُ أو بَرْشَاءُ أو شِجَاءُ أو

كَشَحَاءُ<sup>(١)</sup> تَشَاوَمَا مِنْهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا الْقَوُودُ :  
سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ <sup>(٢)</sup> ﴾ التَّكْوِير : ٨ : ٩ .

### العزى :

فصل : وذكر شِعْرَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَفِيهِ : عَزَلْتُ اللَّاتُ وَالْعُزَّى .  
جَمِيعًا . فَأَمَّا اللَّاتُ فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ، وَأَمَّا الْعُزَّى ، فَكَانَتْ نَحْلَاتٍ مَجْتَمِعَةً ،  
وَكَانَ عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ قَدْ أَخْبَرَهُمْ — فِيمَا ذَكَرَ — أَنَّ الرَّبَّ يُشَقِّى بِالطَّائِفِ عِنْدَ  
اللَّاتِ ، وَيُصَيِّفُ بِالْعُزَّى ، فَعَظُمَوهَا وَبَنَوْا لَهَا بَيْعًا ، وَكَانُوا يَهْدُونَ إِلَيْهِ كَمَا  
يَهْدُونَ إِلَى السَّكْبَةِ ، وَهِيَ الَّتِي بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —  
خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لِيَسْكَبَهَا ، فَقَالَ لَهُ سَادِمُهَا : يَا خَالِدُ اخْذَرْهَا ؛ فَإِنَّهَا تَجْدَعُ

(١) الزرقاء : العمياء أو من بها ذلك . والبرشاء : من فى لونها نقط مختلفة  
حمر ، وأخرى سوداء أو غبراء . والشيماء : من كثرت فى بدنها الشامات ، والشامة .  
علامة فى البدن ، يخالف لونها لون سائرته ، والكشحاء : الموسومة بالنار فى كشحها ،  
بسبب داء فى كشحها ، وربما كانت : الكسحاء .

(٢) ورد فى فتح البارى ص ١١٥ ج ٧ : « كان أهل الجاهلية يدفنون البنات .  
وهن بالحياة ، ويقال : كان أصلها من الغيرة عليهن لما وقع لبعض العرب حيث  
سبي بنت آخر فاستفرشها ، فأراد أبوها أن يفتديها منه ، فخيرها ، فاخترت  
الذى سبها ، خلف أبوها : ليقتلن كل بنت تولد له ، فتبع على ذلك ، غير أن  
القرآن ذكر أن وأدهن كان خشية الفقر ، أو من الفقر . ولهذا قال سبحانه : « ونحن  
نرزقكم وإياكم . لمن كانوا يمدون خشية الفقر ، وقال لمن يمدون من الفقر : « ونحن  
نرزقكم وإياكم . عجل لهم البشارة برزق الوائدين ، فهى فى هذا المقام أولى  
بالذكر .

وَتُسَكَّنُ ، (١) فهدمها خالد وترك منها جذمها (٢) وأساسها ، فقال قَتِيْمُهَا :  
والله لتعودنَّ ولتنتقمينَّ مِنَّي فعل بها هذا ، فذُكِرَ - والله أعلم - أن رسولَ  
الله - صلى الله عليه وسلم - قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره  
أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسها ، فوجد فيها امرأة  
سوداء مُنْتَفِشَةَ الشعر تَحْدِشُ وجهها ، (٣) ، فقتلها ، وهرب القَتِيْمُ ، وهو  
يقول : لا تُعْبِدُ الْعَزْزَى بعد اليوم . هذا معنى ما ذكر أبو سعيد الدِّيسَابُورِي  
في التَّبَعِثِ . وذكره الأزرَقِي أيضاً ورَزِين .

معنى يربل :

وقوله : فَيَرْبِلُ مِنْهُمْ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ . ألفت في حاشية الشيخ أبي بحر  
رَبَلَ الطِّفْلُ يَرْبِلُ إذا شب وعظم . يربل بفتح الباء أى يكبر وينبت ،  
ومنه أخذ رَبِيلُ الأَرْضِ (٤) . وقوله : كما يَتَرَوَّحُ الغَصْنُ : أى : يَنْبُتُ  
ورقه بعد سقوطه (٥) .

(١) في بعض الروايات ورد: أن ذلك كان حين أرسل خالد إلى ذى الخلصة  
ليهدمها ، وفيها صنم يعبدونه ، فقال له السادن : لا تفعل ، فإنها مكنتك ، بضم  
الميم وفتح الكاف وتضعيف النون مع كسرهما أى مقبضة يديك ، ومثلتهما .

(٢) الجذم بكسر الجيم وفتحها : الأصل

(٣) يجب أن نفهم أنها إن صح الحديث شيطانة من الإنس كانت تخدع  
الناس بحيلها ، فيظنون أن للعزى حياة وقدرة أو جنيا يتلبس بها

(٤) في القاموس : ربلوا يربلون - بكسر الباء أو ضمها في المضارع ،

كثروا أو كثرت أموالهم وأولادهم وفي الحشنى : ربل الطفل يربل بضم الباء  
في المضارع : شب وعظم ، والربل : ما اخضر من الشجر

(٥) عند الحشنى : يهتز ويخضر

أعراب نعت النكرة المتقدم :

وقوله : وللكفار حامية سَعِير . نصب حاميةً على الحال من سَعِير ؛ لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها نصب على الحال ، وأنشد سيبويه في مثله :

لِمِيَّةٍ مُوحِشًا طَلَلٌ<sup>(١)</sup>

وأنشد أيضاً [ لذي الرِّمَّة ] :

وتحت العوالي والقنأ مُنتَكِنَةً      ظِلَّاءَ أَعَارَتْهَا الْعِيُونَ الْجَاذِرُ

(١) يرى ابن الحاجب في أماليه على أبيات المفصل أنه يجوز أن تكون كلمة موحشاً حالاً من الضمير في دلمية ، لأن جعل الحال من المعرفة أولى من جعلها من النكرة متقدمة عليها ، لأن هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ، فكان أولى ، ويذهب ابن جني في شرح الحماسة والزمخشري في تفسير : « وجعلناها فجاجاً سبلاً ، والخبصى في شرحه لكافية ابن الحاجب يذهبون إلى أن موحشاً حال من طلل ، لأنها وصف للنكرة ، وتقدمت عليها ، والكرمانى يرى أن موحشاً لا يجوز أن تكون حالاً من طلل ؛ لأنها مبتدأ ، والحال لا تكون إلا من الفاعل أو المفعول ، والبيت هو :

لِمِيَّةٍ مَوْحِشًا طَلَلٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلَلٌ

والخلل - بكسر الخاء - جمع خلة وهي بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره والبيت ينسب لكثير عزة كما فعل سيبويه ص ٢٧٦ ١ الكتاب ، ومن يقول بهذا يرويه ولعزة موحشاً ، لأن عزة اسم محبوبة كثير ، وقيل إن البيت لذي الرمة ، ومن يقول بهذا يرويه : دلمية موحشاً ، لأن مية اسم محبوبة ذي الرمة انظر ص ٣٤٤ ج ٢ ، ص ١٨٩ ج ٣ - خزانة الادب للبغدادى طبع السلفية وهناك آخر :

لِمِيَّةٍ مَوْحِشًا طَلَلٌ قَدِيمٌ عَفَاءٌ كُلُّ أَسْحَمٍ مُسْتَدِيمٌ



والعامل في هذا الحال : الاستقرار الذي يعمل في الظرف ، ويتعاقب به حرف الجر ، وهذا الحال على مذهب أبي الحسن الأَخْفَش لا اعتراض فيها ؛ لأنه يجعلُ النكرة التي بعدها مرتفعةً بالظرف ارتفاعَ الفاعل ، وأما على مذهب سيديويه ، فالمسئلة عسيرةٌ جداً ؛ لأنه يلزمه أن يجعلها حالا من المضمر في الاستقرار ؛ لأنه معرفة ، فذلك أولى من أن يكون حالا من نكرة ، فإن قدر الاستقرار آخر الكلام ، وبعد المرفوع كان ذلك فاسداً ؛ لتقدم الحال على العامل المعنوي . وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا .

من معاني سمر زبير :

فصل : وأنشد أيضاً زبير : إلى الله أهدى مدحتي وثنائياً . وفيه : ألا أيها الإنسان إياك والرّدى . تحذير من الردى ؛ والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروكٌ ، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت ، ويبيده وبكشفه من جزاء الأعمال ؛ ولذلك قال : فإنك لا تخفى من الله خافياً . وفيه :

وإني وإن سبّحتُ باسمك رَبَّنَا لَا كَثِيرُ إِلَّا مَا غفرتُ خَطَايَا

معنى البيت : إني لا أكثّر من هذا الدعاء الذي هو باسمك رَبَّنَا إلا ما غفرتُ « وما » بعد إلا زائدة ، وإن سبّحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها ، كما تقول : إني لا أكثّر من هذا الدعاء الذي هو باسمك رَبَّنَا إلا والله يغفر لي لأفعل كذا ، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة ، أى : لا أعتد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي .

### تفسير منانيك :

وقوله : حَنَانِيكَ بلفظ التثنية ، قال النحويون : يريد حنانا بعد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد . قال المؤلف رحمه الله : ويجوز أن يريد حنانا في الدنيا ، وحنانا في الآخرة ، وإذا قيل هذا لخلق نحو قول طرفة :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا      حَمَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ  
فإنما يريد : حناناً دَفَعُ ، وحناناً نَفَعَ ؛ لأن كل من أمَّل ما سكا ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيراً ، أو ليجلب إليه خيراً .

### ترجمة أدبين :

وقوله : فلن أرى أدبين إلها . أى : أدبين لإله ، وحذَف اللام وعدَّى الفعل ؛ لأنه في معنى : أعبد إلها .

### مول اسم الله :

وقوله : غيرك اللهُ برفع الهاء ، أراد : يا الله ، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام ، إلا أن حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الأسماء ، ألا ترى أنك تقول : يا أيها الرجل ، ولا ينادى اسم الله بيا أيها ، وتقطع همزته في النداء ، فتقول : يا الله ، ولا يكون ذلك في اسم غيره إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعروفة ، وأمل بعض

ذلك أن يُذكر فيما بعد - إن شاء الله - وقد استوفينا في غير هذا الكتاب ، وفيه بيت حسن لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره أبو الفرج (١) في أخبار زيد وهو :

أدين إلهما يُستجار ، ولا أرى أدين لمن لم يسمع الدهر داعياً  
مُزف المناوى مع بقاء الباء :

وفيه : قلت : ألا يا اذهب (٢) على حذف المنادى ، كأنه قال : ألا يا هذا اذهب ، كما قرئ : ألا يا اسجدوا ، يريد : يا قوم اسجدوا ، وكما قال غيلان :  
ألا يا أسلمى يا دارمى على البلى (٣)

(١) في كتابه الأغاني .

(٢) الذى فى السيرة : فقلت له : يا اذهب ، وفى بعض نسخها : فقلت له : اذهب .

(٣) هو لذى الرمة ، غيلان بن عقبة من بنى صعب بن مالك بن عبد مناة . ويكنى أبا الحارث . انظر ص ٧٤ ج ١ خزائن الأدب ، ففيها تفصيل الأسباب التى من أجلها لقب غيلان بذى الرمة ، وفى الروض بعضها ، وبيت الشعر كما قال ، وبقية : « ولا زال منها بجرعائك القطر » . ويرى الجوهرى فى الصحاح أن قوله سبحانه : « ألا يا اسجدوا » بالتحفيف معناه : يا هؤلاء اسجدوا ، لحذف المنادى اكتفاء بحرف النداء . وقال غيره : إن ياقى هذا الموضع إنما هى للتنبيه ، كأنه قال : ألا اسجدوا ، فلما أدخلت عليه ياء التنبيه سقطت الألف التى فى اسجدوا ، لأنها ألف وصل ، وذهبت الألف التى فى « يا » لاجتماع الساكنين ، لأنها والسين ساكتان .

وفيه : اذهب وهارونُ ، عطفًا على الضمير في اذهب ، وهو قبيح إذا لم يؤكّد ، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدًا .

### تصريف الطمأننت وأشباه :

وقوله : اطمأننت كما هيا ، وزنه أفلَعَلَّتْ ، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف ، لأنه من تطأمن أى : تطأطأ ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل ، فتكون أخف عليهم في اللفظ كما فعلوا في أشياء . حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين <sup>(١)</sup> . كما هيا . ما : زائدة اتَّكُفَّ الكفاف عن العمل ، وتسهيل للدخول على الجمل ، وهي : اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، التقدير : كما هي عليه ، والكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذي دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سِرْتُ مثل سير زيد ؛ فمثل حال من سِيرَكَ الذي سرتَه ، وفيه : أَرْفِقْ إِذَا بَكَ بَانِيَا . أَرْفِقْ تعجب ، وبك في موضع رفع لأن المعنى : رُفِقْتُ ، وبانيا تمييز ، لأنه يصلح أن يجر بمن ، كما تقول : أَحْسِنْ بَزِيدٍ مِنْ رَجُلٍ ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ؛ إذ قد

(١) وزن أشياء عند الاخفش : أفعلاء . وعند غيره أفعال ، وعند سيبويه . والخليل ، لفعاء ، ويقول الخليل : أشياء اسم للجمع ، كان أصله : فعلاء ، شيئا فاستثقلت الهمزتان ، فقلبوها الهمزة الاولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما ؛ قلبوا أنوقا ، فقالوا : أَيْتَقَا ، وكما قلبوا ، قووسا : قسيًا . وقول الخليل هو مذهب سيبويه والمازني ، وجميع البصريين إلا الزبائدي منهم . أما الاخفش ، فيقول : أصل أشياء ، أشياء على وزن أشياع ، فاجتمعت همزتان بينهما ألف . خففت الهمزة الاولى .

علم أنك متعجب منه ، وَلَبَسْتَ هَذَا الْمَعْنَى وَكَشَفَهُ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذَا - إِنْ شَاءَ  
الله - وَبَعْدَ قَوْلِهِ :

وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لِيَالِيَا

بَيْتٌ لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَوَقَعَ فِي جَامِعِ ابْنِ وَهْبٍ وَهُوَ :

وَأَنْبَتَ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ أَصْبَحَ ضَاحِيًا (١)

صَفِيَّةُ بِنْتُ الْحُضْرَمِيِّ :

وَذَكَرَ صَفِيَّةُ بِنْتُ الْحُضْرَمِيِّ ، وَاسْمُ الْحُضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَارٍ (٢) ،  
وَسَيِّئَاتِي ذَكَرَ نَسَبَهَا عِنْدَ ذِكْرِ أَخِيهَا بَعْدُ .

الرَّعْمُوسُ وَالْخَرَمُ فِي الشَّعْرِ :

وَقَوْلُهُ : دُعْمُوسُ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . يُرِيدُ : وَلَا جَأْفَ فِي أَبْوَابِ الْمُلُوكِ ، وَأَصْلُ  
الدُّعْمُوسِ : سَمَكَةٌ صَغِيرَةٌ كَحَيَّةِ الْمَاءِ ، فَاسْتَعَارَهُ هُنَا ، وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثِ  
أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : صَغَارَكُمْ دَعَامِيصُ (٣) الْجَنَّةِ ، وَكَمَا اسْتَعَارَتْ عَائِشَةُ الْعَصْفُورَ

(١) الْيَقْطِينُ : كُلُّ شَيْءٍ مَذْمُومٍ بَسْطًا فِي الْأَرْضِ ، وَمِنْهُ : الْقِرْعُ وَالْبَطِيخُ وَغَيْرُهُمَا .  
وَضَاحِيًا : عَارِيًا بَارِزًا لِلشَّمْسِ .

(٢) فِي السِّيرَةِ وَرَدَ اسْمُ الْحُضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَادٍ . وَيَقُولُ الْخَشَنِيُّ :  
وَالصَّوَابُ : عِمَادٌ لَا عِمَادَ . قَالَهُ ابْنُ الدَّبَاغِ وَابْنُ أَبِي الْخِصَالِ وَغَيْرُهُمَا .

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ خَالٍ فِي الْأَدَبِ . وَقَدْ فُسِّرَ الْخَشَنِيُّ الدُّعْمُوسَ =

. . . . .

حين نظارت إلى طفل صغير قد مات ، فقالت : طُوبَى له عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل سوءاً ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك ؟ إن الله خلق الجنة ، وخلق لها أهلاً ، وخلق النار ، وخلق لها أهلاً » أخرجه مسلم ، وفي هذه الآيات خَرَمٌ في موضعين ، أحدهما قوله :

ولو أشاء لقلت ما عندى مَفَاتِيحُهُ وبابه

والآخر قوله :

وإنما أخذ الهوانَ إلا مَعِيْزُ إذ يُوهى إهابه

وقد تقدم مثل هذا في شعر ابن الزُبَيْرِ ، وتكلمنا عليه هناك بما فيه كفاية . وقوله : ويقول . إني لا أذِلُّ أى : يقول العَبْرُ ذلك بِصَلِّ جَنْبَيْهِ صِلَابُهُ ، أى : صِلَاب ما يوضع عليه ، وأضافها إلى العبْر لأنها عِبْوَةٌ وحمله .

لغويات ومجربات :

وذكر قوله : البرُّأبْنى لا الخال (١) قال ابن هشام : البرُّأبْنى : بالنصب ، والخال : الخَلِيلُ ، والكَبِيرُ : وقوله : ليس مُهَجَّرٌ كمن قال ، أى : ليس من هَجَّرَ وتَسَكَّيسَ ،

== بقوله : « درية نفوس في الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل الذى يكثر الدلوج في الأشياء . فيعنى أنه يكثر الدخول على الملوك . »

(١) هو في الطبراني والبراز مع اختلاف يسير ، وفيه المسعودى ، وقد اختلف

كَمَنَّ آثَرُ الْقَائِلَةِ وَالنَّوْمُ<sup>(١)</sup>، فهو من : قال يَقِيلُ ؛ وهو ثلاثي ، ولكن لا يُتَعَجَّبُ منه . لا يقال : ما أَقِيلُه !! قال أهل النحو : اسْتَغْنَوْا عنه : بما أَنْوَمَه ، ولِذِكْرِ السر<sup>(٢)</sup> في امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا . وقول زيدة : إِنِّي مُخْرِمٌ لَا حِلَّةَ . مُخْرِمٌ أَي : ساكن بالحَرَمِ ، وَالْحِلَّةُ : أَهْلُ الْحِلِّ . يقال للواحد والجميع : حِلَّةَ . ذكر لقاء زيد الراهبِ بِمِثْقَةِ هَكَذَا تَقِيدُ فِي الْأَصْلِ بِكسر الميم من مِثْقَةِ<sup>(٣)</sup> ، والقياس فيها : الفتح ؛ لأنه اسمٌ لموضعٍ أَخَذَ مِنَ الْيَقَاعِ ، وهو المرتفع من الأرض . وقوله : شَامَ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ ، هو فاعل من الشَّمَّ كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النَّسَّابَةَ مِنْ قُضَاعَةَ ، ثم انصرف ، فقال له النَّسَّابَةُ : شَأْنُكُمْ شَأْمَةُ الذِّئْبِ الْغَنَمَ<sup>(٤)</sup> ، ثم تنصرف . في حديث ذكره أبو عليّ

(١) تعبير الحشنى في تفسيرها أبسط ، فقد قال : المهرج الذي يسير في الهاجرة  
أى : القائلة وقوله : كمن قال : يريد كمن استراح في القائلة ، ولم يسر ص ٧٤ .  
(٢) في المطبوعة : السير .

(٣) في المراسد : بفتح الميم وبالفاء المفتوحة : قريبة من أرض البلقاء من الشام ، وهى أيضاً في دار همدان باليمن .

(٤) الخبر في الأمالى لابن على القالى ص ٢٩٧ ط ٢ . وفيه أن يزيد سأل الشيخ : من الرجل ؟ ومن القوم ؟ فأرَمَّ القوم ينظرون إلى الشيخ هيبة له ، فقال الشيخ : رجل من مهرة - بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الراء - ابن حيدان - بفتح الحاء وسكون الياء - ابن عمرو بن الحاف بن قضاة ، فقلت - القائل يزيد - حياكم الله ، وانصرفت فقال الشيخ : قف أيها الرجل ، نسبنا فاننسبنا لك ، ثم انصرفت . ولم تكلمنا .. أو شاعمتنا مشامة الذئب الغنم ، ثم انصرفت ، والخبر كله خبر أدب لطيف .

في النواذر ، ومعناه : استخبر ، فاستعاره من الشم ، فنصب اليهودية والنصرانية  
نصب المفعول ، ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شمت ، والفعل أولى  
بهذا الموضع ، كما تقدم ، وقول ورقة : رشدت وأنعمت ابن عمرو ، أى : رشدت  
وبالغت في الرشد ، كما يقال : أمتعت النظر وأنعمته ، وقوله : ولو كان تحت  
الأرض سبعين واديا بالنصب . نصب سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفة  
للكرة ، كما قال : فلو كنت في جب ثمانين قامة<sup>(١)</sup> وما [ يكون ] صفة  
للكرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بعد  
تحت الأرض سبعين . كما تقول : بعد طويلا ، أى : بعدا طويلا ، وإذا حذف  
المصدر ، وأقت الصفة مقامه لم تكن إلاحالا ، وقد تقدم قول سيبيويه في ذلك  
في مسئلة : ساروا رؤو يدا ، ونحو هذا : دارى خلف دارك فرسخا ، أى : تقرب  
منها فرسخا إن أردت القرب ، وكذلك إن أردت البعد ، فالبعد والقرب  
مقدّران بالفرسخ ، فلو قلت : دارى تقرب منك قريبا مقدرا بفرسخ ، كان  
بمنزلة من يقول : قريبا كثيرا أو قايلا ، فالفرسخ موضوع موضع كثير أو قليل  
فإعرابه كإعرابه ، وكذلك قول الشاعر :

لانجبوا فلو ان طول قناته ميل إذا نظم الفوارس ميلا

(١) الشعر للأعشى ، وهو كما في اللسان :

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسم  
وصف بالثمانين ، وإن كان اسما لأنه في معنى طويل . والبيت من شواهد

سيبيويه .



## صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

قال ابن إسحاق : وقد كان - فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم - فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أثبت يُحْتَسُّ الحواريُّ لهم ، حين نَسَخَ لهم الإنجيلَ عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله - صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضني فقد أبغض الرب ، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلي ، ما كانت لهم خطيئةٌ ، ولكن من الآن بطرُوا وظَنُّوا أنهم -م- يُعْزَوْنِي ، وأيضا للرب ، ولكن لا بُدَّ من أن تم الكلمة التي في التَّامُوس : أنهم أبغضوني مجَّانا ، أي : باطلاً . فلو قد جاء المُذْخَمُ هذا الذي يُرْسَلُهُ الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذي من عند الرب خَرَجَ ، فهو شَهِيدٌ على وأنتم أيضا ؛ لأنكم قديما كنتم معي في هذا ، قلتُ لكم : لكيما لا تشكوا .

والمُذْخَمُ بالشَّرِيعَةِ : محمد : وهو بالرومية : الْبَرَقَايِطُس ، صل الله عليه وآله وسلم .

أى : نظمهم نظما مستطيلا ، ووضع ميلا موضع مُسْتَطِيلا ، فأعْرابهُ كإعْرابه ، فهو وَصَفٌ للمصدر ، وإذا أقيم الوصفُ مقامُ الموصوف في هذا الباب لم يكن حالا من الفاعل ، لكن من المصدر الذي يدل الفعلُ عليه بلفظه نحو : ساروا طويلا ، وسقيتها أحسنَ من سَقَى إليك ، ونحو ذلك .

## بخمس الحوارى :

فصل : وذكر يُخَدِّسُ الْخَوَارِىَّ (١) وسيأتى فى آخر الكتاب ذكرُ الْخَوَارِىِّينَ كُلِّهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ . وذكر قوله : أَبْفَضْتُمُونِى بَحَّانًا ، أى : باطلاً ، وكذلك جاء فى الحكمة : يَا بَنَى آدَمَ عَلِّمْ بَحَّانًا ، كما عَلَّمْتَ بَحَّانًا ، أى : بلائمن ، وفى وصايا الحكماء : شاورْ ذَوَى الْأَسْنَانِ وَالْعُقُولِ يُعْطُوكَ مِنْ رَأْيِهِمْ بَحَّانًا ،

(١) هو يوحنا صاحب الإنجيل الرابع فى العهد الجديد . هذا وقد ورد ما قاله ابن هشام فى الإصحاح الخامس عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا ، وأذكره هنا — كما هو اليوم فى هذا الإنجيل — لنوازن ، ولنعرف تحريف الكلم عن مواضعه : « الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية ، وأما الآن ، فقد رأوا ، وأبغضوني أنا وأبى ، لكن لى تم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم لأنهم أبغضوني بلاسبب . ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً ، لأنكم معى من الابتداء .. قد كلمتكم بهذا الكيلا تعثروا ، وأنقل ما ورد بعد هذا من نفس الإنجيل ، وفى نفس الغرض من الإصحاح رقم ١٦ . « أقول لكم الحق : لأنه خير لكم أن أطلق ، لأنه إن لم أطلق لا يأتىكم المعزى « فى نسخة : الفارقليط ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذاك يبكى العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة .. إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع ، يتكلم به ، ويخبركم بأموار آتية ، وهذه البشارة تنطبق تماماً على محمد صلى الله عليه وسلم . وهنالك كثير من البشارات التى وردت فى العهد القديم والعهد الجديد . وقد حرف المغرضون ترجمة كلمة الفارقليط لكيلا تنطبق البشارات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وحسبنا هذا ..

ما أخذوه بالثمن ، أى بطول التجارب ، ومن صفة النبي — صلى الله عليه وسلم — يقول الله سبحانه : أنت عَبْدِي وَرَسُولِي (١) سَمِّيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفَقْرٍ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ (٢) فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ ، وَلَكِنْ يَعْفو وَيَصْفَحُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِالَةَ الْعَوَّاجَةَ ، فَيَفْتَحَ بِهِ عِيُونًا عُصَمَاءَ ، وَأَذَانًا نُصَمَاءَ ، وَقُلُوبًا غُلْفَاءَ ؛ بَأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

### من صفات النبي عند الأخبار

ومما وجد من صفته — صلى الله عليه وسلم — عند الأخبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان التيمي . قال : وكان من أخبار يهودَ باليمن ، فلما سمع بذلك النبي — صلى الله عليه وسلم — قدم عليه ، فسأله عن أشياء ، ثم قال : إن أباي كان يختم على سفرٍ ، ويقول : [ لا تقرأه ] على يهود (٣) حتى تسمع نبي قد خرج بيثرِبَ ، فإذا سمعتَ به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعتُ بك فتحت السفر ، فإذا فيه صِفَتُكَ كما أراك الساعة ، وإذا فيه : مَا تُحِلُّ وَمَا تُحَرِّمُ ، وإذا فيه : إِنْكَ خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمْتُكَ خَيْرُ الْأُمَمِ ، واسمك : أحمد ، وأمتك الحامدون . قُرْبَانُهُمْ : دِمَاؤُهُمْ ، وَأَنَا جِيلُهُمْ : صُدُورُهُمْ ، وَهُمْ لَا يَحْضُرُونَ قِتَالًا .

(١) جاء قبله : د لانه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . ( يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ) وحرزا المؤمنين .

(٢) في رواية : صخاب أو صخوب .

(٣) أصل العبارة في الروض : د على سفر يقول . على يهود ، والتعويبه . من السيرة الحلبية ص ٢٥٠ - ١ .

## مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الطلبي قال : فلما بلغ محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى الحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ : أَأَقْرَضُكُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ : أَيْ نَقَلَ مَا حَمَلْتُمْ مِنْ عَهْدِي : ﴿ قَالُوا : أَأَقْرَضْنَا ، قَالَ : فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران : ٨١ ، فأخذ

إلا وجبريل معهم ، يتحتمن الله عليهم كتبتن النسر على فراخه ، ثم قال لي : إذا سمعت به فاخرج إليه ، وآمن به ، وصدق به ، فكان النبي — صلى الله عليه وسلم — يحب أن يسمع أصحابه حديثه ، فأتاه يوماً ، فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم — يا نعمان حدثنا ، فابتدأ النعمان الحديث من أوله ، فرؤى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يومئذ يتبسّم ، ثم قال : أشهد أني رسول الله ، وهو الذي قتله الأسود العنسي ، وقطعه عضوا عضوا ، وهو يقول : إن محمداً رسول الله ، وإنك كذاب مُفْتَرٍ على الله ، ثم حرّقه بالنار .

الله ميثاق النّبيّين جميعا بالتصديق له ، والنصر له من خالفه ، وأدّوا ذلك إلى من آمن بهم ، وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

قال ابن إسحاق : فذكر الزُّهري عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته : أن أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به : الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفتلق الصبح . قالت : وحَبَّبَ اللهُ تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الملك بن عُبيد الله بن أبي سُفيان ابن العلاء ابن جارية النّفقي ، وكان واعيةً ، عن بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسّر عنه البيوت ، ويُفِضُ إلى شعاب مكة وبُطون أوديتها ، فلا يمرُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر ، إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله ، وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بمجرأ في شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، مولى آل الزبير .

• • • • •

قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزُّبَيْرِ وهو يقولُ لُعْبِيدُ بنِ مُعْمِرِ بنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيَّ :  
 حَدَّثَنَا يَا عُبَيْدُ ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ  
 النَّبُوءَةِ ، حِينَ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ قَالَ : فَقَالَ عُبَيْدٌ — وَأَنَا حَاضِرٌ —  
 يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ ، وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّثُ بِهِ قُرَيْشٌ  
 فِي الْجَاهِلِيَةِ . وَالتَّحَنُّثُ : التَّخَبُّرُ .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وَنُزِرَ وَمَنْ أَرَسَى نَبِيرًا مَكَانَهُ      وِرَاقٍ لَبْرِقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ

قال ابن هشام : تقول العرب : التَّحَنُّثُ والتَّحَنُّفُ ، يريدون الحَنِيفِيَّةَ .  
 فَيُبَدِّلُونَ الْفَاءَ مِنَ الثَّاءِ ، كَمَا قَالُوا : جَدَفٌ وَجَدَثٌ ، يريدون . القبر . قال رؤية .  
 ابن العَجَّاجِ :

لو كان أحجارى مع الأجداف

يريد : الأجداث : وهذا البيت في أرجوزة له . ويدت أبي طالب في قصيدة ،  
 له ، سَأَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَوْضِعِهَا .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عُبَيْدَةَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ : قُمٌ ، فِي مَوْضِعِ : ثُمٌ ،  
 يَبْدُلُونَ الْفَاءَ مِنَ الثَّاءِ .

قال ابن إسحاق : حدثني وهب بنُ كَيْسَانَ قَالَ : قَالَ عُبَيْدُ [ بنِ عَمْرِو ] :

• • • • •

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم  
 مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، من  
 شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - السكبة ، قبل أن  
 يدخل بيته ، فيطوف بها سبعة ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ،  
 حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة  
 التي بعث الله تعالى فيها ، وذلك ، الشهر : شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم إلى جِراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي  
 أكرمها الله فيها برسالاته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله  
 تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني جبريل ، وأنا نائم ،  
 بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال ففتني به ،  
 حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتني  
 به ، حتى ظننت أنه الموت . ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا  
 أقرأ ؟ قال : ففتني به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ،  
 قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل  
 ما صنع بي ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق »  
 اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » : قال :  
 فقرأتها ، ثم انتهى ، فانصرف عني ، وهبت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي  
 كتابا . قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من  
 السماء يقول يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل قال : فرفعت رأسي إلى  
 السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدماه في أفق السماء يقول :

• • • • •

يا محمد، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فرقفت أنظر إليه فما أتقدم . وما أتأخرُ ، وجعلت أضرب وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلتُ واقفا ما أتقدم أمامي ، وما أرجع ورائي ، حتى بعثتُ خديجة رُسَلَهَا في طلي ، فبلغوا أعلى مسكة ، ورجعوا إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفتُ راجعا إلى أهلي ، حتى أتيت خديجة ، فجلستُ إلى نخلها مُضيفا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثتُ رُسلي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيتُ ، فقالت : أبشر يا بنَ عمِّ واثبتْ . فوالذي نفسُ خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصّر ، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قُدُّوس قُدُّوس ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، فقول لي : فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلقية ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا بن أخي أخبرني بما رأيتَ وسمعتَ ، فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذي نفسى بيده ، إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ



الأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى ، وَلَتَسْكُذِّبَنَّ وَلَتُؤْذِيَنَّ ، وَلَتُخْرِجَنَّ ، وَلَتُقَاتِلَنَّ .  
وَلَمَّا أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَمْلِكُهُ ، ثُمَّ أَدْنَى رَأْسَهُ مِنْهُ ،  
فَقَبَّلَ يَافُوكَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ : أَنَّهُ  
حَدَّثَ عَنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
أَيُّ ابْنِ عَمٍّ ، أَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .  
قَالَتْ : فَإِذَا جَاءَكَ فَأُخْبِرَنِي بِهِ . فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ، فَقَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَدِيجَةَ : يَا خَدِيجَةُ ، هَذَا جِبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي ، قَالَتْ :  
قِمِّي يَا ابْنَةَ عَمٍّ فَاجْلِسِي عَلَى فَخْذِي الْيَسْرَى ، قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
وَجَلَسَ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَتَحْوَلُ ،  
فَاجْلِسِي عَلَى فَخْذِي الْيُمْنَى ، قَالَتْ : فَتَحْوَلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
فَاجْلِسِي عَلَى فَخْذِهَا الْيُمْنَى ، فَقَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَتَحْوَلُ .  
فَاجْلِسِي فِي حِجْرِي ، قَالَتْ : فَتَحْوَلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاجْلِسِي  
فِي حِجْرِهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَتَجَسَّسْتُ وَأُلْقَيْتُ خِمَارَهَا -  
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا - ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : هَلْ تَرَاهُ ؟  
قَالَ : لَا ، قَالَتْ يَا ابْنَةَ عَمٍّ ، اثْبُتْ وَأُبَشِّرْ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : قَدْ  
سَمِعْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ حُسَيْنٍ تَحَدَّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ خَدِيجَةَ ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا  
تَقُولُ : أَدْخَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دُرْعَيْهَا ، فَذَهَبَ عِنْدَ

«ذلك جبريل» ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا كمالك ، وما هو بشيطان .

## كتاب المبعث

مَنى بعث رسول الله ؟ :

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام <sup>(١)</sup> ، وهذا مَرَوِيٌّ عن ابن عباس ، وجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَقَبَاثِ بْنِ أَشْيَمٍ ، وعطاء وسعيد بن المُسَيَّب ، وأنس بن مالك . وهو صحيحٌ عند أهل السَّيَرِ والعِلْمِ بالأنثر ، وقد روى أنه «نُبِّيَ لِأَرْبَعِينَ وَشَهْرَيْنِ مِنْ مَوْلَاهُ ، وَقِيلَ لِقَبَاثِ بْنِ أَشْيَمٍ : مَنْ أَكْبَرُ ، أَنْتَ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسَنُّ مِنْهُ ، وَوُلِدَ رَسُولُ

(١) اضطربت الأقوال حول سنة صلى الله عليه وسلم حين بعث . فبعض يقول : إنه بعث بعد اثنتين وأربعين سنة ، وهو مَرَوِيٌّ عَنْ مَكْحُولٍ . وآخرون يقولون : وهو ابن ثلاث وأربعين ، وهو رأى الواقدي وابن عاصم والدولابي . وما ذكره ابن حجر في الفتح : حديث ابن عباس : فَكَتَبَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ أَصْحًا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ وَجْهِ آخِرِ عَنْهُ : أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ ، فَكَتَبَ بِمَكَّةَ عَشْرًا ، وَأَصْحًا عِنْدَ آخِرِهِ مِنْ مَوْلَاهُ مِنْ وَجْهِ آخِرِ عَنْهُ : أَقَامَ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً .

وبعثه في رمضان هو المشهور عند الجمهور . وفي الفتح أيضاً : فعلى الصحيح المشهور أن مولده في ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر ، وفي حديث رواه الشيخان والترمذي أنه بعث لأربعين سنة ، ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفيل ، ووقفت بى أمى على روثِ الفيل  
ويُروى: خَزَقِ الطير، فرأيتُه أَخْضَرَ مُحِيلاً ، أى: قد أتى عليه حَوْلٌ ، وفى غير  
رواية البَـسْكَائى من هذا الكتاب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —  
قال لبلال : لَا يَفْتُكُ صِيَامُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ؛ فَإِنِى قَدْ وُلِدْتُ فِيهِ ، وَبُعِثْتُ فِيهِ ،  
وَأَمُوتُ فِيهِ (١) .

### إعراب لما آتيناكم :

وذكر ابن إسحاق قول الله سبحانه : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ  
لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحْكَمَةٍ » (٢) الآية . وما فى هذه الآية : اسمٌ مبتدأ (٣)  
بمعنى : الذى ، والتقدير : لِلَّذِى آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحْكَمَةٍ ، ولا يصح أن  
تكون فى موضع نصب على إضمار فعل ، كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل

(١) فى مسلم عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، سئل عن صوم يوم  
الاثنين ، فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه ، أحمد ومسلم وأبو  
داود . وزيادة : « وأموت فيه ، لا تتفق وهدى القرآن ، فالبحر لا يعرفون :  
مَتَى يَمُوتُونَ حَتَّى النَّبِيُّونَ .

(٢) يقول طاووس والحسن البصرى وقتادة فى تفسير الآية : « أخذ الله  
ميثاق النبیین أن يصدق بعضهم بعضاً ، وهذا التفسير حق . وتنكير كلمة رسول  
فى الآية يؤيده .

(٣) يقول العسبرى فى إعرابها : « فيها وجهان . أحدهما أن ما بمعنى الذى  
وموضعها رفع بالابتداء ، واللام : لام الابتداء دخلت لتوكيد معنى القسم ، وفى  
الخبر وجهان . أحدهما : من كتاب وحكمة . أى الذى أو يتشموه من الكتاب .  
والنكرة هنا كالمعرفة ، والثانى : الخبر : لتؤمنن به والهاء عائدة على المبتدأ . واللام  
( م ٢٥ — الروض الأوفى ج ٢ )

بضميره ، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها ، ومالا يجوز أن يعمل فيه ما قبله ، فلا يجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه ، وقد قيل : إن ماهذه شرط . والتقدير : لهما آيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به ، وهو ظاهر قول سيبويه ، لأنه جعلها بمنزلة : إن ، وقول الخليل : إنها بمنزلة الذي ، أى : إنها اسم لا حرف ، ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا ، فتكون اسماً ، وتكون شرطاً ، ويحتمل أيضاً أن تكون على قول الخليل : خبرية في موضع رفع بالابتداء ، ويكون الخبر : لتؤمنن به ولتنصرنه ، وإن كان الضميران عائدين على الرسول ، لا على الذى ، ولكن لما قال : رسول مُصَدِّقٌ لما معكم ، ارتبط الكلام بعضه ببعض ، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود .

==جواب القسم ، لأن أخذ الميثاق قسم في المعنى ، فأما قوله : ثم جاءكم ، فهو معطوف على : ما آتيتكم ، والعائد على وما من هذا المعطوف فيه وجهان . أحدهما : تقديره : ثم جاءكم به ، واستغنى عن إظهاره بقوله : به فيما بعد . والثاني : أن قوله : لما معكم في موضع الضمير ، تقديره : مصدق له ؛ لأن الذى معهم هو الذى آتاهم ويجوز أن يكون العائد ضمير الاستقرار العامل في مع ، ويجوز أن تكون الهاء في : به ، تعود على الرسول ، والعائد على المبتدأ : محذوف ، وسوغ ذلك طول الكلام ، وأن تصديق الرسول تصديق للذى أوتيته ، والقول الثاني : أن ما : شرط واللام قبله ، لتلقى القسم كالتى في قوله : اتن لم يفته المنافقون ، وليست لازمة بدليل قوله : وإن لم ينتهوا عما يقولون ، فعلى هذا تكون وما في موضع نصب بآيت . والمفعول الثاني : ضمير المخاطب ، ودمن كتاب ، مثل دمن آية ، في قوله : ما ننسخ من آية ، وباقي الكلام على هذا الوجه ظاهر ، ثم ذكر وجه إعرابها إذا قرئت بفتح اللام وتشديد الميم ، كما ذكر قبل وجه إعرابها إذا قرئت بكسر اللام وتخفيف الميم ص ٨٣ ج ١ لملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى .

على المبتدأ ، وله نظير في التنزيل منه قوله تعالى : ( والذين يُتَوَقَّفُونَ مِنْكُمْ )  
البقرة : ٢٣٤ خبره : يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِمْ ، ولم يعد على المبتدأ شيء ، لَنَسَبَتْ  
الكلام بعبءه ببعض ، وقد لاح لي بعد نظري الكتاب أن الذي قاله الخليل  
وقول سَيَبُوتَ قَوْلٌ واحد ، غير أنه قال : ودخول اللام على ما ، كدخولها على  
إن ، يعنى : فى الجزاء ، ولم يرد أن يعمل ما جزاء ، وإنما تكلم على اللام خاصة  
والله أعلم .

#### النُّبُوَّةُ وَأُولُو الْعِزْمِ :

وذكر قول ابن إسحق : والنُّبُوَّةُ أُنْقَالَ وَمُؤْنَةٌ لَا يَحْمِلُهَا وَلَا يَسْتَطِيعُهَا  
إِلَّا أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ، ووقع فى رواية يونس عن ابن إسحق فى  
هذا الموضع عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن مُنَبِّهٍ وهو  
فى مسجد منى - وذكر له يونسُ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - فقال : كان عبداً  
صالحاً ، وكان فى خَلْمَةٍ ضيق ، فلما حُمِلَتْ عَلَيْهِ أُنْقَالُ النُّبُوَّةِ ، وَلَهَا أُنْقَالُ تَفْسَخَ  
تَحْتَهَا تَفْسَخَ الرُّبْعِ تَحْتَ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ (١) ، فَأَلْقَاهَا عَنْهُ وَخَرَجَ هَارِباً ، وفى رواية  
عن ابن إسحق : إن أولى العزم من الرُّسُلِ منهم : نوحٌ وهودٌ وإبراهيمُ أما  
نوحٌ فلقوله : ( يَا قَوْمِ إِنِّ كُنْتُ أَنْبِئُكُمْ بِمَقَامِكُمْ عَلَى اللَّهِ وَتَذَكِّرُكُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ) يونس : ٧١  
وأما هود فلقوله : ( إِنِّى أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّى بَرِّىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ) هود : ٥٥  
وأما إبراهيم ، فلقوله هو والذين معه : ( إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

(١) الرُّبْعُ بضم الراء وفتح الباء : الفصل ، ينتج فى الربيع ، وهو أول النتائج  
والمقصود : ضعف وعجز .

الله) وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء (١).

أول ما يرى به النبي صلى الله عليه وسلم من النبوة :

(فصل) وذكر ابن إسحق : ما بدى به النبي — صلى الله عليه وسلم — من النبوة، إذ كان لا يمر بحجر، ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله (٢)، وفي مصنف الترمذي ومسلم أيضاً أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن يُنزل عليّ، وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذي كان يسلم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم: الأظهر فيه أن يكون حقيقة، وأن يكون الله أنطقه إنطاقاً كما خلق الخنين في الجذع (٣)، ولكن ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف: الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت: عرض في قوله

(١) من أشهر الأقوال عن أولى العزم أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، ودليلهم أن الله نص على أسمائهم في الأحزاب فقال: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، ومنك، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) الأحزاب: ٧ كما نص عليهم في سورة الشورى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك، وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، الشورى: ١٣. وقيل لهم جميع الرسل، وتكون من لبيان الجفس.

(٢) في الترمذي والدارمي قال علي: كنت مع النبي د ص، بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله، وروى مثله الطبراني في الأوسط، وفيه مجهول.

(٣) ورد حنين الجذع في حديث رواه البخاري والذسائي والترمذي.

الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النظام ، فإنه زعم أنه جنس ، وجمله الأشعري اصطلاحاً كافى الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطلاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ، ولو قدّرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بُدْث من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم : أى ذلك كان ، أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمناً ، أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة ، وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة (١) ، وأما حنين الجذع فقد سمي حنيناً ، وحقيقة الحنين يقتضى شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، يفترونها ، فيكون مجازاً من قوله تعالى : (واستل القرية) (٢) والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها علم على نبوته — عليه السلام — غير أنه لا يسمى معجزة (٣) فى اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدّى به الخلق ، فعجزوا عن معارضته .

- (١) ليس لاحد أن يتكلم عن حقيقة مثل هذا ، فانه وحده هو أعلم بالحقيقة .  
 (٢) القرية — كما يقول الراغب فى مفرداته — اسم للوضع الذى يجتمع فيه الناس ، وللناس جميعاً . وبهذا لا يكون فى الآية مجاز كما هو المشهور .  
 (٣) يجب أن نسميها بما سمى الله ، وهى : آية ، وبهذا تتجارب الكلمة مع سكونة القلب والفكر وتقديسها ، ونخلصها مما دار حول المعجزة من جدال ، واضطراب من شحناه وموازنات بينها وبين السحر والكرامة . والله سبحانه يسمي ما أعطاه للرسال آيات ، لا معجزات فلنقف عند هذا .

## مدلول نفعل :

وذكر حديث عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَجَاوِرُ بِفَارِجِ رَأْيٍ (١) وَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، قَالَ : وَالَّتِي حَنَنْتُ : التَّبَرُّرُ . تَنَفَّلُ مِنَ الْبِرِّ ، وَتَنَفَّلُ : يَقْتَضِي الدَّخُولَ فِي الْفِعْلِ ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ فِيهَا مِثْلُ : تَنَفَّقَ وَتَعَبَّدَ وَتَذَنَّنَكَ وَقَدْ جَاءَتْ فِي أَلْفَاظٍ بِسِيرَةٍ تَعطى الخُروجَ عن الشيء ، واطَّراحه ، كَالْتَأْتُمُ وَالتَّحَرُّجِ . وَالتَّحَنَّنُ بِالنَّاءِ الْمُمَثِّلَةِ (٢) ، لِأَنَّهُ مِنَ الْحَنَنْ ، وَهُوَ الْحَمْلُ الثَّقِيلُ ، وَكَذَلِكَ

(١) جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذهاب إلى منى ، ويقصر ويمد  
(٢) في كتاب الأضداد للصغاني : تحنن إذا أتى الحنن ، وإذا تجنبه ، ومثله  
في كتاب الأضداد لابن بكر الأنباري ، وفيه : تحوب الرجل إذا تجنب الحوب ،  
وهو الإثم العظيم ، ولا يستعمل تحوب في المعنى الآخر . وقال بعض أهل اللغة :  
تصدق الرجل إذا أعطى ، وتصدق إذا سأل ، ص ١٤٥ ، ١٥٤ الأضداد ط  
١٣٢٥ هـ لمحمد ابن القاسم بن بشار الأنباري أبي بكر . ويقول الحشني عن رأي  
ابن هشام في التحنن وأنه التحنف : فالحيد فيه أن يكون فيه التحنن هو الخروج  
من الحنن أي : الإثم ، كما يكون التائب الخروج عن الإثم . لأن تفعلل قد تستعمل  
في الخروج عن الشيء ، وفي الانسلاخ عنه ، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذي  
ذكره ابن هشام ، ص ٧٥ : هذا ولصيغة تفعلل معان مذكورة في مصادر ما فانظرها  
مثل ج ١ ص ١٤٠ الشافية للرضي . وفي الصحيحين أنه جاور بحراء شهراً . وذكر  
ابن إسحاق أنه شهر رمضان . وليس هنالك نص صريح أو صحيح يبين لنا كيف  
كان يتحنن . وأذكر هنا بقول الله سبحانه عما كان عليه محمد قبل البعثة :  
و ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، وقوله : ووجدك ضالاً فهدى ، فهي  
إذا كانت عزلة عن مجتمع جاهلي عربدت فيه الخطيئة . والمفهوم من كلام ابن هشام  
أن هذا التحنن أمر كانت تأتبه قريش في جاهليتها .



التَّقْدَرُ ، إنه هو تَبَاعُدُ عن القَدَرِ ، وأما التَّحَنُّفُ بالفاء ، فهو من باب التَّبَرُّرِ ؛ لأنه من الحَنِيفِيَّةِ دين إبراهيم ، وإن كان الفاء مُبَدَّلَةً من الثَّاء ، فهو من باب التَّقْدَرِ والتَّحَنُّمِ ، وهو قول ابن هِشَامٍ ، واحتَجَّ بِجَدَفٍ وَجَدَثَ ، وأنشد قول رُوَيْبَةَ : لو كان أَحْجَارِي مع الْأَجْدَافِ ، وفي بيت رُوَيْبَةَ هذا شاهدٌ وردَّ على ابن جَنِّي حيث زعم في سِرِّ الصَّنَاعَةِ أَنَّ جَدَفَ بالفاء لا يجمع على أَجْدَافٍ ، واحتج بهذا المذهب في أَنَّ الثَّاءَ هي الْأَصْلُ ، وقول رُوَيْبَةَ (١) ردُّ عاينه ، والذي نذهب إليه أَنَّ الفاءَ هي الْأَصْلُ في هذا الحرف ، لأنه من الْجَدَفِ وهو الْقَطْعُ ، ومنه جَدَافُ السفينة ، وفي حديث عمر في وصف الجن : شربهم الْجَدَفُ وهي الرِّغْوَةُ ، لأنها تُجَدَفُ من الماء ، وقيل : هي نبات يقطع ويؤكل . وقيل : كل إناء كشف عنه غطاؤه : جَدَفٌ ، والجَدَفُ : القتر من هذا ، فله مادة وأصل في الاشتقاق ، فأجدر بأن تكون الفاء هي الْأَصْلُ والثَّاءُ داخلة عليها . (٢)

حول مجاورته في حراء :

وقوله : يُجَاوِرُ في حراء إلى آخر الكلام . الجوار بالكسر في معنى المجاورة

(١) هو جزء من بيت من أرجوزة يعاتب بها رُوَيْبَةَ أباه العجاج . وقوله . لا تَمُجِّلَنَّ الحَنَفَ ذا الْإِتْلَافِ والدَّهْرُ إن الدهر ذو ازدلاف بالمرء ذو عصف وذو انصراف لو كان أَحْجَارِي مع الاجداف تعفو على مُجرئ ثومة العوافي تضربها الأمطار والسوافي انظر ص ١٠٠ من ديوان رُوَيْبَةَ ط ليبي . ببرلين

(٢) الجدف بالذال والذال : القبر ، وكذلك الجدث . وفي القاموس عن الجدف أنه نبات بالين يعني آكله عن شرب الماء عليه . وهو أيضا ماري به التراب من زيد أوقدني . وكل ما هو بالذال من هذا يقال بالذال أيضا .

وهى الاعتكاف ، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد كذلك قال ابن عبد البر ، ولذلك لم يُسمَّ جواره بِحِراءَ اعتكافاً ، لأن حِراءَ ليس من المسجد ، واسكنه من جبال الحرم ، وهو الجبل الذى نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال له تَبِيرُ وهو على ظهره : اهبط عني ؛ فإني أخاف أن تُقتل على ظهري فأعذب ، فناده حِراءَ : إني إلى إني يا رسول الله (١) .

### كيفية الوحي :

فصل : وذكر نزول جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : في الحديث : فأتاني وأنا نائم ، وقال في آخره : فهبت من نومي ، فكأنما كُتِبَتْ في قلبي كتاباً ، وليس ذكرُ النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان في اليقظة ؛ لأنها قالت في أول الحديث : أول ما أبدى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حَبَّبَ الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاء الحق ، وهو بغار حِراءَ ، فجاءه جبريل . فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي - عليه السلام - بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة تَوْطئةً وتيسيراً عليه .

(١) حديث يروى في السير ، وذكره عياض في الشفاء بلا سند فهو أسطورة .

ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعِبَؤُها ثَقِيلٌ ، والبشر ضعيف ، وسيأتي في حديث الإسرائء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه ، قد ثبت بالطرق الصَّحاح عن عامر الشَّعْبِي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل به - إسرأفيلُ ، فكان يترأى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشئ (١) ثم وكل به جبريلُ فجاءه بالقرآن والوحي ، فعلى هذا كان نزولُ الوحي عليه - صلى الله عليه وسلم - في أحوال مختلفة ، فمنها : النوم كافي حديث ابن إسحاق ، وكما قالت عائشة أيضاً : أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الرؤيا الصادقة (٢) . وقد قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ . فقال له ابنه : ﴿ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ الصافات : ١٠٢ ، فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام ، كما يأتيهم في اليقظة .

ومنها : أن يُنْفَثَ في رُوعه الكلام نَفْثًا ، كما قال عليه السلام : إن رُوح القدس نَفَثَ في رُوعِي أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها ،

#### (١) هذا مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

(٢) ورد هذا في حديث - رواه الشيخان والترمذي . وقد روى البخاري حديث الوحي في كتاب التعبير من صحيحه وفي التفسير ، وفي بدء الوحي ، واختار ما في التعبير ، لأن سياقه فيه أتم . وفي زاد المعاد أنه قيل : إن مدة الرؤية كانت ستة أشهر ويقول النووي عن حديث الرؤيا الذي روته عائشة : إنه من مراسيل الصحابة ؛ لأن عائشة لم تدرك هذه القصة ، فتكون سمعتها من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو من صحابي . ص ٥٨١ ج ٨ فتح الباري .

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد، وأكثر المفسرين في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الشورى : ٥١. قال هو أن يَنْفُثَ في رُوعه بالوحي .

ومنها : أن يأتيه الوحي في مثل صَلَصلةِ الْجُرَسِ<sup>(٢)</sup>، وهو أشدُّ عليه، وقيل : إن ذلك لَيْسَتْ جَمِيعُ قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يسمع ، وألقن لما يلقى .

ومنها : أن يتمثل له الملكُ رجلاً ، فقد كان يأتيه في صورة دحية<sup>(٣)</sup> بن

(١) أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة ، وعلم عليه السيوطي بأنه ضعيف ، ورواه بتمامه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود ، وابن ماجه عن جابر ، والطبراني من حديث أبي أمامة . والروع بضم الراء : النفس والقلب والذهن والعقل .

(٢) ورد هذا في حديث متفق عليه .

(٣) دحية بكر الدال وقد تفتح - بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد ابن امرئ القيس بن الخزرج ، أول مشاهده الخندق . نزل دمه شق وسكن المزة ، وعاش إلى خلافة معاوية . وذكر مقاتل أن التجارة التي سيأق ذكرها كانت لدحية قبل إسلامه . وكان معها طبل ، كما ورد في كتاب المراسيل في حديث رواه أبو داود . هذا وقد نزل جبريل على الرسول ص ، بصورة رجل غير دحية ، كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين ، وذلك حين جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان . وفي آخر الحديث . هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم . وقد وصف جبريل في صورته هذه - كما جاء في مسلم - بأنه رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فلو أنه كان في صورة دحية لعرفوه .

خليفة ، ويُروى أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق مُعَصِّرٌ<sup>(١)</sup> إلا أخرجت تنظر إليه لفرط جماله . وقال ابن سلام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ الجمعة : ١١ . قال : كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله .

ومنها : أن يترأى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ، ينتشر منها الأول والثاني والياقوت .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجاب : إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء ، وإما في النوم ، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي ، قال : أتاني ربي في أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى ، فقلت : لا أدري . فوضع كفه بين كتفي ، فوجدت برزخا بين مُنْدُوئِي<sup>(٢)</sup> وتجلي لي علم كل شيء ، وقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ، فقلت : في الكفارات ، فقال : وما هن ؟ فقلت : الوضوء عند الكفريات ، ونقل الأقدام إلى الحسنات ، وانتظار الصلوات بعد الصلوات ، فمن فعل ذلك عاش حميدا ، ومات حميدا ، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه ، وذكر الحديث<sup>(٣)</sup> . فهذه ستة أحوال ، وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها ، وهي

(١) المرأة بلغت شبابها وأدركت .

(٢) تندوة بضم فسكون ، فضم فواو مفتوحة فتاء ، وقد تفتح التاء : لحمه الثدي أو أصله .

(٣) أحمد وعبد الرازق والترمذي والطبراني عن ابن عباس مرفوعا ، وابن مردويه والطبراني من حديث معاذ ، وقال البيهقي في الاسماء والصفات : « هذا حديث مختلف في إسناده . ثم ذكر طرقه ، وقال : وكلها ضعيف ، وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله - وهي منقطعة - ثم رواية موسى بن خلب =

نزل إسرائيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل<sup>(١)</sup> فهذه سبعُ صور في كيفية نزول الوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - لم أرَ أحداً جمعها كهذا الجمع ، وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غُفْيَة ، وقد أملينا أيضاً في حقيقة رؤيته عليه السلام ربّه في المنام على أحسن صورة ، ويروى : على صورة شاب مسئلةً بدبعة كاشفة لقناع اللبس ، فانتظر هنالك .

#### من تفسير حميد الوهمي :

فصل : وذكر في الحديث أن جبريل أتاه بِنَمَطٍ<sup>(٢)</sup> من ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، قال بعض المفسرين في قوله : ( ألم ذلك الكتاب لارب فيه ) إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال : اقرأ ، وفي الآية أقوال غير هذه ، منها : أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه : ألم ؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله ، فهي كالترجمة له .

== وفيه ما يثبت أنه كان في النوم ، وذكر ابن الجوزي أن طرق هذا الحديث مضطربة .

(١) ورد في أثر عن الشعبي في تاريخ الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان وابن سعد والبيهقي . وهو مرسل أو معضل . وكلاهما من أقسام الضعيف ، وقد أنكره الواقدي ، وقال : لم يكن به من الملائكة إلا جبريل . قال الشامي . وهو المعتمد . وهو معارض للأحاديث الصحيحة .

(٢) وعاء كالسقط . وهذا من رسائل عبيد بن عمير .

## معنى اقرأ باسم ربك :

وقوله : ما أنا بقارىء ، أى : إني أُمِّيٌّ ، فلا أقرأ الكتب ، قالها <sup>(١)</sup> ثلاثاً  
فقليل له : اقرأ باسم ربك ، أى : إنك لا تقرؤه بحَوْلِكَ ، ولا بصفة نفسك ،  
ولا بمعرفتك ، ولست أقرأ مفتتحاً باسم <sup>(٢)</sup> ربك مستعينا به ، فهو يعلمك كما خلقك  
وكأنزع عنك علقَ الدم ، ومَمَّزَ الشيطان بعد ما خلقه فيك ، كما خلقه في كل  
إنسان . والآيتان المتقدمتان لمحمد ، والآخرتان : لأُمته ، وهما قوله تعالى : (الذى علمَ  
بالقلم علمَ الإنسان ما لم يعلم) لأنها كانت أُمَّةً أُمِّيَّةً لا تكتب ، فصاروا أهل  
كتاب ، وأصحابَ قلمٍ ، فتعلموا القرآن بالقلم ، وتعلمه نبيهم تلقيناً من جبريل  
نزله على قلبه بإذن الله ، ليكون من المرسلين .

## مول بسم الله :

فصل : وفي قوله : اقرأ باسم ربك من الفقه : وجوب استفتاح القراءة ببسم الله  
الرحمن الرحيم <sup>(٣)</sup> ، غير أنه أمرٌ مُبْهِمٌ لم يبين له بأى اسم من أسماء ربه يفتح ،

(١) قيل إن ما استفهامية ، لما ورد في رواية أبي الاسود عن عروة : كيف  
أقرأ ؟ وابن إسحاق عن عبيد بن عمير ، ماذا أقرأ ؟ وقد جوز الأخفش دخول  
الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر بحسبك  
وجعل الباء زائدة وسيأتى في الشرح وفي الروض .

(٢) أى ناوياً بقراءته وجه الله سبحانه ، ويجب في قراءة القرآن الاستفتاح  
أولاً بالاستعاذة ، فقد جاء الأمر بها صريحاً في القرآن .

(٣) يقول ابن كثير : افتتح بها الصحابة كتاب الله ، واتفق العلماء على أنها  
بعض آية من سورة النمل . ثم اختلفوا : هل هي آية مستقلة في أول كل سورة ، =

حتى جاء البيان بعد في قوله: (بسم الله تَجْرِهَا) هود: ٤١ ثم قوله تعالى: (وإنه بِسْمِ الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠. ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه بسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة ، وقد ثبتت في سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك ، وما ذكره البخارى من مصحف الحسن البصرى ، فشذوذ ، فهمى على هذا من القرآن ، إذ لا يكتب في المصحف ما ليس بقرآن ، ولا يلتزم قول الشافعى أنها آية من كل سورة ، ولا أنها آية من الفاتحة ، بل نقول: إنها آية من كتاب الله تعالى ، مقترنة مع السورة ، وهو قول داود وأبى حنيفة ، وهو قول بين القوتل أنصف ، وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبَّحت الجبال ، فقالت قريش : سَحَرَ محمد الجبال (١) ذكره النقاش ، وإن صح ما ذكره ، فلمعنى ما سبَّحت عند نزولها خاصة ، وذلك أنها آية أنزلت على آل داود ، وقد كانت الجبال تسيح مع داود ، كما قال الله تعالى : ( إنا سَخَّرنا الجبالَ معه يُسَبِّحُنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ) ص : ١٨ وقال : (إنه من سُليمانَ ، وإنه بِسْمِ الله الرحمن الرحيم) النمل : ٣٠ .

وفي الحديث ذكر نَمَطَ الديباج من الكتاب ، وفيه دليل وإشارة إلى

== كتبت في أولها ، أو أنها بعض آية من كل سورة ، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها : أو أنها إنما كتبت للفصل بين السور لا أنها آية . على أقوال العلماء سلفا وخلفا ؟ هذا وفي صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « كانت قراءته مدا مدا ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم بمد باسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم » .

(١) كيف عرفت قريش أنه تسيح للجبال ؟ والله يقول : « ولكن لا تفقهون تسييحهم » فكيف يفقه عتاة الشرك ؟



أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زيئهم وزينتهم ، وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج (١) ، وفي سير موسى بن عقبة ، وسير سليمان بن المعتمر زيادة ، وهو أن جبريل أتاه بدر نوك (٢) من ديباج منسوج بالدُر والياقوت ، فأجلسه عليه . غير أن موسى بن عقبة قال : ببساط ، ولم يقل : دُر نوك ، وقال في سير ابن المعتمر : إن الله تعالى أنزل عليه : ( أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ) الآيات . كأنه يشير به ، فمسح جبريل صدره ، وقال : اللهم اشرح صدره ، وارفع ذكره ، وضع عنه وزره ، ويصحح مارواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه : ( أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ) الآيات ، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذي كان من جبريل ، والله أعلم (٣) .

اللفظ :

وقوله في الحديث : ففطنى (٤) ، ويروى : فسأبنى ، ويروى : سأتنى ، وأحسبه أيضا يروى : فدعأتنى (٥) وكلها بمعنى واحد ، وهو أَلْخَنَقَ والغَمَمَ ، ومن الذَّغْتِ حديثه الآخر : أن الشيطان عرض له ، وهو يصلى قال : فدعأته ، حتى وجدت برْدَ لِسَانِهِ على يدي ، ثم ذكرت قول أخى سليمان : ( رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا )

(١) هكذا يبنى على روايات واهية أمورا هي حقائق لا تبنى على مثل هذا الباطل .  
(٢) في النهاية لابن الأثير : ستر له نخل وجمعه : درانك ، ويقال : درموك أيضا ، وفي القاموس . ضرب من الثياب أو البسط كالدرنيك بكسر الدال والطنفسة كالدرنك كزروج .

(٣) رواية ضعيفة لا يعتد بها فلماذا يعتد بها السهيلي ؟

(٤) غطنى : ضمني وعصرنى ، والغت : حبس النفس .

(٥) ذعجه — أيضا — : ذاته ومعك في التراب ، ودفعه دفعا عنيفا وتقاله .

بالدال أيضا والسَّابُ : العصر في الخلق ، والسَّات : الخلق .

لا ينبغي لأحد من بعدى) الحديث ، وكان في ذلك إظهاراً للشدة والجِد في الأمر ، وأن يأخذ الكتاب بقوة ، ويترك الأناة فإنه أمر ليس بالهَيَّيْ ، وقد انتزع بعض التابعين وهو شُرَيْحُ القاضي من هذا : ألا يُضْرَب الصبي على القرآن

(١) في البخارى في باب التفسير : « إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة — أوكلة نحوها — ليقطع على الصلاة ، فأمكننى الله تبارك وتعالى منه ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد ، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم ، فذكرت قول أخى سليمان — عليه الصلاة والسلام : رب اغفر لى ، وهب لى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى ، قال روح — يعنى ابن عبادة راوى الحديث : فردّه خاسئاً . وهكذا رواه مسلم والنسائى من حديث شعبة به ، وروى مسلم فى صحيحه عن أبى الدرداء قال : قام رسول الله صلى عليه وسلم يصلى ، فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال صلى الله عليه وسلم : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه فى وجهى ، فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يتأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أن آخذه . والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان أهل المدينة . وفى حديث أحمد عن أبى سعيد الخدرى أنه كان فى صلاة الصبح فالتبست عليه القراءة ، وأنه قال بعد انتهاء الصلاة : ( لو رأيتمنى وإبليس فأهويت بيدي ، فإزالت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين - الإبهام والى تليها - ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة ) ولقد قيل هنا : كيف يقال : إن الرسول صلى الله عليه وسلم - ذكر دعوة سليمان ، ولم يذكر إنظار الله لإبليس حتى يوم الدين ؟ - وربنا أعلم بما كان .

إلا ثلاثاً كما غَطَّ جبريلُ عليه السلام محمداً - صلى الله عليه وسلم - ثلاثاً ، وعلى رواية ابن إسحاق أن ذلك في نومه كان<sup>(١)</sup> ، يكون في تلك الغَطَّات الثلاث من التأويل ثلاثُ شدائد ، يُبْتلى بها أولاً ، ثم يأتي الفرج والروح ، وكذلك كان آقَى هو وأصحابه ، شدة من الجوع في شِعْب الخيف ، حين تعاقدت قريش الأبييعة وامنهم ، ولا يتركوا ميرةً تصل إليهم ، وشدة أخرى من الخوف والإبعاد بالقتل ، وشدة أخرى من الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ، ثم كانت العاقبة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين .

ما أنا بقارى :

وقوله في حديث ابن إسحاق : أقرأ ، قال : ما أقرأ ، يحتمل أن تكون ما استفهاماً ، يريد : أى شئ أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفيًا ، ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفي ، أى : ما أحسن أن أقرأ ، كما تقدم من قوله : ما أنا بقارى<sup>(٢)</sup> .

(١) رواية المنام من مراسيل عبيد بن عمير ، وهى مخالفة لرواية الصحيحين المسندة المرفوعة ، والجمع بين الروایتين بأن هذا كان مرتين : الأولى في المنام والآخرى في اليقظة تأويل فاسد ، فلو أن هذا حدث ، ما حدث له كل ذلك الذى أصابه من شدة الوحى في المرة الأخرى .

(٢) فإن قيل : لم كرر ثلاثاً ؟ أجاب أبو شامة : بأن يُحمل قوله أولاً : ما أنا بقارى على الامتناع ، وثانياً : على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثاً : على الاستفهام ، ويؤيده أن في رواية أبي الاسود في مغازبه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ ؟ وفي رواية ابن عمير عن ابن إسحاق : ماذا أقرأ ؟ ، وفي مرسل الزهرى في دلائل البهق : كيف أقرأ . وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية .

### رؤيته جبريل ومعنى اسمه:

وذكر رؤيته لجبريل ، وهو صافٌ قدميه ، وفي حديث جابر أنه رآه على رَفْرَفٍ<sup>(١)</sup> بين السماء والأرض ، ويروى: على عرش بين السماء والأرض ، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فُتِرَ عنه الوحي ، كان يأتي شواهيق الجبال بهم بأن يُلقى نفسه منها ، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض ، يقول له : أنت رسول الله ، وأنا جبريل . واسم جبريل سُرياني ، ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله ، وهو: إيل ، وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة ، وكذلك الإضافة في كلام العجم ، يقولون في غلام زيدٍ : زيد غلامٍ ، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ، ويكون أولُ الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال في حديث ابن عباس: جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبد الله وعبد الرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء أفاضها مختلفة .

### حول معنى إيل وخرافة السحابة :

وأما إيلٌ بالتشديد من قوله تعالى : (إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ) التوبة : ١٠ فَحَذَّارِ

---

(١) البساط أو الستر ، وأصله ما كان من الديباج ، وغيره رقيقاً حسن الصنعة ، ثم توسع فيه .

حَذَرُ مَنْ أَنْ تَقُولَ فِيهِ : هُوَ اسْمُ (١) اللَّهِ ، فَتَسْمَى اللَّهُ بِاسْمٍ لَمْ يُسَمَّ بِهِ نَفْسُهُ أَلَا تَرَى أَنْ جَمِيعَ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَعْرِفَةٌ ، وَ«إِلٌّ» نَكْرَةٌ ، وَحَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ نَكْرَةً ، وَإِنَّمَا الْأَلُّ كُلُّ مَالِهِ حُرْمَةٌ وَحَقٌّ ، فِيمَا لَهُ حَقٌّ وَيَجِبُ تَعْظِيمُهُ : الْقَرَابَةُ وَالرَّحِمُ وَالْجَوَارِ وَالْعَهْدُ ، وَهُوَ مَنْ أَلَّتْ : إِذَا اجْتَهَدْتَ فِي الشَّيْءِ وَحَافِظْتَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ تَضْمِمْهُ ، وَمِنْهُ : الْأَلُّ فِي السَّيْرِ وَهُوَ الْجِدُّ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكُمَيْتِ [يَصْفَرُ جُلًّا] .

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءَ مُجْدِبَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلَلِيهَا الْكَاعِبُ الْفُضْلُ (٢)  
يريد : اجْتَهَدْتَ فِي الدَّعَاءِ ، وَإِذَا كَانَ الْأَلُّ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ ، فَالْإِلُّ بِالْكَسْرِ : الْأَسْمُ كَالذَّبْحِ مِنَ الذَّبْحِ ، فَهُوَ إِذَا الشَّيْءُ الْحَافِظُ عَلَيْهِ ، وَقَوْلُ الصَّدِّيقِ : [عَنْ كَلَامِ مُسَيَّلَةَ] : هَذَا كَلَامٌ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ «إِلٍّ وَلَا بَرٍّ» ، أَيْ : لَمْ يَصْدُرْ عَنْ رَبُّوبِيَّةٍ ، لِأَنَّ الرَّبُّوبِيَّةَ حَقُّهَا وَاجِبٌ مُعْظَمٌ ، وَكَذَلِكَ فَسَّرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَاتَّفَقَ فِي اسْمِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مُوَافِقٌ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِمَعْنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ أَعْجَمِيًّا ، فَإِنَّ الْجَبْرَ هُوَ إِصْلَاحُ مَا وَهَى ، وَجَبْرِيلَ مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ ، وَفِي الْوَحْيِ إِصْلَاحُ مَا فَسَدَ ، وَجَبَرَ مَا وَهَى مِنَ الدُّبْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا بِمَكَّةَ وَلَا بِأَرْضِ الْعَرَبِ فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ بِهِ انْطَلَقَتْ تَسْتَلُّ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ كَعَدَّاسٍ وَاسْتُطُورَ الرَّاهِبُ (٣) ، فَقَالَ لَهَا : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ! أَيْ لِهَذَا الْأَسْمُ أَنْ

(١) لَهُ الْحَقُّ فِي أَنْ يَحْذَرَ مِنْ هَذَا ، فَهُوَ أَيْسَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى ، وَإِنْ كَانَ مَوْجُودًا فِي بَعْضِ مَعَاجِمِ اللُّغَةِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : لِإِلِيهَا ، وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ هَكَذَا :

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءَ مَظْلَمَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلَلِيهَا الْكَاعِبُ الْفُضْلُ

(٣) تَكَلَّمْتُ عَنْ هَذَا مِنْ قَبْلِ ، وَعَدَّاسٌ - كَمَا قِيلَ - نَصْرَانِيٌّ مِنْ نَيْنَوَى وَانْظُرْ

قِصَّتُهُ فِي السَّيْرِ الْحَلَبِيَّةِ ص ٢٧٨ ج ١ .

يذكر في هذه البلاد ، وقد قدمنا هذا الخبر عنها ، وهو في سِيرِ التَّيْمِيِّ لما ذكرناه قبل ، وفي كتاب الْمُعْطِيِّ عن أَشْهَب قال : سئل مالك عن التَّيْمِيِّ بِجَبْرِيل أَوْ مِنْ يُسَمَّى بِهِ وَلَدَهُ ، فَكَرِهَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَعْجِبْهُ .

معنى الناموس :

وقول ورقة : لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسى .  
الناموس : صاحب سِرِّ الْمَلِكِ ، قال بعضهم : هو صاحب سِرِّ الْخَيْرِ ، وَالْجَاسُوسُ :  
هو صاحب سِرِّ الشَّرِّ (١) ، وقد فسرهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَأَنشَدَ :

فَأَبْلَغُ يَزِيدَ إِنْ عَرَضْتَ وَمُنْذِرًا عَمَّهُمَا وَالْمُسْتَشِيرَ الْمُنَامِسَا (١)

لم ذكر موسى ولم يذكر عيسى :

وإنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ، وهو أقرب ، لأن وَرَقَةَ كَانَ قد تَنَصَّرَ ، وَالنَّصَارَى لَا يَقُولُونَ فِي عَيْسَى : إِنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ جَبْرِيلُ ، إِنَّمَا يَقُولُونَ فِيهِ :  
إِنْ أَقْنُومًا (٢) مِنَ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ اللَّاهُوتِيَّةِ حُلْ بِنَاسُوتِ الْمَسِيحِ ، وَاتَّحَدَ بِهِ عَلَى اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُلُولِ ، وَهُوَ أَقْنُومُ الْكَلِمَةِ ، وَالْكَلِمَةُ عَنْدهُمْ :  
عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلْمِ ، فَلِذَلِكَ كَانَ الْمَسِيحُ عَنْدهُمْ ، يَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَيُنْجِزُ بِمَا فِي غَدِّ ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ مَذْهَبِ النَّصَارَى الْكَذْبَةُ عَلَى اللَّهِ ، الْمُدَّعِينَ الْحَالَ ، عُدِلَ عَنْ ذِكْرِ

(١) جزم البخاري في أحاديث الأنبياء أنه صاحب السر ، وقال ابن حريز :  
صاحب الوحي ، وأهل الكتاب يسمون جبريل : الناموس الأكبر . والحنيني  
يقول : أصل الناموس هو : صاحب سر الرجل في خيره وشره .

(٢) البيت للكميت كما ذكر اللسان وفيه : د وعمهما ، والمستسر ، بدلا من  
« عمهما والمستشز » ومعنى المُنَامِس : الداخل في الناموس .  
(٣) الأَقْنُوم : كلمة رومية معناها : الأصل .

عيسى إلى ذكر موسى لعله ، أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى ، لكن ورقة قد ثبت إيمانهُ بحمد عليه السلام<sup>(١)</sup> وقد قدمنا حديث الترمذى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رآه في المنام ، وعليه ثياب بيض إلى آخر الحديث .

### مول هاء السكت والفعل نترك :

وقول ورقة : لَتَكْذَبَنَّ ، وَلَتَوُذَّيَنَّ ، ولا يُنطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت ، وليست بهاء إضمار . وقوله : إن أدرك ذلك اليوم أنصرك نصراً مؤزراً ، وقال في الحديث : إن يُذكرني يومك وهو القياس ، لأن ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذى يُذكره من يأتى بعده ، كما جاء في الحديث : أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى ، ورواية ابن إسحاق أيضا لها وجهٌ ، لأن المعنى : أنرى ذلك اليوم ، فسئى رؤيته إدراكا ، وفى التنزيل :

(١) غير صواب قوله هذا ، فإن الجز الذين سمعوا القرآن قالوا : (سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) ، وخير أن نقول : إنه قال ذلك - كما ذكر الشيخ رشيد رضا رحمه الله فى الوحى المحمدى - لأن الشبه بين الوحى إلى موسى ومحمد عليهما السلام أتم ؛ لأن كلامهما أوفى شريعة تامة مستقلة فى عباداتها ومعاملاتها وسياساتها وقوتها العسكرية ، وعيسى عليه السلام كان تابعا لشريعة التوراة ، وناسخا لبعض الأحكام التى يقتضيها الإصلاح ، ومبشرا بالنبي الذى يأتى بعده بالشرع الكامل العام الدائم . ولهذا يرد ابن حجر فى فتح البارى بقوله : « أما ما تمحل له السهلى من أن ورقة كان على اعتقاد النصرانى فى عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الألقاب ، فهو محال لا يعرج عليه فى حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل فى التبديل ولم يأخذ عن بدل ، ص ٢٩ ج ١ ط الحلبي وص ٢١٤ ج ١ شرح المواهب .

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أى : لا تراه على أحد القولين . وقوله : مُؤَزَّرًا من الأَزْر وهو القوة والمون .

تشرح : أو مخرجى ؟

فصل : وفى حديث البخارى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لورقة : أَوْ مَخْرَجِيَّ هَمْ . لا بُدَّ من تشديد الياء فى مخرجى ، لأنه جمع ، والأصل مُخْرَجَوِيَّ فَأُدْغِمَتِ الْوَاوُ فِي الْيَاءِ (١) وهو خبر ابتداء مقدّم ، ولو كان المبتدأ اسماً ظاهر الجاز تخفيف الياء ، ويكون الاسم الظاهرُ فاعلاً لا مبتدأ ، كما تقول : أَضَارِبُ قَوْمَكَ ، أَخَارِجُ إِخْوَتَكَ فَتَفْرِدُ ، لأنك رفعت به فاعلاً ، وهو حَسَنٌ فى مذهب سيبويه والأخفش ، ولولا الاستفهام ما جاز الإفراد إلا على مذهب الأخفش ، فإنه يقول : قائم الزيدون دون استفهام ، فإن كان الاسم المبتدأ من الْمُضْمَرَّاتِ نحو : أَخَارِجُ أَنْتَ ، وَأَقَامُ هُوَ ؟ لم يصح فيه إلا الابتداء ، لأن الفاعلَ إِذَا كَانَ مُضْمَرًا لم يكن منفصلاً لا تقول : قام أنا ، ولا ذهب أنت

(١) فى المواهب : وأصله مخرجون لى حذفت اللام تخفيفاً ونون الجمع للاضافة إلى ياء المتكلم ، فصار : أَوْ مَخْرَجَوِيَّ اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو - بالسكون ، فقلبت ياء ، ثم أَدْغِمَتِ فِي يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ ، وقلبت الضمة : كسرة لمناسبة الياء ، والهمزة للاستفهام . ولم يقل : وَأَمْخَرَجِيَّ مع أن الأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف نحو : فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؛ لاختصاص الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيهاً على أصلها نحو : أَوَلَمْ يَسِيرُوا ؟ هذا مذهب سيبويه والجمهور ، والاستفهام : إنكارى ؛ لأنه استبعد إخراجهم من وطنه وهو حرم الله من دون سبب يقتضيه وكذلك ورد فى ص ٤٣ بدائع الفوائد ج ٣ للامام ابن القيم .



وكذلك لا تقول : أذاهب أنت على حدِّ الفاعل ولكن على المبتدأ ، وإذا كان على حدِّ المبتدأ ، فلا بد من جمع الخبر ، فعلى هذا تقول : أُخْرِجِيَّ هم ، تريد : اخرجوني ، ثم أضفت إلى الياء ، وحذفت النون ، وأدغمت الواو كما يقتضى القياس .

### مول البافوخ والذهاب إلى ورقة :

فصل : وذكر أن ورقة بن نوفل لقي النبي عليه السلام ، فقبل يافوخه . قد تقدم ذكر اليافوخ ، وأنه يُفْعُول مَهْمُوز ، وأنه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يَشْتَدَّ وإنما يقال له : الغاذية ، وذكرنا قول العجاج :

ضَرَبْتُ إِذَا أَصَابَ الْيَافِيخَ حَقَرٌ . ولو كان يافوخ فاعُولاً ، كما ظن بعضهم لم يحز همزة في الواحد . ولا في الجمع <sup>(١)</sup> وفي رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي مَيْسَرَةَ عمرو بن شُرَحْبِيل <sup>(٢)</sup> أن رسول الله صلى الله عليه

(١) هو في اللسان في مادة أفخ ، وقال : هو حيث التقي عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره ، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل . وفيه أيضا : قال الليث : من همز اليافوخ ؛ فهو على تقدير يفعول . ومن لم يهمز ، فهو على تقدير فاعول من اليفخ ، والهمز أصوب .

وفي القاموس : أَفَخَهُ : ضرب يافوخه والجمع : يوافيخ ، وهذا يدل على أن أصله يَفَخ ؛ ووهم الجوهري في ذكره هنا . وفي المعجم الوسيط جمعه : يوافيخ ، ولكنه قال : اليافوخ : هو اليافوخ وهو فجوة مغطاة بغشاء تكون عند تلاقي عظام الجمجمة ، وهما يافوخان ، يافوخ أمامي ، ويافوخ خلفي .

(٢) ذكره البخاري وغيره في التابعين ، وثقه ابن معين وآخرون ، وقد =

وسلم. قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً ، وقد خشيتُ والله أن يكونَ لهذا أمرٌ . قالت : معاذَ الله ما كان الله ليفعلَ ذلك بك . فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم . وتصدقُ الحديث ، فلما دخل أبو بكر ، وليس [ عندها ] رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم ذكرت خديجةَ له ذلك ، فقالت : يا عتيقُ اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ أبو بكر بيده . فقال : انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل . فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ، فانطلقا إليه ، فقَصَّا عليه ، فقال : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي : يا محمد يا محمد ، فانطلق هارباً في الأرض . فقال له : لا تفعل ، إذا أتاك فائتبت ، حتى تسمع ما يقول لك . ثم اتنيتي ، فأخبرني ، فلما خلا ناداه : يا محمد قل : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . حتى بلغ : ولا الضالين . قل : لا إله إلا الله . فأتى ورقة ، فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أبشِر ، ثم أبشِر فانا أشهد أنك الذي بشر به ابنُ مريم ، وأنتك على مثل ناموس موسى ، وأنتك نبي مرسل ، وأنتك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركني ذلك لأجاهدَنَّ معك . فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأيتُ النفسَ في الجنة ، وعليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني ، يعني : ورقة ، وفي رواية .

== أخرج هذا الحديث البيهقي ، وذكر أنه منقطع ، وغرضه من سياقه بيان أمر معارض بحديث الصحيح في أن أول ما نزل : اقرأ . والمعجب أن يحاول العيني التوفيق بين هذه المتضادات بأن خديجة أرسلته مرة مع الصديق ، وذهبت هي به أخرى . وسألت عداساً بمكة ، وسافرت إلى بحيري - كما روى التيمي - وهو توفيق . يعتمد به .

يونس أيضا أنه عليه السلام قال لرجل سَبَّ ورقة : أما عَلِمْتَ أَنِّي رَأَيْتُ  
لورقة جَنَّةً أو جَنَّتَيْنِ ، وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار (١) .

لقد فُهِمَتْ على نفسى :

فصل : وفى الصحيح أنه قال لخديجة : لقد خشيت على نفسى ، وتكلم  
العلاء فى معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة ، فذهب أبو بكر الإسماعيلى (٢) إلى أن  
هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذى جاءه ملك من  
عند الله ، وكان أشق شئ عاياه أن يقال عنه : مجنون ، ولم ير الإسماعيلى أن  
هذا محال فى مبدأ الأمر ؛ لأن العلم الضرورى قد لا يحصل دفعة واحدة ،  
وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله ، فلا تدرى أنظم هو أم نثر ، فإذا  
استمر الإنشاد ، علمت قطعاً أنه قصيد به قصد الشعر ، كذلك لما استمر  
الوحى واقتربت به القرأن المقتضية للعلم القطعى ، حصل العلم القطعى ، وقد  
أنهى الله تعالى عاياه بهذا العلم فقال : ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه  
وللؤمنون ) إلى قوله : ( وملائكته وكتبه ورأسله ) فإيمانه بالله وبملائكته  
إيمان كسبى موعود عاياه بالثواب الجزيل ، كما وعد على سائر أفعاله  
المكتسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح ، وقد قيل فى قوله : لقد  
خشيت على نفسى ، أى : خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة ، وأن أضعف  
عنها ، ثم أزال الله خشيته ، ورزقه الأيد والقوة والثبات والعصمة ، وقد قيل :  
إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ، ولا غرو ، فإنه بشر يخشى من القتل .

(١) ورواه الحاكم فى مستدركه . وهذه روايات ساقطة لا يعتد بها .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلى الجرجانى ، قال الحاكم :

كان واحد عصره ، وشيخ الحديثين والفقهاء مات ٣٧١ .

والإذابة الشديدة ما يخشاه البشر، ثم يهون عليه الصبر في ذات الله كل خشية، ويحجب إلى قلبه كل شجاعة وقوة، وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها<sup>(١)</sup>.

(١) في فتح الباري : و اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً . أولها : الجنون ، وأن يكون مارآه من جنس الكهانة . جاء مصرحاً به في عدة طرق ، وأبطله أبو بكر بن العربي ، وحق له أن يبطل ، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له : أن الذي جاءه ملك ، وأنه من عند الله تعالى . ثانياً : الهاجس وهو باطل أيضاً ، لأنه لا يستقر ، وهذا استقر ، وحصلت بينهما المراجعة ، ثالثاً : الموت من شدة الرعب ، رابعاً : المرض ، وقد جزم به ابن أبي جرة . خامساً : دوام المرض ، سادساً : العجز عن حمل أعباء النبوة ، سابعاً : العجز عن النظر إلى الملك من الرعب ، ثامناً : عدم الصبر على أذى قومه ، تاسعاً : أن يقتلوه ، عاشراً : مفارقة الوطن ، حادى عشرها : تكذيبهم إياه ، ثانياً عشرها : تعييرهم إياه ، وأولى هذه الأقوال بالصواب وأسلمها من الارتباب : الثالث واللذان بعده ، وما عداها معترض والله الموفق ، ص ٢٧ ج ١ ط الحلبي .

هذا ، ويحسن أن ننقل هنا بعض ما ورد في الصحيحين حول هذا عن مشكاة المعابيح عن ابن عباس ، قال : بعث رسول الله ص ، لأربعين سنة ، فكف بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ، ومات ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . « متفق عليه »

وعنه : قال : أقام رسول الله ص ، بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ، ويرى الضوء سبع سنين ، ولا يرى شيئاً . وثمان سنين يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشراً ، وتوفي وهو ابن خمس وستين « متفق عليه » ، والأولى أضبط .

« بدء الوحي »

وعن عائشة رضي الله عنها : قالت : أول ما بدى به رسول الله ص ، من

الوحي : الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حجب إليه الخلاه ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاء الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني ، حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ( فرجع بها رسول الله - ص - يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة ، فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا ، والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتعقد الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، فقالت : يا بن عم . اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله - ص - خبر ما رأى فقال ورقة : هذا هو الناموس الذي أنزل الله على موسى . ياليتني فيها جذعاً . ياليتني أكون حيا ، إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله - ص - : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم يذهب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي « متفق عليه »

وزاد البخاري في حديث منقطع : « حتى حزن النبي - فيما بلغنا - وهو الزهري راوي الحديث السابق عن عائشة ، وأما هذا فرواه بلاغا ، فهو لهذا منقطع - حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رهوس شواحق الجبال ، فكلم أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه ، تبدى له جبريل ، فقال : يا محمد : إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه البخاري .

وعن جابر : أنه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحي قال : فبينما أنا أمشي =

== سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصرى ، فإذا الملك الذى جاء فى بحراء قاعد على كرمى بين السماء والأرض ، فجثت منه رعباً ، حتى كُهِيت إلى الأرض ، فجثت أهلى ، فقلت : زملونى زملونى ، فزملونى فأَنزَلَ اللهُ تعالى : ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ) ثم حَمَى الْوَحْيُ وَتَنَابَعَ «مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ» .

كيفية الوحى : وعن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ، فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله - ص - أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس - وهو أشده على - فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً ، فيكلمنى ، فأعنى ما يقول . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

مدة المجاورة : عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أبا سلة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ، قال : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قلت : يقولون : اقرأ بسم ربك قال أبو سلة : سألت جابراً عن ذلك ، وقلت له مثل الذى قلت لى : فقال لى جابر : لا أحديثك إلا بما حدثنا به رسول الله - ص - قال : جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فنوديت ، فنظرت عن يمينى ، فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالى فلم أر شيئاً ، ونظرت عن خلفى ، فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسى فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة ، فقلت : دثرونى ، فدثرونى ، وصبوا على ماء بارداً . فنزلت : ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ) وذلك قبل أن تفرض الصلاة : «مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَرواهُ الترمذى والنسائى» .

ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحنث بعد البعثة فى غار ما ، فهى إذا ليست سنة شرعية ، كان يعتكف فى المسجد العشر الأواخر من رمضان خُسب ، ولو كان يريد عبادة ، لتعبد فى البيت الحرام . إنما أراد البعد عن المجتمع الآبق الشريد . ولكنه فى النبوة عاش فى هذا المجتمع يدعو به إلى الحق ==

ويقاومه بالحق ، لأن الفرار من المعركة إلى خلوة أو كهف ليس من شيمة الرسل ولا المسلمين .

وإليك تفسير بعض ماورد في الحديث : فلق الصبح : ضوءه وإنارته والصبح نفسه : شبه ما جاء في الیقظة ، ووجد في الخارج ، طابقا لما رآه في النوم : بالصبح في إنارته ووضوحه .

• ما أنا بقارىء • ما : نافية ، وقيل : إنها استفهامية ، وضعف القاضى عياض هذا بدخول الباء في خبرها ، وهذه لا تدخل على ما الاستفهامية ولكن الأخفش يجوز دخول الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر حسبك ، والباء زائدة ، وقد يقوى هذا ما ذكرته من قبل من روايات حول هذا . غطنى ، ثبت لفظ اللفظ ثلاثا . في رواية البخارى للحديث في بابي التعبير والتفسير ، وسقطت الثانية في بدء الوحي .

• بلغ منى الجهد ، تروى بفتح الجيم والنصب أى بلغ اللفظ منى غاية وسمى ، وروى بضم الجيم والرفع ، أى : بلغ منى الجهد مبلغه . وزملونى ، غطونى بالثياب ولفونى بها ، الروح ، الفزع ، كلاً ، نفى وإبعاد أى : لا تقل هذا ولا خوف عليك .

• لا يخزيك ، لا يهينك ولا يفضحك والكشميني . يخزنك بالنون ، تصل الرحم ، تصل القرابة بإحسانك لإيهم وتحمل الكل : أى تحمل الثقل من كل ما يتكلف ، ويدخل فيه الإئفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك .

• تسكب المهدوم ، بفتح الناء . وروى بضمها أى : تعطى الناس ما لا يجدونه . وتقرى الضيف : تهى له طعامه وتنزله وتعين على نوائب الحق ، حوادث الحق ، وهذه جامعة لكل ما سبق ولغيره . وهى صفة جامعة لكل أعمال المروءة والبر والنجدة وورقة ابن نوفل ، وصفه الراوى في رواية أخرى : وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى . فيكتب من الإنجيل بالعبرانية . ماشاء الله أن يكتب . وفي رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية .

ومسلم : فكان يكتب الكتاب العربي ، وجمع بين الروايات بأنه كان يجيد الكتابة بتلك وبهذه . وإنما وصف بالكتابة - كما قيل - لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسرا . وقد وصف ورقة في بعض الروايات : « وكان شيخا كبيرا قد عمى » .

فقلت : « يا بن عم ، وقع في مسلم : أى عم ، وهو وهم ، وقيل لأنها قالت : ابن عم على حذف حرف النداء ، فتصحفت بن بأى ومن ابن أخيك » . وقالت : هذا ، لأن عبد العزى الأب الثالث لورقة هو أخ لعبد مناف ، وهو الأب الرابع للنبي فكأنها قالت : من ابن أخى جدك . وقيل : لأن والده عبد الله في عدد النسب إلى قصى الذى يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الخيلية في درجة إخوته ، أو قالت على سبيل التوفير لسنة « جذعا » شابا ، وأصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا « لم ينشب » لم يلبث . وهذا أصح مما روى من أن ورقة كان يمر على بلال وهو يعذب ، وقد قيل : إن ورقة توفى في السنة الثالثة من النبوة ، وقيل : في الرابعة ، وزعم الواقدي أنه قتل ببلاد الحِم وجذام ، وقرر البلاذرى وغيره أنه دفن بمكة .

« قتر الوحى » احتبس « يتردى » يسقط « شواهن الجبال » أى : طواها ، وهو العالى الممتنع « الرُّجَز » الأوتان .

« صلصلة » صوت وأصلها وقوع الحديد بعضها على بعض . والصلصلة أشد من الصليل « يفصم عنى » ينفك وينجلي « يتفصد » يسيل تشبها في كثرته بالفصاد هذا وأول سورة نزلت : اقرأ ، وقد ورد هذا عند الشيخين والترمذى والحاكم والبيهقى والطبرانى وسعيد بن منصور في سننه . ولكن ورد في الصحيحين أيضا في حديث جابر أن يأياها المدثر ، هى أول ما نزل . قبل الفاتحة كما روى البيهقى . ويقول ابن حجر : الذى ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول .



## ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق : فابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل . في شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ البقرة : ١٨٥ . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ القدر . وقال الله تعالى : ﴿ حَمِّمُوا الْكِتَابَ الْمُحْيِينَ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ الدخان : ١ — ٥ . وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى أَجْلَعْنَا ﴾ الأنفال : ٤١ . وذلك مُلتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُشركين ببدر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التقى هو والمُشركون ببدر يوم الجمعة . صبيحة سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ .

قال ابن إسحاق : ثم تَمَّ الوحيُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو مؤمن بالله مُصدِّق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حمله . على رضا العباد وسخطهم ، والنبوة أُنْقَالَ ومؤنة ، لا يحملها ، ولا يستطيع بها .

• • • • •

إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْنَ من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى .

### إسلام خديجة بنت خويلد

وآمنت به خديجة بنت خُوَيْلِد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه ، تخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجّع إليها ، تُنَبِّئُهُ ، وتخفف عليه ، وتصدقّه وتهوّن عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خديجة ببيت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصَب .

قال ابن هشام : القصب ههنا : اللّواؤ المجرّف .

قال ابن هشام : وحدثني مَنْ أثق به ، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أقرئ خديجة السلام من ربها ، فقال

• • • • •

رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام .

قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحي عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه ، فأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : ما صرّمتك فترتك ، وما أبفضك منذ أحبك . ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ : أى : لما عندي من مرجعك إلى ، خير لك مما تجملت لك من الكرامة فى الدنيا . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ من الفلج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ يعرفه الله ما ابتداء به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنه عليه فى يتمه وعيّلته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته .

قال ابن هشام : سجد : سكن . قال أمية بن أبى الصلت الثقفى :

إِذَا أَتَى مَوْهِنًا وَقَدْ نَامَ صَحْبِي وَسَجَا اللَّيْلُ بِالظَّلَامِ الْبَهِيمِ  
وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعَيْن إذا سكن طرفها : ساجية ، وسجا طرفها .

• • • • •

قال جرير بن الخطرق :

ولقد رَمَيْتَكَ — حين رُخِن — بأعين

يَقْتُلان من خَلَلِ الثُّرُورِ سَواجِي

وهذا البيت في قصيدة له . والعائل : الفقير : قال أبو خراش الهذلي :

إلى بيته بأوى الضربك إذا شتا      ومُستَنبِحٌ بالي الدَّريسينِ عائلُ

وجمه : عالة وُذيل ، وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها —

إن شاء الله ، والعائل أيضاً : الذي يعمل العيال . والعائل أيضاً : الخائف .

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ ذَلِكْ أَذُنِي أَلَّا تَعُولُوا ﴾ النساء : ٣ . وقال أبو طالب :

بِمِيزَانٍ قِسْطٍ لَا يُخْسِ شَعِيرَةً      له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل

وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها — إن شاء الله — في موضعها .

والعائل أيضاً : الشيء المُثْقَلُ المُعْي . يقول الرجل : قد عالى هذا الأمر : أى .

أثقلنى وأعيانى ، قال الفرزدق :

تَرَى الْفَرَّ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ      إذا ما الأُمُرُ في الخلدنانِ عالا

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : أى لا تكن

جَبَّارًا ولا متكبرًا ، ولا فحاشًا قَطًّا على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وَأَمَّا

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ : أى : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من

النبوة فحدِّث ، أى اذكرها ، وادعُ إليها ، فجعل رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه ، وعلى العباد به من النبوة سِرًّا إلى مَنْ

يطمئن إليه من أهله .

• • • • •

## متى نزل القرآن ؟

فصل : وذكر قول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ البقرة : ١٨٥ . إلى آخر الآية ، مستشهداً بذلك على أن القرآن أنزل في شهر رمضان ، وفي ليلة القدر من رمضان ، وهذا يحمل تأويلين : أحدهما : أن يكون أراد بدء النزول وأوله ؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان وغيره ، والثاني : ما قاله ابن عباس : أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، فجعل في بيت العزة مكنوناً في الصحف المسكّرة ، المرفوعة المظهرة ، ثم نزلت منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين ، والنوازل الحادثة إلى أن توفي — صلى الله عليه وسلم — وهذا التأويل أشبه بالظاهر ، وأصح في النقل والله أعلم <sup>(١)</sup> .

(١) نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة ، أو إلى سماء الدنيا : كلام لا سند له . والصحيح وحدهما هو ما ورد في القرآن : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » . « إنا أنزلناه في ليلة القدر » ، « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » ، وآيات القرآن في وضوح جميل جليل يفهمها ذو الفطرة السليمة التي لم يفسدها جدل الكلام وسفسطته . وهي تؤكد أنه بدأ نزول القرآن في رمضان في ليلة القدر منه . وقوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » ، يشير إلى أن تاريخ ليلة القدر هو تاريخ ليلة بدر . وبدر كما يقال كانت في السابع عشر من رمضان .

ولهذا يقال إن ابتداء نزول القرآن كان في السابع عشر من رمضان . وإذا رجعنا إلى الأحاديث نستخبرها نبأ ليلة القدر التي فيها نزل القرآن ، فإننا سنجد ما يأتي : قيل : « إنها في الوتر من العشر الاواخر من رمضان » البخاري ، في السبع

## مول إضافة شهر إلى رمضان :

فصل : وفي قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان ﴾ فذكر الشهر مضافاً إلى رمضان ، واختار الكتاب والمؤثّقون النطق به بهذا اللفظ دون أن يقولوا : كتب في رمضان ، وترجم البخاري والنسوي<sup>(١)</sup> على جواز اللفظين جميعاً وأوردا حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ، وإذا

الأواخر من رمضان «متفق عليه» في تاسعة تبقى من العشر الأواخر أو في سابعة ، أو في خامسة « البخاري » في الليلة الحادية والعشرين من رمضان « البخاري » في الليلة الثالثة والعشرين « مسلم » في الليلة السابعة والعشرين « مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي » في التاسعة أو السابعة أو الخامسة « البخاري » بل ما من ليلة من ليالي رمضان سوى قلة قليلة إلا ورد فيها ما يفيد أنها ليلة القدر ، ولهذا اختلف العلماء في شأنها على أقوال كثيرة ، ذكر منها في فتح الباري ما لم يذكر غيره ، وقد ذكرها الشوكاني باختصار في نيل الأوطار ، فكانت خمسة وأربعين قولاً ، منها : أنها رفعت وهو قول الشيعة والفاكهاني من الحنفية ، ومنها : أنها خاصة بسنة واحدة ، وقعت في زمنه صلى الله عليه وسلم ، ومنها أنها خاصة بهذه الأمة ، ومنها أنها يمكن أن تكون في جميع السنة ، وهو المشهور عن الحنفية وجماعة من السلف ، ومنها أنها في ليلة معينة مهمة ، ومنها : أنها أول ليلة من رمضان حكى عن أبي رزين ، ومنها أنها ليلة النصف من شعبان ، أو النصف من رمضان ، أو ليلة سبع عشرة من رمضان الخ . . .

انظر ص ٢٧٢ ح ٤ نيل الأوطار ط عثمان خليفة . وحير ما يقول البغوي : «أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ، ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعاً في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس» تفسير الخازن والبغوي لسورة القدر

(١) هو أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي ، وله مسند مشهور .

جاء رمضان ، ولم يقل : شهر رمضان ، وقد بينت أن لكل مقام مقامه ، ولا بد من ذكر شهر في مقام ، ومن حذفه في مقام آخر ، والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن ، والحكمة أيضاً في حذفه إذا حذف من اللفظ ، وأين يصلح الحذف ، ويكون أبلغ من الذكر ، كل هذا مبين في كتاب « نتائج الفكر » ، فهناك أوردنا فيه فوائد تعجز عنها همم أهل هذا العصر . أدناها تساوى رِخلة عند من عرف قدرها ، غير أنا نشير إلى بعضها ، فنقول : قال سيبويه : وما لا يكون العمل إلا فيه كله : المحرم وصفر ، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله ، وذلك إذا قلت : الأحد أو الاثنين ، فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفاً ، ولم يجر مجرى المفعولات ، وزال العموم من اللفظ ، لأنك تريد : في الشهر وفي اليوم ، ولذلك قال عليه السلام : من صام رمضان ، ولم يقل شهر رمضان ؛ ليكون العمل فيه كله ، وهذه إشارة إلى بعض تلك الفوائد التي أحكمناها في غير هذا الكتاب .

### مب الرسول « ص » وطنه :

بقية من حديث ورقة ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لَتُسَكِّدَنَّهْ ، فلم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال : وَلَتُوذِّنَنَّهْ ، فلم يقل له شيئاً ، ثم قال : وَلَتُخْرِجَنَّهْ ، فقال : أَوْ تُخْرِجِيَّ هَمْ ؟ ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتة على النفس ، وأيضاً فإنه حرّم الله وجوار بيته ، وبلدة أبيه إسماعيل ، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر لخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك ، فقال : أَوْ تُخْرِجِيَّ هَمْ ؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو

تَرَدَّ إِلَى الْكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَتُشْعِرُ الْمُخَاطَبَ بِأَنْ الِاسْتِفْهَامَ عَلَى جِهَةِ الْإِنْكَارِ ،  
أَوْ التَّنَجُّعِ لِكَلَامِهِ أَوْ التَّأَلُّمِ مِنْهُ .

زَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْيَمَ :

فَصَلَ : وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،  
وَقَوْلُهُ : حَدَّثَنِي أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ أَنَّ خَدِيمَةً أَدْخَلَتْهُ بَيْنَ ثَوْبَيْهَا .  
الْحَدِيثُ <sup>(١)</sup> عَبْدُ اللَّهِ هَذَا هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ  
أَبِي طَالِبٍ ، وَأُمُّهُ : فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ أَخْتُ سُكَيْنَةَ ، وَاسْمُهَا : آمَةُ ،  
وَسُكَيْنَةُ لَقَبٌ لَهَا الَّتِي كَانَتْ ذَاتَ دُعَابَةٍ وَمَزْجٍ ، وَفِي سُكَيْنَةَ وَأُمِّهَا الرِّبَابُ  
يَقُولُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ :

كَانَ اللَّيْلَ مُوصُولًا بَلْئِيلٍ إِذَا زَارَتْ سُكَيْنَةُ وَالرِّبَابُ <sup>(٢)</sup>  
أَيُّ : زَادَتْ قَوْمَهَا ، وَهُمْ : بَنُو عَلْتَمِ بْنِ جَنَابٍ مِنْ كَلْبٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ .

(٢) مِنْ قَصِيدَةٍ تَنْسَبُ إِلَى الْحُسَيْنِ فِي سُكَيْنَةَ ابْنَتِهِ وَأُمِّهَا الرِّبَابُ زَوْجَتَهُ ، مِنْهَا :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأَحِبُّ دَارًا تَضِيفُهَا سُكَيْنَةُ وَالرِّبَابُ  
أَحِبُّهَا وَأَبْذُلُ بَعْدَ مَالِي وَلَيْسَ لِلْأُمِّيِّ فِيهَا عِتَابُ  
وَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ عَتَبُوا مَطِيعًا حَيَاتِي ، أَوْ يَغِيدُنِي التَّرَابُ

وَهِيَ فِي الْأَغَانِي ، وَمُقَاتِلُ الطَّالِبِيِّينَ ، وَفِي نَسَبِ قَرِيشٍ ، انْظُرْ ص ٥٩ نَسَبُ

قَرِيشُ ط أ ،



كَتَبَ بْنِ عَلْنَمٍ<sup>(١)</sup> ، ويعرف بنو كعب بن عَلْنَمِ بْنِ زَيْدَ غَيْرَ مَصْرُوفٍ ؛  
لأنه اسمُ أمهم ، وعبد الله بن حسن هو والد الطالِبَيْنِ الْقَائِمَيْنِ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ،  
وهم : مُحَمَّدٌ وَيَحْيَى وَإِدْرِيسُ<sup>(٢)</sup> مات إدريس بإفريقية فأراً من الرشيد ، ومات  
مسموماً في دُلَاعَةٍ<sup>(٣)</sup> أَكَلَهَا ، ووقع في كتاب الزبير بن أبي بكر قال : قال  
عبد الرحمن بن زيد : قال آدم عليه السلام : مِمَّا فَضَّلَ بِهِ عَلِيٌّ ابْنِي صَاحِبُ  
الْبَعِيرِ أَنْ زَوْجَهُ كَانَتْ عَوْنًا لَهُ عَلَى تَبْلِيغِ أَمْرِ اللَّهِ ، وَأَنْ زَوْجِي كَانَتْ عَوْنًا  
لِي عَلَى الْمَعْصِيَةِ<sup>(٤)</sup> .

حديث عبد الله بن جعفر وغيره عن ضربته :

فصل : وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم — أمر أن يبشر خديجة ببيت من قَصَبٍ ، لاصْتَحَبَ

(١) والرباب أم سكينه هي بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس بن جابر  
ابن كعب بن علم بن جناب .

(٢) خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن على أبي جعفر المنصور  
بالمدينة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة ، فقتلها عيسى بن موسى ، أما أخوها  
موسى ، فاختلف بالبصرة ، فمثر عليه ، فعفا عنه المنصور ، أما سليمان أخوهم فقتل  
بفتح في خلافة موسى ، أما أخوهم إدريس فقام بالمغرب ، وبه مات ، أما يحيى فقام  
بالدلم ، ولكل منهم عقب سوى عيسى ، ومن أولاد عبد الله بن حسن : فاطمة  
وزينب ورقية . انظر ص ٥٣ نسب قريش ط ١ وجمهرة ابن حزم ص ٣٩ ط ١ .

(٣) ضرب من محار البحر .

(٤) من أين جاء بهذا ؟

فيه ، ولا نَصَب . هذا حديث مُرْسَلٌ <sup>(١)</sup> ، وقد رواه مسلم متصلاً عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما غَرَّتْ على أحد ما غرت على خديجة ، ولقد هَلَكْتُ قبل أن يتزوجني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها ببیت من قَصَبٍ في الجنة .

وفي حديث آخر أن عائشة قالت : ما تذكّر من عجوزٍ حراءٍ الشّدَقينِ هَلَكْتُ في الدهر ، قد أبدلَكَ الله خيراً منها ، فغضب ، وقال : والله ما أبدلتني الله خيراً منها ؛ آمَنْتُ بِحِينَ كَذَبَنِي النَّاسُ ، وَوَسَّطَنِي بِمَا لَهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَتِ الْوَلَدَ مِنْهَا ، وَحَرَمْتَهُ مِنْ غَيْرِهَا ، وَرَوَى يُونُسُ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ ابْنِ أَيْمَنِ الْخَزْزَمِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو تَجِيحٍ قَالَ : أَهْدَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَزُورًا أَوْ لَحْمًا ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَظْمًا مِنْهَا ، فَنَاقَلَهُ الرَّسُولُ بِيَدِهِ ؛ فَقَالَ : اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى فُلَانَةٍ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَمْ غَمِرْتُ <sup>(٢)</sup> بِذِكِّكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَغْضَبًا : إِنْ خَدِجَةُ أَوْصَتْنِي بِهَا ، فَغَارَتْ عَائِشَةُ ، وَقَالَتْ : لَسْكَانُهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِجَةُ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَغْضَبًا ، فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَإِذَا أُمُّ رُومَانَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا لَكَ وَلِعَائِشَةَ؟ ! إِنِّهَا حَدَّثَتْكَ ، وَإِنَّكَ أَحَقُّ مِنْ تَجَاوُزِهَا ، فَأَخَذَ بِشِدْقِ عَائِشَةَ ، وَقَالَ : أَلَسْتُ الْقَائِلَةَ : كَأَنَّمَا لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ امْرَأَةٌ إِلَّا

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد وردت البشارة في حديث رواه الشيخان والترمذي . ويقول ابن الأثير : لم يتقدمها رجل ولا امرأة بإجماع المسلمين ، ص ٢٣٧ - مواهب .  
(٢) الغدر بالتحريك : زنى اللحم ، وما يعلق باليد من دمه .

خديجة ، والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ، ورزقت مني الولد وحرمتموه ،  
وفي صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : خير نساءها : مريم  
بنت عمران ، وخير نساءها : خديجة ، والهاء في نساءها حين ذكر مريم عائدة  
على السماء ، والهاء في نساءها حين ذكر خديجة عائدة على الأرض ، وذلك أن  
هذا الحديث رواه وكيع وأبو أسامة وابن تميم في آخرين ، وأشار وكيع  
من بينهم حين حدث بالحديث بإصبعه إلى السماء عند ذكر مريم ، وإلى الأرض  
عند ذكر خديجة ، وهذه إشارة ليست من رأيه ، وإنما هي زيادة في حديثه عن  
النبي - صلى الله عليه وسلم - وزيادة العدل مقبولة ، ويحتمل أن يكون معنى  
إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرها ، أي : هما خير نساء بين السماء والأرض .  
وهذا أثبت عندى بظاهر الحديث . ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء في التفضيل  
بين مريم وخديجة وعائشة - رضى الله عنهن - وأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -  
وما نزع به كل فريق منهم .

مول ما بشرت به خديجة :

وأما قوله : بيت من قَصَبٍ ، فقد رواه الخطابي مفسراً ، وقال فيه :  
قالت خديجة : يا رسول الله ، هل في الجنة قَصَبٌ ؟ فقال : إنه قَصَبٌ من لؤلؤ  
مُجَبَّى . قال الخطابي : يجوز أن يكون معناه : مُجَوَّباً من قولك : جُبَّتِ الثوب  
إذا خرقتة ، فيكون من المقلوب ، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّباً بباءين من الجب  
وهو القطع أى : قطع داخله <sup>(١)</sup> ، وقابت الباء ياء ، كما قالوا : تظنيت من

(١) هو في السيرة : مجوف . وفي النهاية لابن الأثير : وقيل : هو من الجوبه  
وهو نقير يجمع فيه الماء .

الظنّ ، وتمصّيت أظفاري ، وتسكلم أصحاب المعاني في هذا الحديث ، وقالوا : كيف لم يبشرها إلا ببيتٍ ، وأدنى أهل الجنة منزلةً مَنْ يُعطى مسيرة ألف عام في الجنة ، كما في حديث ابن عمر ، خرّجه الترمذى ، وكيف لم ينعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نقي الصَّخَب وهو : رفع الصوت ، فأما أبو بكر الإسكاف ، فقال في كتاب فوائد الأخبار له : معنى الحديث : أنه بُشِّرَتْ بيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها ؛ ولذلك قال : لا صَخَب فيه ولا نَصَب ، أى : لم تنصّب فيه ، ولم تصخّب . أى : إنما أُعطِيَتْه زيادة على جميع العمل الذى نصبت فيه . قال المؤلف رحمه الله : لا أدرى ما هذا التأويل ، ولا يقتضيه ظاهر الحديث ، ولا يوجد شاهد يعضده ، وأما الخطابى ، فقال : البيت هاهنا عبارة عن قصر ، وقد يقال لمنزل الرجل : بيته ، والذى قاله صحيح ، يقال فى القوم : هم أهل بيت شرف وبيت عز ، وفى التنزيل : ( غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ وقوله : بيت ، ولم يقل : بقصر معنى لائق بصورة الحال ، وذلك أنها كانت ربة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت ، وأيضا فإنها أول من بنى بيتاً فى الإسلام بتزويجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورغبتها فيه ، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل ، وإن كان أشرف منه لما جاء : « من كسا مسلماً على عُرْي كساء الله من حُلل الجنة ، ومن سقى مسلماً على ظمإ سقاه الله من الرحيق <sup>(١)</sup> » ، ومن هذا الباب قوله عليه السلام : من بنى لله

(١) روايته : أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عرى كساء الله تعالى من خضر =

مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ <sup>(١)</sup> لَمْ يَرِدْ مِثْلُهُ فِي كَوْنِهِ مَسْجِدًا ، وَلَا فِي صِفَتِهِ . وَلَكِنْ قَابِلُ الْبَنِيَانِ بِالْبَنِيَانِ ، أَيْ كَمَا بَنَى يُبْنَى لَهُ ، كَمَا قَابِلُ الْكُسُوَّةِ بِالْكُسُوَّةِ . وَالشَّقِيَاءُ ، بِالشَّقِيَاءِ ، فَهَاهُنَا وَقَعَتِ الْمِثَالَةُ ، لَا فِي ذَاتِ الْمَبْنِيِّ أَوْ الْمَكْسُوءِ ، وَإِذَا ثَبِتَ هَذَا ، فَمِنْ هَاهُنَا اقْتَضَتْ الْفَصَاحَةُ أَنْ يُعَبَّرَ لَهَا عَمَّا بُشِّرَتْ بِهِ بِلَفْظِ الْبَيْتِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْهُ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْهُ ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَمِنْ تَسْمِيَةِ الْجُزْءِ عَلَى الْفِعْلِ بِالْفِعْلِ فِي عَكْسِ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ) : ( وَمَسْكُرُوا وَمَكْرَ اللَّهُ ) <sup>(٢)</sup> .

== الجنة ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعِمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ . وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ . وَيَقُولُ الْمُنْذَرِيُّ عَنْهُ : رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّلَانِيِّ ، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ : بِتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ رَوَى مُوَقُوفًا عَلَى أَبِي سَعِيدٍ ، وَهُوَ أَصَحُّ وَأَشْبَهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ مُوَقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ .

(١) الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاحِدٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ عُثْمَانَ ، وَفِيهِ : « يَبْنَعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ » .

(٢) يَقُولُ الَّذِينَ يُؤَوِّلُونَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْقُرْآنُ عَنِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا نِسْبَةُ الْكِيدِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالنَّسِيَانِ إِلَى اللَّهِ مَا يَأْتِي : « هَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَحْسَنُ عَلَى وَجْهِِ الْمُقَابَلَةِ ، وَيَحْسَنُ أَنْ يُضَافَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ابْتِدَاءً ، فَيَقَالُ : لِأَنَّهُ يَمْكُرُ وَيَكِيدُ وَيَخَادِعُ وَيَنْسِي ، وَلَوْ كَانَ حَقِيقَةً لَصَلَحَ إِطْلَاقُهُ مَفْتَرِدًا عَنْ مُقَابَلِهِ كَمَا يَصِحُّ أَنْ يَقَالُ : يَسْمَعُ وَيَرَى وَيَعْلَمُ وَيَقْدِرُ » ، وَيَزِدُّ ابْنُ الْقَيْمِ رَدًّا طَيِّبًا فِي الصَّوَابِ الْمُرْسَلَةِ ، فَيَقُولُ : « الصَّوَابُ أَنْ مَعَانِيهَا - أَيْ الْكِيدُ وَخِلَافُهُ - تَنْقَسِمُ إِلَى مَحْمُودٍ وَمَذْمُومٍ ، فَالْمَذْمُومُ مِنْهَا يَرْجِعُ إِلَى الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ . . . فَاكَانَ مِنْهَا مَتَضَمَّنًا لِلْكَذِبِ وَالظُّلْمِ ، فَهُوَ

وأما قوله: لا صَخَبَ فيه ، ولا نَهَبَ ، فإنه أيضاً من باب ما كنا بسبيله،

مذموم ، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح ، فهو حسن محمود ، فإن الخادع إذا خادع بباطل وظلم حسن من المجازى له أن يتخذه بحق وعدل، وكذلك إذا مكر واستهزأ ظالماً متعدياً ، كان المكربه والاستهزاء عدلاً حسناً ، كما فعله الصحابة بكمب بن الأشرف، وابن أبي الحقيق، وأبى رافع وغيرهم ممن كان يعادى رسول الله ﷺ ، نخادعوه حتى كفوا شره وأذاه بالقتل ، وكان هذا الخداع والمكر نصرة لله ورسوله . . وجزاء المسيء بمثل إساءته جائز في جميع الملل مستحسن في جميع العقول ؛ ولهذا كاد سبحانه ليوسف حين أظهر لإخوانه ما أبطن خلافه جزاء لهم على كيدهم له مع أبيه ، حيث أظهروا أمراً وأبطنوا خلافه ، ثم قرر أن هذه الأفعال لا يجوز ذمها على الإطلاق ، ولا مدحها على الإطلاق ، كما لا يجوز أن يشتق منها أسماء وصفات لله سبحانه ؛ لأن الله لا يوصف إلا بالأنواع المحمودة على الإطلاق ، ولهذا لم يرد في أسمائه الحسنى : المريد أو المتكلم أو الفاعل أو الصانع ؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى مدوح ومذموم ، فلا يجوز مطلقاً اشتقاق الماكر والخادع والمستهزئ بما ورد في الآيات ، وتسمية الله بها ، لأنه سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق . . فلا يكون الاستهزاء والمكر والخداع منه قبيحاً البتة ، فلا يتمتع وصفه به ابتداء لا على سبيل المقابلة . . فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجازاة ؛ إذ الموجب للمجازاة منتف ،

وأقول : كل مسلم يتدبر القرآن لا يشعر أبداً بمثل ما يفتره المعطلة والجهمية ولا يخر على آياته أصم أعمى ، ويفخر قلبه اليقين بأن الله الذي من علينا فعلنا البيان يستحيل أن نخكم عليه بأنه أخطأ في البيان عن صفاته وأسمائه وأفعاله ، أو أراد أن يضلنا بألفاظ لا يراد بها معانيها التي لها في لغة القرآن ، فلنصف الله بما وصف به نفسه ، ولنسمه بما سمي به نفسه ، ولننسب إليه ما نسب هو إلى نفسه جل جلاله دون تأويل أو تحريف أو تمثيل أو تشبيه أو تعطيل لشيء من هذا كله فإننا نؤمن بأن قوله - سبحانه - هو الحق ، وأنه ليس كمثل شيء .

لأنه - عليه السلام - دعاها إلى الإيمان، فأجابته عَفْواً ، لم تخوِجه إلى أن يَصْخَبَ كما يصْخَبُ البُعل إذا تَمَصَّت عليه حليته ، ولا أن يَنْصَبَ ، بل أزالته عنه كل نصب ، وآنتته من كل وحشة ، وهَوَّنت عليه كل مكروه ، وأراحته بما لها من كل كَدٍّ ونَصَبٍ ، فوصف منزلها الذي بُشِّرَتْ به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته .

وأما قوله : من قَصَبَ ، ولم يقل : من لَوِثَ ، وإن كان المعنى واحداً ، ولكن في اختصاصه هذا اللفظ من المُشَاكَلَة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها - رضى الله عنها - كانت قد أحرزت قَصَبَ السَّبْقِ إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنِّسوان . والعربُ تسمى السابقَ مُحْرِزاً للقَصَبِ . قال الشاعر :

مَشَى ابنُ الزُّبَيْرِ الْقَهْقَرَى ، وتقدمت أُمِّيَّةٌ حتى أحرزوا القَصَبَاتِ  
فاقتضت البلاغة أن يعبّر بالعبارة المشاكلة لعمليها في جميع ألفاظ الحديث فتأمله الموازنة بين غريجة وعائشة :

فصل : وذَكَر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخديجة : هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك . الحديث <sup>(١)</sup> يُذَكَّر عن أبي بكر بن داود أنه

(١) في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة : أتى جبريل النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . .

سُئِلَ: عائشة أفضل، أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل<sup>(١)</sup>، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - فهي أفضل، قيل له: فمن أفضل، أخذت أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: إن فاطمة بضعة مني<sup>(٢)</sup> فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحداً، وهذا استقراء حسن، ويشهد لصحة هذا الاستقراء أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه، وحلف ألا يحمله إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءت فاطمة لتحمّله، فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة مضغة مني، فحمله وسند ذكر الحديث بإسناده في موضعه، إن شاء الله تعالى، ويدل أيضاً على تفضيل فاطمة قوله - عليه السلام - لها: أما تَرْضَيْنَ أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة<sup>(٣)</sup> إلاّ مريم؟ فدخل في هذا الحديث أمها وأخواتها، وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها، فقيل: إنها ولدت سيد هذه الأمة، وهو الحسن الذي يقول فيه النبي - صلى الله عليه وسلم:

(١) عن أبي سلمة أن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائش: هذا جبريل يقرئك السلام. قالت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت: وهو يرى ما لا أرى، متفق عليه.

(٢) عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ص، قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني، وفي رواية: يريني ما أراها، ويؤذيني ما آذها، متفق عليه.

(٥) في حديث متفق عليه عن عائشة: ألا تَرْضَيْنَ أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين، ولم يأت لمريم فيه ذكر.



إن ابني هذا سيد<sup>(١)</sup>، وهو خليفة، بعلمها خليفة أيضاً، وأحسن من هذا القول قول : من قال: سادت أخواتها وأُمَّه، لأنهن مُتَن في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان في صحيفته ، ومات أبوها وهو سيد العالمين ، فكان رُزُؤُه في صحيفتها وميزانها ، وقد رَوَى البزار من طريق عائشة أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة : هي خير بناتي ؛ إنها أصيبت بي ، فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء أهل الجنة ، وهذا حسنٌ ، والله أعلم . ومن سُودُدها أيضاً أن المهدي المُبشَّر به آخر الزمان من ذُرِّيَّتها ، فهي مخصوصة بهذا كله والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة<sup>(٢)</sup> ، وقد جمعها أبو بكر بن أبي خنيفة فأكثر ، ومن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكافي في فوائده الأخبار مسنداً إلى مالك بن أنس عن محمد بن الفسكندر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كَذَّب بالدُّعْجَال فقد كفر ، ومن كَذَّب بالمُهْدِي فقد كفر<sup>(٣)</sup> ، وقال : في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب<sup>(٤)</sup> .

(١) من حديث رواه البخاري عن أبي بكرة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة ، وعليه أخرى ، ويقول : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، ونحن المسلمين لا يصح الآن أن نخوض في مثل هذا ، فقد أفضت كل واحدة منهن إلى الله سبحانه »

(٢) استغل هذه الاسطورة أعداء الله ، فظهر عشرات الدجاجة يزعم كل منهم أنه هو المهدي ، ولم يخرج البخاري ولا مسلم شيئاً عن المهدي ، وجميع الأحاديث الواردة فيه لا تخلو من نقد ، وقرأ في هذا مقدمة ابن خلدون تحت عنوان « فصل في أمر الفاطمي » ، (٣) لا يشهد لصحة هذا عقل ودلاد بن

(٤) نقل ابن خلدون عن السبيلي هذا في مقدمته ص ٢٧٢ طبع عبد الرحمن محمد وقال : وحبسك هذا غلوا . على أن أبابكر الإسكافي عندهم وضع .

الله السلام :

وقول خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام ، علمت بفقهها ان الله سبحانه لا يُرَدُّ عليه السلام ، كما يُرَدُّ على المخلوق ؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها : الله السلام ، فكيف أقول عليه السلام ، والسلام منه يُسْتَل ، ومنه يأتي ؟ ولكن على جبريل السلام ، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثناء عليه ، فجملت مكان رد التحية على الله ثناء عليه ، كما عملوا في التشهد حين قالوا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان ، فقيل لهم : لا تقولوا هذا ، ولكن قولوا : التحيات لله ، وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب فوائد جمّة في معنى التحيات إلى آخر التشهد . وقولها : ومنه السلام ، إن كانت أرادت السلام التحية ، فهو خير يراد به التشكر ، كما تقول : هذه النعمة من الله ، وإن كانت أرادت السلام بالسلامة من سوء ، فهو خير يراد به المسئلة ، كما تقول : منه يُسْتَل الخير . وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن السلام والسلامة بمعنى واحد كالرّضاع والرّضاة ، ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاهنا التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فرقانا عظيما ، وأن الجلال أعم من الجلالة بكثير ، وأن اللّاذ أبغ من اللّاذة ، وأن الرّضاة تقع على الرّضعة الواحدة ، والرّضاع أكثر من ذلك ، فكذلك السلام ، والسلامة ، وقس على هذا : تمرّة وتمر ، ولقاة ولقي ، وضربة وضربا ، إلى غير ذلك ، وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة ، وعهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جارٍ على نظام الحكمة ، كذلك سَلِمَ الثّقَلان من جَوَر وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه ، فإنما الكل مُدَبَّرٌ بفضلي أو عدل ، أما الكافر فلا يجرى عليه إلا عدله ، وأما المؤمن

فيعمره فضاه، فهو سبحانه في جميع أفعاله سلامٌ ، لا حَيْفَ ولا ظم ، ولا تفاوت ولا اختلال ، ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به لسلامته من الآفات والعيوب ، فقد أتى بشنيع من القول ، إنما السلام من سُلِمَ منه ، والسلام من سَلِمَ من غيره ، وانظر إلى قوله سبحانه : ( كوني برّداً وسلاماً ) وإلى قوله : ( سلام هي ) ولا يقال في الحائط : سالم من الَعَمى ، ولا في الخَجَرِ أنه سالم من الزكّام ، أو من الشّعال إنما يقال : سالم فيمن تجوز عليه الآفة ، ويتوقعها ثم يسلم منها ، والقُدُوسُ سبحانه مُتَعَالٍ عن توقع الآفات مُتَنَزِّةً عن جواز النقائص ، ومن هذه صفته لا يقال : سَلِمَ ، ولا يَدَسَمُ بسالم ، وهم قد جعلوا سلاماً بمعنى سالم ، والذي ذكرناه أولُ ، هو معنى قول أكثر السالف والسّلامة : خَصْلَةٌ واحدة من خِصال السلام <sup>(١)</sup> :

#### فتره الومى :

فصل : وذكر فترة الوحي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر مقدار مدة الفترة ، وقد جاء في بعض الأحاديث المُسَنَدَة أنها كانت سنتين ونصف سنة ، فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مُسَكَّنَه بمكة كان عشر سنين ، وقول ابن عباس : ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وكان قد ابتدئ بالرويا الصادقة ستة أشهر ، فمن عدَّ مدة الفترة ، وأضاف إليها الأشهر الستة ، كانت كما قال

(١) في النهاية لابن الأثير عن السلام : وسلامته بما يلحق الخلق من العيب والفناء والسلام في الأصل : السلامة ، وعند الراغب في مفرداته : ووصف بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق ، وانظر ص ١٣٥ ج ٢ بدائع الفوائد .  
( ٢٨ م — الروض الأنف ج ٢ )

ابن عباس ، وَمَنْ عَدَّهَا مِنْ حِينَ حَمَى الْوَحْيَ وَتَتَابَعَ ، كَافِيَ حَدِيثُ جَابِرٍ كَانَتْ عَشْرَ سَنِينَ . وَوَجْهُ آخَرٍ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ : وَكُلَّ إِسْرَافِيلُ بَنِيَّةَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَ سَنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُ بِالْقُرْآنِ جَبْرِيلُ <sup>(١)</sup> وَقَدْ قَدَمْنَا هَذَا الْحَدِيثَ ، وَرَوَاهُ أَبُو عَمْرٍ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ ، وَإِذَا صَحَّ فَهُوَ أَيْضًا وَجْهٌ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

### شرح شعر الهذلي والفرزدق :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي خراش خُوَيْلِدِ بْنِ مَرَّةٍ الْهَذَلِيِّ إِلَى بَيْتِهِ يَا أَوَى الضَّرِيكَ إِذَا شِئْنَا وَمُسْتَنْبِجٌ بَالِي الدَّرِيسِينَ عَائِلَ الضَّرِيكَ : الضَّعِيفُ الْمُسْتَظَرُّ <sup>(٢)</sup> وَالْمُسْتَنْبِجُ الَّذِي يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، فَيَنْبِجُ لِيَسْمَعَ نُبَّاحَ كَلْبٍ <sup>(٣)</sup> وَالدَّرِيسُ : الثَّوْبُ الْخَلْقِيُّ ، وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

(١) فِي فَتْحِ الْبَارِي : ( هَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ السَّهِيلُ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ بِمُرْسَلِ الشَّعْبِيِّ لَا يَثْبُتُ ، وَقَدْ عَارَضَهُ مَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَدَّةَ الْفَتْرَةِ الْمَذْكُورَةِ كَانَتْ أَيَّامًا . ص ٣١ ج ١ الْحَلَبِيِّ وَقَالَ مَغَلَطًا : « يَخْدُشُ فِيهِ - أَيْ فِي كَلَامِ السَّهِيلِ - مَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ وَمَعَانِي الزَّجَّاجِ : خَمْسَةَ عَشَرَ ، وَفِي تَفْسِيرِ مَقَاتِلِ : ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْأَشْبَهُ بِحَالِهِ عِنْدَ رَبِّهِ . لَا مَا ذَكَرَهُ السَّهِيلُ ، وَجَنَحَ لَصَحَّتِهِ ، ص ٢٣٦ شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ج ١

(٢) الضَّرِيكَ أَيْضًا : النَّسْرُ الذَّكَرُ وَالْإِخْتِاقُ وَالزَّمَنُ - بِكَسْرِ الْمِيمِ - وَالضَّرِيرُ .

(٣) عَبَّرَ عَنْهَا الْخَشْيُ بِتَبْعِيرٍ أَوْضَحَ فَقَالَ : « الْمُسْتَنْبِجُ الَّذِي يَضِلُّ بِاللَّيْلِ ، فَيَنْبِجُ نُبَّاحَ الْكَلَابِ ، لِنَسْمَعِهِ الْكَلَابَ فَتَجَاوِبُهُ ، فَيَعْلَمُ مَوْضِعَ الْبُيُوتِ ، فَيَقْصِدُهَا . »

وَيَقُولُ الْخَشْيُ عَنْ ثَنِيَّةِ الدَّرِيسِ : « وَثَنَاهُ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْإِزَارَ ، وَالرِّدَاءَ ، وَهُوَ أَقْلٌ مَا يَكُونُ لِلرِّجَالِ مِنَ الْبِاسِ ، ص ٧٧ .

تَرَى الْعُرَّاءَ الْجَحَاجِجَ<sup>(١)</sup> مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْخَدَّائِنِ عَالَا  
 قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالًا

يعنى : سعيد بن العاصى بن أمية ، ويقال : إن مروان بن الحكم حين سمع  
 الفرزدق ينشد هذا البيت حسده ، فقال له : قل : قعودا ينظرون إلى سعيد  
 يا أبا فراس . فقال له الفرزدق : والله يا أبا عبد الملك : إلا قياما على الأقدام<sup>(٢)</sup> .  
 وذكر سبب نزول سورة الضحى ، وأن ذلك لفترة الوحى عنه ، وخرج  
 البخارى من طريق جندب بن سفيان<sup>(٣)</sup> أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى ،  
 فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فقالت له امرأة : إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ،  
 فأنزل الله تعالى سورة الضحى<sup>(٤)</sup> .

(١) غر : ربا هكذا جمع أغر : المشهور ، وأصله الأبيض . والججاجج : جمع  
 ججاجج وججاجج : السيد ، وأيضاً : الفصل من الرجال ، ومن جمعه : ججاجج ،  
 وججاججة .

(٢) مدح الفرزدق سعيداً بهذا ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية  
 رحمه الله ، وكان يوليه معاوية سنة ، ويولى مروان سنة أخرى ، ويقال إن  
 الفرزدق قال لمروان : لا أقول إلا قياما ، وإنك يا أبا عبد الملك لاصف من  
 بينهم ، وصفن الرجل إذا رفع إحدى قدميه ، ووقف على الأخرى والخشني ص ٧٨  
 (٣) سفيان : جده ، وأبوه : عبد الله . وهو ينسب إلى أبيه وإلى جده .  
 (٤) وأخرجه مسلم ومالك وأحمد والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن  
 جرير وقيل : إن هذه المرأة هى أم جميل امرأة أبى لهب .

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة. إنها رحلة مليئة بالتحديات، ولكنها مليئة أيضًا بالفرص. إنها رحلة نحو المستقبل، ولكنها رحلة نحو الحاضر. إنها رحلة نحو التغيير، ولكنها رحلة نحو التحسين. إنها رحلة نحو الأفضل، ولكنها رحلة نحو الكمال.

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة.

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ  
الْجُزءُ الثَّانِي وَبَلِيَّةِ الْجُزءِ الثَّالِثِ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
وأوله : ﴿ فَرَضُ الصَّلَاةِ ﴾

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة. إنها رحلة مليئة بالتحديات، ولكنها مليئة أيضًا بالفرص. إنها رحلة نحو المستقبل، ولكنها رحلة نحو الحاضر. إنها رحلة نحو التغيير، ولكنها رحلة نحو التحسين. إنها رحلة نحو الأفضل، ولكنها رحلة نحو الكمال.

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة.



## ملحوظات

تسكلم السهيلي عن بئار مكة في ص ١٢٣ - ٢٤ وما بعدها ، وقد زاد للبلاذري في كتابه فتوح البلدان عما ذكره السهيلي ، فقيما يتعلق بالعجول زاد بعد الشطرة الأولى :

قبل صدور الحاج من كل أفق

وزاد في سجلة بعد الشطرة الأولى :

في تربة ذات غداة سهلة

وزاد في شعر صفية المذكور في ص ١٢٥

فيها الجراد والذر وقذر لا يذكر

وعن بذر ورد :

ليست كبذر النذور الجراد

وبهذا استقام المعنى فقد كانت البرور في الروض .

ملحوظات عن الجزء الأول

في ص ٣٣٦ ١٠ ورد في السطر الحادى عشر نصف بيت من الشعر

اهتديت إلى تمامه ، فقد أنشده اللسان في مادة أوب وهو :

رَبَّاهُ شَمَاءَ لَا يَأْوِي لِقَلَمِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأُوبُ السَّبَلُ

والأوب اسم جمع ومعناه : النحل ، والسبل : المطر هذا وقد ندت عن

المين بعض أخطاء يسيرة جدا نرجو أن نتداركها بعد إن شاء الله .

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة. إنها رحلة مليئة بالتحديات، ولكنها مليئة أيضًا بالفرص. إنها رحلة نحو المستقبل، ولكنها رحلة نحو الحاضر. إنها رحلة نحو التغيير، ولكنها رحلة نحو التحسين. إنها رحلة نحو الأفضل، ولكنها رحلة نحو الكمال.

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة.

## محتويات الكتاب

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٦	أهبات الرسول «ص»، «س» ١		البيت «س»
٧	أمر جرم ودفن زمزم «س»	٢٨	قصي وزواجه وتولية أمر
٧	مولد النبي «ص»		البيت «س»
٩	زمزم	٢٩	ولاية الغوث إجازة الحج «س»
١٠	استيلاء كنانة وخزاعة على البيت	٣١	عدوان والإفاضة «س»
	ونقي جرم «س»	٣٢	قصي وخزاعة وولاية البيت
١١	شعر الحارث بن مضاض «س»	٣٣	نشأة قصي
١٢	شعر عمرو بن الحارث «س»	٣٤	الغوث بن مر وصوفة
١٣	حول زمزم	٣٤	لم سمى قصي قصي «س»
١٣	لم نزلت هاجر وإسماعيل مكة	٣٧	بنو سعد وزيد مائة
١٥	قطورا وجرم والسميدع	٣٨	اشتقاق المزدلفة
١٦	جباد وقيقعان	٣٩	ذو الإصبع وآل ظرب
١٧	جرم تسرق مال الكعبة	٤١	أبو سيارة
١٨	بين جرم وخزاعة	٤٢	حول لاهم «ن. ل. س»
١٩	غربة الحارث بن مضاض	٤٣	لهنك «س. ن. ل.»
٢٠	ن شرح شعر ابن مضاض	٤٤	أمر عامر بن ظرب
٢١	واسط وعامر وجرم	٤٥	غلب قصي على أمر مكة
٢٢	مكة وأسماؤها	٥٠	الرفادة «س»
٢٤	ما وجد مكتوبا في الأحجار	٥١	الحكم بالآمارات
٢٧	استبداد قوم من خزاعة بولاية	٥٢	يعمر للشداخ

(١) «س» رمز عن السيرة ، و«ن. ل.» رمز عن النحو واللغة ، و«س.» رمز عن الشرح ، أما الروض فبدون رمز .

رقم	موضوع	رقم	الموضوع
٥٣	ولاية قصي البيت « ١ »	٨٧	عبد المطلب وابن ذى يزن
٥٣	رباع مكة	٨٨	نسب أحيحة
٥٥	دار الندوة	٨٩	الليلة القسية والدرهم القسي
٥٥	من تفسير شعر رزاح	٩٠	« ن . ل » شعر الصلتان
٥٨	شعر قصي والعذرتان	٩٠	أيا شاعرا لاشاعر اليوم مثله
٥٩	حوتسكة وأسلم	٩٠	« ن . ل » جمع يراد به المفرد « ن . ل »
٦١	الاختلاف بمد قصي وحلف	٩١	الحكم للبعض بحكم الكل
٦٣	المطبيين « س »	٩١	« ن . ل » شعر مطرود من عبد المطلب « س »
٦٥	حلف الفضول « س »	٩٣	حفر زمزم « س »
٦٥	هاشم ونسله « س »	٩٥	بثار قریش « س »
٦٦	شعر مطرود في بكاء بني عبد مناف « س »	١٠٠	ويل الشجى من في الخلى « ن . ل »
٦٧	حلف المطبيين	١٠٣	شرح شعر مطرود
٦٨	السناد والإقواء	١٠٤	نصريف ومائة ومرمر « ن . ل »
٧٠	حلف الفضول	١٠٦	قلبي وسلس « ن . ل »
٧١	حرب الفجار	١٠٧	حديث زمزم
٧٣	القتول ونديه بن الحجاج	١٠٩	الاستسقاء « س »
٧٥	الحلف وابن جدعان	١١٢	أسماء زمزم
٧٥	هل حضر النبي حرب الفجار؟ « س »	١١٣	تأويل العلامات التي رآها
٧٦	صَكَّهُ عُتَيَّ « ن . ل » .	١١٣	عبد المطلب
٧٧	طعام ابن جدعان « س »	١١٦	من صفات زمزم
٧٨	ابن جدعان أسطورة	١١٩	نبح الماء من بين أصابعه « س »
٨١	موقف الإسلام من الحلف	١٢٠	اشتقاق مفازة « ن . ل »
٨٣	عن أولاد عبد مناف		
٨٤	طعام هاشم		
٨٤	ابن الزبيري يمدح بني عبد مناف		

(١) الموضوع قد يذكر في السيرة وفي الروض ولهذا يتكرر ذكره في الفهرس .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٢١	الجمع واسم الجمع ( ن . ل )	١٦٦	الناس الاجر على الرضاع
١٢٣	بشار قريش بمكة	١٦٧	لم كانت قريش تلتبس المراضع
١٢٨	من شرح شعر مسافر (١)	١٦٨	شق الصدر
١٣٠	هراق وأراق «س»	١٧٠	لم يكن النبي يعرف أنه نبي قبل البعثة «س»
١٣١	نذر عبد المطلب ذبح ولده «س»	١٧٠	تضارب ما قيل عن الخاتم النبوي
١٣٥	المرأة التي تعرضت لنكاح عبد الله «س»	١٧٢	حديث السكينة
١٣٧	ما قيل لآمنة عند حملها «س»	١٧٢	عن شق الصدر مرة أخرى
١٣٧	نذر عبد المطلب	١٧٥	لم اختير طست من ذهب
١٣٩	توزيع عبد الله	١٧٨	الحكمة في ختم النبوة
١٤٠	حول أمهاته صلى الله عليه وسلم	١٧٩	رد حليمة للنبي «س»
١٤١	المرأة التي دعت عبد الله	١٧٩	تأويل النور الذي رآته - آمنة -
١٤٣	ولادة الرسول «س»	١٨٠	عود إلى حديث ابن إسحاق عن الرضاع «س»
١٤٤	رضاعته وحضانه (س)	١٨١	وفاة آمنة «س»
١٤٥	قصة حليمة السعدية (س)	١٨٢	رعية الغنم
١٤٩	فصل في المولد	١٨٣	في كفالة العم
١٥٠	لم يولد صلى الله عليه وسلم محتونا	١٨٤	حوت آمنة وزياته لما حول
١٥١	تسميته (س)	١٨٥	أحاديث عن حكم أبويه
١٥٠	اسم محمد وأحمد	١٨٨	وفاة عبد المطلب ورشاه «س»
١٥٧	تعويض عبد المطلب	١٨٩	قصيدة صفية «س»
١٥٨	متى ولد وأين ولد النبي «س»	١٩٠	قصيدة برة وعاتكة وأم حكيم «س»
١٦٠	تحقيق وفاة أبيه «س»	١٩١	قصيدة أميمة وأروى «س»
١٦٠	أبوه من الرضاعة	١٩٢	قصيدة حذيفة بن غانم «س»
١٦٢	قصيدة أو فصيصة والثيماء	١٩٥	قصيدة مطرود الخزاعي «س»
١٦٣	شرح حديث الرضاع	١٩٥	ولاية العباس السفاية «س»
١٦٤	يغذيه أو يغذيه		

(١) تقدم هذا العنوان قبل موضعه بأربعة أسطر .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٩٦	الرسول دس ، في كفاية		هذه الشجرة لإلا نبى
	أبى طالب دس ،	٢٣٧	تحقيق معنى الوسط
١٩٧	شرح شعر رثاء عبد المطلب	٢٣٨	من الذى زوج خديجة؟
٢٠٢	أبو جهنم	٢٤١	أولاده دس ،
٢٠٣	شرح شعر حذيفة بن غانم	٢٤١	تلقؤ ورقة دس ،
٢٠٤	تهام وشأم دن ل ،	٢٤٢	أولاده من خديجة
٢٠٦	حذف الياء من هاء الكتابة	٢٤٤	بين خديجة وبحيرى ونسبها
٢٠٩	من شرح شعر حذيفة	٢٤٥	من تزوجتهم خديجة قبل الرسول دس
٢١٠	رأى النحاة فى زيد أفضل إخوته	٢٤٦	مارية وإبراهيم
٢١١	من شرح شعر مطرود	٢٤٨	ترجمة ورقة
٢١٢	من شعر مهمل عن زواج ابنته	٢٥٢	مثنى يقصد به المفرد دن ل ،
٢١٤	الزطف	٢٥٥	النور والضياء دن ل ،
٢١٥	اللبى العائف	٢٥٦	نون الوقاية فى إن أوخوانها (ن.ل)
٢١٦	قصة بحيرى دس ،	٢٥٦	حول تقدم صلة المصدر عليه (ن.ل)
٢٢٠	شرح قصة بحيرى فى الروض	٢٥٧	متى يجوز تقديم معمول المصدر دن ل
٢٢١	من صفات خاتم النبوة	٢٥٩	بنيان الكعبة فى السيرة
٢٢٤	رواية الترمذى عن رحلة الشام	٢٦٤	بنيان الكعبة فى الروض
٢٢٦	نقد رواية الترمذى	٢٦٦	تجديد ابن الزبير لبنائها
٢٢٨	حفظ النبى دس ، فى صغره	٢٦٨	أساطير حول بناء الكعبة
٢٢٩	حرب الفجار دس ،	٢٧٣	العهد الذى أخذ على ذرية آدم دس ،
٢٣١	حديث تزوج خديجة دس ،	٢٧٦	حول بناء المسجد الحرام
١٣٣	قصة الفجار فى الروض	٢٧٧	كنز الكعبة والتجار القبطى
٢٣٤	منع تنوين العلم	٢٧٨	الحجوة والدابة
٢٣٥	من تفسير شعر البراض	٢٧٨	تفسير : لم ترع
٢٣٥	آخر أمر الفجار	٢٧٩	حول حديث أبى لهب
٢٣٦	شرح قول الراهب : ما نزل تحت	٢٨٠	الحجر الذى كان مكتوبا عليه

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٢٨١	الحجر الأسود وقواعد البيت	٣١٠	انقطاع الكهانة
٢٨٢	شعر الزبير في بناء الكعبة	٣١١	قصة صاف بن صياد
٢٨٣	حديث الحمس في السيرة	٣١٢	حديث الغيطلة الكاهنة
٢٨٧	حديث الحمس في الروض		وفي الروض
٢٨٩	يوم جبلة وعدس والحلة والطللس	٣١٣	كاهن ثقيف ولهب
٢٩٠	اللقى يروى	٣١٦	أيش والاحاتم ون.ل.
٢٩٠	رجز المرأة الطائفة	٣١٧	حمى جنب
٢٩١	قرزل وطفيل	٣١٨	حول حديث عمرو سواد بن قارب
٢٩٢	الهامة . شعر لجرير	٣٢٣	سواد ودوس عند وفاة
٢٩٣	مازل من القرآن في شأن الحمس		الرسول «ص»
٢٩٤	وقوف النبي بعرفة قبل النبوة	٣٢٤	كاهنة قريش
٢٩٤	موقف قريش في الحج في	٣٢٦	إمذار يهود بالرسول «ص»
	جاهليتها «ص.ش»	٣٢٨	ابن الهيبان
٢٩٥	الإخبار بمبعث نبي «ص»	٣٢٩	حديث سلية وبني سعيد
٢٩٥	منع الجن من استراق السمع «ص»	٣٣١	إسلام سعة الخبر
٢٩٧	أول فرع للرعى بالنجوم «ص»	٣٣٢	حديث إسلام سلمان «ص»
٢٩٨	كيف يسترق الجن السمع «ص»	٣٤٠	وهني لإصهان وشرح الروض
٢٩٩	حديث الغيطلة الكاهنة في السيرة		لحديث سلمان
	والروض	٣٤١	أسماء النخلة
٢٩٩	حديث كاهن جنب «ص»	٣٤٢	حكم الصدقة للنبي «ص» ومصدر
٣٠١	فصل في الكهانة		مال سليمان
٣٠٢	رمى الشياطين	٣٤٤	أول من مات بعد الهجرة
٣٠٣	الجن الذين ذكروا في القرآن	٣٤٥	أسطورة نزول عيسى قبل البعثة
٣٠٥	ابن علاط والجن	٣٤٨	ورقة وعبيد الله بن جحش
٣٠٥	قصة نصر بن حجاج «ص»		وعثمان بن الحويرث «ص»
٣٠٧	أحاديث حول استماع الجن «ص»	٣٤٩	زيد بن عمرو بن نفيل

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٣٥٥	حديث ورقة في الروض	٣٨٨	أول بدىء به من النبوة
٣٥٦	الزواج من امرأة الأب في الجاهلية	٣٩٠	مدلول تفعل ون. ل.
٣٥٨	معنى : ففتح الجرو	٣٩١	حول المجاورة في حراء
٣٥٨	من قصة ابن الحويرث	٣٩٢	كيفية الوحي
٣٥٩	اعتزال زيد بن عمرو بن نفيل	٣٩٦	من تفسير حديث الوحي
	الآوثان وتركه أكل ما ذبح على النصب	٣٩٧	معنى اقرأ باسم ربك
		٣٩٧	حول بسم الله
		٣٩٩	الغظ
٣٦٣	زيد وصعصعة والموودة	٤٠٠	العفريت الذي تفلت في الصلاة
٣٦٤	شرح شعر زيد	٤٠١	ما أنا بقارىء
٣٦٦	إعراب نعت النكرة المتقدم ونحوه	٤٠٢	رؤية جبريل ومعنى اسم
٣٦٧	من معاني شعر زيد	٤٠٢	معنى لم وخراقة الرهبان
٣٦٨	تفسير حنانيك وحول اسم الله ون. ل.	٤٠٤	معنى الناموس
٣٦٩	حذف المنادى مع بقاء الياء ون. ل.	٤٠٤	لم ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ؟
٣٧٠	تصريف اطعمأنت وأشياء ون. ل.	٤٠٥	حول هاء السكت والفعل تترك ون. ل.
٣٧١	الدعموص والخزم في الشعر	٤٠٦	شرح أو مخرجى ؟ ون. ل.
٣٧٢	لغويات ونحويات	٤٠٧	يا فوخ ون. ل.
٣٧٥	صفة الرسول وص. من الإنجيل	٤٠٧	الذهاب إلى ورقة
	« د س »	٤٠٩	لقد خشيت على نفسي
٣٧٦	بشارة لإنجيل يوحنا « د س »	٤١٠	المختار من أحاديث الوحي
٣٧٧	من صفات النبي عند الأخبار		وشرحها « د س »
	« د س »	٤١٢	كيفية الوحي « د س »
٣٨٠	حديث الوحي « د س »	٤١٢	مدة المجاورة في حراء « د س »
٣٨٤	كتاب المبعث	٤١٣	تفسير مفردات حديث الوحي
٣٨٥	إعراب لما آتيتكم ( ن. ل )		« د س »
٣٧٨	النبوة وأولو العزم		



رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٤١٥	ابتداء تنزيل : القرآن « س »	٤٢٣	أحاديث عن فضل خديجة
٤١٦	إسلام خديجة « س »	٤٢٥	تفسير القصب
٤١٧	فترة الوحي « س »	٤٢٦	حول جزاء خديجة
٤١٧	من تفسير سورة والضحي « س »	٤٢٧	حول المسكر والنسيان « ش »
٤١٩	مق نزل القرآن	٤٢٩	الموازنة بين خديجة وعائشة
٤١٩	دعوى نزول القرآن جملة واحدة	٤٣٠	فضل فاطمة
	« ش »	٤٣١	الله السلام
٤٢٩	إضافه الشهر إلى رمضان	٤٣٢	فترة الوحي
٤٢١	حب الرسول « ص » ، وطنه	٤٣٤	شرح شعر للهدلى والفرزدق
٤٢٢	ذكر عبد الله بن حسن		ملحوظات

## حمد وثناء

أحمد الله أن أعان ومن بالقدرة على عمل أجهد اليد والفكر والسمع والبصر لإجهادا لولا فضل الله ما تحملته . فالذى انصلت أسبابه المتينة بكتاب الروض الأنف يعلم أى فضل عظيم من الله من على به ، ولا أزعم أنى أدبت كل ما يجب ، وإنما أزعم أنى حاولت بصدق . وأعلن هنا شكرى للأخ أحمد حمدي الجرجسي صاحب المطبعة ، وإخوتي عمالها على أوفى جهد ، وأكرم تجاوب نبيل ؟

عبد الرحمن الوكيل

Handwritten text, mostly illegible due to fading. The text appears to be a list or series of notes, possibly related to a project or study. Some words are visible, such as "المجلس" (The Council) and "الشيخ" (The Sheikh).

(1) ...  
...  
...  
...  
...  
...  
...  
...  
...  
...